موسوعة الرسول المصطفى (ص)
باهتمام: محسن أحمد الهاشمي

الصلاة على الرسول المصطفى (ص) وآله (ع)

الشعار - التراث - الهوية

باسم الحلي

بمساعدة هاشم الخاقاني

دار الأثر
بيروت - لبنان

الصلاة على الرسول المصطفى وآله

الشعار - التراث - الهوية

موسوعة

الرسول المصطفى (ص)

باهتمام: محسن أحمد الخاتمي

الصلاة على

الرسول المصطفى (ص)

وآله (ع)

الشعار - التراث - الهوية

باسم الحلي

بمساعدة هاشم الخاتمي

دار الأثر

بيروت - لبنان

(١٨)

العنوان البريدي في لبنان:
بيروت - الغبيري ص.ب. ٢٥/١٣٨

العنوان البريدي في إيران:
مشهد - ص.ب. ٩١٣٧٥/٤٤٣٦

الفاكس: ٢٢٢٢٤٨٣ (٥١١ - ٠٠٩٨)

البريد الإلكتروني: e.mail
almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com

الموقع في الإنترنت:
www.almawsouah.org

مركز التوزيع والنشر في لبنان: دار الأثر

مركز التوزيع والنشر في إيران: إنتشارات ژرف

تهران - خيابان انقلاب - خيابان فخر رازى - شماره ١١١، هاتف: ٦٤٠١٧٢٧ (٢١ - ٠٠٩٨) ص.ب: ٥٣٣ - ٣٤٤٥

الطبعة الأولى: ١٤٢٤ - ٢٠٠٤

دار الأثر
للطباعة والنشر والتوزيع
Dar Al-Athar, Publisher

توزيع ونشر دار الأثر
بيروت - بئر العبد - شارع دكاش - بناية شحرور
هاتف: ٠١/٢٧٠٥٧٤ - ٠١/٢٧٠٥٧٢ - ٠٣/٢٤٩٢٢٧

E-mail: alathar2002@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا ۝ وداعيا إلى الله
بإذنه وسراجا منيرا ۝

صدق الله العلي العظيم

الأحزاب ٤٥ - ٤٦

كلمة الموسوعة

الشعار آلية لترسيخ قواعد التراث

والتراث يصنع الهوية..

والهوية تعني الأمة..

والعجيب الملفت أنك عندما تقرأ الحضارات عبر التاريخ تجد أنَّ الصراع عندما يبدأ بين حضارتين، حضارة تريد أن تأكل حضارة أخرى وتبلعها ثم تمحيها من على الأرض، تجدها لا تقدر أن تبدأ في صراعها ذلك بضرب الهوية، فالهوية هي كل وجود الأمة، ولا تقدر أن تمحي التراث، فالتراث ليس شيئاً سهلاً متهاوياً يتزلزل أمام الإعصار بل أنها تبدأ من الشعار، لتأخذ مشواراً متأنّياً متدرجاً لضرب التراث حيث تصبح الأمة كلا أمّة.

هذا بالنسبة للقضية بشكل عام..، أمّا في ما نحن فيه، فالموضوع يبدو أكبر وأعظم؛ لأن الشعارات الإسلامية عموماً والتي يسميها القرآن: ﴿شَعَائِرَ اللهِ﴾ تراها تشكل في مضامينها ركائز فكرية للتراث لتبقى بدورها الهوية.

فمثلاً: شعار: (الله أكبر) وشعار: «اللهم صل على محمد وآل محمد» وشعار: (يا حسين)، كلها تحتوي على مضامين أساسية في بناء الفكر الديني، فـ: (الله أكبر) يعني التوحيد ـ الركيزة الأولى في بناء الإسلام ـ

ويعني القوة والعزة والمجد والغلبة للإسلام والمسلمين.

وشعار: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» يجسّد مفهوم القيادة الإلهية الصحيحة لمسيرة هذا الدين.

وشعار: (يا حسين) يعني الحركة التصحيحية التي نهضت بأعباء تقويم الاعوجاج الحاصل والمتراكم بعد وفاة الرسول ﷺ؛ هذا الشعار الذي جسّد حديث رسول الله ﷺ: «**حسين مني وأنا من حسين**».

وهكذا، فكل الشعارات أو الشعائر الإسلامية تتضمّن في محتواها ـ علاوة على السمات الشعارية ـ ركائز فكرية أساسية، لبناء دعامة هذا الدين أولاً، ولضمان ترسيخ هذه الدعامة في عملية الصراع لأجل البقاء ثانياً، وللمقاومة والتصدي لكل مشاريع التحريف والإسقاط ثالثاً.

ولذلك، ترى أنّ المحرّفين الذين يسمّيهم أخونا الفاضل مؤلف هذا الكتاب بـ «الرَأْيَوِيِّين» عرفوا من أين تُؤكل الكتف، فهم عندما كانوا يصرّون على طمس هذه الشعارات ونحوها، إنما كانوا يقصدون من وراء ذلك التأثير المباشر على تحريف التراث أولاً، ثم الرجوع بالأمة إلى معالم الهوية الجاهلية.

وفي المقابل فإن الرسول المصطفى ﷺ وأهل بيته الكرام عليهم السلام كانوا لهم بالمرصاد عندما ركّزوا بإصرار وبشكل ملفت إلى الأبقاء على هذه الآليات لتصمد أمام تلك الأهواء والبدع.

إضافةً على بيانهم عليهم السلام أنّ هذه الآليات والتي من أهمّها الصلاة على محمد وآل محمد، لها ما لها من خصائص وبصمات تؤثر في قضايا تكوينية ترتبط بحياة الإنسان في هذه الدنيا، ولها ما لها من تأثير في ارتفاع درجات الثواب للمصلي في عالم الآخرة.

هذا في التاريخ، وأما في عصرنا الحاضر، فقد كان الاستعمار الفكري ذكياً جداً، عندما التفت إلى هذه المعادلة الاجتماعية المعقّدة، حيث لم يبدأ بضرب الهوية لأنه كان يعرف باستحالة ذلك، ولم يمسّ التراث، فإنه كان يعلم قوة ذلك التراث ومنعته، بل بدأ بضرب الشعار أولاً ليتدرج بشكل طبيعي لضرب التراث ثم محو الهوية لتصحيح الأمة بعدها في مهب الرياح.

وبالفعل نجد أن هذا الاستعمار، وبشتى الوسائل والسبل، من داخلية وخارجية، من أحزاب وجماعات، ومن أسطرة وأدلجة، ومن صنع قيادات خائنة مزيّفة، ومن حكومات دمى، ومن تيارات فكرية، وكتب ومجلات، ومحطات وفضائيات، وأخطر من كل ذلك: صنعه لرموز فكرية منحرفة من داخل مجتمعاتنا لتصبح مراجع منظّرة مقبولة لدى مثقفينا لتحبك الصيغ المتجددة الدخيلة لتراثنا الفكري.

اقول: إنّ هذا الاستعمار الفكري وبكل هذه الوسائل، تراه وفي خلال قرن من الزمان حارب كثيراً من هذه الشعارات باسم التجديد تارة وبإسم العلمنة تارة أُخرى وباسم التقدم والتطور ثالثة، وباسم محاربة الرجعية رابعةً وهكذا وهكذا... حتى استطاعت هذه الفلول المتآمرة من التأثير على اللغة والعادات والمراسيم وحتى على شكل الملابس وتصفيف الشعر.

كل هذه الجهود بُذِلَت وتُبْذَل من قبل زعامات الغزو الفكري لا لمحاربة الشعار نفسه، بل لأنّه المدخل المناسب لمحاربة التراث ومن ثم لضرب الهوية لتصبح الأمة أسيرة بأيديهم ينهبون ثرواتها ويغيّرون معالمها، ويسيطرون على مقدراتها وما بعد ذلك إلا الذل والخنوع والتبعية.

كل هذه الرؤى الدقيقة التي لا يعي تفاصيلها ومداخلها ومخارجها إلا

من اغترف غرفةً من معين القرآن والرسالة والعترة أولاً، ثمّ سبر غور ما يسمّى اليوم بعلم الاجتماع ثانياً، اقول: كل هذه الرؤى والمعالم كانت ماثلة أمام عين أخينا الفاضل باسم الحلي وهو يتناول هذا الشعار بل الشعيرة الإسلامية الكبرى: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» في كتابه الذي فتح باباً جديداً بمنهجٍ جديدٍ لفهمٍ جديد.

هذا الشعار الذي حُرِّف من قبل المحرّفين (الرأيويين) في تاريخنا الغابر فجعلوه أبتر، ليفقدوه بجريمتهم تلك، فاعليته كآلية في عملية الصراع لأجل بقاء الرسالة... والذي طُمس في عصرنا الحاضر بالكامل، ليُبدّل بالتصفيق ـ مثلاً ـ في أنديتنا وحفلاتنا عندما يريد الحضور تشجيع الشعراء والخطباء.

وعجيب أمر هذا الذكاء المستعمر، فإنه لم يدع لنا حتى سورة الفاتحة لنقرأها على أرواح أمواتنا؛ هذا الشعار الذي يجسّد التراث كله والهوية كلّها، فقد بدّلها بدقيقة صمتٍ حداداً على الأموات وقوفاً، وقد خُدع المجتمع الإسلامي بهذه العصرنة ناسياً ما فيها من مؤامرة ذكية لتغيير الشعار أولاً ثم لضرب التراث ثم سرقة الهوية.

من هنا نفهم مغزى الآية رقم ٣٢ في سورة الحج والتي تقارن التقوى بإحياء الشعائر لتقول:

﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

فالتقوى تعني آلية المقاومة، والتقوى ترمز فيما ترمز، إلى وسيلة تتقي بها في خضم عملية الصراع، والصلاة على محمد وآل محمد، شعيرة إلهية عندما تعظّمها وتحييها فستنقلب في يدك إلى سيف فكري صارم تقاوم بها كل أنواع الغزو الفكري، سواء جاءت من داخل المجتمع الإسلامي في

عمليات التحريف (كبدعة الصلاة البتراء) أو جاءت من خارجه ككل صنوف معالم العصرنة والعلمنة سابقاً والعولمة في عصرنا الحاضر.

محسن أحمد الخاتمي

مشهد المقدسة / ٢٥ / شوال / ١٤٢٤هـ.

٢٠ / ديسمبر / ٢٠٠٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

من أهم المواضيع المثارة في ساحاتنا الإسلامية اليوم هو محاولة إيجاد تفسير موضوعي لتلك العلاقة العكسية غير المحمودة بين عشرات بل مئات النصوص السماوية الموصية بضرورة الإرتباط بالله تعالى بواسطة الذكر على تعدد صيغة الشرعية، سواء أكانت تسبيحاً أم تهليلاً أم تحميداً أم صلعوة (=الصلاة على محمد وآل محمد) وبين الواقع الإسلامي المعاش..

ففي الوقت الذي نعلم يقينا بأنّ الله سبحانه وتعالى والرسول ﷺ قد أوليا عناية بالغة واهتماماً بيناً بهذا الأمر، نجد الشارع الإسلامي لا يعبأ كثيراً..، لا بتلك النصوص المقدّسة ولا بتلك العناية الإلهية النبوية، بدعوى أنّ غرض الله الأسمى من الشريعة والدين ليس هو لقلقة اللسان على طريقة الببغاوات.

ولكن لا أدري من أين طرأت هذه الشبهة على عقول بعض شبابنا اليوم؟!!!

ولا ريب في أنّها نتاج عدم الإحاطة، لا أقول بأولويات ديننا الإسلامي الحنيف، بل هي نتاج عدم الإحاطة بالواقع الإنساني المعاش أيضاً، وهذا فضلاً عن عدم الإحاطة بما توصلت إليه العلوم الإنسانية الحديثة التي لا تتقاطع مع مقررات الدين في مرحلة النتيجة..

إنّ العلوم الإنسانية سُئِلَتْ فأُحْرِجَتْ فاكتشفت..! لقد اكتشفت أنّ مجرد الالتزام بما نسمّيه نحن المسلمون بالذكر هو سلاح من أسلحة الصراع من أجل الإبقاء على المبدأ؛ سواء أكان الصراع مادياً أم معنوياً أم أيديولوجياً أم تاريخياً..

ومن منّا لا يتمكن من الإقرار عن قناعة كاملة بأنّ المعلّقات السبع مثلاً لولا أنْ تناقلها اللسان العربي في مسلسل التاريخ عبر الأجيال لم يكتب لها الخلود والبقاء؟ وهل هناك من يشك في ذلك؟!!!

والأمر هو الأمر حينما نصطدم بحقيقة خلود بعض الأعمال الأدبية وبعض الأعمال الفنيّة دون سواها من أعمال باقي المبدعين التي لم يكتب لها التاريخ أن تصل إلينا وتخلد..

وليس من ريب على ضوء ذلك في أنّ مجرد عملية التناقل اللساني فيما بين المسلمين للقرآن ولسنة الرسول ﷺ ولمقررات المعصوم عموماً قد ساهم مساهمة فعّالة في إبقاء النصوص السماوية نابضةً بقوامها المعروف..

إنّ هذه الحقيقة في قالبها العام هي ما يطرحه علماء الإنسان جواباً أو قل هو ما اكتشفوه جواباً عن السؤال الذي يقول: كيف بقيت الأفكار وكيف بقيت الأديان وكيف بقيت الأيديولوجيات تصارع تحولات التاريخ، وهو نفسه ما يطرحه أولئك العلماء جواباً حينما يعترض طريقهم السؤال الذي يقول: لماذا اندرست واندثرت بعض الأفكار وبعض الأيدلوجيات وبعض الأديان..

ينبغي أن يعلم الشارع الإسلامي وبالأخص شبابنا منهم أنّ الذِّكْرَ في معناه الكامل ليس لقلقة لسان، بل هو مشروعٌ من مشاريع العقل البشري الضرورية للحفاظ على الهوية، وآلة من آلات الإبقاء على المبدأ، ولا عجب إذا قلنا بأنّ الحضارة الإنسانية اليوم والتي ناء بحملها الإنسان عبر تتالي القرون لولا هذه الآلية لما كان لها وجود..

وفيما يبدو وهو ما أعلنه المفكرون قديماً وحديثاً فإنّ لعمليات اللسان (الذكر) في إطار السياسة وفي إطار الإجتماع دورٌ بارز في عمليات الصراع؛ وآية ذلك وبالنظر إلى كل تاريخ البشرية أننا لا نجد حزباً سياسياً أو طائفةً دينية أو شريحة إجتماعية إلاّ ولكل واحد منها كلمات يسمّونها «شعارات» يردّدونها صباحاً ومساءً كما نردد نحن المسلمون أذكارنا الإسلامية وآياتنا القرآنية ومبادئنا السماوية..

وأكثر من ذلك وهو أننا نجد أنّ الحزب الواحد أو الدين الواحد إذا انشق إلى قسمين؛ فإنّ كل قسم من هذين القسمين سوف يسعى بعد الانقسام لأن يكون له شعارٌ خاص به؛ يعبر به عن أهدافه وعن هويته الدينية أو السياسية..؛ كل ذلك لأجل توظيف الواقع الخارجي بل الكون والحياة في إطار ذلك الذكر أي في إطار ذلك الشعار المعبّر عن هويته وتراثه، وبالتالي لأجل أن يبقى قوياً مع كل صراع..

وفيما يتعلق بنا كمسلمين فإنّ الأذكار الإسلامية قد كتب فيها الكثير، وهذه الكتابات وإن كانت مشكورة محمودة، لكن تعترضها إشكالية أنّها تأسست في إطار منهج صوفي ساذج لم يعد قادراً على استقطاب بعض الشباب الإسلامي المنجرف مع العلمنة والعولمة من حيث يدري أو لا يدري.

وقد عقدت هذه الدراسة المتواضعة كمحاولة لطوي هذه الإشكالية المستقرة في صدر الشارع الإسلامي، ولأتحدث عن الذكر لا بما هو ذكر كما

فعلت المؤلفات ـ ذات النزعة الصوفية ـ السابقة على هذه الدراسة، بل لأمارس البحث فيه بما هو شعار..، تراث..، هوية..

أقول قولي هذا مؤكداً على أنّ هذه الدراسة محاولة أولى في هذا المضمار؛ ولأجل ذلك يزيدني فخراً واعتزازاً أن يتحفنا العلماء المهتمون والباحثون الموضوعيون بما من شأنه تطوير كل الأفكار الإسلامية..

ولكن لمّا كانت الدراسة في عموم الذكر على ضوء الرؤية الآنفة أمرٌ لا يخلو من عسر؛ لكثرة صيغ الذكر، اكتفينا في هذه الدراسة بتسليط الضوء على نظرية الذكر الإسلامية من خلال الصيغة التي تقول: «اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد» فقط؛ وذلك لأنّ هذه الصيغة المقدّسة تتجلّى فيها وبوضوح تلك المحاور الثلاثة؛ أعني الشعار والتراث والهوية..

وهي تتألف من سبعة فصول:

الفصل الأول:

وقد سلطنا الضوء في هذا الفصل على أنّ الصلاة على محمد وآله من خلال أبعاد الصراع التاريخية والإجتماعية والسياسية والعقائدية والتشريعية ليست هي مفردة من مفردات نظرية الحلال والحرام (=العبادات والمعاملات) وحسب كما تصوّرها الأفهام الساذجة، بل هي شعار وتراث وهوية تهدف إلى إبقاء الدين..

الفصل الثاني:

أخذ هذا الفصل على عاتقه توضيح معالم المنهج السماوي في عملية الإبقاء على الدين سالماً من التحريف؛ ولكن ميدانياً بملاحظة تحولات التاريخ والمجتمعات والنظم السياسية الإسلاموية منذ عهد الرسالة وحتى اليوم، عبر نظرية أسميناها بنظرية «الحس الديني» أو الإحساس بالمسؤولية الدينية، كما وقد أعطى هذا الفصل تفسيراً جديداً لنظرية الثواب والعقاب

الإسلامية؛ حيث قرأ (=فسّر) ذلك المقدار العظيم من الثواب لأجل بعض الأعمال التي يحسب البعض أنّها بسيطة كـ: **«اللهمّ صلِّ على محمد وآل محمد»** في إطار العلوم الإنسانية فضلاً عن معيارية ما ورد في الشرع المقدّس عبر ما أسميناه بـ «الحسنة النوعية» و....

الفصل الثالث:

في هذا الفصل أمعنّا البحث ـ بما يلائم الدراسة ـ في روايات الشيعة المعتبرة سنداً ودلالة؛ أي في تلك الروايات الناهية عن الصلاة البتراء أو الآمرة بوجوب ضمّهم إلى محمد ﷺ حين الصلاة على محمد ﷺ؛ مبينين على ضوء مناهج الماضين من أصحابنا رضي الله عنهم موضوعية آل بيت رسول الله ﷺ في إضفاء الحياة على دين محمد ﷺ ولو من خلال الصلاة على محمد وآل محمد..

الفصل الرابع:

وإذا كان البحث في الفصل السابق يدور مع ما ورد في المجاميع الحديثية للشيعة الإمامية فيما يتعلق بهذا الموضوع؛ فإنّ هذا الفصل أخذ على عاتقه أن يمعن البحث سنداً ودلالةً فيما ورد في مجاميع أخواننا من أهل السنّة الحديثية ممّا فيه دلالة واضحة حرمة الصلاة البتراء وعلى وجوب ضمّ آل البيت في الصلاة على محمد وآل محمد..، طبعاً على ضوء مقررات أهل السنّة في علوم الحديث والدراية والرجال والفقه والأصول وغير ذلك..

الفصل الخامس:

ثمّ إذا كان لآل البيت عليهم السلام موضوعية كاملة في تحقيق المصداقية للصلاة على محمد ﷺ، وأنّ الصلاة على محمد ﷺ من دون الصلاة عليهم محرمة، فمن الضروري تسليط الضوء على الروايات الصحيحة

التي كشفت عن هوية آل بيت محمد ﷺ، وفي حقيقة الأمر وقع هذا البحث جواباً عن السؤال الذي يقول: من هم آل بيت محمد؟

وفي هذا الفصل أيضاً ألحقنا بعض البحوث اللغوية وغيرها المتعلقة بصيغة الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ.

الفصل السادس:

وقد لمّ هذا الفصل بطرفٍ من البحوث الفقهيّة واللغويّة.

الفصل السابع:

وقد تناولت عرض فضائل الصلاة على محمد وآل محمد من خلال الروايات الموثوقة الصدور عن المعصوم عليه السلام غير ملتفت لباقي الروايات التي لم تثبت عندي، مبيناً من خلالها خصائص الصلاة وثوابها العظيم وغير ذلك من البحوث العرضية الأخرى.

باسم حسون سماوي الحلي

٢٧ / شهر رمضان المبارك / ١٤٢٤ هـ.

الموافق لشهر أكتوبر / ٢٠٠٤ م.

مشهد المقدّسة

الفصل الأول

الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله عليهم السلام بين الهوية والتراث

الصلاة على محمد ﷺ وآله عليهم السلام بين الهوية والتراث

ينبغي أن نتساءل عمّا يدفع بفئات وشرائح المجتمع الإنساني لأن تتغنى بتراثها في مجالاته المتعددة..

ولماذا نجد تلازماً غير منفكٍ بين وجود المجتمع - أي مجتمع - وبين تراثه؟

وهل هناك قيمة أنثربولوجية وسوسيولوجية للتراث تدفع بأصحابه إلى أن يبذلوا من أجله الغالي والنفيس..؛ الدمَ في بعض الأحيان؟

وما هي الدوافع التي دفعت بالعرب الأوائل لأن يبذلوا ما بذلوا من أموالٍ طائلة من أجل الشعر مثلاً..؛ في سوق عكاظ وفي غيره؟

وهل هي نفس الدوافع التي دفعت بذراريهم اليوم لأن يبذلوا الملايين من أجل ترويج الشعر ونظمه أو عقد المؤتمرات الأدبية والندوات النقدية وبناء المؤسسات الكبيرة لنشره وتداوله وتذاكره؟.

وهل هناك من غرض عقلي وهدف سوسيولوجي يرغم قبيلة من قبائل العرب سواء أكان ذلك في أيّام الجاهلية أم في الإسلام على أن تدفع أموالاً طائلة (طائلة جداً) لشاعر من الشعراء؟

وما هو السر في خلود أدب الثورة الفرنسية..، ولماذا يتغنى به الفرنسيون كل عام حتى اليوم؟.

وأين يكمن السر في اعتزاز الفرنسيين بفولتير والانكليز بشكسبير والعرب بامرىء القيس وزهير والنابغة و...، والفرس بفردوسي وسعدي والخيام؟

وما هو الغرض الذي كان ينشده الفرنسيون من عملية الفَرْنَسَة التي مارسوها في المغرب العربي؛ الجزائر وتونس والمغرب؟

ولماذا ما زال اليهود إلى اليوم يترنمون بالتوراة المحرفة وبمبادئ اليهودية اللاسماوية، مع يقينهم الكامل بأنّهم ليسوا على شيء؟

أهو الإخلاص للدين أم هو الانقياد لشيء آخر؟

ولماذا بقيت البوذية تصارع كل الأيديولوجيات وكل الأفكار من دون أن تموت؟.

وهل سيأتي اليوم الذي سيتخلى فيه البوذيون عن بوذيتهم، والعرب عن عربيتهم والفرس عن فارسيتهم واليهود عن يهوديتهم و...؟

وما هو السبب الوجيه لصرف المليارات من الأموال لأجل علم الآثار؟

ولماذا يدفع الغرب أموالاً خيالية مقابل قطعة أثرية منحوتة من الصخر لا تخصهم كثيراً أو قليلاً بل تخص غيرهم أولاً وآخراً، في الإهرامات المصرية وفي بابل العراقية وفي أصفهان الإيرانية...؟

وقل مثل ذلك في مخطوطاتنا الإسلامية بخاصة، ومخطوطاتنا الشرقية بعامة، والآثار الأسيوية بشكل اعم؟

وهل لهذا دخل في إبقاء المجتمع العربي بنحو خاص، والإسلامي بنحو عام، يمشي الهوينا، حبواً لا يكاد يلتحق بالغرب في المدنية والتكنولوجيا إلاّ ويجد نفسه قد ابتعد أكثر؟

لا ريب في أنّ التراث الشرقي عريق وفيه من آليات المقاومة والصراع

ما يلبي الحاجة، ولكن أين هو؟ ولماذا لا يحرك ساكناً أمام الغرب بالشكل الذي يتلائم كماً وكيفاً مع ما عنده من تاريخ وآليات؟

أضف إلى ذلك التراث الإسلامي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أين هو؟ ولماذا لا يحقق أهدافه المطوبة فيه كدين سماوي كتب له أن ينشر أجنحة العدل وأذرع الانصاف على كل أرجاء المعمورة؟

وهل لغياب أو تغييب التراث الإسلامي (أو تحييده على أقل التقادير) دخل في خيبة المسلمين اليوم؟

ثم فلنقف وقفة إمعانية في بعض كلمات فاطمة العرش..؛بتول القدس والملكوت..

ماذا تقصد من قولها: أرى تراثي نهبا؟

هل تقصد من ذلك الثروة المالية الكبيرة الناتجة عن فدك مثلاً؟ لا ورب السماوات..

أم تقصد خلافة سيد الأولياء والوصيين علي بما هي خلافة وملك؟ لا والله؛ فواقع علي لا يرى الخلافة ـ بما هي سلطة وملك ـ إلاّ كعفطة عنز..

إذن مالمقصود من التراث، ولماذا تصر عليه بضعة الرسول ﷺ المقدسة بهذا الشكل اللاتراجعي، وما علاقة هذا الاصرار بحقيقة الوحي أنّها سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة؟

وإذا ضيقنا دائرة التساؤلات أكثر فأكثر، فلنا كل الحق في أن نتساءل عمّا تنطوي عليه زيارة الحسين ﷺ من فلسفة..

إذ لماذا يقطع المتوكل العباسي بسببها الأيدي أو يأخذ الضرائب العالية مع أنّها مجرد زيارة لا تضر بقوام دولته العباسية؟!!!

وهل هي حقاً زيارة مجردة عن كل بعد فكري وعن كل تأثير، غير ماسّة بقوام الدول الدعوية الإسلاموية التي استطالت بالقوة المسلحة كدولة المتوكل؟

وبنحو عام هل من الصدفة في شيء أنّ كلاً من الحكومات والنظم السياسية التي حكمت العراق مثلاً؛ الإسلاموية منها والوضعية كانت تمنع من زيارة الحسين عليه السلام منعاً باتاً مؤطراً بالعناد والاصرار اللاتراجعي؟

أم انّ هناك سراً في الأمر يقلق المضاجع؟

ثم ماذا يستبطن ما أرادته بعض الفئات المتطرفة المتعجرفة؛ المنتسبة للإسلام بعرى خاوية أحسن ما فيها التزمت والتعنت والتناكد، من هدم قبور رجالات الوحي والعصمة من آل محمد ﷺ؟

وهل في قبورهم المقدسة مدعاة لخوف الخائفين؟

وهل لهدم القبور أصل شرعي أو هو التراث التاريخي المستقى عن شِرْعَة الأمويين والعبّاسيين حينما أرادوا أنّ يأخذوا بمعالم أهل بيت رسول الله ﷺ إلى حيث العدم..؟

فمثلاً هل هو مستقى عن إرادة المتوكل العبّاسي حينما أصر على هدم قبر الحسين عليه السلام؟

لابد أن يكون هناك سراً لهذا الاصرار الأعمى على هدمها أو المنع من زيارتها ولكن ما هو؟

وفيما عدا ذلك لنا أن نتساءل عن الغرض الذي لأجله سُبَّ أميرُ المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب لعدة عقود من الزمن..، فهل هو تابعٌ عن شرعة الكره والبغض فقط، أم هو مشروع سياسي في ضوء آيديولوجية محكمة تهدف إلى شيء عظيم؛ هو فوق تصورات المجتمع الإسلامي (الإسلاموي) الساذج؟

ولماذا قتل معاوية (والأمويون عموماً) كل من كان يرفض مجرد السب حتى أنّه دفن بعضهم أحياء؟

ولماذا فُعِلَ ما فُعِلَ ببقيّة النبوة في كربلاء؛ الحسين وآل بيته؛ حيث انتهكوا منهم كل حرمة، مع أنّ الأمر لا يحتاج إلى أكثر من سهم واحد في صدره الشريف؟

إذ لماذا لم ينهوهم من أول لحظة؟ ولماذا تركوهم يتصارعون مع العطش والرهبة ثمّ أنهوهم؟

ثمّ لماذا الأطفال الرّضع؟!

وهل هناك من داعٍ لحمل الرؤوس؟

ولماذا كان الحجاج يقتل كل من كان اسمه: علياً، حسناً، حسيناً؟

ما هو المرعب المخيف في هذه الأسماء؟.

وهل القتل نابع عن شرعة البغض والكره أيضاً أو هو مشروع للقضاء على شيء؟

وما هو هذا الشيء؟

ثمّ هل هذا المشروع هو من قبيل مشروع الفرنسة الذي حاول على ضوئه الفرنسيون محو الهوية العربية الإسلامية في المغرب العربي؟

وإذا كان الأمر كذلك فما هو الغرض من محو الهوية؟

وهل الهوية مخيفة إلى هذه الدرجة؟

ثم ما علاقة الهوية بالتراث؟

هذه الأسئلة الحائرة وعشرات مثلها ألقت بضلالها على العقول، ماثلةً أمام قارىء التاريخ الذي لا يريد أن ينفك عن القراءة ولكنه لا يجد

لها جواباً منهجيّاً شافياً، أمّا المحقق الناقد والباحث المتعمق فهو لا يقرأ التاريخ إلاّ ليجد لهذه التساؤلات أجوبةً تسكن إليها النفوس القلوب والعقول..

يجيب علماء الإنسان والمجتمع والتاريخ فيما يخص السؤال الأخير بأنّه لولا التراث لما كانت هناك هوية؛ لأنّ مجموعة الخصائص الذاتية لشعب من الشعوب أو لدين من الأديان هي البنى الذاتية لما يسميه اليوم علماء الإنسان والمجتمع بالتراث، وتلك البنى هي التي تجسد الهوية الاجتماعية والإنسانية والدينية..

وهذا يعني أنّ الهوية عموماً تتقوم ذاتياً بمجموعة من المبادئ والقيم؛ مترشحة قهراً عن تلكم الخصائص الذاتية المختصة بذلك الشعب أو بذلك الدين، الأمر الذي يحدد هوية كل مجتمع من المجتمعات أو شعب من الشعوب أو دين من الأديان ويميزه عن غيره في غاية الوضوح..

إن الذي يدعو الإنكليز لأن يبذلوا المليارات من أجر تخليد ذكرى شكسبير، والفرنسيون حينما لا يرتضون التحدث بغير لغتهم، والعرب حينما يبذلون ما يبذلون من غال ونفيس ليوصلوا إلى أجيالهم اللاحقة المعلقات السبع وما جُمع من تراثهم الأدبي العريق، ومثلهم الإيرانيون وعلى هذا المنوال البوذيون و...

اقول: إنّ الذي يدعو هؤلاء إلى كل ذلك هو الخوف من ضياع التراث الذي يستتبع ضياع الهوية، وأحسبك تعرف انّ اللغة من أهم أو أهم عنصر من عناصر بناء الهوية، وقل مثل ذلك حينما تتحدث عن القومية وبقية عناصر البناء لشعب أو لمجتمع أو لدين..

لا يرتاب المفكرون السياسيون والاقتصاديون، والانسانيون عموماً في أنّ أقوى سلاح اكتشفه العقل البشري للسيطرة على مجتمع من المجتمعات أو على دين من الأديان هو محاولة محو الهوية، وإلاّ في غير هذه

الصورة فالفشل هو النتيجة الحتمية ولو بعد حين، هذا ما أعلنه التاريخ البشري حتى هذا اليوم..

إنّ مشروع الفرنسة في المغرب العربي ـ مثلاً ـ لو كان قد كُتب له النجاح الكامل ومُحِيَت الهوية العربية الإسلامية هناك لبقي الفرنسيون يستعمرونه إلى يومك هذا؛ إذ في حال النجاح ستمسخ الشخصية ويمسخ المجتمع، وتذوب المبادئ والقيم وكل الخصائص الذاتية لبناء الهوية في ذلك المشروع، ولن يبقى للمغاربة بعد ذلك ما يدافعون من أجله؛ إذ هم في هذا الفرض (الذي لم يتحقق بمشيئة الله) ضائعون ليس لديهم ما يدفعهم للجهاد أو لطرد المستعمر.

وأخطر من ذلك وهو أنّ الفرنسي في هذا الفرض المخيف لن يكون مستعمراً بل منقذاً، لأنه بعد أن مسخهم ومع ملاحظة عامل التاريخ والعوامل الأخرى سينقذهم من الضياع واللاإنتماء والذي هو من أقوى الأمراض الإجتماعية، إلى الشعور بالوجود، ولو بمبادىء ثانية وقيم أخرى معلبة، بيد أنّ الصراع أوقف المشروع عند حدّه المعلن عنه في التاريخ، ولا رادّ لحكم الله..

إنّ كل مشروع من هذا القبيل يبدأ بعد أن يكتب له النجاح ببناء آيديولوجية جديدة ومقولات مبتكرة معدة مسبقاً لتسيير ما تبقى من أشلاء المجتمع المتمزق جراء ضياع كل مبادئه وقيمه أو بعضها؛ لأنه في هذه الصورة إناء فارغ يمتلىء بأي شيء، يستتبع ذلك غزو المقولات الجديدة لعقل هذا المجتمع المغلوب على أمره، والهدف من ذلك إلجاء العقل إلى طريقة تفكير هي ما تمليه عليه مقررات تلك المقولات المستعمرة، وهنا تكمن خطورة ما يُسمّيه علماء الإجتماع اليوم بالعولمة؛ لأنها على ضوء ذلك مشروع كمشروع الفرنسة حذو القذة بالقذة، ولكن هذه المرة للعالم كله وليس للمغرب العربي الإسلامي فقط!!! .

عزيزي القارئ هذا المشروع هو ما يجعل من المجتمع ـ أيّ مجتمع ـ أسيراً سياسياً وأسيراً اقتصادياً وأسيراً أخلاقياً لغيره.. أنا لا أزعم أنّ هذا المشروع ناجح تماماً، ولكن في نفس الوقت علينا أن نعترف وبأسف أنه حقق إنجازات باهرة وخطيرة أعقبت نكسة شرقية وخيبة إسلامية لا يسعنا تناسيها بسهولة..

وإذا تحدثنا عن الشعر العربي مثلاً ـ ليتوضح الأمر ـ فإننا نعود لنتحدث عن الهوية لكن ضمن معطيات الفخر والحماسة والقومية والإباء والكرم والعزة والمنعة والحب و....، ممّا هو دخيل في بناء الهوية ذاتياً، وواضح أنّ محاولة محو الهوية من خلال التراث الأدبي هو محاولة لتضييع تلك المعطيات وتفريغ محتواها؛ تلك المعطيات التي تمثل الهيكل العام للاخلاق ولبناء النفس، الأمر الذي حفظته اللغة وغير اللغة من الخصائص بأمانة كاملة لولا ذلك المشروع الهدّام.

ومن الحق أن نستطرد ونقول: بأنّ السياسيين الليبراليين العرب وغير العرب لم يستطيعوا (ولن يستطيعوا) تحقيق نجاح سياسي في منطقة الشرق الأوسط فضلاً عن المناطق الأخرى، والسبب بسيط؛ إذ هو على ضوء ما قدمنا ينحصر بعدم الانسجام الذاتي بين طروحاتهم السياسية التي يحاكون ويقلدون فيها الغرب والتي استوردوها منهم معلبة جاهزة وبين مجتمعاتهم ذات الهوية العربية الإسلامية..

بداهة أنّ الطروحات المستوردة تلك ـ كمقولة الليبرالية التي هي غربية ـ قد بنيت آيديولوجياً على أساس محو الشخصية العربية والهوية الإسلامية ولا يمكن أن يجتمع النقيضان!!! والكلام هو الكلام في المجتمعات الإسلامية الأخرى بلا استثناء....

ونلفت النظر إلى أنّ الرسول المصطفى ﷺ حينما جاء بالدين الإسلامي الحنيف لم يكن ضمن أهداف وظيفته المقدسة كأشرف مبعوث

سماوي محو الهوية العربية والمساس بخصائصها الذاتية ومقوماتها الأولى..

بلى، لا ريب في أنّ أهم أهدافه المرحلية في بداية البعثة، وقبل أن ينقل الدين للأمم الأخرى هو محو الهوية الأعرابية التي صاغها الله تعالى بقوله: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾[1] وبقوله جل ذكره: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾[2] وما يجرى مجرى هذه الآيات، ولا يخفى عليك أنّ بين المفهومين (العربي والأعرابي) تقاطع جوهري جذري؛ فالرسول ﷺ مثلاً لم يمنع من الشعر العربي بل منع من شعر الأعراب، وفي الوقت الذي ضيّق الخناق وحدَّ من انتشار أخلاق الأعراب كان هو ﷺ مثالاً رائعاً لأخلاق العرب..

وبكلمة واحدة ليس من أهداف الإسلام محو الهوية الأممية ولا محو الحضارات، بل محو اللاحضارة في الحضارات، ومحو الهوية اللاإنسانية في التراث الإنساني غير النقي..

ثمّ إنّ المصطفى الأمجد ﷺ خلال وظيفته المقدسة كأشرف مبعوث للعالمين وعى وهو أعقل الخلق ما تنطوي عليه آيديولوجية النظام الثنائي المناوئة للإسلام ولرجالاته أعني به: القرشي ـ اليهودي؛ لوضوح أنّها تنطوي على مشروع محو الهوية الإسلامية، بل ومحو ذلك الجانب من الهوية العربية المرتبط عضوياً بالإسلام وببنائه الذاتي..، ذلك الجانب الذي صاغه الله تعالى بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾[3] وقوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ

(١) التوبة: ٩٧.

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) الرعد: ٣٧.

﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۞ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1] وقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾[4] وغيرها من الآيات في هذا المساق.

إنّ مشروع النظام الثنائي يهدف إلى قتل الإسلام بقتل الرسول ﷺ وقتل رجالاته الأوائل الذين يرتبطون بالآيات الآنفة ارتباطاً تراثياً عربياً وإسلامياً هذا على الأكثر، وعلى الأقل؛ بإضعافه ولو من خلال البعد العربي؛ بإخراج القرآن مثلاً من روضة الفصاحة والبلاغة والإعجاز كما يقرره البعد العربي الذي استند إليه الرسول كليا في عملية التبليغ، إلى حلبة السحر وزخرف القول، وبإخراج الرسول من روضة الصدق إلى الكذب والسحر...، والصراع الدموي تصاعد إلى حد خطير مع الإسلام والرسول ﷺ عبر ثلاث وعشرين سنة، وهي فترة التبليغ النبوي للإسلام، والتاريخ أعلن عن ذلك بما لا مجال لعرضه الآن.

والذي نريد أن نتساءل عنه هنا: هو أنّ مشروع محو الهوية الإسلامية وقتل الإسلام في المرحلتين النظرية والعملية كان يطمح إلى النجاح والرسول حي، فهل سيتوقف والرسول ﷺ ميتٌ؟

بل لنا أن نتساءل هكذا: وهو أنّ نفس الرسول ﷺ والذي هو سيد الخلق أجمعين، والأقدر على النوء بحمل الرسالة والكفاح من اجلها

---

(١) الشعراء: ١٩٥.

(٢) يوسف: ٢.

(٣) الزخرف: ٣.

(٤) الشورى: ٧.

بقي يصارع هذا المشروع حتى مات، فهل نتوقع إلغاء المشروع بموته ﷺ أم نتوقع إستمراره مع غيابه ﷺ !!!

يوقفنا ذلك على أنّ هناك آيديولوجية تنطوي على مشروع محو الهوية الإسلامية ومحو الإسلام كدين سماوي من على وجه الأرض، ويوقفنا أيضاً على أنّ هناك مشروعاً سماوياً وحيوياً محمدياً يهدف إلى عدم الاستسلام أمام كل مشروع مناوىء؛ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] آية على وجود هذا المشروع السماوي بل هو آية على وجود المشروع المقابل أيضاً، ثم إنّ كلاً من هذين المشروعين (السماوي والمناوىء) ينطوي في ضوء ذلك على هدفين:

الأول: محاولة محو هوية النظام المقابل؛ أي عملية مسخ عام للهوية وللخصائص الذاتية لتراث الوجود الآخر؛ فالمشروع اليهودي والقرشي حاول هدم الحقيقة الإسلامية؛ بتسفيه معنى النبوة المحمدية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، وبتكذيب صريح لوحيوية القرآن وسماويته؛ الأمر الذي سينتج عنه موت الإسلام بالكامل ومحوٌ تامّ للتراث الإسلامي خلال ذلك.

وفي المقابل أراد الله والرسول ﷺ من مشروع الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، محو الهوية اللاإنسانية واللاحضارية المتجسدة في آيديولوجية النظام القرشي اليهودي (=الأعرابي) في تلك المرحلة من مراحل الصراع.

وأياً ما كان الحال ففي هذه المرحلة من الصراع ينصب الهدف على تثبيت ذاتيات الهوية على حساب بقية الهويات؛ بداهة عدم إمكان وجود هويتين على أرض الواقع سواء بسواء مع افتراض التقاطع الجوهري

---

(١) الحجر: ٩.

الجذري فيما بينهما في الابتداء وفي الوسط وفي الانتهاء.

ففي المثال أعلاه لا يتصور اجتماع التراث اليهودي أو القرشي القائم على العنجهية وعلى تسفيه الحقيقة النبوية التي تدور مع محمد ﷺ حيثما دار، وبين الوجود الإسلامي القائم على حقيقة نبوة محمد ﷺ ووحيوية القرآن، والقائم فيما عدا ذلك على تسفيه أسطورة الوثنية وتزييف اليهودية اللاموسوية المحرفة التي تبرأ منها القرآن ومحمد وموسى على حدّ سواء.

الثاني: وهو فيما إذا لم يتحقق الهدف الأول من محو هوية الآخرين، ويلازم هذا الفرض الإقرار الصريح بقدرة الطرف الآخر على الصراع، وهو مؤشر أحمر يهدد بقاء الهوية الإسلامية مثلاً؛ والهدف هنا كيف يمكن أن نبق على الهوية الإسلامية بعد فشل المحاولات التي كانت تهدف إلى محو هوية التراث الآخر اللاإسلامي؛ ففي هذه المرحلة كيف نبقي على هوية الإسلام المهدّدة بالتلاشي والموت لا كيف نمحو هوية أعدائه..

وعلى الرسول ﷺ في هذا الفرض أن يطرح آليات الإبقاء على الهوية الإسلامية؛ إذ كشفت المرحلة الأولى بداهةً أنّ الهوية المقابلة قوية ولها القابلية على الصراع؛ الأمر الذي سيهدد وجود الهوية الإسلامية من الأساس، فهل سيخلد الرسول ﷺ إلى الأرض كيما تذوب الخصائص الذاتية للدين الإسلامي الحنيف في حوض الأيديولوجية اليهودية القرشية لينتهي وجوده إلى الأبد؟!!!.

حاشا لرسول الله ذلك؛ لأنّه سيد الأنبياء والمرسلين، وفيما اعتقد بيقين أنّ الرسول ﷺ إنّما حاز على هذه السيادة المطلقة والمرتبة السماوية العليا والتي لا تضاهيها فيما دون الله تعالى مرتبة؛ بملاحظة كونه مكلف بشيء آخر غير النبوة التي يشترك فيها مع بقية الأنبياء عليهم السلام ممن سبقه به..

فهو ﷺ يشترك مع بقية الأنبياء والمرسلين عليهم السلام بالنبوة وبالرسالة؛ أي بوظيفة نقل التشريع عن الله تعالى بواسطة الوحي، بيد انّه ﷺ يتميز عنهم بوظيفة الابقاء على شرع الله وإيجاد المصداقية الكاملة له عبر آليات الوحي المطوية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ولا اتردد لحظة في أنّه ﷺ إنّما اصطفي ليكون سيدهم عليهم السلام أجمعين من خلال ذلك؛ الأمر الذي يكشف كشفاً كاملاً عمّا يمتلكه الرسول ﷺ من خصائص إنسانية وملكوتية دون باقي البشر حتى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام..، طبعاً هذا إذا قيمنا الرسول من هذا الجانب فقط، فالتفت!!!

عزيزي القارىء من هذا المنطلق ذهبت في كل بحوثي(١) إلى أن النصوص النبوية أو قل النصوص الإسلامية عموماً (لا فرق في ذلك كما سيتوضح) على قسمين:

١ ـ **القسم الأول**: يهدف إلى بناء نظرية إسلامية تتألف من أصول الدين الأساسية وفروعه التي تتفرع عنها..، وواضح للقارىء فيما أظن أنّ مجموع ذلك يمثل الخصائص الذاتية لبناء ما أسميناه بالهوية الذاتية للدين الإسلامي الحنيف.

٢ ـ **القسم الثاني**: يهدف مع افتراض الصراع مع باقي الأيديولوجيات والهويات الأخرى إلى الإبقاء على هوية الدين الذاتية قادرة على استنشاق الحياة ومصارعة الموت.

---

(١) طرحت رؤيتي في تقسيم النصوص إلى قسمين في كتابي: الرسول المصطفى ﷺ ومقولة الرأي في المبحث الثاني من الفصل الرابع بنحو من التفصيل، وسنعاود طرح ذلك كلما دعت الضرورة العلمية إلى تطبيق هذه الرؤية على موضوع هذه الدراسة.

يدعوني لهذا القول أولويات كثيرة منها أنّ كلمة ﴿يَأْبَى﴾ في قوله تعالى: ﴿يَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1] تنطوي بوضوح على عملية الصراع من أجل البقاء والإبقاء، وعلى أنّ هناك سعياً حثيثاً على أن لا يتم النور..

على أنّي أفهم من الكافر في هذه العبارة المقدسة مطلق معناها، سواء كان الكافر من دون قيد أم بقيد الكتابي، وسواء أكان كفر الكافر كلياً أم جزئياً، وأعني بالجزئي ما يعنيه الله تعالى بقوله جلت أسماؤه: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[2] وبالكتابي ما يعنيه الله تعالى أيضاً بقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[3]..

ومن هنا يتوضح الفرق بين الكافر الكتابي والكافر الجزئي؛ إذ الأخير يكفر ببعض الكتاب وببعض مقرراته والأول يكفر بكل الكتاب (القرآن) وبكل مقرراته حتى مع كونه يؤمن بالله بنحو من أنحاء الإيمان؛ الأمر الذي يحدد هوية الكافر المطلق بالذي لا يؤمن بالله ويكفر بكل الكتاب ولا يعتقد بكل مقرراته.

على أنّ الكافر الجزئي على قسمين أيضاً: الأول: في مرحلة الاعتقاد كمنكر بعض ضروريات الدين أو مسلّماته، والثاني: في مرحلة الفعل والامتثال وهو الذي يشير إليه تعالى بقوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ كمن يعتقد وجوب الزكاة وأنّها شرع الله لكنّه لا يمتثل ولا يدفع، والشرك هنا هو شرك طاعة (في الأفعال بسبب العصيان) لا

---

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) البقرة: ٨٥.

(٣) آل عمران: ٧٠.

شرك عبادة كمشركي قريش كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام [١].

إذا اتضح ذلك نجمل ما نريد الوقوف عليه عبر مقدمتين؛ مستنطقين في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

الأولى: وهو ما شهد به الواقع عبر حركة التاريخ، وهو أن النور الإلهي لم يتم كما أريد له أن يتم؛ ضرورة أنّ أهداف الإسلام هي عولمته على ضوء مقررات القرآن وما جاء به الرسول ﷺ بإعلاء كلمة الله العليا في كل أرجاء المعمورة؛ لأنّ الفكر الصحيح و ﴿الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾ [٢] لا اليهودية ولا المسيحية المحرفتان ولا الامبريالية ولا الديالكتيكية ولا الوجودية ولا أي شيء آخر، وهذا هو غرض الله تعالى المصاغ بقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [٣] وبقوله جلّ ذكره: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [٤] ولا يرتاب أحد في أنّ عولمة (= عالمية) [٥] الإسلام أمر لم يتحقق وليس له وجود إلاّ في عالم نظرية الوحي الإسلامية دون عالم الواقع والتطبيق.

الثانية: أنّ الكافرين والمشركين الذين يأبون أن يتم النور ويأبون أن يظهر الدين هم طرف الصراع الثاني، على أنك قد عرفت أنّ الكافرين

---

(١) انظر تفسير القمي ٢: ٢٦٢، مجمع البيان ٥: ٤٦٢.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) التوبة: ٣٣.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) يذهب بعض المفكرين الإسلاميين إلى أنّ الأصح أن يقال: عالميّة الإسلام لا عولمة الإسلام، والسبب في ذلك أنّ مقولة العولمة بنيت آيديولوجياً على ضوء مقررات المنطق الغربي في تفسير الأشياء...، وهي التفاتة جيدة.

على أربعة أقسام، وكل قسم من هذه الأقسام له دوره في عرقلة مسيرة بناء الدين السماوي..

ومهما يكن من ذلك فإنّ: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ يعترف بأنّ هناك آيديولوجية مقابلة لمقررات الوحي والسماء، تضم بين ثناياها مشروعاً جدّياً لمحو الهوية الإسلامية، ذا آليات قادرة على الوصول للهدف لو فسح أمامها المجال..

ولكن: ﴿يَأْبَى﴾ هي الأخرى تضم بين ثناياها مشروعاً وحيوياً لحماية الدين من الاغتيال ومن محاولة انقلاب تهدف إلى استعمار أرض الوحي والغاء هويته بالكامل، حسب مراتب الكفر على ضوء أقسامه الأربعة الآنفة.

على أي حال هناك فيما يخص الإسلام طرفان للصراع على الدوام منذ أن بعث الرسول ﷺ إلى يتم النور وإلى أن يظهر أمر الله الذي لا رادّ لأمره:

الطرف الأول: الدين الإسلامي الحنيف خلال رجالاته الوحيويين.

الطرف الثاني: الأيديولوجية المتقاطعة مع نظرية الوحي، والمتقومة ذاتاً بفلسفة المصلحة على حساب كل شيء، هذا في الإطار الخاص..

وفي الإطار العام فإن معركة الوحي مع تلك الفلسفة ليست بالوليدة حين مجيء الإسلام بمعناه الخاص؛ إذ هي قديمة بقدم آدم ﷺ..

قال تعالى: ﴿قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ

الْمُنظَرِينَ* قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[1].

غير أنّ آليات الوحي في كل مرحلة من مراحل الصراع تفرض عليه أن يعرض نظرية السماء سعة وضيقاً بما يلائم حركة التاريخ وبما يلائم هدف الله تعالى؛ فتارة يطرح الوحي نظرية السماء في قالب اليهودية الموسوية، وتارة في قالب المسيحية العيسوية، وتارة في قالب الإسلام المحمدي على صاحبه وآله أفضل الصلاة والسلام، هذا مع ملاحظة أن تلكم الأديان لا تحمل معها عناصر بقائها وديموميتها إلاّ بمقدار كونها ممهدات وحبوية لدين محمد ﷺ؛ ولأجل هذا نسخت، وليس هذا هو حال الإسلام كما عرّفناك.

وبناء على ذلك فالحديث عن التراث الإسلامي وعن كونه يحمل بين طيّاته آليات البقاء والصراع ينبغي أن ينحو منحى البحث في الإطار الخاص؛ لعدم وجود شبه بين الإسلام الباقي ما بقي الليل والنهار وبين تلك الأديان التي لم تبق جرّاء تحريف جوهرها السماوي ومحو هويتها الوحيوية بالشكل الذي نراه وتراه.

وأياً ما كان الأمر لم يبق ريب في وجود صراع من أجل الحفاظ على الإسلام من الضياع بواسطة آليات الوحي المبقية لهوية الدين في حلبة الحياة بعيدة عن محاولات الإغتيال والانقلاب، كما ولا ريب في وجود تلك الآليات الوحيوية؛ إذ بدون هذا الاعتقاد بوجودها لا يبقى معنى لقوله تعالى: ﴿يَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ

---

(١) الأعراف الآيات ١١: ١٧.

كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[١]..

وفيما يخص الآية الأخيرة علق عليها الإمام الطبرسي قائلاً: هذا ضمان من الله تعالى أن ينصر نبيه صلى الله عليه وآله ويحفظ دينه[٢].

وقال أيضاً رحمه الله: وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين؛ إمّا نبي أو إمام لقوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ وأسند التوكيل إلى نفسه تعالى[٣].

وقال السيد الطباطبائي (قدس سره): فالآية تدل والله أعلم على أنّ لله سبحانه وتعالى في كل زمان عبداً أو عباداً موكلين بالهداية الإلهية والطريقة المستقيمة التي يتضمنها ما آتاه أنبياءه من الكتاب والحكم والنبوة، يحفظ الله بهم دينه عن الزوال وهدايته عن الانقراض ولا سبيل للشرك والظلم إليهم؛ لاعتصامهم بعصمة إلهية، وهم أهل العصمة من الأنبياء الكرام وأوصيائهم عليهم السلام، فالآية خاصة بأهل العصمة[٤].

اقول: وكل من القولين سديد غاية السداد؛ لما قدمناه آنفاً؛ فإن قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ نفي لمطلق الكافر ولمطلق الكفر بأقسامه الأربعة التي تلوناها عليك، ولا ينبغي الشك في أنّ نفي مطلق الكفر عن الموكلين بأمر الهداية البشرية بنفي أقسامه الأربعة

---

(١) الأنعام: ٨٩.

(٢) مجمع البيان ٤: ١٠٦.

(٣) مجمع البيان ٤: ١٠٧.

(٤) تفسير الميزان ٧: ٢٦٠.

يساوق العصمة وبالتالي يرادف الإمامة لا محالة؛ وإلاّ فالآية لغو، وحاشا القرآن العظيم من اللغو.

ولم يَعْدُ ابن شهر آشوب هذا التقرير فقد قال: الآية دليل على أنّه لا يخلو كل زمان من حافظ للدين إما نبي أو إمام[١].

بناء على كل ذلك آنفاً فأنا لا أقرأ قوله المتواتر ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا أبداكتاب الله وعترتي أهل بيتي»[٢] إلاّ على أنّه ينطوي على كل آليات الصراع من أجل الابقاء على الدين الذي كفر به الغير بنحو من أنحاء الكفر؛ إذ أننا حيال هذا الإشكال على الدوام وهو: أنّ الشريعة قد بلغت بالكامل كما نص الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ ومع هذا فلا حاجة لنصب المعصوم..

ولكن الالتزام بذلك كفر جزئي بالقرآن؛ بداهة أنّه تكذيب لقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ولقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ وما يجري مجراهما من الآيات..

والقول: إنّ الموكلين بها عموم أمة محمد ممن نطق بالشهادتين يستلزم منه تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ لأنّ الأمة سوى المعصوم لم يسلم أفرادها من المعصية، والمعصية في مورد خاص من موارد العصيان كفر جزئي بالله (ولكن في الأفعال) في حدود ذلك المورد كما يقرر ذلك المفسرون وعلماء الكلام..

---

(١) مناقب أبي طالب ١: ٢١١.

(٢) نبرهن تواتره لاحقاً بما يلائم منهج دراستنا هذه!!

قال السيد السبزواري في مهذب الأحكام:

لا ريب في أنّ للإيمان والكفر مراتب متفاوتة كما ذكرنا في تفسيرنا مواهب الرحمن[1]، وفقد كل مرتبة من مراتب الإيمان كفر بالنسبة إلى تلك المرتبة؛ ولذا أطلق الكفر على بعض المعاصي؛ ففي خبر السكوني قال أمير المؤمنين: (اللواط ما دون الدبر، والدبر هو الكفر).

وعنه ﷺ في حديث سماعة: (وأمّا الرشاء في الحكم فهو الكفر بالله العظيم).

وعن النبي ﷺ: «يا علي! شارب الخمر لا يقبل الله صلاته أربعين يوماً فإن مات في الأربعين مات كافراً»[2].

والآية بإطلاقها نفت عن الموكلين كل أقسام الكفر؛ والنفي كما قررنا آنفاً يساوق من الناحية المنطقية ثبوت العصمة لا محالة، والقائل بغير ذلك يدخل في محذور لغوية القرآن بل والسنّة المتواترة، ومن ثمّ الكفر الجزئي بالقرآن أو بكليهما.

اقول: أنا لا أستطيع أن أقرأ حديث الثقلين المتواتر إلاّ على أساس أنّه ينطوي على آليات الإبقاء على الدين وآليات حفظ هويته الذاتية من الضياع، أمّا الشريعة فالموكلين (= آل البيت ﷺ) وإن كانوا حفظتها إلا أنّ الملقى على عاتقهم أصعب من بيان الشريعة التي جاء بها سيد المرسلين؛ إذ هم ﷺ حيال: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ على الدوام؛ بمعنى أنّهم في مواجهة دائمة مع الكارهين لا تمام النور، والذين هم الكافرون بأقسامهم الأربعة، وسيأتي مزيد بيان في غضون المباحث اللاحقة.

---

(١) مواهب الرحمن ١: ٨٧.

(٢) مهذب الأحكام ١: ٣٧٢.

ولكن يبقى السؤال المهم:

ما هي أشكال وهيئات ومظاهر هذه الآليات المبقية للدين؟

وفيما سوى ذلك ما هي أشكال ومصاديق هذه الآليات، وكيف يظهرها الخطاب الوحيوي؟

وما هي الطرق السماوية والسبل النبوية الوحويوية في تفعيل هذه الآليات؟

وهل هناك ارتباط عضوي بين هذه الآليات خلال مصاديقها ومظاهرها مع نظرية الوحي في الثواب والعقاب؟

إذ هل أنّ المساهمة في تفعيل هذه الآليات خلال مصاديقها للإبقاء على الدين عبادة؟

أم أن العبادة (بمعناها العام) هي التي لا تخرج عن حلبة ما يسمّيه فقهاء الإسلام بالعبادات والمعاملات؟

وهل لذلك علاقة بنظرية الوحي في الطاعة والمعصية أو لا؟

وإذا كانت هناك علاقة فهل هناك شيء آخر غير التشريع يدخل في إطار الطاعة والمعصية والثواب والعقاب، وما هو؟.

ثمّ ما علاقة الصلاة على محمد وآل محمد وعموم الذكر بكل ذلك؟.

بل ما علاقة الصلاة وعموم الذكر ببقاء الهوية الإسلامية الوحيوية حية قادرة على الصراع بقسميه الداخلي والخارجي من أجل كلمة الله العليى؟

ولماذا أصرّ الرسول ﷺ على حرمة الصلاة البتراء؟

هل لأنّ الصلاة البتراء ضمن مشروع يهدف إلى محو هوية دين الإسلام؟

ومن هم أصحاب هذا المشروع؟

وما هي الفائدة المتوخاة من هذا المشروع؟

وهل أنّ اصرار الرسول ﷺ على أن لا تكون الصلاة بتراء مشروع من مشاريع السماء للإبقاء على الدين؟

ومن ثمّ فهل لذلك علاقة بتواتر الروايات النبوية في وجوب ضمّ الآل إلى الرسول ﷺ في الصلاة ؟

وبالتالي فهل لذلك علاقة بالثواب العظيم لمن تعبّد بالصلاة خلال صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**».

ولماذا يكون ثوابها عظيماً؟

وما هي فلسفة هذا الثواب؟

وعلى أيّ شيء تنطوي؟

وبالتالي لماذا أصرّ الوحي على أنّه لا قيمة للصلاة على محمد ﷺ من دون الصلاة على آل البيت ﷺ تبعا له ﷺ ؟

هذه الأسئلة عزيزي القارىء وأجوبتها التابعة لها تحدو بنا لأن نقرأ النصوص الإسلامية المقدسة قراءة ثانية؛ ففيما يبدو ـ وهو ما سنبرهنه لاحقاً ـ ينبغي علينا على ضوء ذلك أن نقرأ ـ وبجديّة ـ نظرية الثواب والعقاب ونظرية الطاعة والمعصية قراءة جديدة تبعاً لذلك لا كما طرحته المناهج الكلاسيكية بشكل ساذج..

منبهاً على أنّ ما عرضته المناهج الكلاسيكية وما توصلت إليه من نتائج لا يعني بالضرورة الخطأ، بل قد لا نسرف إذا جزمنا بصحته، لكنه ليس مقنعاً كثيراً في مرحلة النتيجة حتى مع كونه الصح بعينه؛ لأن الأمر كل الأمر ليس هو صحة النتيجة العلمية في نفسها وعند أهلها وحسب،

بل الأهم من ذلك هو إقناع أكثر المستويات الثقافية الاجتماعية بها؛ ففيما أعتقد بيقين لا ينبغي على دعاة الإسلام أن يكتفوا بنشر الدين من دون أن تتأطر الدعوة بإطار الإقناع الذي لولاه لما استُقطبت النفوس للإسلام..

على أنّ القرآن قد حثّ على ذلك ونصّ عليه بقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] وليس من ريب في أنّ الـ ﴿أَحْسَنُ﴾ موجود على الدوام؛ مضيا مع حركة تكامل العقول..

فمثلاً أثيرت قديماً تساؤلات هائجة وهي اليوم أشد حول ذلك الثواب العظيم الذي يلحق عملاً من الأعمال الشرعية المقدسة كزيارة الحسين، والصلاة على محمد وآل محمد وقراءة القرآن وبعض الأدعية المخصوصة وذكر الله عموما، وو...

والمناهج القديمة حيال هذا الأمر قررت بأنّ الحديث المعتبر السند، السالم من الشذوذ والعلة (= الحجة) صريح أو ظاهر بهذا الثواب العظيم..، وبما أنّه حجة فينبغي التعبد به؛ ولا ريب في صحة هذا الكلام ولكن حينما يسأل السائل (كما هو مطروح في الشارع الإسلامي) لماذا؟ وما هي الخصوصية في هذا العمل ليكون ثوابه عظيماً بهذا الشكل؟ يظهر عجز التحليل العلمي بالكامل..

اقول: عجز ولا أقصد به العجز الذاتي لنظام الدليل والبرهان في نظرية الإسلام، كل ما أقصده هو أننا ـ كمسلمين ـ مجبورون لأن نخاطب العالم كله بأساليب مقنعة قادرة على الاستمالة والاستقطاب؛ أي ندور مع

---

(١) النحل: ١٢٥.

الـ ﴿أَحْسَنُ﴾ القرآني حيثما دار؛ وكما يقول علماء الاجتماع علينا أن نكون ترابيِّين نعيش هموم المجتمع البسيط ولو من الجانب الثقافي، لا عاجيين نتعامل مع المجتمع من خلال أبراجنا العاجيّة..

وبكلمة واحدة نحن لا نناقش بصحة النتيجة لأنّها على الأعم الأغلب صحيحة إذا ما كانت حسب المعايير العلمية والشرعية مما يمكن الاطمئنان بصدورها عن الرسول ﷺ أو نسبتها إليه، المشكلة كل المشكلة كيف نقنع الآخرين بهذه النتيجة؟

ولا يعني ذلك ضرب المناهج القديمة عرض الجدار واستبدالها بالمناهج التي أسميها بالانفلاتية؛ إذ لا ريب في أن الأولى هي الأساس المتين في صنع القرار الإسلامي، وسيتبين المقصود في الفصل الثاني من هذه الدراسة بموضوعية.

على أي حال ففيما يبدو أخذت نصوص الوحي المقدسة على عاتقها ملاحظة الجانب النفسي للمجتمع البشري، وأنا أقطع أنّ الجانب الأخلاقي للإسلام والذي لم يجسده سوى الرسول ﷺ ومن اغترف من معينه المقدس ممن ينتمي انتماءً حقيقياً لمدرسته المباركة هو الذي استقطب من استقطب لدخول الإسلام الحنيف، وتتجلّى واقعية هذا الكلام حينما نتحدث عن وظيفة الإسلام في نشر الكلمة العليا بمحو هوية كل آيديولوجية لا تمت للوحي بصلة من الصلات، سواء أكانت مشركة أم يهودية أم مجوسية أم مسيحية أم ملحدة أم رأيوية.

والشيء نفسه حينما نتحدث عن الصراع بين الفئات الإسلامية المتشتتة؛ فإنّ الجميع يدعي أنّه يمثل الإسلام حتى الحجاج ويزيد مع أنهما ارتكبا ما لم يرتكبه الملحدون بالله العظيم.

نقول: لابد من وجود جانب نفسي (سايكولوجي) في نظرية الإسلام

أخذ على عاتقه المساهمة الفعالة في تفعيل ما يمكن تفعيله من الدين لأجل الإبقاء عليه في مسيرته العامة، وفي الحقيقة دراستنا هذه مساهمة متواضعة في بلورة هذه الأطروحة السماوية..

ومن ميزات هذه الاطروحة السماوية العجيبة أنّها مع كونها آلة للصراع مع الطرف الثاني لحماية الدين، هي في عين الوقت أخذت بنظر الاعتبار استمالة الخصم كيما يكون في طرف الوحي لا في ذلك الطرف، والحر بن يزيد الرياحي رضوان الله تعالى عليه من أروع الأمثلة التي يحق للتاريخ أن يشمخ بأنفه لأجلها وبكل جدارة..

مهما يكن من أمر، فإنّ الغرض من كل ذلك هو الحفاظ على التراث والتحفظ عليه معنوياً ونفسياً؛ لأنّ ما يستتبع ذلك هو حياة الدين في القلوب على أقل التقادير، وهو المجاز عظيم للدين في هذه المرحلة؛ لكفاية الإحساس بالهوية الوحيوية أنّها ما زالت نابضة..

ومن الأمثلة على ذلك زيارة الحسين ﷺ والتي هي أعظم مفردة من مفردات تراث مدرسة الوحي، بل يمكننا القول ومن دون أي ترديد أنّها تمثل أهمّ الخصائص الذاتية لبناء هوية المدرسة الوحيوية، تلك التي تدور مع النص الصحيح حثيما دار، والتي لا تلتزم بالرأي القائم على فلسفة المصحلة على حساب كل شيء كما برهنا عليه في كتابنا الرسول المصطفى ومقولة الرأي.

الذي لا ريب فيه أنّ المنتمين إلى هذه المدرسة تمثل عندهم هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة أبرز معالم وجود مدرستهم المباركة، الأمر الذي يكشف عن أنّ مجرد الزيارة دليل وجداني كامل على حياتهم وحياة مدرستهم، ولكن الأمر لا يقف على ذلك؛ لأنّ الصراع الدموي وغير الدموي بينها وبين المدرسة الأخرى التي أسميناها بالمدرسة الرأيوية لم ينته في يوم من الأيام، الأمر الذي يدعو رجالات هذه المدرسة المناوئة كالمتوكل

لأن يقطع أيدي زوار الحسين عليه السلام، لكن لا لمجرد الزيارة كما تزعمه المناهج الكلاسيكية، بل لأجل ما تنطوي عليه الزيارة من الدلالة على أنّ الصراع مع خصوم الوحي حيٌّ لم ينته، ولا ريب في أن هذا يقلق مضجع الرأيويين غاية ما تتصور من القلق..

فإنّ مجرد الزيارة صرخة من صرخات الوحي من أجل البقاء، وهي في نفس الوقت صرخة تعلن الحرب على أعداء المبادىء السماوية الذين ينتهجون عين سياسة الفرنسة التي انتهجها الفرنسيون في المغرب العربي؛ فهم يحاولون قتل تراث السماء، والغاء وحيوية الدين؛ وآية ذلك أنّهم ينشدون ضمان بقائهم اللاسماوي في خضم الصراع الذي لن ينتهي، وليس سب أمير المؤمنين علي على المنابر سبعة عقود من الزمن أو أكثر، والمنع من زيارة الحسين، وبتر الصلاة على محمد ﷺ، والمنع من الجهر بالتسمية، و...، إلا آياتٌ لأولي الألباب على كل ما ادعيناه.

الصلاة على محمد ﷺ وآله ﷺ وسياسة القرتشة:

تحدثت لك عزيزي القاري بسرعة خاطفة حول أهمّية التراث في بناء الهوية بعناوينها المتعددة؛ موضحاً لك خطورة فقدان الهوية المساوق للضياع الكامل، وقد عرفناك أنّ البشرية لأجل ذلك بشتى شرائحها ومللها وعقائدها تصارع من أجل هويّتها ولو كلّفها ذلك الدم في بعض الأحيان سلباً أو إيجاباً[1]..

---

(١) أقصد بذلك أنّ ما فعله الأنبياء والمرسلون ﷺ على ضوء منهج الوحي الذي يهدف إلى محو الهوية اللاإنسانية والتراث اللاتوحيدي وبالتالي اللاسماوي، هو مشروع إيجابي بلا أدنى شك؛ وآية ذلك أنّ جميع المفكرين الواعين؛ الموحدين وغير الموحدين يعترفون بذلك لكل الأنبياء وبخاصّة للرسول محمد ﷺ، مدرجين إيّاهم ﷺ في رأس قائمة المصلحين..

وقد قلت لك سابقاً أنّ أقوى سلاح اكتشفه العقل البشري للسيطرة على الآخرين هو محاولة الأخذ بالعناصر الذاتية لبناء الهوية (=التراث) إلى حيث العدم، ومن أشكال هذا السلاح الفتّاك ما صيغ في القرن الماضي بـمشروع: «الفرنسة» مثلاً..

والذي لم يلتفت إليه علماء الإجتماع بجديّة إلى اليوم هو تسليط الضوء على الأصول التاريخية لهذا المشروع، وهل أنّ له وجود في تاريخ البشرية الغابر أم هو وليد صراع البشر في القرن الماضي فقط؟!

بلى، أنا أقطع أنّ هذا المشروع ليس هو في تاريخ البشرية الغابر بناء آيديولوجي متطور كمشروع الفرنسة أو قل كمشروع العولمة الذي هو آخر ما توصل إليه العقل الأرضي، ولكنّي في نفس الوقت أقطع بوجوده في القرون الخالية؛ فنحن إذا شككنا في كل شيء فلا نشك في أنّ موسى عليه السلام قد أدّى ما عليه في محو تراث الطغيان المصاغ بقوله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[1] كما وأنّنا لا نشك في محاولة فرعون الجادّة في محو تراث التوحيد والهوية التوحيدية التي بعث من أجلها موسى عليه السلام..

وهل يسعنا أن ننسى أنّ هدف عيسى المسيح عليه السلام هو تثبيت أركان هوية التوحيد التي بعث من أجلها موسى عليه السلام؟

وفي المقابل هل يسعنا أن نتناسى محاولات اليهود الذين وقفوا صفّاً بصفّ مع الوثنية الرومانية في ضوء مشروع القضاء على التراث السماوي المتجسّد بعيسى المسيح عليه السلام؟

ولكن هذا لا يلتقي بأدنى التقاء مع مشرع محو الهوية المصبوب في قالب سياسة الفرنسة أو البرنطة مثلاً؛ القائمتان على تحقيق مصالح فئة معيّنة من البشر ولو على حساب النوع الإنساني كلّه!!!

(١) النازعات: ٢٤.

وإذا نسينا كل شيء فهل ننسى أنّ هدف الرسالة المحمدية على صاحبها وآله الصلاة والسلام هي بناء هوية لكل إنسان، تكون عناصرها الذاتية الأولى: «**أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله**»، ومحو كل ما من شأنه أن يعيق ذلك؟

وفي المقابل ألم تكن قريش واليهود وكل الوصوليين والنفعيين قد بذلوا الغالي والنفيس من أجل قتل تراث السماء المتجسّد خير تجسيد برسالة أشرف الخلق أجمعين محمد ﷺ؟

الذي نخلص إليه من ذلك أنّ مثل هذا المشروع لا يسع أحد من علماء السياسة والإجتماع بنحو خاص أن يتغافل عنه وهو يتحدث عن صراع البشر فيما بينهم؛ إذ أنّ هذا المشروع موجود في التاريخ الغابر لا نشك في ذلك.

وفيما نعتقد بيقين أنّ من أجلى تطبيقات هذا المشروع السلبية هو مواقف قريش المتمسلمة (=المؤلفة قلوبهم) السلبية مع آل بيت رسول الله ﷺ أولاً ومع شيعة آل البيت ﷺ ثانياً..، بلى إنّها مواقف تنبيء عن وجود مشروع قرشي يهدف إلى محو هوية آل البيت ﷺ وهوية شيعتهم تبعاً لهم ﷺ..، أسميناه بالقَرْيَشَة..

فمثلاً روي أنّ عمر بن عبد العزيز قال:

كنت غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمر بي يوماً وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن علياً، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رآني قام فصلّى وأطال في الصلاة ـ شبه المعرض عني ـ حتى أحسست منه بذلك، فلمّا انفتل من صلاته كلح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟

فقال لي: يا بني أنت اللاعن علياً منذ اليوم؟!.

قلت: نعم.

قال: فمتى علمت أنّ الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟!.

قلت: وهل كان علي في بدر؟

قال: ويحك! وهل كانت بدر كلّها إلاّ له؟

فقلت: لا أعود.

فقال: الله أنّك لا تعود.

قلت: نعم، فلم ألعنه بعدها، فكنت أحضر تحت منبر المدينة، وأبي يخطب يوم الجمعة ـ وهو حينئذ أمير المدينة ـ فكنت أسمع أبي يمرّ في خطبته تهدر شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبت أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حفلك حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرت ألكن؟

فقال: يا بني إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا أحد منهم[1].

وقال الإمام الرازي في تفسيره: إنّ علياً كان يبالغ في الجهر بالتسمية في الصلاة، فلمّا وصلت الدولة إلى بني أميّة بالغوا في المنع من الجهر؛ سعياً في إبطال آثار علي...[2].

وجاء دور الفقيه العظيم ابن أبي هريرة (وهو من فقهاء التابعين أو اتباعهم) فقال: إنّ الجهر بالتسمية إذا صار في موضع شعاراً للشيعة فالمستحب هو الإسرار بها؛ مخالفة لهم[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة ٤: ٥٩.

(٢) تفسير الرازي ١: ٢٠٦.

(٣) فتح العزيز ٥: ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

وقال الأحوذي في تحفته: قال الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة سفيان الثوري ما لفظه: أخبرنا المخلص أخبرنا أبو الفضل شعيب بن محمد أخبرنا علي بن حرب بن بسام سمعت شعيب بن جرير يقول: قلت لسفيان الثوري: حدث بحديث السنة ينفعني الله به؛ فإذا وقفت بين يديه قلت: يا رب حدثني بهذا سفيان، فأنجو أنا، وتؤخذ.

قال: أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، من قال غير هذا فهو كافر، والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص إلى أن قال يا شعيب لا ينفعك ما كتبت حتى ترى المسح على الخفين وحتى ترى أن إخفاء بسم الله الرحمن الرحيم أفضل من الجهر به إلى أن قال إذا وقفت بين يدي الله فسألك عن هذا فقل يا رب حدثني بهذا سفيان الثوري ثم خل بيني وبين الله عز وجل؛ قال الذهبي: هذا ثابت عن سفيان وشيخ المخلص ثقة[1].

وقد أخرج الحاكم النيسابوري بسنده الصحيح على شرط الشيخين، عن سعيد بن جبير قال: كنّا مع ابن عباس بعرفة فقال لي: ياسعيد مالي لا أسمع النّاس يلبون، فقلت يخافون معاوية، قال: فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبيك اللهم لبيك وإن رغم أنف معاوية؛ لعنهم الله فإنّهم تركوا السنة من بغض علي بن أبي طالب[2].

---

(١) تحفة الأحوذي ٢: ٤٨.

(٢) مستدرك الحاكم ١: ٤٦٤، وأنظر سنن البيهقي، وحاشية السندي على النسائي ٥: ٢٥٣، وصحيح ابن خزيمة ٤: ٢٦٠. والمقصود من التلبية ليس هو التلفظ بها، بل هو التلبية بعمرة وحجة معاً كما ثبت عن أمير المؤمنين علي في نصوص أخرى، وليس هذا أوان الخوض في ذلك، ولكن يكفي أن تعرف أنّ علياً وحده خالف عثمان الذي منع من التلبية بهما معاً.

وقال المناوي (وهو في صدد شرح خطبة السيوطي في الجامع الصغير التي قال فيها؛ أي السيوطي: صلى الله على محمد وعلى آل محمد):

فإن قلت: هل لإتيانه (السيوطي) بلفظ «على» هنا من فائدة؟

قلت: نعم، وهي الإشارة إلى مخالفة الرافضة والشيعة؛ فإنّهم مطبقون على كراهة الفصل بين النبي وآله بلفظ «على» وينقلون في ذلك حديثاً...[1].

وقال ابن حجر في فتح الباري: وتكره الصلاة في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك مفرداً في بعض الأحايين من غير أن يكون شعاراً فلا بأس به[2].

وقد قال الصدوق قدس سره عن الضبي: ما رأيت أنصب منه؛ لأنّه كان يقول في صلاته: اللهم صل على محمد منفرداً؛ أي بقيد الإنفراد[3]!!!

اقول: ومقصوده من الانفراد هو بتر الصلاة على محمد وآل محمد.

وقال ابن أبي هريرة أيضاً: الأفضل الآن (يقصد في هذه المرحلة من الصراع) العدول من التسطيح في القبور إلى التسنيم؛ لأنّ التسطيح صار شعاراً للروافض، فالأولى مخالفتهم وصيانة الميت وأهله عن الاتهام بالبدعة[4].

اقول: طبعاً هذا مع إقرار القوم بأنّ ماجاء به الوحي هو التسطيح لا التسنيم، كما يومىء إليه كلامه وكما هي تصريحات أئمة المدرسة الرأيوية

---

(١) فيض القدير ١: ٢٢ _ ٢٣.

(٢) فتح الباري ١١: ١٤٦.

(٣) ثواب الأعمال: ٣١١.

(٤) فتح العزيز ٥: ٢٣١ _ ٢٣٢.

في ذلك.

ونقل الكشي عن بعض شراح صحيح مسلم قوله: إنّما ترك القول بالتكبيرات الخمس في صلاة الميت إلى القول بالأربع؛ لأنّه صار علماً للتشيع[1].

وقال ابن أبي هريرة: ويستحب ترك القنوت في صلاة الصبح، لأنّه صار شعار قوم من المبتدعة؛ إذ الاشتغال به تعريض النفس للتهمة[2].

اقول: ومعلوم أنّه يقصد بالمبتدعة الشيعة، لأنهم قائلون باستحباب القنوت الذي هو سنّة من سنن الوحي حتى عند الرايويين في المرحلة النظرية.

وفي شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: لما صار إرخاء العذبة من الجانب الايمن شعاراً للإمامية فينبغي تجنبه[3].

وفي روح البيان قال الشيخ إسماعيل البرسوي: الأصل التختم في اليمين ولما صار شعار الظلمة جعل في اليد اليسرى[4].

اقول: وقد سمّانا البرسوي بالظلمة مع اعترافه بأنّ الأصل في الشرع هو التختم باليمين؛ ومعلوم أنّه لا يقول بالتختم باليمين غير الشيعة.

وبكل جرأة أقول: إنّ المدرسة الرأيوية تعلم كما علم رجالاتها الأوائل: معاوية ويزيد ومروان بن الحكم والمنصور والسفاح والمتوكل ومن نسج على منوالهم أو من نسجوا هم على منواله، أنّ الدليل الوحيد على بطلان الوجود الإسلاموي المتجسد بهم هو مجرد الوجود الوحيوي

---

(١) رجال الكشي ١: ١٩٧.

(٢) فتح العزيز ٣: ٤٣٥.

(٣) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥: ١٣.

(٤) روح البيان للبرسوي ٤: ١٤٢.

لمدرسة الرسول ﷺ بما تحمل كلمة وجود من معنى.

أنّ هذه الأمثلة توقفك عزيزي القارىء على قيمة التراث والهوية والشعار في عمليات الصراع؛ سلباً أو إيجاباً..

ومن هذا المنطلق كان الحجاج يقتل كل من كان اسمه علياً أو حسناً أو حسيناً..

ومن هذا المنطلق كان معاوية يقتل أصحاب علي عليه السلام ويتتبعهم تحت كل حجر ومدر..

ومن هذا المنطلق فعل ما فعله يزيد بآل الرسول ﷺ في كربلاء..

ومن هذا المنطلق قتل المنصور كثيراً من الوحيويين خنقاً بأن جعلهم في جدر قصوره أحياء وبنى عليهم..

ومن هذا المنطلق فعل ما فعل صلاح الدين الأيوبي بالفاطميين في مصر، والأمر هو الأمر حينما نتحدث عن السلاجقة والعثمانيين وكل الحكومات والأنظمة الرأيوية التي كان من أهمّ أهدافها استئصال شأفة الوحي المتجسّد بآل بيت رسول الله ﷺ وبشيعتهم..

ومن هذا المنطلق وجدت الصلاة البتراء؛ وهي الصلاة على محمد من دون آل محمد؛ مع أنّ الوحي جاء بها كاملة غير مبتورة كما سيتضح لك..

ثمّ الذي يلوح من المناهج القديمة أنّ البغض والكره هو أقوى الدوافع لذلك، وهو كما ترى؛ فإنّ العبّاسيين مثلاً حينما استتبت لهم الأمور السياسية صبوا جام غضبهم على آل الرسول ﷺ من ذرية سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، ولو قايسناه مع غضبهم المصبوب من قبلهم على الأمويين، والذين هم الأعداء الحقيقيون لبني العباس كما تصوره المناهج القديمة لوجدناه كما هو صريح التاريخ شيئاً لا يذكر بالقياس إلى الأول.

وهذا إن دل فإنما يدل على أن المسألة لا تدور مدار الكره والبغض فقط بل لأولويات الصراع بين تراث المدرستين التي قدمناها، والتي هي في واقع الأمر في ضوء مشروع القَرْيَشَة الذي أسّسته قريش والذي تبنته فيما بعد المدرسة الرأيوية التي هي وليدة رؤى قريش في فهم الدين.

ليس من شك بعد ذلك في أنّ الرأيويين[1] كما أعلن عنه التاريخ مراراً وتكراراً حسب مقتضيات عملية الصراع يحاولون جاهدين محو الهوية الذاتية للوحيويين؛ تلك الهوية التي تكشف كشفاً كاملاً عن أنهم أي الرأيويين مهددون دائماً ومرصودون.

التفت الوحي إلى أنّ الإسلام قد هُدّد بمحو الهوية من قبل الاتجاه الرأيوي كما هُددت اليهودية الموسوية والمسيحية العيسوية والحنيفية الإبراهيمية مِنْ قِبَل أصحاب هذا الإتجاه التاريخي الذي عمره بعمر البشر، فماذا فعل الوحي في إطار هذا التهديد؟

فيما يخص اليهودية الموسوية والمسيحية العيسوية والحنيفية الإبراهيمية بشكل عام وعد الوحي بالانتصار على الاتجاه الرأيوي بمجيء الإسلام المحمدي، ولكن فيما يخص الإسلام المحمدي لم يعدنا الوحي بدين آخر فماذا فعل؟

الذي يسعنا قوله في هذه العجالة أنّ قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ

---

(١) ذهبت في كل بحوثي أيضاً وبخاصّة كتاب الرسول المصطفى ومقولة الراي إلى أنّ المسلمين ومنذ عهد الصحابة على قسمين أو مدرستين:

الأولى: المدرسة الوحيوية: وهي المدرسة التي تدور مع الوحي المتجسّد حيثما دار.

والثانية: المدرسة الرأيوية: وهي التي بحكم الضرورة التاريخية والسياسية والإجتماعية تدور مع الراي حيثما دار.

وسيتوضح المقصود لاحقاً أكثر.

يُتِـمَّ نُورَهُ . . .﴾ دليل قطعي على وجود مشروع وحيوي قادرٌ على الصراع مع الاتجاه الآخر وبكل جدارة، وليس هو غير مبادىء المدرسة الوحيوية كما برهنا عليه في كتابنا الرسول المصطفى ﷺ ومقولة الرأي.

ولكن الذي لم نتعرض له هناك والذي ينبغي أن نتعرض له هنا هو أنّ الوحي لحظ الجانب السايكرلوجي للمنتمين لمدرسته المباركة؛ بطرح آليات الصراع على ضوء ذلك الجانب من خلال القسم الثاني من النصوص السماوية المقدسة، محدداً هوية مدرسته من خلال سلوكيات وحيوية مهمة..؛ آمراً بزيارة الحسين عليه السلام وبزيارة الرسـول ﷺ وبقية المعصومين عليهم السلام وآمراً بالصلاة على محمد وآل محمد، وناهياً عنها إذا كانت بتراء أشدّ النهي، وغير ذلك مما يحدد هوية مدرسته، هادفاً من كل ذلك إلى إبقاء المدرسة قوية في عملية الصراع ولكن في إطار ذلك الجانب المهم على أقل التقادير..

ومن حقنا أن نتساءل عن آثار ذلك الجانب (وهو ما صرح به الوحي نفسه)..، علينا أن نتساءل عن ذلك الشرف الوحيوي المفاض على كل المنتمين لمدرسته المباركة، وعلى كل من زاحم الملائكة ليلة الجمعة حين زيارة الحسين، وعلى كل من سيحشر مع أهل البيت عليهم السلام لأنه أحبّهم، وعلى كل من ثقل ميزانه بمجرد الصلاة على محمد وآل محمد، وعلى كل من ستلتقطه فاطمة القدس من النار كما يلتقط الطيرُ الحبَّ الجيدَ من الحبِّ الرديء لمجرد توليها، وعلى كل من سيشفع له الحسين عليه السلام لمجرد أنه زاره في الحياة الدنيا، وعلى كل من أحب علياً لأنّ حبه لا تضر معه سيئة، وعلى كل مصل وصائم ومزك وحاج و.. في إطار ولاية علي وآل بيت رسول الله ﷺ..

هذه الأمور هي التي تحدد معالم الهوية الذاتية لمدرسة الوحي ولولاها لاختلط الحابل بالنابل ولمات الإسلام المحمدي ولجاء الإسلام الرأيوي على

العرش من دون رقيب ومن دون صراع..

الذي أراده الوحي من كل ذلك هو بناء حس ديني في ضرورة الدفاع عن الوحي وعن كل تلك الأمور المنتجة لبناء التراث الإسلامي الأصيل في كل مرحلة من مراحل التاريخ، أو لبناء الهوية الذاتية من خلال معطيات التراث الأصيل لكن عبر آليات الإبقاء تلك ليس غير، الأمر الذي يكشف عن أنّ الثواب الذي يعطيه الوحي بمجرد الانتماء لمدرسته المباركة ينبغي أن يكون عظيماً؛ إذ ليست المسألة مجرد زيارة الحسين ومجرد أن يقول القائل: «اللهم صل على محمد وآل محمد» وحسب حتى نقول وتقول لماذا تنطوي مثل هذه الأمور على ثواب عظيم لا يقاس بثواب الحج مثلاً، المسألة كل المسألة أنّ الزيارة فضلاً عن كونها مجرد زيارة هي مفردة من مفردات الوحي في الإبقاء على الدين..

وثانياً: هي تشكل تعبيراً لاتخاذ الإنسان المسلم موقفه المحدد من قضايا التاريخ والعقيدة والإنتماء..

وثالثاً: هي مفردة تديم عملية الصراع الإيجابي من أجل إبقاء شريان الوحي نابضاً..

ورابعاً: هي مفردة لقي أصحابها من أجلها ما لقوا من سفك الدماء والقتل والتشريد والتطريد وقطع الأيدي وأخذ الضرائب و...؛ الأمور التي لا يصطدم ببعضها من يحج بيت الله الحرام..؛ إنّ ثوابها العظيم هو من خلال ذلك لا من خلال كونها مجرد زيارة، فكن واعياً واغتنم..

وخامساً: بها وبحب أهل بيت رسول الله ﷺ يُعطي الحج معناه السماوي والصلاة معناها السماوية والزكاة والصوم وبقية مفردات التشريع التي تعرضها المدرسة الرأيوية على أنها دين مع أنّها فارغة المحتوى تماماً من دون ذلك الحب أو قل الموقف والإنتماء..

وآية ذلك أنّ رسول الله ﷺ قال: **«لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار»**.

اقول: وقد علق الحاكم على هذا الحديث بقوله: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[١]، ووافقه الإمام الذهبي على ذلك[٢].

والكلام هو الكلام حذو القذة بالقذة حين الصلاة على آل محمد تبعاً لمحمد ﷺ بلا فاصلة؛ فلولاها لا يرتفع الدعاء إلى الله تعالى، ولولاها لا يثقل الميزان يوم تخف الموازين، ولولاها لا يُكْفَى المسلم مؤونة الدنيا والآخرة، إلى عشرات الأمور الخطيرة التي ستقف عليها بنفسك في الفصل الأخير من هذه الدراسة..

إنّ الوحي من خلال هذه الرؤية في نظرية الثواب والعقاب والطاعة والمعصية يريد أن يبني حساً دينياً بضرورة الانتماء لهذه المدرسة، الأمر الذي أسميناه بنظرية الحس الديني لغرض الصراع من أجل إبقاء الدين الحقيقي حياً سالماً حصيناً من التحريف.

الذي رأيناه هو أنّ الصلاة على محمد وآل محمد مفردة عظيمة أخرى من مفردات الوحي في بناء ذلك الحس، ولأجل ذلك عقدنا هذه الدراسة؛ جامعين فيها بين المناهج القديمة وبين المناهج الحديثة التي تتناول الموضوع من خلال علوم الاجتماع والإنسان والنفس والأخلاق وغيرها، غير مؤمنين قيد شعرة بالمناهج الانفلاتية التي يطرحها المتأثرون بمنهج الحوليات الفرنسية المستقى عن شرعة البروتستانتية في قراءة التاريخ والبحث في الأديان.

ونشير إلى أنّ البحث على ضوء هذا المنهج المتطور لما كان جديداً

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩.

(٢) تلخيص المستدرك ٣: ١٤٩.

على الأسماع ـ فيما أعلم ـ ستتكرر بعض مشاهده في كلامنا فيما يخص نظرية الحس الديني والطاعة والمعصية والثواب والعقاب في الفصول والمباحث اللاحقة؛ قاصدين بذلك تيسير الوصول إلى فهم الجديد الذي نتوصل إليه في هذه الدراسة..

الصلاة على محمد ﷺ وآل محمد ﷺ بين الشرع والتراث:

لا ريب في أنّ الصلاة شرعٌ من شرعِ الله سبحانه وتعالى؛ لاتفاق أهل الإسلام على أنّها مفردة مهمّة من مفردات الحلال والحرام، ولكن الذي لا ينبغي أن نرتاب فيه أيضاً هو أنّ الصلاة بعد أن أدخلت عنوة في الصراع أخذت سمة شعارية بين المدارس الإسلامية وخرجت جرّاء ذلك عن كونها مفردة فقهية في حدود الامتثال الساذج إلى حلبة الصراع تلك..

والذي لا يخفى أنّ الصراع من خلالها ومن خلال ما تنطوي عليه من سمة الشعارية يقود بالضرورة إلى أن يكون الغرض من ذلك الصراع المفروض هو الدفاع عن التراث والإبقاء على الهوية بعد أن حاول الآخرون محوها والقضاء عليها في ضوء مشروع القَرْيَشَة، وآية ذلك ما ستقف عليه لا حقاً بنفسك وهو أنّ أولئك المحاولون يصرّون بلا رجعة على أن تكون الصلاة بتراء مع علمهم بأنّ ذلك منهي عنه؛ مبررين ذلك بأنّه صار شعاراً للشيعة أو الرافضة كما يقول بعضهم بلا حياء.

الذي نريد قوله: أنّنا لو جارينا هؤلاء لحكمنا بقتل التراث النبوي شنقاً حتى الموت؛ والمصيبة أنّهم يقرّون أنّ ما اتخذته الشيعة شعاراً هو من صميم دين الإسلام، وقد نقلنا لك بعض أقوالهم في ذلك سابقاً!!!

ولعلّك تسأل: بأنّهم إذا كانوا يقرّون بكل ذلك فلماذا يحكمون بخلافه؟

جواب ذلك ـ ببساطة شديدة ـ هو مزعمة أنّه صار شعاراً؛ معنى ذلك أنّ الاقرار بما هو شعار للشيعة في المستويين النظري والتطبيقي دليل قطعي على أنّ تراث مناوئيهم ليس إسلامياً خالصاً بل هو محسوب على الإسلام عنوة (=إسلاموياً) كما وأنّ تمثيل أسلافهم للإسلام ليس تمثيلاً مرضياً؛ وآية ذلك أنّ أسلافهم أولئك هم من منع من سنّة رسول الله ﷺ فيما لو آلت لتكون شعاراً للرسول ﷺ ولآل بيته ﷺ؛ إضعافاً مقصوداً لوجودهم ﷺ السماوي أولا ولشيعتهم ثانياً ..

وفيما نحن فيه فإنّ أسلافهم هم من حكم ببتر الصلاة مع أنّ الإسلام جاء بها سالمة غير مبتورة.

ابن الزبير يمنع من الصلاة على محمد ﷺ لشعاريّتها:

والمصيبة أنّ التاريخ حدثنا أنّ ابن الزبير حاول إلغاء الصلاة على محمد ﷺ من خطبة الجمعة تماماً، لا لشيء إلاّ لأنّها دليلٌ سماويٌ على تلك العلقة المقدسة لآل البيت ﷺ بالرسول ﷺ؛ وسبب ذلك ـ وهو ما فهمه ابن الزبير ـ هو أنّ هذه العلقة والتي هي تراث سماوي كامل وشعارٌ فعّال كفيلةٌ بزعزعة وجوده السياسي كخليفة على رقاب المسلمين؛ وذلك حينما بايعه بعض الناس في مكة على الخلافة..

روى المسعودي واليعقوبي وابن أبي الحديد وغيرهم من أصحاب التواريخ والسير أنّ عبد الله بن الزبير مكث أيام خلافته أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي ويقول: لا يمنعني ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها؛ إن له أهيل بيت سوء ينغضون رؤوسهم عند ذكره[1].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٣: ٧٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٤: ٤٨٠، ومروج الذهب وغيره من المصادر.

نفهم من ذلك أنّ هناك مشروعاً مدروساً لمحو الهوية الإسلامية إذا كانت عناصرها الذاتية هي أهل بيت رسول الله ﷺ ولو من خلال الصلاة على محمد ﷺ وآل محمد، ونفهم من ذلك أيضاً أنّ الصلاة لها تأثير سلبي قوي على الوجودات الإسلاموية المتمسلمة، وأنّها مفردة عظيمة من مفردات الصراع..

ومع وحدة الهدف بين كل المناوئين لآل البيت ﷺ فإنّ الخطورة لا تقف عند ابن الزبير وحسب، بل هي فيما يبدو متوقعة من كل خصوم أهل البيت، سواء أكانوا من قريش عموماً أم من بني أميّة أم ممّن حذا حذوهم، وحسبك أن تعرف أنّ بني أمية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وابن الزبير كانوا لا يخطبون خطبة إلاّ وينالون من أمير المؤمنين علي وآل بيته ويسبّونهم[١].

وقد كشف ابن الزبير عن حقيقة الأمر بقوله لابن عباس: إنّي لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة[٢].

وكذلك معاوية حينما سمع المؤذن يقول: أشهد أنّ محمداً رسول الله؛ فقد قال: لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمّة ما رضيت لنفسك إلاّ أن يقرن اسمك باسم رب العالمين[٣].

وخرّج الهيثمي قال: وعن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال أتى ناس من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إنّا نسمع من قومك (وفي رواية الطبراني: أناس من قريش)؛ حتى يقول

---

(١) مسند أبي داود الطيالسي: ٤٢، تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤: ٦٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٠: ١٠١.

القائل منهم: إنّما مثل محمد كمثل نخلة نبتت في الكبا[١].

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيها الناس! من أنا».

قالوا: أنت رسول الله.

قال ﷺ: «أنا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب» قال الراوي: فما سمعناه ينتمي قبلها، ثمّ تمّم قوله ﷺ: «إلا أن الله عزوجل خلق خلقه ثم فرقهم فرقتين فجعلني في خير الفريقين ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم بيتا فأنا خيرهم بيتا وخيرهم نفسا صلى الله عليه وسلم».

اقول: وقد علّق عليه الهيثمي بقوله: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح[٢]، والنص صريح في أنّ قريشاً يرون أنّ أهل بيته ﷺ الذين أذهب الله عن بعضهم الرجس وطهّرهم تطهيراً مزبلة!!!.

وخرّج أيضاً (اي الهيثمي) عن عبد الله ابن الزبير قال: قال النبي ﷺ «مثلي ومثل أهل بيتي كمثل نخلة نبتت في مزبلة».

أقول: وقد حمل عنّا الهيثمي مؤونة الرد على هذه الفرية الشنيعة على الرسول ﷺ بقوله: رواه الطبراني وهو منكر، والظاهر أنّه من قول الزبير إن صح عنه؛ فان فيه ابن لهيعة ومن لم أعرفه، وعن ابن الزبير أنّ قريشاً قالت: إنّ مثل محمد مثل نخلة في كبوة، رواه البزار بإسناد حسن

---

(١) الكبا: الكناسة (= المزبلة)، ومعنى الحديث أنّ أهل بيت الرسول ﷺ بنظر قريش مزبلة.

(٢) مجمع الزوائد ٨: ٢١٥، والحديث في مسند أحمد ٤: ١٦٦، وانظر المعجم الكبير للطبراني ٢٠: ٢٨٧.

وهذا الظن به[١].

وإذن ومع هذه الملابسات فالصلاة ليست شرعاً وحسب، بل هي شعارٌ يريد الرسول ﷺ منه أو منها الدفاع عن التراث النبوي وعن معطيات السماء من خلال آل البيت ﷺ، ومن ثمّ فهي تراث سعت قريش بما أوتيت من قوة على محوه من صفحة الإسلام، هذا من جهة..

ثواب الصلاة بين الشرع والتراث:

ومن جهة أخرى علمنا أنّ لمن يعبد الله تعالى خلالها في إطار كونها مفردة من مفردات الفقه ثواباً، ولكن ألا يوجد فيها ثواب بملاحظة كونها شعاراً يقود إلى نشر الكلمة السماوية العليا؟

وهل أنّ الدين ساذج إلى هذه الدرجة ليساوي في الثواب بين عبادة العابد الساذجة، وبين عبادة العابد الذي يهدف من عبادته نشر كلمة الله العليا وحفظ التراث النبوي من الضياع؟

أو ليس الثاني لقي ما لقي من أذىً تاريخي لا تنوء بحمله الجبال الرواسي بسبب ذلك؟

ثمّ لنا أن نتساءل: كيف بقيت صيغة: «**اللهمّ صل على محمد وآل محمد**» صامدة حتى يومنا هذا مع أنّها قد أدخلت عنوة في صراع الشعارات بين المدارس المتصارعة على التراث وعلى الهوية؟

وإذا كان الأمويّون لا يرضي نزعتهم إلاّ سبُّ علي وآل بيت رسول الله ﷺ، فهل تتوقع أن يطبطبوا على أكتاف القائل: «**اللهم صلّ على**

---

(١) مجمع الزوائد ٨: ٢١٦؛ ويقصد بقوله: وهذا الظن به: أي هو من أقوال ابن الزبير.

محمد وآل محمد» وهم يعلمون علم اليقين أنّ علياً ﵇ هو آل محمد على نحو الحقيقة؟

هذا هو التراث الخطير المخيف الذي حدا بالأمويين وبغيرهم لأن يحكموا ببتر الصلاة عبر أربعة عشر قرناً من الزمان..

وأولئك الذين حفظوا لنا هذا التراث زلزلوا من قبل الأمويين وغيرهم وقتلوا وشرّدوا..؛ كل ذلك ناؤوا بحمله من أجل التراث الذي يدل على حياة الدين وحياة سنّة سيد المرسلين ﷺ..، وبعد ذلك ليس معقولاً أن نساوي بين من يعبد الله بصيغة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» في العنوانين على السواء؛ إذ ليس معقولاً أن نساوي من خلالها بين العبادة الساذجة وبين العبادة الهادفة التي لولاها لما بقي الدين.

ومن خلال ذلك تتبلور أمامنا نظرية الثواب والعقاب بشكل جدّي، فبنحو عام:كل عبادة لها عنوانان في إطار الثواب، وبالعكس في إطار العقاب، وسنفصل الأمر لاحقاً حينما سنتحدث بشكل موضوعي عن نظرية الحسنة النوعية، وحينما سنتحدث عن نظرية الثواب الأعلى والأدنى، وهما رؤيتان دعانا إلى الالتزام بهما أنّ هناك ألغازاً علمية في نصوص الترهيب والترغيب لم يسلط العلماء الضوء عليها بشكل جيد حتى اليوم؛ أهمّها الكشف عمّا تنطوي عليه أمثال هذه العبادات من ثواب عظيم، وأنّ هذه العبادات ليست لقلقة لسان كما يتصور البعض، بل هي دفاع عن تراث السماء الذي جاء به محمد ﷺ.

نقول ذلك لليقين بأنّ الآخرين جعلوها من أهمّ مفردات الصراع المفروض على مدرسة النبوة، وهنا ينطوي بعض الحكمة في إصرار الرسول ﷺ على أن تصل لنا بالتواتر بل بما هو فوقه كما ستعرف؛ دفعاً للتشويه الذي ارتكبه الآخرون في حقّها حينما أصرّوا على أن تكون بتراء، أو حينما حكموا عليها بالقتل صبراً كما فعل ابن الزبير.

التراث والنصوص الإسلامية:

وقبل الخوض في مباحث هذا الكتاب المتواضعة لا بأس بالإشارة العلمية إلى فرق من الفروق المهمة بين المناهج القديمة والمناهج المتطورة في قراءة النصوص الإسلامية أو المنسوبة إلى الإسلام..؛ ولا أقل بملاحظة جانب صدور النصوص وعدم صدورها، وإلاّ فالبحث تحت العنوان أعلاه مما يستحق دراسة متأنية لا ينهض بأعبائها من كان مثلي متشتت البال بين الوطن والغربة..

ولولا اللجوء إلى الله بحب محمد وآل محمد ﷺ لسحقنا الزمان تماماً، فالحمد لله الذي لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم بخلقه، محسنهم ومسيئهم، وصلى الله على محمد أشرف المرسلين وآله الطيبين الطاهرين؛ صلاة زاكية نامية لا يعدّها العادّون ولا يبلغ شأنها المحصون، وسلم تسليماً كثيراً مثل ذلك.

مؤثرات التراث على رواية النصوص:

ذكرنا لك أنّ التراث يتألف من مجموعة من الخصائص الذاتية التي تحدد هوية فئة معينة، سواء أكانت تلك الفئة ديناً أم طائفةً أم مذهباً أم شريحةً اجتماعية، والكلام ينجر إلى الشخص الناقل للرواية (الراوي) أيضاً، بداهة انتماء الراوي إجمالاً إلى فئة من الفئات المذكورة آنفاً.

كما وقد ذكرنا لك أنّ التراث والهوية جرّاء ذلك تدفع بأهلها عبر ما أسميه بـ «الغريزة التراثية» إلى الصراع المميت؛ إذ ليس يسيراً أن يتخلى أحد ـ أيّ أحد ـ عن تراثه..

ومواجهة الشعوب الشرق أوسطية وعموم الإسلامية لعمليات الفرنسة والبرنطة والأيطلة والتتريك سابقاً، والعولمة حالياً خير دليل على ذلك، والسبب ينحصر في أنّ اللاتراث يعني اللاهوية وهو يساوق الضياع تماماً.

أضف إلى ذلك نقطة محورية مهمة وهي أنّ الظروف التاريخية والتحولات السياسية والتغيرات الاجتماعية طبقاً لأولويات الصراع تصنع تراثاً مريضاً يعمل على طرفي نقيض مع التراث السليم.

فليس من شك في أنّ التراث الذي تقصده سيدة نساء العالمين ﷺ بقولها: أرى تراثي نهبا، لا يمت بصلة من الصلات لتراث الرأيويين الأمويين القائم على مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وقد قرر علماء الاجتماع أنّ أصحاب التراث بقسميه عبر ما أسميناه بـ «الغريزة التراثية» يدافعون عن هويتهم المطوية في ذلك التراث بما أوتوا من قوة..

والذي يعنينا من هذا الكلام هو أنّ الراوي المسلم المنتسب للإسلام بنحو من أنحاء الإنتساب لو حُدّث برواية تتقاطع مع هويته الذاتية ومع تراثه فهل أنّ غريزته التراثية ستسمح له بنقل وتناقل هذه الرواية أم لا؟

وحسب قواعد علم النفس وعلم الانثربولوجيا وعلم الاجتماع، هل لنا أن نحتمل أن يتلاعب هذا الراوي بذلك المقدار من الرواية الذي يتقاطع مع تراثه أم لا؟

وعلى أبعد الاحتمالات أنّنا لو فرضنا أنّ الراوي ثقة، فهل سينقل الرواية المتقاطعة مع تراثه والمفرغة لمحتوى هويته بشكل صحيح؟

وإذا كان لا يكذب؛ لأنّه ثقة عالي الوثاقة، فهل أنّ غريزته التراثية لن تقف عائقاً أمام عملية نقل الرواية وقرائتها والعمل بمضمونها بشكل صحيح؟

ما يؤسف له أنّ المناهج القديمة لم تتعرض بشكل جدّي لهذه الأسئلة وكأنّها لا علاقة لها بعلوم الدراية والرجال والحديث، وكل ما عندها أنّ الراوي إذا كان ثقة فروايته حجة.

بلى، قد يكون الأمر كذلك؛ إذ نحن لا ننكر هذه القاعدة البشرية

من الأساس، ولكننا نقول: إن التسليم المطلق بنقل الراوي لرواية تتقاطع مع تراثه؛ لأنّها تنطوي على عناصر محو هويته الذاتية، هو كما أراه المجازفة بعينها..

أضف إلى ذلك أنّ التسليم المطلق بهذا الأمر تكذيب غير موضوعي لقواعد علوم النفس والإنسان والمجتمع؛ لأنّ الموروث (كما تقرر هذه العلوم) له دخل مباشر أو غير مباشر على سلوك الفرد أو الجماعة فضلاً عن طريقة التفكير، ولا شك في أن التعامل مع الرواية؛ تحديثاً أو كتابة هو من أظهر مصاديق السلوك وبالتالي سيكون موضوعاً تحت تأثير الموروث بشكل قهري..

والأمثلة على هذه المسألة أكثر من أن تحصى؛ فمثلاً التراث الذي على أساسه بنيت ذاتيات هوية الدولة الأموية هو التقاطع الكامل مع مدرسة الوحي المتجسدة بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، الأمر الذي ضرب على وتر الغريزة الأموية لتعزف سمفونية البراءة من علي بن أبي طالب وسبه ولعنه بل وضرب الوحي المتجسد به شكلاً وقالباً ومضموناً ثمانية عقود من الزمن بل أكثر؛ على أنّ أقل ما يقال في ذلك أنهم تركوا سنّة الرسول ﷺ الصحيحة الثابتة بغضاً له كما قال ابن عبّاس.

ومع كل هذه المعطيات هل نصدق بسهولة بالأمويين وبالمنتمين إليهم خلال ذلك التراث اللاوحيوي حينما يزعمون بتمثيلهم للإسلام؟

وهل نصدق برواتهم حينما يروون عن رسول الله في ظلال ذلك التراث اللاوحيوي واللاعلوي؟

والأمر هو الأمر مع العباسيين والأيوبيين والعثمانيين و...!

بلى، أرجع وأقول: إنّ من أطلق عليه ثقة حسب معايير علم الرجال والمنتمي في تراثه إلى الأمويين أو غيرهم من اللاوحيويين قد يشذ عن

تأثير الغريزة التراثية لسبب ولآخر (وهذا نادر طبعاً)، ولكن في هذا الفرض النادر من أين نأتي بالدليل على الشذوذ والانفلات من تأثير غريزة التراث؟

وهل الدليل على الخروج والانفلات من دائرة الغريزة متوفر على الدوام في كل حين؟

بالطبع لا، وعليك أن تفهم الباقي!!!.

وإذا تناسينا كل ذلك، فإنّ أقل ما يقال في الراوي الثقة ـ الذي لا يكذب ـ حسب قواعد العلوم الإنسانية هو تناسيه للروايات التي تتقاطع مع غريزته التراثية؛ لينصب اهتمامه على رواية ما ينسجم مع غريزته ومع الخصائص الذاتية التي تحدد هويته الاجتماعية أو الدينية، وبكلمة واحدة: التي تحدد هويته الذاتية التي يصارع من أجلها على بقائه بإرادة وبغير إرادة.

على أنّ الأمر لا يقف على الرواية المجردة فحسب، بل ينجر إلى قراءة (=تفسير) الرواية، فلو افترضنا أنّ الدليل دلّ على أنّ الثقة انفلت لسبب ولآخر عن تأثير الغريزة ليروي ما يتقاطع مع هويته الذاتية التي صارع ويصارع من أجلها، فهل سيقرأ ما رواه قراءة سليمة أم لا؟!

من الأمثلة الحية على ذلك قول الرسول ﷺ: **«من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»**[1] الذي يفهم منه العقل السليم والضمير الحي ولاية أمير المؤمنين علي على قاطبة المسلمين، وهي التي يسمّيها علماء الكلام بولاية التصرف (= نيابة الرسول ﷺ المطلقة في

---

(١) نص جمع غفير من علماء أهل السنة بتواتره عن رسول الله ﷺ منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٤، والمناوي في فيض القدير ٦: ٢١٨، والألباني في سلسلته الصحيحة ٤: ٣٤٣، وغيرهم.

قيادة الأمة)..

ولكن حينما نأتي إلى الرأيويين نجد أنّهم بحكم غريزة التراث لا يستطيعون أن يفهموها على ما هي عليه، والسبب ـ على ضوء ما قدمنا ـ هو أنّ مجرد الإقرار بذلك الفهم نسف كامل لتراثهم الرأيوي، ونسف كامل لمدرسة الخلفاء؛ ومحوٌ لهويتهم الذاتية، ألا ترى أنّ من ينفلت ويتحرر من أغلال التراث الرأيوي ويقرأ النص أعلاه قرائه وحيوية ويهديه الله لأن ينتمي لمدرسة الوحيويين أول ما يفعله هو تخطئة (بما تحمل الكلمة من معنى) نظام الخلافة التي تسمّى بالراشدة تخطئة تعمّ كل شيء يمت إليها بصلة من الصلات..

وفي طول ذلك صيغة الوحي: **«اللهمّ صل على محمد وآل محمد»** فإنّه بعد تواترها والقطع بصدورها عن الرسول ﷺ كما ستبين البحوث اللاحقة، لم يحدثنا التاريخ أنّ الرأيويين منذ عهد الخليفة أبي بكر حتى اليوم يتعبدون بها كما أمر الله؛ وذلك لما في التعبد بها من ضرر على تراثهم الرأيوي اللاعلوي؛ إذ ينطوي مجرد التعبد بها بوعي وحيوي على ضوء ما قرره الرسول ﷺ على عدم الاعتراف الكامل بتمثيل الرأيويين للإسلام بشكل صحيح، وهذا يعني ضياعهم بالكامل، ومحواً لهويتهم التي بنيت على أساس الازورار عن الآل ﷺ ازوراراً بشعاً..؛ دموياً هو كما أخبرنا به التاريخ!!

لذلك فهم يتعبدون بها مبتورة هكذا: **«اللهم صل على محمد»** ضاربين بالآل عرض الجدار: أو قل ضاربين بكل ما من شأنه محو هويتهم عرض الجدار، ومن هنا تتجلّى الإجابة الموضوعية عن السؤال الذي يقول: لماذا منع عمر (= قريش) من تدوين ورواية حديث رسول الله ﷺ أو بالإقلال من ذلك كما ورد في بعض النصوص:

في الواقع لم يمنع عمر (= قريش) (١) إلاّ عن تلك النصوص القادرة على الصراع مع تراثه القرشي الرأيوي؛ أي تلك النصوص التي فيها العناصر الآلية لمحو الهوية القرشية الرأيوية التي جسّدها عمر في نفسه وفي مدرسته فيما بعد خير تجسيد؛ ونذكرك بالنصوص التي أدرجناها في القسم الثاني من قسمي النصوص الإسلامية الوحيوية؛ فهي التي منع منها عمر (=قريش) ولم يمنع من كل شيء بالدرجة الأساس.

وبعجالة ننبه على أنّ النصوص الإسلامية عموماً وطبقاً لحركة التاريخ ومسيرة الإسلام متحولة وليست بثابتة؛ أي قد تتذبذب فيما بين القسمين، ومتى ما آل أمر بعضها ليكون مندرجاً في القسم الثاني منع منه كما في نصوص الجهر بالبسملة مثلاً؛ فهي في فترة من فترات التاريخ الإسلامي لم يمنع منها مانع، ولكن لمّا صارت شعاراً لعلي في عهد الأمويين منع منها، وكذلك فضائل آل البيت ﷺ لم تمنع منها قريش بإصرار في العهد الأول ما دامت غير مؤثرة على مصالحها العامّة، ولكنّها منعت منها حينما أضحى تداول الفضائل بناء فكري إسلامي متكامل قادر على تسفيه

(١) مقصودي من ذلك أنّ قرار عمر بمنع تدوين الحديث لا يتعدى كونه قراراً إجرائياً صدر من عمر ليس غير؛ بمعنى أنّ القرار في مرحلة في التأسيس والصنع ليس لعمر على نحو الاستقلال، بل هو قرار قريش الذي لا محيد عنه؛ وآية ذلك أنّ قريشاً منعت عبد الله بن عمرو بن العاص من كتابة حديث رسول الله ﷺ قبل هذا التاريخ بأعوام؛ زاعمة أنّ النبي يقول في الرضا ما لا يقول في الغضب، مع أنّ الرسول نفسه ﷺ قال:«اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج من فيّ إلاّ الحق» وقد جسّد عمر في رزية يوم الخميس (كما يسمّيها ابن عباس) هذا الأمر بقوله: أنّ الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله؛ وذلك حينما قال الرسول ﷺ: «هلمّوا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» وقد امتد العمر بهذه الفلسفة إلى الأمويين حينما تركوا السنّة من بغض علي؛ ليستمر الأمر على ذلك إلى يومك هذا...

فلسفة قريش في السيطرة على الإنسان على حساب الإنسان بل على حساب الإسلام نفسه.

وعموماً فالنصوص الإسلامية منطقياً وإن كانت على قسمين على ضوء رؤيتنا في تقسيم النصوص، إلاّ أنها تاريخياً قد تتداخل، وأنّ ما كان في فترة من فترات التاريخ مندرجاً في القسم الأول قد يصبح في فترة أخرى مندرجاً في القسم الثاني وبالعكس، والمعيار في ذلك هو شعارية النص، ومتى ما أخذ النص هذه السمة منعت منه قريش ومنع منه كل من شرب من حوضها النفعي في كل مراحل التاريخ..

وعلى أيّ حال تتبلور أمامنا من خلال كل ذلك حقيقة في غاية الأهمية وهي أنّ الصيغة الوحيوية: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» عنصر من عناصر تراث المدرسة النبوية، وهي خاصية من الخصائص الذاتية لبناء هويتهم المرضية للرسول ﷺ..

وأكثر من ذلك وهو أنّها تنطوي على قابلية محو الهوية اللاوحيوية؛ لعدم اجتماع النقيضين، الأمر الذي يفسر ازورار مدرسة قريش الرأيوية عن الصيغة الوحيوية القائلة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» إلى الرأيوية (= الصلاة البتراء) على مدى أربعة عشر قرناً بشكل لا يقبل الرجعة..

هذا إذا تحدثنا عن الصراع على ضوء كل مفرداته فيما يخص المدرستين الوحيوية والرأيوية، بيد أنّه ينبغي الالتفات إلى أنّ الصراع من أجل الهوية والتراث يشمل كل مجالات الحياة وكل المجتمعات وكل الفئات، وصراع المسلمين اليوم ـ كل المسلمين ـ مع الإمبريالية وغيرها لا يخرج عن إطار ما ذكرنا.

والأمر هو الأمر حينما تتضيق دائرة الصراع كثيراً بين الفئات المنقسمة عن المدرسة الواحدة؛ فمثلاً المدرسة الرأيوية انقسمت باعتبار من الاعتبارات

إلى أربعة مذاهب (أو أكثر) وهم المالكية والأحناف والشافعية والحنبلية، وهذه المذاهب وإن كان يجمعها تراث مدرسة قريش من خلال معالمه العامة، إلا أنّ هذا لا يمنع أن يترشح عن ذاك تراث خاص وهوية خاصة لكل مذهب من هذه المذاهب، التي كيف ما قلبتها لا تخرج عن إطار النزعة الرأيوية ولا عن ذاتياتها التي تألف تراثها منها.

وآية ذلك أنّ هذه المذاهب الأربعة (أو الأكثر) مهما تصارعت فيما بينها وتنازعت إلاّ أنّها في آخر الأمر وحينما تكون بإزاء مدرسة الوحي ترجع متحدة؛ لأنّ القضية الآن تخص نفس المدرسة الرأيوية التي ترشحت عنها تلك المذاهب.

ومهما يكن الحال؛ فقد أخبرنا التاريخ بأمانة بأن المذاهب الأربعة المذكورة نشأ فيما بينها عداء مذموم، بل كفرّ بعضهم بعضاً بسبب الصراع من أجل التراث؛ الأمر الذي نجده واضحاً غاية الوضوح حينما نطالع ترجمة الأئمة: مالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأبي حنيفة، وأحمد بن حنبل فقد طعنوا حتى في عدالتهم مفسقين لهم، بل متهمين بعضهم بأنّه ابن زنا والعياذ بالله، ونحن هنا لا نريد أن نزعم أنّ هذه الطعون ثابتة في حق هؤلاء الأئمة أو لا، هذا ليس من شأننا، ولكن الذي نريد قوله: إن استماتة أعضاء المذهب الواحد في الصراع لا يخرج عن إطار الصراع من أجل الهوية والتراث، أي من أجل اللاضياع الذي يستتبع عدم ضياع الهوية..

ونجد هذا واضحاً في طريقة تعامل كل مذهب من هذه المذاهب مع سنة الرسول المصطفى ﷺ، ففي الوقت الذي يتعبد مذهب من المذاهب الأربعة بقسم من السنة النبوية الصحيحة نجد المذهب الآخر يضرب بها عرض الجدار لمجرد أنّها لا تنسجم مع مباني أبي حنيفة أو مالك أو الشافعي، وكتاب المحلّى لابن حزم الأندلسي لآية على ما قلنا،

وكأنّه ـ أي ابن حزم ـ قد ألّف كتابه لهذا الغرض، أي تعامل المذاهب الأربعة مع سنة الرسول ﷺ على ضوء تأثير التراث والصراع من أجل الهوية.

هدف البحث في الصلاة:

قد تقول بل ونقول معك: هل هناك من فائدة ترتجى من البحث في موضوع قد كتب فيه الكثير من العلماء ومن غير العلماء، وهو الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ ؟

وهل من الحكمة أن تذكر ما ذكر الغير خلال تلك لعمليات الإجترارية التي لا تسمن ولا تغني من جوع؟

ليس هناك أدنى شك في أنّ هذين التساؤلين يتسمان بالموضوعية والواقعية ومن خلال محاور كثيرة؛ وكلي إيمان بأنّ الكتابات إذا نحت منحى الاجترار والاجتزاء بما نقل الغير، ربّما تكون غير مسؤولة وغير هادفة؛ وآية ذلك أنّ كثيراً من العلماء والمفكرين الإسلاميين اليوم قد ذكروا أنّ الكتابات من هذا النوع قد يؤول أمرها لأن تكون ضرراً على الإسلام والمسلمين؛ لأنّها والحال هذه لا تخلو من الآثار السلبية في خلق الارتباك الثقافي واللاتوازن العلمي بين عموم المسلمين، وهي مسؤولية شرعية خطيرة ينبغي أن يلتفت إليها..!!!

يبدو أنّ ما أثار حفيظة هؤلاء العلماء وهؤلاء المفكرين ما صرّحوا به أنفسهم ـ وهو ما سمعناه منهم كثيراً ـ حيث ذكروا تصريحاً وتلويحاً أنّ أزماننا هذه شهدت ما يُسمّى بالركود الثقافي، وهو أمرٌ لا ينبغي للعقل الإسلامي أن يستسلم له؛ لأنّنا ـ كمسلمين ـ من واجبنا بيان عظمة الإسلام في كل مجالات الحياة...

وعلى كل حال فالذي ينبغي أن يلتفت إليه هو ضرورة أن يكون البحث والكتابة ومطلق الدراسات هادفة وموضوعية، حتى تكون على مستوى من المسؤولية؛ خاصّة إذا كانت البحوث والكتابات والدراسات إسلامية؛ لخطورة الموقف في الفرض الأخير.

مهما يكن من أمر وعلى ضوء رؤيتنا الجديدة فيما يتعلق بسنة الرسول المصطفى ﷺ التي ذهبت من خلالها إلى تقسيم السنة من حيث الدور والوظيفة إلى قسمين، وأنّ قسماً يُعْنَى بالتشريع الإسلامي وبلورة نظرية الحلال والحرام، وأنّ القسم الآخر يهدف إلى المحافظة على تلك الشريعة أصولاً وفروعاً ضمن آلية حددت معالمها طوائف عظيمة من سنة الرسول ﷺ..

أقول: إنّي على ضوء هذه الرؤية الجديدة وقفت على الكتب المصنفة حول الصيغة المقدسة التي تقول: **«اللهم صلّ على محمد وآل محمد»** بل طالعت كل ما وقع في يدي منها بإمعان؛ تلك التي تعرضت لها تبعاً والتي تعرضت لها استقلالاً، فوجدت الجميع يتعامل معها في إطار القسم الأول ليس غير، وأكثر من ذلك وهو أنّها من خلال ذلك القسم لم تغط الحاجة تماماً؛ لأنّها على سبيل المثال وهو أقل ما يقال لم تتعرض لما هو صحيح السند من ضعيفه؛ فلم تخبرنا إلى الآن على ضوء منهج موحد ما هو الصحيح من الضعيف من روايات الصلاة على محمد وآل محمد..

وفيما أرى فإنّ الاكتفاء بذلك لا يبرز قيمتها الوحيوية ولا يقف على أسرار آليتها كعنصر مهم من عناصر المحافظة على الدين في خضمّ الصراع، وقبل المباشرة في تطبيق رؤيتنا الجديدة في تقسيم السنة إلى قسمين على هذه الصيغة، أرى لزاماً عليَّ من الناحية العلمية والفنية استعراض ما ينبغي استعراضه ممّا هو مؤثر في فهم المرحلة التطبيقية لرؤيتنا الجديدة في التقسيم من خلال صيغة **«اللهم صل على محمد وآل محمد»**.

وهذا يفرض علينا أن نستعرض ما يمكننا استعراضه من الأدلة على نظرية التقسيم أولاً وعلى مباشرة البحث فيما يتعلق بالصيغة خلال ذلك التقسيم ثانياً؛ إذ هذه الصيغة المقدسة مفردة عظيمة تتجلى فيها أهمية النظرية بشكل واضح، وهذا يقتضي أن نمهد لذلك ببعض الممهدات العلمية التي على أساسها نتفهم فلسفة كونها من هذا القسم أو ذاك، والتي على أساسها أيضاً ندرك الضرورة الشرعية التي تسوقنا للبحث فيها وفي غيرها ممّا يتعلق بنظرية الذكر في الإسلام عموماً..

هذه الضرورة التي لم نتحسسها بشكل مقبول من قبل المناهج الكلاسيكية لأسلافنا، الأمر الذي ناء بحمله بعض هذا الفصل والفصل الثاني من هذه الدراسة، وهذا يحدو بنا إلى أن لا نجمد على المناهج القديمة بلا حراك..

الصلاة بين المناهج الكلاسيكية والمناهج المتطورة:

مع كون المناهج الكلاسيكية مقدسة باعتبارها تراث علمي على أساسه فهم أسلافنا الإسلام ونحن في طولهم تبعاً لهم، إلاّ أنّها والحق يقال لم تعط اهتماما موضوعياً لكل أبعاد نظرية الإسلام؛ إذ هي لم تستثمر نصوصه فيما يتعلق بالجانب النفسي والاجتماعي والإنساني والأخلاقي وحتى الاقتصادي والسياسي بالشكل المطلوب، كما استثمرت نصوصه فيما يتعلق ببعض الجانب الفقهي وببعض العقائدي..

بلى، بحثوا في الصلاة على محمد وآل محمد وفي عموم الذكر وباقي الأشياء التي يسمونها مندوبة، من زاوية الفقه ليس غير، وإذا ما ارتقت بحوثهم إلى بعض الجوانب الأخرى فهو من باب الاستطراد الخاطف ومن باب الكلام يجر الكلام، والمفروض انطلاقاً من عقيدتنا بكفاية الإسلام الذي فيه تبيان لكل شيء أن نستنطق النصوص في إطار تلك الجوانب

المهمة ولا نقتصر على الجانب الفقهي وبعض العقائدي..

فمثلاً: لماذا الصلاة على محمد وآل محمد أثقل شيء في الميزان يوم الحساب، وما هو سر ذلك؟.

ولماذا تعدل ذكر الله تعالى في الثواب؟.

وما هو السر في أنّ الدعاء من دونها لا قيمة له، محجوبٌ عن رب العزة؟.

ثم لماذا وردت عن الوحي بالتواتر مع أنّ هذا لا يقع عن الوحي إلاّ في نادر الأحيان؟.

وماهي فلسفة ذلك؟.

وهل لذلك علاقة ببناء النفس الإنسانية والنفس الإجتماعية وما أسمّيه بالنفس الدينية؟.

هذه التساؤلات وعشرات غيرها وإن تعرضت لبعضها المناهج القديمة إلا أنّها فيما يبدو لم تجب عنها بموضوعية؛ وآية ذلك أنّ الشارع الإسلامي اليوم هاج فيه التشكيك والتساؤل الملفت للنظر حول هذه الأمور، وخاصّة حول مقدار الثواب العظيم لمجرد ذكر الصلاة على محمد وآل محمد، ولكن لا جواب بشكل مقنع.

وفيما أعتقد لا نجد الجواب المقنع إلاّ باستنطاق النصوص الإسلامية على ضوء العلوم الإنسانية؛ التاريخ والاجتماع والانسان والنفس و...؛ أي العلوم التي تناستها المناهج الكلاسيكية بشكل غير مقبول!!!

على أن لا يفهم من ذلك توجيه اللوم على أحد فعلماء الدين مثلاً مهمّتهم المقدسة في تعيين حكم المكلف في دائرة الأحكام الخمسة: الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة؛ وهي مهمّة عسيرة للغاية فيما أرى؛

فإنّ الهدف ليس هو استنباط الحكم وحسب بل الحكم الذي يدور مع الصالح الإسلامي العام، ولكن مع ذلك لا ينبغي على جميع المسلمين أن يتركوا عمليات التنقيب عن كنوز الخير وعن ثروة السماء المطوية في مئات من نصوصنا الإسلامية المقدسّة.

المناهج الحديثة بين التطور والانفلات:

وقبل الشروع في البحث من الضروري أن نضع الحدود العامة ولو بعجالة للمناهج التي تأخذ بركب البحوث إلى أصدق القول، ومن ثمّ إلى النتائج التي تتسم بسمة الموضوعية والإقناع، ولكن قبل ذلك نقول مستعينين بالله تعالى:

بأننّا نعتقد اعتقاداً لا نحيد عنه بضرورة المناهج الكلاسيكية في الفقه والتفسير والفلسفة والفقه والأصول والكلام والأدب إذا ما أردنا أن نفهم الإسلام كدين؛ إذ هي كما أراها ويراها صحيح العقيدة من المسلمين ومن دون أدنى شك بمثابة المادة الأولية لصنع القرار الإسلامي في المجالات الإنسانية والإجتماعية والسياسية والإقتصادية والأخلاقية فضلاً عن الفقهية والكلامية.

بل لا ريب في أنّه لا يمكن لأحد أن يزعم الوقوف ولو على مقدار ضئيل من النظرية الإسلامية من دون الرجوع إلى مقررات العقل الإسلامي على ضوء تلك المناهج في التعامل مع نصوص نظرية الإسلام، وآية ذلك ـ إجمالاً ـ أنّ إجماع علماء الإسلام بشتى طوائفهم خلفاً عن سلف قد انعقد على صحتها وعلى ضرورة التزامها.

غير أنّ هناك بعض الكتاب المتمسلمين ممّن يلهث وراء الحداثة..، يعتقد بأنّ المناهج الكلاسيكية لا تنهض اليوم بأعباء استخلاص نظرية متكاملة للإسلام من النصوص الوحيوية المقدسة، وبالتالي لا تنهض بأعباء

تجسيد الإسلام على أرض الواقع البشري خلال ذلك.

بزعم أنّ اللجوء إلى تلك المناهج تخلف فكري وتحجر عقلي، ولابد من إيجاد البديل الحيوي الذي يستطيع أن يأخذ بركب الإسلام من عالم الفرضية إلى عالم النظرية المتكاملة التي يمكن تجسيدها على أرض الواقع، وأن يأخذ بركب المجتمع الإسلامي تبعاً لذلك إلى ذروة التقدم كما حصل بالنسبة للمجتمع المسيحي مثلاً..

هذا ما زعم أولئك، ولكن أشير قبل أن نحكم على سلامة هذه الرؤية أو عدم سلامتها بشكل علمي إلى أنّ لعملية استبدال المناهج الكلاسيكية بمناهج أخرى معنيين:

المعنى الأول: أنّ المقصود من عملية الاستبدال هو الإلغاء التام لدور المناهج الكلاسيكية لتحل محلّها المناهج الجديدة.

المعنى الثاني: هو تطويرها بملاحظة حركة الزمان والمكان والتورم الحاصل بسبب تراكمات المعرفة.

فإذا كان المقصود هو الأول فهو من قبيل القياس الفاسد في محاور الاجتماع والأخلاق فضلاً عن العقيدة والدين؛ لأنّه لا يعدو تحميل ظروف المجتمع المسيحي على المجتمع الإسلامي في هذا الإطار..

وتوضيح ذلك أنّ تاريخ البحث في الأديان أعلن أنّ ثورة المناهج الجديدة على القديمة التي يدعو إليها أولئك المتمسلمين..، قد تمّ في أوربا قبل قرنين من الزمان أو أكثر؛ أي حينما رفع دعاة التنوير راية الحرب على المسيحية المتجسدة في الكنيسة.

وفيما ذكر دعاة التنوير المسيحي: أنّ سبب هذه الحرب هو أنّ المؤسسة المسيحية (الكنيسة) والتي انحصرت فيها قيادة الدين لم تنهض بأعباء المسؤلية الإنسانية والأخلاقية والاجتماعية فضلاً عن الدينية، وبكلمة واحدة: لا تمثل

المؤسسة المسيحية دين المسيح عليه السلام بأيِّ نحو من أنحاء التمثيل.

وثورة أولئك الدعاة أضطرمت نارها بسبب فساد هذه المؤسسة اللامحدود، وفي خضمّ هذه الظروف حاول أدباء الثورة استبدال منهج الكنيسة في تفسير المسيحية بمناهج أخرى مغايرة؛ ليقين الشارع المسيحي بأنّ مسيحية المسيح ليست هي التي تزعق بها الكنيسة الفاسدة خلال رؤيتها تلك.

ولا أقل من القول: إنّ الكنيسة ورجالاتها برهن الجميع على أنّ الفساد الاجتماعي والأخلاقي والضياع الديني آثار واقعية للمنهج الفاسد المتبع عندهم في تفسير الحياة..، هذه هي الظروف التي احاطت بثورة دعاة التنوير المسيحيين على الكنيسة باختصار شديد.

وإذن فشروطها وأسبابها وأولوياتها منحصرة بفساد المناهج الكَنَسِيَّة أولاً؛ وليقين الشارع المسيحي بذلك جملةً وتفصيلاً فيما يخص هذه المؤسسة ثانياً..

ولكن هل يمكن قياس ذلك بالإسلام وبالشارع الإسلامي؛ خاصة إذا لاحظنا نقطة مهمة أيضاً وهي أن جوهر المسيحية بعد الثورة ألّا ليكون قانوناً وضعياً علمانياً يدير دفة المجتمع بشتى شرائحه من خلال ذلك؛ وقد جزم دعاة التنوير المسيحيون بأنّ القانون السماوي المزعوم في المسيحية لم تظهر له آثار واقعية ولو كانت لبانت، والمسيحية قبيل الثورة فيما سوى عنوانها غير مستمدة من السماء وبالتالي ليست هي في منهجها الكنسي سماوية، هذا ما يستفاد من كلماتهم.

ولكن ليس هذا هو حال الإسلام بل ليس هو حال أكثر المسلمين في مرحلة الاعتقاد بالمؤسسة الإسلامية في خطوطها العامة؛ ليقين الشارع الإسلامي (في مقابل يقين الشارع المسيحي بفساد المؤسسة المسيحية) بأنّ الفساد لا يمكن أن يعتري المؤسسة الإسلامية بما هي مؤسسة وإن كان قد يعتري بعض رجالاتها أو كثير منهم..، هذا من جهة..

ومن جهة أخرى علينا أن لا نتغافل عن الرصيد السماوي لكل من الدينين الإسلامي والمسيحي؛ إذ لا ريب في أنّ الثاني لا يمتلك عناصر بقائه كدين سماوي خالد؛ أعني بها تلك العناصر التي طواها الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

من كل ذلك نخلص إلى أنّ عملية استبدال المناهج الكلاسيكية بالنسبة للدين المسيحي الذي طرحته المؤسسة المسيحية بشكل كامل، له أسبابه وظروفه وشروطه، الأمر الذي لا يمكن تطبيقه على الدين الإسلامي كمؤسسة ولا على رجالاتها بما هم جميع؛ اللهمّ إلاّ إذا قلنا ـ ونعوذ بالله من ذلك ـ بفساد المؤسسة الإسلامية ككل وبفساد رجالاتها كمجموع؛ ولكنك تعلم أنّ القائل بذلك يستتاب على أحسن الأحوال؛ لأنّ أقل ما في ذلك هو إنكار لضرورية مهمة من ضروريات الدين؛ تلك التي تضمنها قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وهذا إذا كنّا نحاكم المواقف على أساس ديني محض، أمّا إذا أردنا أن نحاكم المواقف والأراء والتوجهات على ضوء منطق آخر فإنّنا ساعتئذ نستطيع أن نقول: ليس من حق أحد ـ أيّ أحد ـ أن يطرح قرائته الخاصّة للنصوص الدينية من دون أن يجعل في حساباته العلمية ـ نؤكد العلمية ـ مقدار الإحاطة الموضوعية بقواعد المعرفة الدينية في نظام الفكر الديني..

فلا يمكن لناقد علم الفيزياء مثلاً أن يخوض معترك النقد في بعض نظريات هذا العلم من دون أن يكون مُلِمّاً بأوّلياته ومبادئه وأساسيّاته، والأمر هو الأمر في علوم الدين الإسلامي..

وفيما يبدو لنا فإنّ أركون مثلاً حينما ينتقد الفكر الإسلامي المطروح مع كونه غير مُلِمٍّ بمبادىء وأساسيّات وأوّليات الدين الإسلامي كما ينبغي أن يكون الإلمام لمن يدّعي إمكانية تطوير العلوم الدينية؛ فإنّه بعمله هذا

ناقض نفسه كثيراً وهو يطرح نفسه مُفكراً؛ لأنّه في هذا الفرض يتجاهل أبسط قواعد التفكير، بل إنّه بعمله هذا سلب عن نفسه صفة الإسلامي بعد أن أثبت هو بنفسه عبر بحوثه المطروحة أنّه غير مُلِمٌ بمبادىء الدين الإسلامي الحنيف كما ألمّ به أهل الاختصاص من علماء المسلمين.

بلى، لا يمكننا أن نسرف في المغالاة لندّعي استقامة جميع رجالات المؤسسة الإسلامية؛ لأننا بحكم قوانين الإسلام فيما يخص عملية النقد الذاتي البناء نحكم بمروق من يمرق عن الدين أو بالتواء الملتوين أو غيرهما من باقي أصناف الضالين، ولكن أين هذا من الاعتقاد بفساد نفس المؤسسة الإسلامية الذي لم يذهب إلى القول به مسلم صحيح الاعتقاد؟!!!.

وإذا كان الأمر كذلك فليس معقولاً أن نحمّل ظروف الأديان الأخرى على مسيرة الإسلام كيما نزعم إمكانية استبدال مناهج التعامل مع عناصر النظرية الإسلامية بالمناهج الحديثة بإلغاء دور الأولى تماماً، نعم هذا ما حصل بالنسبة لليهودية والمسيحية ولبقية الأديان ذات الأصل السماوي وذات الأصل الوضعي أيضاً، لكن ذلك وكما علمت قياس لا يستقيم لاختلاف ذاتيات كل دين مع ذاتيات الدين الإسلامي الباقي ما بقي الليل والنهار، الذي لا ولن تناله يد التحريف باعتبار مجموعه.

وفيما أقطع به فإنّ دعاة استبدال المناهج القديمة بالمناهج الحديثة بلا مسوغ مشروع كلّهم إنّما استمدوا أفكارهم تلك من جرّاء انتمائهم المباشر للمدرسة الغربية في تفسير الأديان؛ إذ هم فيها تلامذة مرموقون، بل وصل الأمر ببعضهم إلى أن يكون أستاذاً مرموقاً يشار إليه بالبنان في أهم جامعات العالم التي تُعْنَى بدراسة الأديان كمحمد أركون..

ولكي تكون على بيّنه من الأمر أورد لك مثالاً واحداً يوضح الحقيقة؛ يدعو فيه الدكتور نصر حامد أبو زيد؛ المطروح على أنّه مفكر إسلامي رفيع المستوى، الأمة الإسلامية إلى عدم انصياعها لمقررات المؤسسة الإسلامية حيال

سلمان رشدي، متهماً رجالات المؤسسة الإسلامية شيعة وسنة في إيران ومصر وباكستان والعراق وسوريا والسعودية وغيرها بأنّهم جهلاء ولا ينبغي مع جهلهم أن يتخذوا موقفهم القاسي من سلمان رشدي ومن روايته، وليس على الأمة تبعاً لذلك أن تنصاع لمقرراتهم غير المسؤولة.

وأكثر من ذلك، نراه ينصح رجالات الإسلام اليوم سواء أكانوا من السنّة أم من الشيعة بأن يتعلموا من رجالات المسيحية المستنيرين أن لا يغضبوا لمحمد ﷺ بسبب رواية رشدي؛فإنّ رجالات المسيحية اليوم موقفهم مستنير ولم يغضبوا للمسيح عليه السلام؛ حيث لم يعترضوا على الفلم الجنسي (sexy film): «الإغراء الأخير في حياة المسيح» الذي أخذ بشخصية السيد المسيح عليه السلام إلى أدنى مرحلة من الامتهان وقلة الأدب فضلاً عن السخرية بالعقيدة وبالله تعالى...

قال سلمان رشدي:

ليس في الرواية هجوم على الإسلام ولا تتضمن أي استهزاء بالعقيدة، كما أنّها لا تعني توجيه إهانة إلى أحد، وأنا أشك أن يكون الإمام الخميني أو أحد من المعترضين في إيران قد قرأ الرواية، بل هم في الغالب، يستندون في أحكامهم على الرواية إلى العبارات أو الجمل المنتزعة من سياقها...، وأنّه لأمر مخيف أن يكون رد فعل الناس بهذه الدرجة من العنف ضد رواية بمجرد رواية يتصورون أنّها تهدد العقيدة وتقف ضد التاريخ الإسلامي كلّه[1].

---

(١) أقول: لست بصدد الرد على هذه الكلمات الملتوية واللامسؤولة، ولكن من حق الجميع أن يسأل: ما هي الوظيفة الأولى لكل من يدعي كما يريد أن يبرهن عليه رشدي أنّه مسلم؟

أليست هي الاعتراف بأنّ الله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد، والذي

ثم علق «أبو زيد» على كلام رشدي قائلاً:

في هذه الجملة الأخيرة من حديث مؤلف رواية «الآيات الشيطانية» سلمان رشدي تنكشف معضلة الخطاب الديني...، ومن المؤكد أنّ رجال الدين وعلماءه ليسوا من أهل الاختصاص في هذا المجال؛ لكنهم رغم ذلك يقيمون من أنفسهم حراساً مدافعين عن العقيدة ضد أخطار من صنع أوهامهم وخيالهم، ومع افتراض صحة وجود تناقض ما بين تأويلهم وفهمهم للعقيدة وبين بعض الأعمال الأدبية أو الفنية فهل معنى ذلك إنّ العقيدة هي بالضرورة الأضعف والقابلة دائماً للانكسار والهزيمة؟ ألا يعني ذلك أنّ هذا التصور المبني على الخوف الدائم أنّ الضعف والتهافت كامن في بنية الخطاب الديني ذاته؟ وليت علمائنا يتعلمون من الموقف المستنير لبعض رجالات الكنيسة الذين رفضوا بشدة المطالبة ـ مجرد المطالبة ـ بوقف عرض إحدى الروايات السينمائية «الإغراء الأخير في حياة المسيح» أو مصادرتها، بدعوى أنها تعرض صورة للمسيح تتناقض مع ما ورد في النصوص الدينية، وكانت وجهة نظر هؤلاء الرجال المستنيرين أنّ المسيحيين المؤمنين أنفسهم قادرون ـ إذا أرادوا ـ على إسقاط هذه الرواية

لم يتخذ صاحبة ولا شريكاً ولا ولداً، قد بعث محمداً سيّداً للأنبياء والمرسلين، وانّه خير الخلق اجمعين، وذو ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ....؟.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل أنّ نتائج رواية رشدي كنتائج القرآن في تحديد شخصية الرسول ﷺ؟

وإذا كان الجواب هو النفي وأنّ النتائج متقاطعة كما يعلم كل احد؛ فما هو موقف الإسلام والقرآن والسنّة الصحيحة من كل ذلك؟!

بل ما هو موقف العقل والضمير والتاريخ من هذا التقاطع؟

على سلمان رشدي وعلى من آواه أن يجيب عن ذلك!!!

بالامتناع من مشاهدتها ومقاطعة العرض، وهكذا يتخلّى رجال الكنيسة عن منطق الوصاية الذي يصدر عن رجال الدين عندنا على ممارسته على العقول والقلوب[١].

أقول: ليس من أهداف الدراسة الرد على نصر حامد أبي زيد، ولكن يجب أن تعرف أنّ المؤسسة الإسلامية بمجموعها وبوجودها المقدس وبتراثها السماوي باعها نصر حامد أبو زيد من أجل الدفاع عن زميله البريطاني سلمان رشدي بأبخس الأثمان، وإلاّ فكيف نفسر دفاعه عنه تحت ذريعة التنوير والحداثة مع أنّه صور الرسول ﷺ بأنّه مشغوفٌ بفروج النساء متفانٍ من أجلها كما يتفانى أهل الدعارة..

وليته اكتفى بذلك وحسب بل تراه يدعو المؤسسة الإسلامية إلى أن تتعلم من المؤسسة المسيحية الرؤية الصحيحة في قراءة الدين وخطاباته، بل الأدهى من ذلك أنّه ترك عوام المسلمين في نصيحته بالتعلم من رجالات الكنيسة المستنيرين حسب زعمه مكتفياً بتوجيه النصيحة إلى علماء الإسلام سنة وشيعة بضرورة أن يكونوا تلامذة لتدهور الفكر المسيحي وللضلال كما يعبر عنه القرآن في قوله: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وممّا يحضرني من ذلك أنّ الأستاذ المرموق محمد أركون يقول في هذا الصدد: ...وبالتالي المجتمعات تجد نفسها عاجزة عن مواجهة الوضع عندما يتعلق الأمر بمناقشة الأنظمة...، أو عندما يتعلق الأمر بمناقشة مدى صلاحية أو عدم صلاحية السلطة اللاهوتية والأخلاقية والروحية الممارسة من قبل الفقهاء الذين لا يعرفون شيئاً عن الحداثة الفكرية[٢].

إنّ اركون عزيزي القارىء يرمي إلى شيء أخطر من ذلك لم يفصح

---

(١) نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبو زيد: ٧٤ ـ ٧٥.

(٢) معارك من أجل الأنسنة: ٣٢.

عنه بوضوح؛ لأنّه وكما هو دأبه بارع في المراوغة والتعمية ورمزية التعبير..، ولكن مهما كان الأمر فقد أفصح تلميذه البار ومترجم كتبه إلى العربية هاشم الصالح عن المقصود؛ بقوله معلّقاً على كلام أركون:

معظم رجال الدين تقتصر معرفتهم على التراث التقليدي، ويجهلون كل الفتوحات الفلسفية والعلمية التي حققتها الحداثة منذ أربعة قرون...، ولهذا السبب لا يزال اللاهوت الإسلامي تقليدياً ومحصوراً داخل إطار الذهنية المدرسانية[1]؛ هذا في حين أنّ اللاهوت المسيحي في أوربا حقق قفزات هائلة، ووصل إلى ما بعد الحداثة، وهو لاهوت تحريري متسامح ومنفتح على كافة التيارات[2].

فأمعن النظر في قوله: لا هوت تحريري متسامح، وقارنه بقول نصر حامد أبو زيد: وهكذا يتخلّى رجال الكنيسة عن منطق الوصاية الذي يصدر عن رجال الدين عندنا على ممارسته على العقول والقلوب..، فهذه هي الغاية!!!.

عزيزي القارىء: هذا مثال من الأمثلة، يوضح خطورة رؤية استبدال مناهج علماء الإسلام المتفق عليها فيما بينهم بالمناهج الحديثة التي يدعو إليها دعاة الحداثة كـمحمد أركون ونصر حامد أبو زيد وعابدين وسروش وغيرهم؛ إذ ما ينشده هؤلاء هو عين ما صرح به نصر حامد أبو زيد أو هاشم الصالح آنفاً؛ والذي هو نتيجة القراءة غير المتكاملة للنظرية الإسلامية، وفيما أعتقد فإنّهم في هذا لا يعذرون....

بيد أنّ الخطب يهون؛ لأنّ المؤسسة الإسلامية؛ سنّية كانت أم شيعية وبالإستناد إلى أولوياتها السماوية وثوابتها الأساسية الأولى لا تعترف

---

(١) يقصد من الذهنية المدرسانية: الذهنية المتحجرة.

(٢) هامش معارك من أجل الأنسنة: ٣٢.

لهؤلاء أو لبعضهم بالعضوية الإسلامية ضمن إطار المؤسسة التي لها الصلاحية في صنع القرار الإسلامي..

أمّا أولاً: فلأنّهم ليسوا من أهل الشأن؛ إذ ليسوا هم من الفقهاء أو من المفسرين أو غير ذلك.

وأمّا ثانياً: فلأنّهم ليسوا من أولئك الذين صرفوا جل عمرهم بحثاً وتنقيباً في العلوم الإسلامية الأساسية؛ كالحديث والتفسير والفقه والكلام وعلوم القرآن والمنطق والرجال والدراية، والكلام في هذا الأمر طويل لا يسعه ما نحن فيه....

الإسلام ومناهج البحث العلمي المتطورة :

ويبقى الكلام في المعنى الثاني من معنيي عملية استبدال المناهج القديمة بالمناهج الحديثة؛ فإذا كان المقصود من الاستبدال هو تطوير تلك المناهج باعتبار تغيُّر الوضع الاجتماعي وحركة التاريخ، فهو في الجملة أمر لم يختلف فيه مسلمان من المسلمين؛ وذلك لليقين بأنّ النظرية الإسلامية غضة طرية في كل مرحلة من مراحل التاريخ، وهي من خلال ذلك شاملة لكل تغيير ومحيطة بكل تحول، ولكن كيف يتم التطوير؟

ببساطة شديدة ليس التطور والتطوير يقتضي بالضرورة الإبتعاد عمّا نحن عليه من موروث، ولو كان الأمر كذلك فبطلانه من الناحية الشرعية أمرٌ محتوم؛ وأقل ما يقال في ذلك أنّه والحال هذه خلاف إجماع الأمّة..

إنّ التطوير في معناه الممدوح والذي حث عليه القرآن هو أن نقرأ تراثنا المقدس في ثوابته العقلية والشرعية وفي نصوصه المقدسة قراءة ثانية..، الهدف منها استدرار أسرار ذلك التراث السماوي واستنزال عناصر القوة المطوية فيه، الأمر الذي يتطلب من العقل الإسلامي مزيداً

من الفعّالية عبر آليات التفكر والتعقل بآيات الله والاعتبار في آياته جلت أسماؤه.

وفيما يبدو لي فإنّ عمليات التفكر والتعقل بنظرية الإسلام المطوية في القرآن وفي كلام المعصوم، تهدف إلى عدم الجمود على النصوص المقدسة (القرآنية والوحيوية الأخرى) من دون تفعيل؛ فإنّ استكشاف حيويتها وقوتها وفعّاليتها لا يتم بالشكل المطلوب إلاّ إذا ارتقينا بها وجعلناها محكّاً لكل أطروحة غير إسلامية؛ إذ في هذه الصورة تتم عملية تفعيل النصوص والخروج بها عن دائرة الجمود، بيد أنّها عمليّة متوقفة تماماً على عمليّة تفعيل العقل الإسلامي نفسه، والأمثلة على ذلك لا تحصى في غاية الكثرة..

فمثلاً: ألا ترى الفرق الواضح في استثمار النصوص المقدسة الإسلامية مِنْ قِبَلْ كُتّابنا الإسلاميين بعد أن جاءت الديالكتيكية التي طرحت نظرية المعرفة على أساس النظرية الواحديّة في التاريخ (=العامل الاقتصادي) وعلى أساس الإلحاد بالله تعالى ذكره؟

لا ريب في أنّ الإسلاميين حينما تصدوا لهذا الفكر ولغيره بالاستناد إلى الثوابت السماوية؛ مستنطقين النصوص الإسلامية خلال كتاباتهم ومقالاتهم؛ تلكم الكتابات والمقالات بل والأطروحات المستقاة من المخزون الإسلامي التي لم يكن لها من ذكر قبل وجود الديالكتيكة..

أقول: لا ريب في أنّ هذه الكتابات المشكورة لدليلٌ دامغٌ على إمكانية استثمار النصوص واستدرار الخير الذي فيها، ومن ثمّ هو لدليلٌ دامغٌ على ضرورة البحث عن الآليات التي بواسطتها نستطيع تفعيل هذه النصوص واستثمارها للدفاع عن الإسلام لا أقل..

وقل مثل ذلك حينما تشخص أمامك كتابات الإسلاميين ومواقفهم العلمية ـ المحمودة والمشكورة ـ من الأمبريالية ومن الوجودية ومن الوضعية

ومن الليبرالية وغيرها من الأفكار الأرضية..

بيد أنّ ما يؤسف له أنّ القصور والتقصير أمران لا مناص لنا من الاعتراف بهما؛ ففي الوقت الذي تضم نصوصنا المقدسة أبحر من المعرفة وفي شتى مجالات الحياة نجد أنّ الاستفادة منها لا تقر العيون بملاحظة موقعيتها السماوية وبملاحظة التغيرات الخارجية.

إنّنا في هذه الأيّام مثلاً وجدنا توجهاً إسلامياً ملحوظاً في تطوير مناهج التعامل مع النصوص الوحيوية، وذلك فيما نراه من طروحات وكتابات تهدف ساعية إلى استخلاص نظرية اجتماعية أو اقتصادية أو أخلاقية أو إنسانية أو فلسفية أو رياضية أو طبية أو غير ذلك ممّا لم يكن له وجود من قبل..

ولكن مع ذلك فهذه الطروحات والكتابات وإن كانت مشكورة (بما تحمل كلمة شكر من معنى) إلا أنّها أقل من المتوقع؛ لأنّها مع كونها قليلة باعتبار أنّها ليست السمة العامة للعقل الإسلامي، هي كذلك ليست بمتماسكة من كل الجهات؛ لضعفها في بنائها الفني إذا ما قيست بما كتبه سارتر مثلاً أو غيره؛ فهي وإن كانت ـ بلا أدنى شك ـ أصدق وأحق من بواطيل الوجودية التي يفتريها سارتر وغيره في حق الإنسانية إلا أنّه وكما يقول المثل: (الكذب المرتب أفضل من الصدق غير المرتب).

كل ذلك يدل على أنّ النظرية الإسلامية المؤلفة في بنائها الذاتي من النصوص القرآنية ومن نصوص المعصوم إذا ما فُعّلت واستثمرت كما أراد لها الله تعالى والمعصوم أن تستثمر، فهي آنئذ يمكنها وبكل جدارة أن تصارع كل الأفكار الأرضية التي تعمل بشكل وبآخر على عرقلة تطبيق النظرية الإسلامية في مجالاتها المتعددة.

وليس من شك في أن الصدق منحصر بمقررات الإسلام دون سواه، ولكن مع ذلك ينبغي أن يُعْرَض الإسلام للعالم باستنطاق نصوصه بما

يلائم حركة التاريخ والعقل البشري في كل حين، وأكثر من ذلك وهو أن يلحظ الجانب الفني في عملية عرضه بعد الاستنطاق؛ بداهة أنّ العامل النفسي من أهم العوامل إن لم يكن أهمها فيما يترتب على العرض من استقطاب وانقياد وإقناع.

هذا ما نقصده ـ حرفاً بحرف ـ من عملية تطوير المناهج الكلاسيكية في التعامل مع النصوص الإسلامية المقدسة، على أن لا يفهم من هذا الكلام توجيه اللوم على علماء الإسلام السابقين في هذا الأمر؛ فلكل مقام مقال ولكل حال حال؛ إذ من الجنون أن نلوم علماء الإسلام الذين عايشوا العصر العباسي لأنّهم لم يوصلوا إلينا نظرية اقتصادية أو اجتماعية أو فلسفية أو...، لها القابلية اليوم على مقارعة المادية التاريخية أو مجالدة الإمبريالية التي ولدت في القرن الماضي، أو على أن تقف بوجه نظرية مالتوس في التوازن السكاني...؛ إذ الاستنطاق والاستثمار تراعى فيهما الشروط الذاتية والموضوعية والتاريخية على حد سواء...، المطلوب هو استنطاق النظرية الإسلامية حسب الشروط التاريخية والظروف الإنسانية كلما أمكن.

وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ الشرط الذاتي لعملية الاستنطاق هو تفعيل عمليات العقل الإسلامي من التفكر والتعقل، وقد حث الله تعالى بني البشر فضلاً عن المسلمين إلى هذه العمليات؛ للثبات على صراطه المستقيم..؛ باستكناه أسرار الدين المحمّدي على صاحبه وآله أفضل الصلاة وأتم التسليم، كل ذلك لأجل بقاء النزعة المحمدية ﷺ في القلب الإسلامي نابضة.

قال تعالى في محكم الكتاب: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] فهذه الآية واضحة الدلالة لا

(١) النحل: ٤٤.

إجمال في معناها العام ولا إلى ما تهدف إليه؛ لعدم الشك في أنّها تحث على التفكر في ما أُنزل على الرسول من مقررات وحيوية؛ تلك المقررات التي أنزلت قوانين سماوية غير مفهومة للناس كثيراً بسبب إجمالها، الأمر الذي حدا بحكمة الله تعالى لأن توصي الرسول ﷺ ببيانها للناس كيما تكون في متناول من كان له قلب منهم....

إجمالاً على هذه الشاكلة تطرح المناهج الكلاسيكية قراءتها لهذه الآية المباركة؛ ولا نشك في أنّ ما طرحته حق لا يعتريه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا أقل من أن المسلمين أجمعوا على نتيجة هذه القراءة، ولكن هل استدرّت تلكم المناهج كل ما هو مخزون في هذه الآية أو لا؟.

بل لنا أن نتساءل هكذا: ما هي حكمة التفكر فيما أنزل إليهم؟

هل هي بسبب إجمال ما أنزل وبسبب التفكر يكون بيناً؟

وإذا كان البيان هو وظيفة الرسول ﷺ وأنّه أدّاه إليهم خير أداء فما هي الحكمة الباقية والهدف من التفكر؟ وهل هناك بعد إنزال الشريعة وبيانها من داع للتفكر؟

واضح من الناحية المنطقية أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتردد بين كونه لغواً وبين كونه يحث على شيء عظيم.

والأول: لا يتفوه به مسلم، أمّا الثاني: فنحن لا نشك في أنّه يؤيد رؤيتنا في تقسيم النصوص المقدسة إلى قسمين، وأنا أحسب أنّ قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يهدف إلى خلق علاقة نفسية بين الإنسان وبين ما أنزل إليه، بداهة أنّ كثرة التفكر والتفكير في الشيء يوطّد أواصر تلك العلاقة.

ومعلوم أنّ هذا بدوره يورث اليقين أو الاطمئنان بما أنزل الله وأنّه

هو الحق دون غيره، وهذا بنحو وبآخر آلية للمحافظة على ما أنزل الله من الضياع، إذ الانجذاب النفسي من أقوى آليات المحافظة.

أضف إلى ذلك فإنّ: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ مطلق؛ أي يتفكرون في كل شيء لا في شيء دون آخر، وهو على إطلاقه لا يختص بوقت نزوله قبل ألف وأربعمائة سنة، بل يحث العقل الإسلامي على أن يكون فعّالاً في كل زمن وفي كل أروقة التفكير.

وعلى الإنسان المسلم بنحو خاص أن لا يجمد على النصوص، بل عليه أن يستثمرها ويسعى جاداً لتأسيس النظريات السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو النفسية الكاشفة عن عمق النظرية الإسلامية طبقاً لحركة التاريخ؛ تلك النظريات التي يزعم الغرب العلماني الوضعي أنّه من خلالها سبقنا كمسلمين عدة عقود من الزمن.

غير أنّ هذا لا يتم من دون علاقة نفسية بين نفس الشريعة وبين المسلم؛ تخلق فيه حسّاً دينياً يجعله أسيراً لقدسية الإسلام ولقدسية نصوصه، وهو ما سنتعرض له في الفصل الثاني من هذه الدراسة..

ويؤيد كل ما تقدم، بل يدل عليه أنّ قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1] ليس هو تشريع ولا علاقة له مباشرة بنظرية الحلال والحرام، وهو يعني أنّ موضوع التفكر أعمّ وأشمل مّما هو مطروح.

فمن خلال هذه الآية يكون موضوع التفكر هو القصص القرآني، وهذا يعني أنّ عناية الله تعالى والرسول ﷺ بما هو ليس بحلال وحرام عناية مهمة، ولا غرو فإنّ جزءاً كبيراً من مجموع آيات القرآن هو القصص القرآني وذكر أحوال الأمم السالفة الماضية.

---

(١) الأعراف: ١٧٦.

أسانيد روايات الصلاة في ضوء المنهج الكلاسيكي:

ولأننا نعتقد يقيناً بأنّ مناهج علماء الإسلام الماضين المتفق عليها فيما بينهم هي مناهج حقة ورصينة، ولا يمكن تجاوزها بحال من الأحوال فإنّ هذا يدعونا إلى التزامها كلما قررت هي ذلك، وممّا تقرره مما هو مهم في سلامة البحث عن الزيغ هو التعرض لثبوت صدور النص عن الرسول المصطفى ﷺ وعدم ذلك..

بيد أن التعامل مع النصوص الإسلامية فيما يتعلق بالذكر عموماً والصلاة بنحو خاص من جهة ثبوت صدورها وعدم ثبوت ذلك عن الرسول المصطفى ﷺ أو عن المعصوم بشكل عام، قد يكون تعاملاً تسامحياً عبر قاعدة سُمّيَت قديماً بـ (قاعدة التسامح في أدلة السنن)..

ولكن لا داعي لأن أعرض موقفي العلمي من هذه القاعدة التي ينحصر موضوعها بالمندوبات الإسلامية إذا ما وردت بسند ضعيف؛ لأنّ عملنا في هذا الكتاب لا يرتبط كثيراً بمقررات هذه القاعدة المتساهلة؛ وذلك لما مر من أنّ منهج دراستنا هذه قد أخرج صيغة: «**اللهمّ صل على محمد وآل محمد**» عن العبادة الشخصية ذات القالب الصوفي إلى كونها آلة سماوية من آلات الصراع من أجل الدين والضمير، وهذا يقودنا بالضرورة لأن نتحقق من الصدور وعدمه بإصرار..

ونشير إلى أنّ الأدوات العلمية الكلاسيكية الموظفة للحكم بصدور النصوص المقدسة وعدم صدورها؛ أي الحكم بكونها صحيحة أو ضعيفة على قسمين متفق عليها بين أهل الإسلام ومختلف فيها، والمتفق عليه ـ فيما نعتقد جميعاً ـ مقدم على المختلف فيه، ولا خلاف في أنّ نسبة شيء إلى الوحي وإلصاقه به من دون سند معتبر، هو من الأمر المحرم؛ لأنّ النسبة والحال هذه تشريع لم يأذن به الله تعالى والعكس بالعكس تماماً.

لذلك فعملنا في هذا الكتاب سوف يؤكد على اعتبارية صدور النص وعدم صدوره؛ لأنّ المسألة، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار حرمة التشريع من دون قانون وحيوي يسوغ لنا التشريع، خطيرة للغاية.

أقول: إنّ عملنا سوف يؤكد على ذلك لكن بنحوين.

الأول: أنّنا لن ندعي شيئاً وننسبه إلى شرع الإسلام إلاّ إذا كان ممّا ورد بسند معتبر لا شذوذ فيه ولا علة، مراعين فيما سوى ذلك الإجماع والشهرة وطريقة علماء الإسلام، حَذَرَ الوقوع في محذور التشريع في الإسلام الذي لم يمضه الإسلام، وهو كما عرفت محرم إجماعاً، بل هو الضلال بعينه.

الثاني: أنّنا متيقنون ونعلم بالعلم الإجمالي صدور كثير من روايات الصلاة عن الوحي والمعصوم، بل نعلم تفصيلاً جزماً خلال كثير من الروايات أنّ الصلاة محبوبة للشارع في كل الأحوال تقريباً، وأنّه ندب إليها وحث عليها؛ مرصداً لها ثواباً عظيماً ومن ثمّ فهي متداخلة عضوياً مع باقي مفردات النظرية الإسلامية.

وإذا كان الأمر كذلك وبشرط أن لا تكون الرواية موضوعة من الناحية السندية، سوف نحتج بالضعيف من الأخبار في بعض الصور؛ يسوّغ لنا ذلك أنّ الأخبار في هذه الصورة لا تخرج عن دائرة العلمين الإجمالي والتفصيلي آنفي الذكر، وليس في ذلك شططٌ عن ثوابت الإسلام.

وأكثر من ذلك وهو الإجماع على تسويغ الاحتجاج بالخبر الضعيف إذا انجبر بعمل الفقهاء؛ بداهة أنّ عمل الفقهاء في هذه الصورة قرينة خارجية على قوة احتمال صدوره عن الوحي والمعصوم، والأمر هو الأمر في أخبار الصلاة، حذو القذة بالقذة.

الفصل الثاني

الصلاة
ونظرية الحس الديني

الصلاة
ونظرية الحس الديني

الذكر وأزمة المناهج الكلاسيكية:

إنّ الإسلام حث على الأذكار الواردة في الشرع المقدس: كالتهليل والتسبيح والتكبير، والصلاة على محمد وآل محمد وغير ذلك ممّا يكشف عن اهتمام الوحي الشديد بهذه الأمور، غير أنّ المناهج الكلاسيكية مع تقديسنا الكامل لها لم تعر أهمية كبيرة للأذكار كما أعارت كل أهميتها للفقه والتفسير والأصول والكلام، مع أنّ الوحي جزم أنّ: ﴿بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وجزم في غيرها من الآيات والروايات بأنّ للذكر أهمية قصوى في بناء الإنسان والمجتمع من خلال إعمار القلب بالاطمئنان..

أنا أدعو إلى تطوير المناهج الكلاسيكية لأجل الاقتدار على كشف ما يتسنى لها اكتشافه من أسرار الشريعة فيما يتعلق بالذكر على أقل التقادير؛ لما في الذكر من بناء نفسي وإنساني وإجتماعي، فليس قليلاً أن يقول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

وأياً ما كان الحال ففيما نحسب أخرجت المناهج المتطورة في قراءة النصوص الإسلامية الذكر عن دائرة العبادة الشخصية ذات الرؤية الصوفية إلى بناء الإنسان والمجتمع في فضاء الصراع الإنساني، والصلاة على محمد

---

(١) الرعد: ٢٨.

وآل محمد على ما عرفت وعلى ما ستعرف خير مثال على ذلك؛ إذ هي طبقاً لمنهجنا خرجت بجدارة عن دائرة العبادة الشخصية الساذجة؛ لأنّ أدوارها ووظائفها أكبر بكثير ممّا تطرحه المناهج ذات النظرة الأحادية للدين.

إنّ هذه المناهج تتعامل مع مطلق الذكر عموماً، ومع الصلاة على محمد وآل محمد على وجه الخصوص على أنّها عبادة تدور مع ما أسميناه بالعبادة الشخصية، وهذا وإن كان صحيحاً إلاّ أن دعوى اقتصار وظيفة الذكر على ذلك وأنّ دوره لا يتعدى هذا الدور سذاجة كاملة، وهو تسخيف (غير مقصود طبعاً) لوجوده القدسي في عالم بناء الدين والمحافظة عليه من الضياع، وهذه هي الأزمة.

وقد نشأت هذه الأزمة وترعرت جرّاء عدم الوقوف على أسرار النصوص الإسلامية ولا على ما يريده الإسلام منها بملاحظة الدور والوظيفة؛ لأنّ المناهج تلك كما يشهد الواقع لا تتعامل مع الإسلام إلاّ في إطار نظرية الحلال والحرام (العبادات والمعاملات) المستقاة من القسم الأول من النصوص الإسلامية؛ فهي تفسر النصوص الإسلامية بقسميها الأول والثاني في دائرة التشريع والفقه ليس غير مع أنّ هذا خطأ محض..

فمثلاً حينما تفسر قوله ﷺ: **«هذا علي ولي من بعدي، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»**[1] تتعامل معه في مرحلة النتيجة على أنّه نص من نصوص نظرية التشريع وتكتفي بالقول: بأنّه نص على أنّ أمير المؤمنين علياً هو ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ، وينبغي على ضوء ذلك أن يرجع إليه المسلمون، وأنّ الأمر والنهي له دون سواه من باقي الناس،

---

(١) نص جمع غفير من علماء أهل السنة بتواتره عن رسول الله ﷺ منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٤، والمناوي في فيض القدير ٦: ٢١٨، والألباني في سلسلته الصحيحة ٤: ٢٤٣، وغيرهم.

باعتباره خليفة الرسول والقائم مقامه، وأنّ من ينازعه الأمر مع وجود هذا النص على الأقل هو ظالم و....

أقول: هذا وإن كان صحيحاً قطعاً، إلاّ أنّه وكما أراه بوضوح تفسير لم يستنطق النص أعلاه بشكل جيد؛ لأنّ هذا النص وحسب رؤيتنا في التقسيم ينطوي فضلاً عمّا ذكر على عناصر تحديد هوية الإسلام الباقي خلال الولاية لا الإسلام الساذج من دون وصف البقاء، الأمر الذي عجزت المناهج الكلاسيكية أو تكاسلت عن اكتشافه بشكل منهجي.

بلى، يذكر الكلاسيكيون أنّ علياً هو أمير المؤمنين وهو المعصوم الذي من دونه لا يبقى الدين..

ولكن كيف؟

وما هي الآلية الوحيوية لذلك؟

وطبقاً لأي فلسفة؟

وعلى ضوء أيّ رؤية (عقيدة)؟

وكيف تتبلور نظرية الطاعة والمعصية والثواب والعقاب منهجياً خلال ذلك؟

هذا ما لم يخطر ببال المناهج الكلاسيكية أن تتعب نفسها كثيراً من أجله!.

لذلك نحن ندعو بشكل عام إلى الإمعان في البحث عن أسرار الإسلام المطوية في مئات بل آلاف من نصوصه المقدسة؛ لأنّ ما يلازم ذلك (فيما يخص موضوعنا على أقل التقادير) هو الاندفاع الهادف إلى قراءة النصوص الإسلامية الموصية بممارسة عملية الذكر عموماً والصلاة على محمد وآل محمد على وجه الخصوص، قراءة هادفة، وإذا ما تم ذلك سنقف على

أسرار الأذكار الإسلامية وأنّها ليست عبادة ساذجة كما هي في تصور كثير من المثقفين الليبراليين.

وفيما نعتقد فإنّ القراءة الهادفة عبر المناهج المتطورة سيوقفنا على فلسفة الوحي الكاملة في بناء النفس والمجتمع من خلال كل المحاور المتصورة، ولا أقل من خلال المحور الأخلاقي؛ ألا ترى ونرى أنّ الأخلاق الإيجابية تتطارد معها عملية التماسك الإجتماعي والأسري مثلاً؟!

ويكلمة واحدة أصور أصحاب المناهج الكلاسيكية: كمن يملك كنوزاً من الجواهر الثمينة النادرة ولكن لا يعرف كيف يستثمرها لكي يكون أغنى رجل في العالم!!!.

الذكر وأزمة المناهج الانفلاتية:

في الوقت الذي ندعو الكلاسيكيين إلى الخروج عن أزمة المناهج القديمة إلى مدى رحيب واسع يمكنه استنطاق النصوص المقدسة واستنزال الخير الذي فيها لغرض بناء الحياة بما يلائم حركة التاريخ، لا يسعنا إلاّ الاعتقاد بأنّ هذه المناهج مع كل آلياتها هي المادة الأولية لكل تطور ولكل بناء، وهي الأساس الأول لبناء العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ولكن فلنحذر أن نستبدل كل تلك المناهج بمناهج أُخرى تأسست على ضوء المنطق الجدلي(١) أو أن نستبدلها بمناهج تأسّست على ضوء

---

(١) عزيزي القارىء سأستعين بنباهتك لكي أوضح لك حدود مقولة المنطق الجدلي (=الديالكتيكي) ولكن ليس بشكل نظري بل ميداني من خلال هذا المثال..

سأل بعض الأساتذة محمد أركون في مؤتمر علمي قائلاً: هل أنت مستعد لأن تضع موضع الشك ولو آية واحدة من القرآن طبقاً لرؤيتك؟ إنّ هذا النص معترف به اليوم بأنّه نص تاريخي من قبل كل الباحثين سواء أكانوا مسلمين أم

المنطق الوضعي[1] كما يفعل محمد أركون ونصر حامد أبو زيد وحسن

مسيحيين ام يهود أم من أيّ اتجاه آخر، وهم مستعدون للإعتراف بأنّ النص الذي ظهر في القرن السابع الميلادي؛ أي في عهد النبي ﷺ هو نفسه الذي بين أيدينا اليوم في القرن العشرين.

فأجاب أركون قائلاً: هذا السؤال يحصرنا في نوع من المبارزة كتلك التي كانت تدور في العصور الوسطى؛ إمّا هكذا وإمّا هكذا..، إنّ منطق «النعم واللا» لم يعد هو منطق علوم الإنسان والمجتمع؛ إنّ منطق «الصحة واللاصحة» تافه للغاية. أنظر الفكر الإسلامي لمحمد أركون: ٥٧ ـ ٥٨.

عزيزي القارىء يكفينا هذا المثال لنستبين خطورة هذا المنطق وسقم هذا المنهج؛ فأركون على ضوء هذا المنطق ليس بمستعد لأن يعترف بالقرآن كما ينبغي أن يعترف به كل مسلم؛ وليت أركون كان ملتفتاً إلى مغبّة ذلك عقائدياً ليعترف مثل الآخرين بلا تردد بأنّ النص القرآني اليوم هو ما أنزل على محمد ﷺ بالأمس؛ وفيما يبدو لي فإنّ أركون على سعة اطّلاعه في مضمار العلوم الإنسانية لم يقف بجدّية وموضوعية عند العقائد الإسلامية الضرورية وقفة متأنٍ حذرٍ ملمٍّ بأبعادها المعرفية؛ وفيما يبدو لي أيضاً فإنّ تأنّيه وحذره منصبّ على العلوم الإنسانية التي برع هو فيها، ولكن على حساب غيرها ممّا هو أهمّ منها فيما نرى وترى!!!.

(١) قام هذا المنطق على أساس المقاطعة الكاملة مع الميتافيزيقا (ما وراء المادة)؛ فهو لا يعطي دوراً لغير مقررات العلوم المادّية؛ من رياضية وكيميائية وفيزيائية وغيرها في تفسير الكون والحياة وبالتالي لبناء الإنسان والمجتمع، على أنّه في مبدأ أمره قام على أساس الإلحاد بالله تعالى...!

ولكني أتحدّى كل قوانين الرياضيات والفيزياء والكيمياء و...، أن تأتينا بتفسير لانتصار الرسول محمد ﷺ في معركة بدرٍ مثلاً؛ لأنّ هذه المعركة كما

حنفي وسروش وغيرهم من حيث يدرون أو لا يدرون، فهذا انفلات خفي عن مقررات الإسلام، ولا يسعني في هذا المختصر أن أوضح سقم منطق هؤلاء، بل ليس من هدفي ذلك في هذه الدراسة المتواضعة، ولكن أكتفي بالقول: إني قرأت لكل هؤلاء المنفلتين عن السبيل الإسلامي فلم أجد في كل كتاباتهم تعرضاً لأهمية الذكر في البناء الإسلامي العام، مع أنّ الإسلام نفسه ومن خلال عشرات الآيات المحكمة أوصى بالذكر كثيراً، بل عرض آثاره في حصول الاطمئنان القلبي وتماسك المجتمع الإسلامي والبشري عموماً، فلماذا؟

وهل أنّ كل هذه الآيات وكل تلكم الروايات المتواترة والمستفيضة لغو في نظر الانفلاتيين؟!!!

السبب في ذلك أنّ هذه الرؤى الانفلاتية المارقة لا تصور الإسلام إلاّ على أنّه مجرد قوانين ينبغي أن تعامل مثلما عوملت القوانين المسيرة للمجتمع المسيحي بعد الثورة الفرنسية، والمختصون في علم القانون يعلمون أنّ القانون من هذا القبيل ليس في قاموسه مجال لذكر الله، بل حينما تطّلع إجمالاً على قوانينهم في مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والأخلاق والدين تجزم أو تكاد تجزم بأنّ الذكر وكما يصرح بعضهم هو عملية إضافية قد تتعرقل بسببها مسيرة الحياة!!!.

إنّ المناهج الانفلاتية تصور عملية الذكر (كما توحي بعض عباراتهم)

تقرر هذه العلوم ينبغي أن تكون في صالح قريش الوثنية لا في صالح المصطفى محمد ﷺ؛ ولكن هذه ظاهرة واحدة من آلاف الظواهر؛ إذ ما هو تفسيرهم لانتصار محمد ﷺ اللامتناهي في العالم مع أنّ شروط إنتصاره الذاتية والموضوعية في عهد الرسالة فيما تقرر هذه العلوم تكاد تكون قريبة من الصفر؟!!!.

بالعملية الشخصية التي إذا ما تعاطاها الإنسان أو لم يتعاطها فأمر لا يستحق الوقوف عنده كثيراً أو قليلاً، ومع أنّ هذا في نفسه خطأ محض وجهل كبير؛ فإنّنا برهنا سابقاً أنّ فلسفة الذكر بنحو عام تنطوي على فلسفة الإبقاء على المبدأ، الا ترى أنّ البوذيين اليوم قد أثرت أذكارهم في إبقاء مبدئهم صامداً حتّى هذه الساعة؟

أليس من الضروري أن نسأل عن علّة اصرار اليهود عبر آلاف السنين لأن يبقوا واقفين أمام ما يسمّى بحائط الغفران في بيت المقدس ساعات متتالية مرتلين آيات من توراتهم المحرّفة مع تلك الهزّة التي تقشعرّ منها الروح كما يقشعرّ منها البدن؟

وقس الأمر على الأذكار الإسلامية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

على أنّ هذا الأمر ليس ترفاً فكرياً أو رؤية صوفية ساذجة؛ فقد قرر علماء الإجتماع والإنسان بنحو عام أنّ للذكر والتذاكر دورٌ كبير وملحوظ في خلود نفس النصوص، وفي إبقاء ذاتها من دون ضياع عبر ما أسماه سارتر بـ (سسيولوجيا التلقي)[١].

أضف إلى ذلك فإنّ التزام رؤية المناهج الانفلاتية فيما يتعلق بالذكر وأنّه أمر لا يستحقّ الوقوف عنده كما هو ظاهر كل كتاباتهم الوضعية المؤسسة على ضوء منطق اللاصح واللاخطأ (=الجلل) اتّهامٌ صريح للقرآن الموصي كثيراً بممارسة هذه العملية..؛ خذ مثلاً قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا

(١) بحث في هذه المقولة وتناولها بالدراسة جون بول سارتر في فرنسا ثمّ تبعه على ذلك هانس جوس في ألمانيا، ومعناها باقتضاب: أنّ أي عمل من الأعمال الفنية أو أي نص من النصوص لا يبقى ولا يدوم إلاّ بالمساهمة الفعّالة والتدخل المستمر لجمهوره المتتالي عبر التاريخ وعلى شتّى الأصعدة.

اللهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾(١).

وكما فات على المناهج الكلاسيكية ـ من غير عمد ـ الوقوف على فسلفة الذكر وأنّه من آليات الإبقاء على الدين في إطار صِيَغِهِ الشرعية (لا البدعية)، ضاع على المناهج الأخرى وعلى أصحابها الوقوف على هذه الفلسفة عن عمد وعن غير عمد؛ وآية ذلك أنّهم في كل كتاباتهم لا يتعرضون إلى آليات النظرية الإسلامية في الإبقاء على الدين، وكل ما يزعقون به هو أنّ الإسلام عبارة عن قوانين مجردة ينبغي أن تعامل كما تعامل القوانين الوضعية بملاحظة الزمان والمكان...، وليس هذا محل مناقشتهم بالكامل.

الذكر وعمق النظرية الإسلامية:

الذي نراه بوضوح أنّ النظرية الإسلامية ليست ساذجة كما يتصور الغير، وليست هي في صدد تقنين القوانين وتشريع الشرع وحسب؛ فهي ليست طقوساً وعبادة بالمعنى الذي يطرحه مفكرو الغرب حينما يتناولون الإسلام بالدراسة بالمقارنة مع المسيحية أو اليهودية، نعم أنا أتفق معهم فيما يخص اليهودية والمسيحية دون الإسلام؛ لعدم الشك في أنّ ذينك الدينين لا وجود لهما إلاّ في عالم الكنيسة، هذا إن وجدا في الكنيسة كما أريد لهما أن يوجدا!

فإنّ الملاحظ الذي لا شك فيه أنّ أحسن ما في اليهودية والمسيحية المطروحتان اليوم هو بعضُ الطقوس المجردة عن ما يوجب بناء الإنسان والمجتمع فضلاً عن بناء الآخرة..؛ وآية ذلك أنّ القانون الذي يلائم إدارة هذين المجتمعين في كل مجالات الحياة هو القانون الوضعي الذي لا يعرف

---

(١) الأحزاب: ٤١.

شيئاً عن موسى والمسيح، بل الذي لا يريد أن يعرف شيئاً عنهما، وبالتالي الذي لا يريد أن يعرف شيئاً عن الله..

يقول نيتشة في هذا الصدد: كل واحد منّا ساهم في اختفاء مفهوم الله، أو غيابه عن الساحة.

وقد علّق أركون على هذا الكلام قائلاً: بمعنى أنّ كل واحد منّا ساهم في إزاحة التقديس عن السماء الأوربية والدخول في العصر الوضعي والصناعي المحض[1].

ويقول ماكس فيبر في كتابه الشهير خيبة العالم: إنّ العالم الأوربي قد أصبح خاوياً وخائباً بعد انحسار التقديس عنه؛ أي بعد انحسار المسيحية وصعود الوضعية والعلمانية وغياب الله[2].

والشيء نفسه فعل المفكر الفرنسي مارسيل غوشيه في كتابه خيبة العالم؛ الذي حاكى فيه كتاب ماكس فيبر الآنف بتنشيط عنوانه ومضمونه..

عزيزي القارىء إنّ التدهور الأخلاقي والاجتماعي، والنزول بمستوى الإنسانية ومن ثمّ الصعود بمستوى الوضعية والعلمانية أمرٌ واضح في تلكم المجتمعات قياساً بمجتمعنا الإسلامي، وقد أنصف مفكّرو المسيحية الإجتماعيون والأنثربولوجيون حينما اعترفوا بذلك..، مطالبين بصحوة جدية لمجتمعهم الذي نازعت فيه إنسانيته أنفاسها الأخيرة..

فهم اليوم يطالبون بإرجاع مقولة التقديس إلى ذلك المعجم الذي أضاع معالمه القانون الوضعي شرّ ضياع؛ أعني به المعجم الذي يجمع بين دفتيه الكلمات المقدّسة ذات النزعة السماوية كـ: God [3]، الروحانية،

---

(١) قضايا في نقد العقل الديني لأركون: ٢١٠.

(٢) حكاه عنه أركون في كتابه نقد العقل: ٢٠٩.

(٣) لم أضع في المتن لفظ الجلالة «الله» باللغة العربية ووضعت مرادفه بالانكليزية؛ محيلاً سبب ذلك إلى فهم القارىء النابه!!.

النفس، الخلود، الإيمان، التقديس، التجلي، الشعائر، الوحي، الحياة القلبية، الذكر، الثواب السماوي، و...[1].

هذا يعني أنّ أحسن ما يُقَيِّمُ به المجتمع المسيحي مثلاً هو أنّنا لا نجد لله ذكراً في سمائه يُقْنِع مفكري المسيحية الإصلاحيين؛ اللهم إلاّ عند بعض الأفراد النادرين وفي الكنيسة ليس إلاّ، ولكن في ساعة واحدة من كل الأسبوع؛ الأمر الذي يستتبع بالضرورة أنّ سلوك أفراد هذه المجتمعات لا علاقة له بالله من قريب أو من بعيد؛ لأنّ المسيِّر للسلوك فيها فيما أعلنوا هم هو القانون الوضعي الذي ليس من صالحه أن يعلن هدنة مع الله؛ هكذا يتجاسر الوضعيون!!!.

ومن ميزات القانون الوضعي، بل أهم ميزاته أنّه يتعامل مع البشر كما يتعامل مع الآلة؛ تعاملاً مادياً محضاً، وليس في قاموسه وجودٌ للمفاهيم السامية ذات الأصل السماوي كـ: الروح، الأخلاق، الله، العبادة، الطهارة، الرسول، الإنسانية، الآخرة، الحساب، الجنة، النار، ....

كل ما موجود فيه أنّ الإنسان مادة متطورة منتجة، وآلة متحركة ذاتياً لها كذا وعليها كذا.

لأجل كل ذلك لن يحدث أن ترقى اليهودية والمسيحية إلى المستوى المطلوب (=المشروع) إلاّ إذا آبتا إلى الله وحيٌ ما مات منها!!!.

أنا لا أشك في أنّ هناك فرقاً جوهرياً بين هذه الأديان وبين الإسلام، فإذا ما أردنا أن نعط تفسيراً علمياً موضوعياً ودقيقاً في هذا الأمر فلا ينبغي أن نتغافل عن كل ذلك، ويثير عجبي أنّ بعض الملصقين بالإسلام من جهة وبعرى الحداثة والتنوير من جهة أخرى يريد أن ينشيء وحدّة بين الأديان الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) بزعم أنّ هناك جهات

---

(١) أنظر قضايا في نقد العقل الديني لمحمد أركون: ٢٠٩ ـ ٢١٧.

مشتركة فيما بينها!!!.

مهما يكن من أمر فالنظرية الإسلامية دون سواها نظرية حية وعميقة للخصائص الذاتية الآتية:

أنّها تلحظ الإنسان في السلوك وفي غير السلوك من بعدين مادي ومعنوي، وليس هذا هو حال اليهودية والمسيحية؛ لأنّ السلوك الاجتماعي والإنساني في نظرية هذين الدينين المطروحة اليوم غائبٌ عنها الله تماماً، والمعاني السامية ومقولات القداسة والتقديس كـ: الرأفة، الرحمة، الإنسانية، الحرام، الحلال، وعشرات غيرها غائبة أو مغيّبة تماماً، وإن وجدت فلا تعدو الكنيسة في ساعة واحدة من الاسبوع.

أمّا النظرية الإسلامية فهي تحنو وتهتم بالمسلم حتى في نومه فضلاً عن يقضته؛ فهي في الوقت الذي تلحظ فيه البعد المادّي تلحظ في نفس هذا الوقت وبنفس الدرجة من الأهمية (إن لم تكن أهم) بناء النفس من خلال البعد الروحي والمعنوي، لذلك نجد السلوك في الشارع الإسلامي يبرهن على نفسه الحيّة بنفسه[١].

وآية ذلك أنّ الأنظمة السياسية الإسلاموية التي مثلت الإسلام بالقوة المسلّحة وبالقهر والغلبة، والتي تحكمت برقاب المسلمين في مراحل التاريخ وحتى يومك هذا، هي أنظمة ذات رؤية غير إسلامية في طريقة الحكم، مضافاً إلى أنّ قوانينها التي تسير على ضوئها هي قوانين وضعية،

---

(١) الإشكاليات على المجتمع الإسلامي (وليس على الإسلام طبعاً) أكثر من أن تحصى، ولا يفهم من كلامي هذا أنني متغافل عن ذلك، كل ما أريد قوله: إنّ الإسلام قادر على البقاء حتى يأتي أمر الله وليس هذا هو شأن المسيحية واليهودية و...، وفي المقارنة الموضوعية بين مجتمعات هذه الأديان ما يبرهن على هذه الحقيقة بوضوح.

ولكن مع ذلك نجد أنّ أغلب المسلمين أو كثيراً منهم لا يتناسون فوقية القوانين السماوية على معاملاتهم؛ حتى لو كان سلوكهم الاجتماعي الإسلامي مقهوراً وأفعالهم مرصودة بسبب تلك القوانين الوضعية المُفَعْلَة بتلكم الأنظمة..

فمثلاً يباح الخمر في بلدان إسلامية كثيرة، وهذه الأنظمة ذات الرؤية غير الإسلامية، التي تتحكم بهذه البلدان عنوة، أباحت ارتكاب هذه الكبيرة من دون حساب وعقاب، بيد أنّ هذا وإن كان كذلك إلاّ أنّنا نجزم بأنّ السمة العامّة في سلوك المجتمع الإسلامي حيال الخمر سلبية، وقل مثل ذلك في الزنا واللواط والربا والقمار وأكل لحم الخنزير و...؛ في حين أنّنا في مقابل ذلك نقطع بأنّ موقف المجتمعين اليهودي والمسيحي من هذه الأمور على أدنى مستوى من التّردي الأخلاقي؛فبماذا يُفَسَّر ذلك؟؟!.

من هنا اعتقد بيقين أنّ النظرية الإسلامية حية وما سواها من النظريات الدينية ميتة؛ لأنّ الأولى تتجسد مقاطع كثيرة منها في سلوك المسلمين بوضوح، وليس للثانية أي أثر على أرض الواقع البشري سوى تواجد رومانسي في الكنيسة في ساعة واحدة في الإسبوع ليس غير، ولكن لنا الحق في أن نتساءل كيف تم ذلك؟

وما هي الخصائص التي أخذت بالإسلام إلى ذلك، وبالتالي بالمجتمع الإسلامي إلى هذا التماسك والتوازن النسبي (المادي ـ الروحي) قياساً بباقي الأديان؟

كل ذلك يدور من الحس الديني حيثما دار وعلى تفاوت الدرجات؛ فالإحساس بالمسؤولية تجاه الخالق هو الذي يجعل من سلوك المجتمع الإنساني الإسلامي حيال الخمر واللواط والزنا والربا والغصب والغش والتشتت الأسري و...، ذا مصداقية ولو من خلال سماته العامّة.

وفيما أرى فإنّ أهم خاصية في أطروحة الإسلام هي أطروحة تنمية

الإحساس بالمسؤولية الدينية تجاه الله تعالى، طبعاً هذا مع وجود المعصوم لعدم نهوض غيره على الإحاطة بأبعاد مشروع التنمية سواه، ضرورة أنّ هذا المشروع سماوي يهدف إلى إبقاء الدين في ملامحه الذاتية العامّة خلال السلوك الإسلامي سالماً من التحريف، ولا ريب بناء على ذلك أنّ الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا المشروع ما استطاعوا إليه سبيلاً.

ولا بأس أن نشير للقارىء الكريم أنّ هذا الموضوع وللأسف لم يكتب فيه أحد، مع أنّه موضوع حسّاس وخطير ومهم للغاية، وهو فضلاً عن ذلك واقعي كما لعلّك فهمت؛ لأنّ البحث فيه يدور مدار حدود مفهوم الحضارة الإنسانية، وهل أنّ حدودها تلك التي بلورها الإسلام والتي ناء بحمل بنائها الرسول المصطفى ومن جاء بعده من المعصومين أم هي تلك التي يتبجح بها الغرب وغيره؟.

وهل أنّ الحضارة ما عليه الغرب من تكنولوجيا وتطور صناعي وحسب كما يفترض الوضعيون؟

أم أنّها آثار المعاني السماوية المقدسة على أرض الواقع الإنساني؟

أم الحضارة هي كليهما على نحو المجموع؟

وإذا كانت الحضارة مجموع ذلك فكيف يمكن أن نوازن بين طرفي ذلك المجموع حتى لا يضيع الإنسان في هذا الطرف أو في ذاك؟

وفي آخر المطاف ما هو البناء العلمي الذي قرره الرسول ﷺ والذي على ضوئه يمكننا الاقتراب من ذلك التوازن؟

ولكن لَمّا مثّل هذا الموضوع فجوة علمية وثغرة معرفية محسوسة؛ باعتبار أنّ دور الرسول ﷺ البنّاء في هذا المنعطف التاريخي الخطير مهمل في كتابات الإسلاميين عموماً، ولم يلتفت إليه أحد أو لا يريد أن يلتفت إليه

أحد قررنا إن شاء الله تعالى تأسيس دراسة متواضعة في ذلك أسميناها: دور الرسول المصطفى ﷺ في بناء الحضارة الإنسانية، ونسأل الله أن يعيننا على مباشرتها وإتمامها وأن يقينا سوء الحال وارتباك البال ومرارة الغربة وظلم الظالمين وأن يحفظنا وجميع المسلمين الصادقين من كل سوء إنّه سميع مجيب.

وفي الحقيقة كان غرضي من هذا الاستطراد بيان أهميّة بناء الحس الديني وتنميته حتى عند الغرب الذي كان يسخر بالمعاني المقدسة أيّما سخرية بالأمس؛ زاعماً أنّ الحضارة هي التطور التكنلوجي والصناعي ليس غير، ولكنّه اليوم فكّر أو شرع في العودة إلى التفكير ملويّ العنق معترفاً بغياب الله[1].

وهذا لعمر الله آية من آيات الله على عظمة ديننا الإسلامي الحنيف في الجوانب التي يسمّيها الغرب: السايكولوجية، والأنثربولوجية، والسوسيولوجية، وهي في نفس الوقت آية واضحة كوضوح القمر على عظمة الرسول محمد ﷺ..؛ باني حضارة الإنسان..

هذا الأمر يبلور لك عزيزي القارىء اهتمام الرسول ﷺ المتزايد بالأذكار عموماً وبالصيغة التي تقول: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»** بخاصّة.

أراد لنا الرسول أن لا نُغيّب الله عن قلوبنا وعن شعورنا وعن سماء مجتمعنا الإسلامي كما فعل الغرب، أراد لنا أن نكون من جنس الإنسان الإنسان لا الإنسان اللاإنسان الذي ضرب بانسانيته تحت وحشية القانون الوضعي وتحت عجلة التكنولوجيا الحديدية لتقضي عليها وعلى كل

---

(١) هكذا اعترف الغرب فيما أعلنت كتاباتهم، والصحيح أن يقال: تغييب الإحساس بالله، وهذا هو مقصودهم.

المعاني السامية وعلى الرب إلى الأبد.

وفيما يخص الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ أراد لنا الرسول ﷺ أن نبقى بواسطتها مرتبطين بالوحي؛ عالمين عارفين بالسبل الموصلة إلى الله حتى لا يغيب الله عن قلوبنا ولا عن بصائرنا، أراد لنا ذلك حتى يبقى الدين، ولولا ذلك لم يبق الدين...!!!

نظرية تقسيم النصوص المقدسة:

طرحت هذه الرؤية في كتابنا «الرسول المصطفى ﷺ ومقولة الرأي» بما يلائم منهج وهدف الكتاب المذكور؛ فقلت هناك: إنّ سنة الرسول ﷺ تنقسم إلى قسمين ولم أعمم النظرية لكل النصوص المقدسة.

وما ينبغي أن يعلم هنا أنه لا فرق في ذلك إلاّ من ناحية الشكل؛ لأنّ سنة الرسول ﷺ الثابتة وباقي النصوص المقدسة (القرآن) وجهان لحقيقة وحيوية واحدة ليس في ذلك أدنى شك، وفيما أحسب فهذا مسلّم عند الجميع.

ومهما يكن من أمر لا يمنعنا ذلك هنا من أن نقول: يجد المتتبع الواعي أنّ نصوص النظرية الإسلامية بعضها مواد أولية لبناء الأصول الأساسية التي تتفرع عنها نظرية الحلال والحرام؛ وهي التي تدور في فلك الأحكام الخمسة (الوجوب، الحرمة، الاستحباب، الكراهة، الإباحة) والتي توضح معالم التشريع الإسلامي بشكل مباشر، الأمر الذي لا ينبغي أن يطول فيه الكلام لوضوحه..

غير أنّه لفت انتباهنا أنّ هناك قسماً عظيماً من النصوص السماوية لا يهدف إلى هذا الهدف بشكل مباشر وليس هو بهذا الصدد..

ومن ذلك قوله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء العالمين» أو «أهل الجنة»[١]..

وقوله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٢]..

وقوله ﷺ: «إنّ الله يحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم؛ علي وسلمان وأبوذر والمقداد»[٣]..

وقوله ﷺ: «عمّار تقتله الفئة الباغية»[٤]..

وقوله ﷺ: «ما أضلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[٥]..

وقوله ﷺ: «سلمان منّا أهل البيت»[٦]..

وقوله ﷺ: «من سبّ علياً فقد سبّني»[٧]..

---

(١) فضائل الصحابة: ٥٨، ٧٦، مسند أحمد ٥: ٣٩١.

(٢) فضائل الصحابة: ٥٨، ٧٧، مسند أحمد ٥: ٣٩١.

(٣) مسند أحمد ٥: ٣٥٦، سنن ابن ماجة ١: ٥٣، سنن الترمذي ٥: ٢٩٩، وقد صرح بحسنه، مستدرك الحاكم ٣: ١٣٠، وقد نص على أنه على شرط مسلم، تحفة الأحوذي ١٠: ١٥١، شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٦، الجامع الصغير للسيوطي ١: ٢٨٥، كنز العمال ١١: ٦٣٧، فيض القدير للمناوي ٢: ٢٧١، تاريخ البخاري الكبير ٩: ٣١، تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٤٠٩، أسد الغابة ٤: ٤١٠، تهذيب الكمال ٢: ٤٥٥، سير أعلام النبلاء ١: ٣٨٩، تهذيب التهذيب ١٠: ٢٥٥، الإصابة ٦: ١٦١، سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٩١.

(٤) صحيح البخاري ٣: ٢٠٧، والحديث متواتر إجماعاً.

(٥) الحديث مشهور، وقد اتفق المسلمون على أنّه ممّا صدر عن رسول الله ﷺ.

(٦) عيون أخبار الرضا ١: ٧٠.

(٧) مستدرك الحاكم ٣: ١٢١، وتلخيص المستدرك للذهبي ٣: ١٢١، وقد نص كل منهما على أنّه صحيح على شرط الشيخين.

وقوله ﷺ: **«لو أنّ رجلاً صفن[1] بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار»**[2].

وقوله ﷺ: **«إذن تُكفى مؤونة الدنيا والآخرة»** للصحابي الذي قال له: يارسول الله أجعل كل صلاتي (أصلّي عليك) لك[3]..

وقوله ﷺ: **«الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»**[4]..

فهذه النصوص الصحيحة بالاتفاق والتي يربو عددها على المئات أو أكثر ليست لها علاقة مباشرة بنظرية التشريع والحلال والحرام.

وإذا قلنا بأنّ وظيفة الرسول ﷺ هي الاكتفاء ببيان الحلال والحرام؛ لتنظيم سلوك البشر عموماً والمسلمين بنحو خاص على ضوء ذلك، فهذه النصوص تتردد من الناحية المنطقية بين كونها لغواً وبين كونها تهدف إلى شيء أقل ما يقال فيه إنّه لا يقل أهميّة عن النصوص الأخرى التي يراد منها بيان الحلال والحرام، خاصّة لو لاحظنا أنّ أكثر هذه النصوص متواترة والباقي مستفيض أو صحيح النسبة إلى رسول الله ﷺ بلا كلام، الأمر الذي لا نجده واضحاً كثيراً في النصوص التي نهضت بأعباء بيان الحلال والحرام..

---

(١) الصفن: صف الأقدام. انظر لسان العرب ١٣: ٢٨٤، الصحاح للجوهري ٦: ٢١٥٢، غريب الحديث لابن سلام ٣: ٧.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩، تلخيص المستدرك ٣: ١٤٩، وقد عرفت أنّ سنده صحيح.

(٣) يعني كلما أردت أن أدعو لنفسي بشيء أذكرك فأستغني بذكرك والصلاة عليك عن الدعاء، أو يكون معناه لا أدعو بشيء حتى أقدم ذكرك على مسألتي، وسنتعرض لذلك لاحقاً.

(٤) سيأتي تخريجه لاحقاً.

إنّ هذا التساؤل الذي لم يخطر بجديّة وموضوعية على بال أحد قادنا للقول بأنّ النصوص الإسلامية على قسمين:

القسم الأول: يهدف إلى تأسيس نظرية في الحلال والحرام متفرعة عن أصول الدين الأساسية..، وقد قلنا سابقاً بأنّ مجموع ذلك يمثل العناصر الذاتية لهوية الدين الإسلامي ولتراث الوحي، ولكن من خلال هذا القسم فقط.

القسم الثاني: يهدف إلى المحافظة على تلك العناصر من الضياع والتآكل في عمليات الصراع، ومضامينه تمثل درعاً من العقيدة أمام كل آيدولوجية لا وحيوية، ونتيجة ذلك بقاء الدين حياً لا يموت؛ وحقيقة هذا القسم أنّه يمثّل آلية سماوية محكمة يستفيد منها المؤمن في صراعه المرير والدائم مع فلول الشر والخيانة والرجعية الجاهلية، وليس هو بصدد بيان الحلال والحرام.

وعلى ذلك فمحتوى النظرية الإسلامية العامّة حسب رؤيتنا هذه: هو المجموع المؤلف من نظرية الحلال والحرام؛ المتأسسة على الأصول الثلاثة الأولى (التوحيد والنبوة والمعاد) ومن آليات المحافظة والإبقاء على نفس الدين من الضياع.

وهذا يوضح فساد الدعوى التي تفترض أنّ نظرية الإسلام تتألف من مجموع أصول الدين الأساسية (التوحيد النبوة المعاد) وفروعه فقط؛ وذلك لأنّ الالتزام بهذه الدعوى يجر لدعوى خطيرة؛ وهي أنّ القسم الثاني من النصوص الإسلامية خارج عن حدود نظرية الإسلام العامّة، وهو يعني أنّ الرسول ﷺ سواء بلّغنا بهذه النصوص أم لم يبلّغنا فالأمر سيّان، وهذا يساوق اتّهام الرسول ﷺ باللغوية، وحاشاه ثمّ حاشاه.

ناهيك عن أنّ هناك آيات قرآنية تنطوي على نفس ما تنطوي عليه

نصوص القسم الثاني من السنّة النبوية؛ أي تنطوي على حكمة بقاء الدين الإسلامي حياً باقياً ما بقي الليل والنهار، التي عرضنا لك طرفاً منها في الفصل الأول من هذا الكتاب.

أصول الدين الإسلامي ونظرية التقسيم:

لا خلاف في أنّ أصول الدين الأولى والتي يسميها السيد الطباطبائي في كتابه الميزان بأصول الاعتقاد الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد[1]، مضافاً إليها حلال محمد وحرامه ﷺ هي حقيقة الدين الإسلامي، ولكن هل هذا الكلام الصحيح دقيق من الناحية الإعتقادية؟

فهل أنّ نظرية الدين الإسلامي هي المجموع المؤلف من أصول الدين الأساسية الثلاثة مضافاً إليها الحلال والحرام وحسب، أم أنّ هناك شيئاً آخر على ضوء نظرية التقسيم؟.

أنا لا أتردد في أنّ الدين الإسلامي ـ كما اتضح لك ـ لا يقف أمره على ذلك المجموع؛ لأنّه فضلاً عن ذلك يحمل معه عناصر بقائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وما يصب في قنواتها من آيات الكتاب ومن أحاديث الرسول ﷺ البالغة من الكثرة إلى حد لا يوصف، لآيات على ما قلنا..

وهذا يقودنا للاعتقاد بأنّ النظرية الإسلامية هي المجموع المؤلف من ثلاثة أشياء:

الأول: الأصول الأساسية الثلاثة؛ التوحيد والنبوة والمعاد.

الثاني: الفروع التي تُسمّى بالعبادات والمعاملات.

---

(١) تفسير الميزان ١٤: ١٤٠.

الثالث: عناصر وآليات بقاء الدين....

وفي الجملة فهذا هو ما نخلص إليه في ضوء نظرية تقسيم النصوص..؛ وإذن فعنصر البقاء داخل في حقيقة الدين الإسلامي دخولاً ذاتياً، ولولاه لضاع مع حركة التاريخ ولتلاشى وانتهى أمره كما انتهى أمر اليهودية والمسيحية.

فالإسلام إذن ليس هو تلك النظرية المطروحة بشكل ساذج من خلال ذلك المجموع من الأصول والفروع وحسب، بل هو تلك النظرية الباقية مهما فعل الفاعلون واجتهد الضّالون..

وبما أنّ وظيفة الإبقاء على الدين كما نصّ الوحي هي من مختصات آل بيت رسول الله ﷺ كما نصّت عليه الآيات القرآنية الكثيرة كآية المباهلة والمودة والبلاغ وغيرها، وكما نصّت الأحاديث المتواترة كحديث الغدير وحديث الثقلين وغير ذلك من الآيات وعشرات الروايات، ومع ملاحظة أنّ درجة الصعوبة في هذه المهمّة عالية لا ينهض بأعبائها بشرٌ سوى المعصوم، ومع ملاحظة دخول عنصر البقاء دخولاً ذاتياً في حقيقة الدين..

كل ذلك يقودنا للاعتقاد بأنّ أصول الدين الإسلامي هي تلك التي تجري الحياة ويجري البقاء في عروقها بلا توقف؛ وعلى هذا الأساس فأصول الدين الإسلامي بوصف كونه باق: هي التوحيد والنبوة والمعاد وآليات بقاء الدين (=الإمامة)..

ولا ريب في أنّ الذي بُعث به الرسول ﷺ هو الإسلام الباقي لا الإسلام من دون وصف البقاء؛ ونلفت النظر إلى أنّ الفهم الأخير للإسلام هو ما صورته مناهج التنوير الغربية على أنّه دين محمد ﷺ لحاجة في نفسها، بل هو ما صورته بعض العقول الإسلامية الساذجة بلا تدبر!

ومهما يكن من ذلك فوظيفة الإمامة هي في طول وظيفة النبوة؛ فإنّ الأخيرة إذا كانت شرّعت وبلّغت عن الله، فالإمامة فيما بعد الرسول ﷺ ناءت بحمل الإبقاء على ذلك الشرع وذلك التبليغ على أحسن وجه، وهذا هو الذي يفسر لنا لماذا قال الرسول ﷺ: «**إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا أبداً كتاب الله وعترتي آل بيتي...**» ولم يقل كتاب الله وسنتي؛ لأنّ الرسول ﷺ يتحدث عن الإسلام الباقي لا الإسلام من دون وصف البقاء.

وتنبغي الإشارة إلى أنّ مثل قوله ﷺ: «**سلمان منّا أهل البيت**» والنصوص التي في هذا السياق كقوله ﷺ: «**عمّار تقتله الفئة الباغية**» قد أدرجناها في القسم الثاني في ضوء ذلك التقسيم قائلين: إنّها من آليات بقاء الدين، ومقصودنا من ذلك أنّها شروط موضوعية أو ذاتية هي في طول وظيفة الإبقاء على الإسلام التي ناء بحملها المعصوم عليه السلام لا أكثر ولا أقل، فانتبه!!!

تقسيم النصوص نظري عقلي!

وينبغي في هذا المقام أن نقول: إنّ هذا التقسيم نظري إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنّ الإسلام لا يتجزّأ وأنّ الانتماء إليه لا يصح إلاّ إذا تحقق الانتماء إلى كلّه بالانصياع إلى كل مقرراته المطوية في القسمين الأول والثاني على السواء؛ فمثلاً لا نجد لهذا التقسيم من واقعية لمن تعبد بنظرية الحلال والحرام ونطق بالشهادتين وصام وصلى وأدّى ما عليه على ضوء مقررات القسم الأول إذا لم يخضع لمقررات القسم الثاني.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**لو أنّ رجلاً صفن**[1] **بين الركن والمقام**

---

(١) الصفن: صف الأقدام. انظر لسان العرب ١٣: ٢٨٤، الصحاح للجوهري ٦: ٢١٥٢. غريب الحديث لابن سلام ٣: ٧.

فصلّى وصلم ثمّ لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار»[١]، وقوله ﷺ: **«لا يدخل الإيمان قلب امرىء حتى يحبكم لله ولقرابتي»**[٢] وذلك حينما رأى ﷺ أنّ الناس يؤذون آل بيته ويحسدونهم، ومثل ذلك قوله ﷺ: **«من عادى عماراً عاداه الله ومن أبغض عماراً أبغضه الله»**[٣]، وذلك حينما عاداه خالد بن الوليد..

إنّ ما نريد قوله هو أنّ الإسلام لا يتجزأ، فليس هناك نصف إسلام أو ربع إسلام؛ وإذن لا يصح التقسيم بهذا الاعتبار؛ لليقين العام بعدم جواز الإيمان ببعض المقررات والكفر بالبعض الآخر، وهذا يدعونا للاعتقاد أيضاً بأنّ مفردات كل من القسمين هي البنى الذاتية لبلورة الإسلام كدين، وهو من خلال ذلك وحدة واحدة لا يتجزأ؛ ضرورة أنّ هوية الكل تتلاشى بذهاب جزء من أجزائه أو تناسيه أو إلغاء دوره.

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: **«أني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي»** الذي يدل بوضوح على أنّ الإسلام يفقد معناه وتتلاشى هويته وليس بذي قيمة إذا ما ألغي دور العترة....

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩، تلخيص المستدرك ٣: ١٤٩.

(٢) مسند أحمد ١: ٢٠٨، ينابيع المودة ٢: ١١٠، كنز العمال ١٢: ٩٧، تفسير ابن كثير ٤: ١٢٢، الدر المنثور ٦: ٧، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٠٢.

(٣) فضائل الصحابة: ٤٩، مسند أحمد ٤: ٨٩، مستدرك الحاكم ٣: ٣٩١، وقد نص على أنه صحيح على شرط الشيخين، مجمع الزوائد ٩: ٢٩٣، وقد نص على أن رجاله رجال الصحيح، مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٥٢٣، سنن النسائي الكبرى ٥: ٧٣، شرح نهج البلاغة ٣: ٥٢، كنز العمال ١١: ٧٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٣٩٨، أسد الغابة ٤: ٤٥، سير أعلام النبلاء ١: ٤١٥، الإصابة ٤: ٤٧٤.

وأوضح من كل ذلك قول الرسول ﷺ **«لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء»**[١] التي ينص على أنّ الصلاة على الرسول لا قيمة لها تماماً إذا ما أُلغي دور الآل في الصلاة، وأكثر من ذلك وهو حرمة هذا العمل..

واقعية التقسيم!

لا أشك في أنّ التقسيم هو مجرد تقسيم نظري بالاعتبار المتقدم، ولكني أيضاً لا أشك بواقعية التقسيم باعتبار دور ووظيفة وهدف كل نص؛ آية ذلك أنّ محدثي الإسلامي يصنفون تلكم النصوص عموماً إلى أصناف مدرجين في مجاميعهم الحديثية كل صنف منها تحت باب من الأبواب؛ فتراهم يقولون: باب في أحاديث الصلاة أو باب في أحاديث الزكاة إلى آخره..

وهذا يوضح أنّ كل نص في مرحلة من مراحل البناء الإسلامي له وظيفة لا تستطيع أن تنهض بأعبائها النصوص الباقية، وله دور هو بنحو من الأنحاء مغاير لدور النص الآخر، فالنص الذي يبين لنا مقدار نصاب الزكاة ليس له دور ووظيفة النص الذي يقول **«عمّار تقتله الفئة الباغية»** وقس على ذلك.

بل أنا أذهب إلى أكثر من ذلك، وهو أنّ النص الواحد قد تكون له عدّة أدوار وله أكثر من وظيفة..

ومن الأمثلة على ذلك قوله ﷺ: **«ألست أولى بكم من أنفسكم؟»**.

فقال الصحابة: بلى.

فقال ﷺ: **«هذا عليّ وليّ من بعدي، اللهم وال من والاه وعاد**

---

(١) سيأتي تخريجه لاحقاً.

من عاداه»[١].

فتارة نقرأ هذا النص من رواية سعد بن أبي وقاص عن الرسول ﷺ[٢]..

وتارة نقرأه من رواية زيد بن أرقم عن الرسول ﷺ..[٣]

وثالثة من رواية البراء بن عازب[٤]، ورابعة من رواية أبي هريرة[٥] وخامسة وسادسة إلى عشرات الطرق..

وهذا يكشف عن أنّ الرسول ﷺ في إخباره الثاني للحديث يهدف إلى شيء أعلى ممّا كان يهدف إليه في الإخبار الأول؛ ما يعني أنّ دور الإخبار الثاني للرسول ﷺ مغاير نسبياً لدور الأول، وقل مثل ذلك في باقي الإخبارات، كما أنّ وظيفة النص الأول ليس هي وظيفة النص الثاني وإلاّ لما كرره الرسول ﷺ، أو لما أصرّ على تكراره؟

ليس من ريب في أنّ ظروف الإخبار الأول ليست هي ظروف الأخبار الثاني، كما أنّ دور الإخبار الأول ليس هو دور الإخبار الثاني، وما يهدف إليه الرسول من الأول ليس هو ما يهدف إليه من الثاني، يدفعنا إلى افتراض كل ذلك محذور اللغوية العرفي والشرعي في نصوص الرسالة، وحاشى الرسول ﷺ من اللغو!!.

---

(١) نص جمع غفير من علماء أهل السنة بتواتره عن رسول الله ﷺ منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٤، والمناوي في فيض القدير ٦: ٢١٨، والألباني في سلسلته الصحيحة ٤: ٣٤٣، وغيرهم.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١١٦.

(٣) فضائل الصحابة: ١٥.

(٤) مسند أحمد ٤: ٢٨١.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٤٩٩.

نقول ذلك لاعتقادنا الكامل بأنّ هدف الرسول في الإخبار الأول أن يبين أنّ علياً عليه السلام هو الولي من بعده، وهدفه من الثاني التأكيد على هذه المسألة، كما وأنّ هدفه من الثالث إبراز اهتمام النبوة المستقى من شرعة ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1] وفوق كل ذلك يهدف صلى الله عليه وآله وسلم في باقي الإخبارات إلى تجسيد إرادة الله تعالى خلال مضمون هذا النص.

وليس من الاعتباط في شيء أن نجد كثيراً من نصوص الوحي تمر بمجموعة هذه الأدوار أو ببعضها (الأحاديث المتواترة والمستفيضة= القسم الثاني) في حين لا نجد لأكثر نصوص الإسلام من هدف ودور سوى بيان مسألة من المسائل الفقهية، وفي الحقيقة هذه نقطة من النقاط المحورية التي أدّت إلى رؤيتنا في تقسيم نصوص الإسلام إلى قسمين.

فليس من الحكمة أن نوازي بين النص الذي يقف دوره ووظيفته على بيان مسألة من المسائل الشرعية، وبين النص الذي يتعدى مرحلة البيان ليشكف لنا عن ذلك المقدار العالي من الاهتمام السماوي الذي أولته النبوة وساحة القدس الإلهية لخصوص هذا القسم من النصوص!!!.

عزيزي القارىء: هذا ما تسنّى لنا عرضه في عجالتنا هذه فيما يتعلّق بهذه النظرية، ولكن لأهميتها العلمية في حلّ كثير من الألغاز التي أحاطت بسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بخاصّة والنصوص السماوية المقدّسة بعامّة، والتي لم نستعرضها هنا، فإنّ لنا بعون الله دراسة مستقلّة عن السنّة النبوية نبيّن من خلالها أبعاد هذه النظرية وآثارها في حل تلك الألغاز العلمية بشكل موضوعي، على أنّنا لأجل أن يتماسك البحث في دراستنا هذه سوف لن نتناسى تطبيقها على صيغة: «**اللهمّ صل على محمد وآل محمد**» كلمّا دعت الضرورة المنهجية لذلك..

---

(١) النجم: ٣ ـ ٤.

الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ ومصداقية التقسيم!

وفيما أحسب وبملاحظة ما ذكرناه في الفصل الأول تتجلى أمامنا واقعية التقسيم في الصيغة الوحيوية: «**اللهم صلِّ على محمد وآل محمد**» بوضوح؛ لعدم الاقتصار على كونها مفردة كبقية مفردات الدين؛ لأنّها في مرحلة التأسيس مرت بكل تلكم الأدوار التي كشفت عن عظيم إهتمام الإرادة السماوية بها؛ تلك الإرادة التي ألقت على عاتقها دوراً هاماً في بناء الدين والحفاظ عليه.

وكما تقول المناهج الكلاسيكية (الحقة) هي أحاديث متواترة مقطوعة الصدور عن الله تعالى وعن الوحي وعن الرسول ﷺ، وإذا كان الأمر كذلك فليس معقولاً أن تكون قيمتها بنظر الإسلام مع هذه الخصائص كقيمة النصوص التي لم يكن الرسول ﷺ يهدف منها سوى توضيح مسألة من المسائل الفقهية.

وفي الواقع فإنّ من أهداف دراستنا المتواضعة هذه هو بيان لتلك الأدوار التي رافقت تبليغ الرسول ﷺ لهذه الصيغة على ضوء منهجنا في تقسيم نصوص الوحي، مع أهداف أخرى ستقف عليها في محلّها.

ثمّ إنّ لنا أن نقول فيما عدا ذلك: إنّ صيغة الصلاة تحقق مصداقية كاملة لرؤية التقسيم الواقعية، فمثلاً هي في الوقت الذي تقوم بدور الجزئية في تشهّد الصلاة اليومية، وأنّ الصلاة من دونها باطلة كما هي مقررات القسم الأول، يخبرنا الرسول ﷺ كما هي مقررات القسم الثاني أنّ الدعاء من دونها محجوب لا قيمة له، أو يخبرنا بأنّها تذهب بالنفاق..

وفي الوقت الذي يخبرنا المعصوم وكتب اللغة بأنّ معنى الصلاة الرحمة أو العطف أو...، يخبرنا أيضاً أنّ معناها البقاء على الميثاق الذي أخذه الله تعالى من بني آدم في ذلك العالم العلوي وغير ذلك ممّا ستقف

عليه في محله من هذا الكتاب.

وتتجلّى واقعية التقسيم أكثر فيما ذكرناه في الفصل الأول من هذه الدراسة؛ إذ قد وهب الوحيِ لها عنوانين وحقيقتين: العبادية والشعارية التراثية.

الذي نريد قوله أنّ القسم الثاني من النصوص: هو تلك النصوص التي اهتم بها الوحي كثيراً والتي تتحلى بسمة الشعارية، فضلاً عن كونها قد تكون عبادة أيضاً كما في الصلاة على محمد وآل محمد..

وحيويّة التقسيم:

وإذا كان الأمر كذلك، فإنّ اهتمام الشارع المقدس ببعض النصوص دون الأخرى باعتبار الدور والوظيفة لآية على أنّ التقسيم ذو سمة واقعية وذو مصداقية واضحة، وهو فيما عدا ذلك مغترَف من معين الوحي لا من آراء الرجال التي قد تخطىء وقد تصيب.

وهذا يدعونا لأن نذهب وبارتياح كامل إلى القول بأنّ الله تعالى والرسول ﷺ قد أخذا بنظر الاعتبار تقسيم النصوص بملاحظة وظيفة ودور كل نص في مراحل عملية التبليغ النبوية، ونحن إذا شككنا في كل شيء فلا نشك في أنّ الرسول ﷺ تبعاً لله تعالى قد أولى عناية بالغة في عملية التبليغ النبوية لبعض النصوص؛ كالصلاة على محمد وآل محمد ﷺ التي وصلت إلينا بما هو فوق التواتر، وهذا إن دل فإنما يدل على ذلك الاهتمام، وبالتالي على ذلك التقسيم كما ذكرنا.

وأود الاستطراد هنا كيما أقول: إنّ البحث المتواضع الذي خلُصت إليه آنفاً لعلّه يساهم في توضيح نقطة مهمّة ذكرناها سابقاً؛ وهي أنّ تطوير المناهج الكلاسيكية لفهم الدين وللانتماء إليه لا ينبغي أن يخرج عن حدود الثوابت الإسلامية إلى الآراء التي قد تخطىء وقد تصيب، والمائز

في ذلك هو وحيوية الآلات العلمية وعدم وحيويتها، ونحن على هذا الأساس ذهبنا إلى الاعتقاد بوحيوية التقسيم فافهم ذلك بشكل جيد!!.

ومّما يدل على ذلك ما أخرجه الصدوق بقوله:

حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقري، قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر المقري الجرجاني، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن الموصلي ببغداد، قال: حدثنا محمد بن عاصم الطريفي، قال: حدثنا أبو زيد عياش بن يزيد بن الحسن بن علي الكحال مولى زيد بن علي، قال: حدثنا أبي - يزيد بن الحسن - قال: حدثني موسى بن جعفر عليه السلام قال: (قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: من صلى على النبي صلى الله عليه وآله فمعناه أني على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾)[1].

فمن الواضح أنّ المعصوم هنا لا يتحدث عن نظرية الحلال والحرام؛ بل يتحدث عن بقاء الدين وعن آليّاته؛ وذلك بالبقاء على الميثاق الذي لولاه لما بقي الدين، ولكن هو هنا من خلال صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» ولكن في نصوص أخرى سنسردها عليك لاحقاً يُسأل المعصوم عن معنى الصلاة فيقول عليه السلام: (الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة تزكية ومن الناس دعاء) وهو ظاهر في رؤية التقسيم..

ومّما يؤيد رؤية التقسيم عموماً ما أخرجه الصدوق بقوله:

حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري رضي الله عنه قال حدثنا علي بن قتيبة عن الفضل بن شاذان قال: حدثني محمد بن أبي عمير أنه سأل أبا الحسن عليه السلام عن (**حي على خير العمل**) لم تركت من الأذان؟

---

(١) معاني الأخبار: ١١٥.

فقال عليه السلام: (تريد العلة الظاهرة أو الباطنة)؟

قلت: أريدهما جميعا.

فقال عليه السلام: (أما العلة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد إتكالاً على الصلاة، وأمّا الباطنة فإن خير العمل الولاية؛ فأراد من أمر بترك حي على خير العمل من الأذان ألاّ يقع حثٌ عليها ودعاءٌ إليها).

كما ويؤيد ذلك ما أخرجه الصدوق أيضاً بقوله:

حدثنا علي بن عبد الله الوراق وعلي بن محمد بن الحسن المعروف بابن مقبرة القزويني قالا: حدثنا سعد بن عبد الله قال حدثنا العباس بن سعيد الأزرق قال: حدثنا أبو بصير عيسى بن مهران، عن الحسن بن عبد الوهاب، عن محمد بن مروان عن أبي جعفر عليه السلام قال: (أتدري ما تفسير حي على خير العمل؟)

قلت: لا.

قال: (دعاك إلى البر..، أتدرى بر من؟)

قلت: لا.

قال: (دعاك إلى بر فاطمة وولدها) (١).

أقول: وسند الرواية الأولى صحيح فيما أعتقد، وعلى أقل التقادير هو حسن؛ فإنّ عبد الواحد بن عبدوس النيسابوري وعلي بن قتيبة ممدوحان مدحاً يعتد به؛ فالأول ترضّى عنه الصدوق كثيراً، وستعرف لاحقاً أنّ الترضي - في الجملة - يفيد التوثيق حسبما ذهب إليه غير واحد من الأصحاب، وأمّا علي والذي هو علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري فقد نصوا على مدحه، بل أورده الجزائري مع تشدده المعروف في قسم الثقات

---

(١) علل الشرائع ٢: ٣٦٨، التوحيد: ٢٤١.

الذين يروون الصحاح من كتابه الحاوي[1]، وعلى ذلك فالرواية صحيحة أو هي على أقل التقادير ـ فيما نرى ـ حسنة!

ثمّ لا ريب في أنّ المقصود من صيغة: **حي على خير العمل** هو الصلاة اليومية من ركوع وسجود كما نص على ذلك المعصوم عليه السلام، كما ولا ريب في أنّ الولاية هي خير العمل كما نص على ذلك المعصوم أيضاً، وكما هو ثابت في محله..، ولكن مرة أخرى نعود لنقول: إنّ المناهج الكلاسيكية عاجزة بشكل واضح عن قراءة مثل هذه النصوص؛ إذ كيف يجتمع الأمران؟!!!.

لا مناص سوى اللجوء إلى رؤيتنا في تقسيم النصوص؛ لوضوح أنّ المعصوم في هذه النصوص وفيما يجري مجراها مّما هو كثير للغاية يتحدث عن جهتين ووظيفتين ودورين لصيغة: **حيّ على خير العمل**؛ ففي الأولى يتحدث المعصوم عن نظرية الحلال والحرام وعن فلسفة عمر المطروحة من خلال المقارنة بين الصلاة والجهاد وأنّ أيّهما أفضل، ولكن في الثاني يتحدث المعصوم عليه السلام عن الولاية وأنّها خير العمل؛ موحياً بذلك إلى أنّ الدين الإسلامي من صوم وصلاة وحج وزكاة و..، لا يساوي شيئاً من دونها..

وبكلمة واحدة يتحدث المعصوم في الأولى في إطار العبادات والمعاملات (= القسم الأول) وعلى ضوء ذلك فـ: **حي على خير العمل** هي الصلاة اليومية، ولكن في الثانية يتحدث عليه السلام عن الشرط الذي يعطي للصلاة معناها وليس هو غير الولاية؛ أي يتحدث عليه السلام عن شروط بقاء الدين (= القسم الثاني) ولا منافاة بين تقريري المعصوم لا في الابتداء ولا في الوسط ولا في الانتهاء.

---

(١) حاوي الأقوال ٢: ٩٤ / ٣٨٣.

وكذلك الأمر حينما نقف على ما أخرجه الكليني بسنده عن الباقر عليه السلام قال: (يا سعد! أسمعك كلام الله؟)

قلت: بلى، صلى الله عليك.

قال عليه السلام: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[1] فالنهي كلام، والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر الله ونحن أكبر)[2] إلى غير ذلك من النصوص الدالة على ما نحن فيه بوضوح.

وقد كثر القيل والقال حول أسباب منع عمر (=قريش)[3] لرواية رسول الله صلى الله عليه وآله كتابة وتحديثاً؛ وفي الواقع لم يمنع عمر إلاّ عن نصوص القسم الثاني ذات النزعة الشعارية التي لها القابلية على مجابهة المشروع القرشي الذي بني آيديولوجياً على مقاطعة علي عليه السلام وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن المعلوم أنّ الولاية أخطر تلك الشعارات في المجابهة، و: حي على خير العمل هو القالب الذي صبّ فيه ذلك الشعار الخطير على المشروع القرشي؛ لهذا الأمر منعت منه قريش وعمر..، بل ولهذا الأمر حرفت الصلاة لتكون بتراء و....

---

(١) العنكبوت: ٤٥.

(٢) الكافي ٢: ٥٩٨.

(٣) قد ذكر كل الباحثين في تاريخ الحديث النبوي أنّ المنع من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله رواية وكتابة إنّما هو رأي لعمر بن الخطاب..، غير أنّي أذهب إلى غير ذلك وما بين القوسين إشارة منّي إلى أنّ المنع ليس هو مشروع عمر بل هو مشروع قريش؛ ومن غير المعقول أن ينهض عمر وحده بأعباء مشروع ضخم من مثل هذا، وكل ما فعله هو الإجراء الدقيق لرأي قريش الذي لا محيد لعمر ولغير عمر عنه، وقد أشرت إلى ذلك بقليل من التفصيل في الفصل الأخير من كتابي: الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله ومقولة الرأي.

الذي نريد قوله أنّ هذا الأمر هو الذي حدا بمدرسة قريش الرأيوية على منع العمل بأحاديث الصلاة على محمد وآل محمد عبر التاريخ الطويل؛ فهم يصلّون الصلاة البتراء التي نهى عنها الرسول ﷺ؛ مبررين ذلك بأن الصلاة الكاملة صارت شعاراً للشيعة؛ وفيما أعلن التاريخ فإنّ نزعة التشيع في إطار شعار ترعد لها كثيراً مفاصل المشروع القرشي الضخم؛ فنهى من نهى عنها لأجل هذا السبب!!!.

وإذن فحينما نناقش في مفردات النظرية الإسلامية وفي نصوصها المقدسة علينا أن نسلط الضوء على تلك الأمور التي تحمل بين طيّاتها تلك النزعة الشعارية المقلقة لمشروع قريش المتجسد في مدرستها الرأيوية.

وفي حقيقة الأمر فإنّ القسم الثاني من نصوص الوحي الذي منعت منه قريش هو ما ينطوي على تلك النزعة الشعارية بالدرجة الأساس؛ وهذا هو الذي يفسّر لنا إصرار الرسول ﷺ على صدور نصوص متواترة وصحيحة تربو على المئات لا علاقة لها بنظرية الحلال والحرام بشكل مباشر كقوله ﷺ :«فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة» وقوله ﷺ :«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة وأبوهما خير منهما» وقوله ﷺ :«اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وقوله ﷺ :«عمّار تقتله الفئة الباغية» ليضمن ﷺ أنّ المنع لن يستطيع أن يؤثر فيها تماماً فتلغى وتنسى بالكامل..

فإنّ هذه النصوص المتواترة والأخرى المستفيضة والصحيحة، مشروع نبوي في مقابل مشروع قريش ذاك، يهدف إلى بناء جبهة خلال تلك النزعة الشعارية التي لولاها لما بقي الدين؛ وكل ذلك في قبال شعار قريش التاريخي الذي صاغته فيما بعد بصيغة: (رغماً لأنوف الشيعة) والذي هو في حقيقة الأمر: (رغماً لأنف الوحي أو الرسول ﷺ) لا الشيعة لو يعي الواعون.

وآية ذلك أنّ هذا الشعار ليس وليد يومه بل هو مستقى عن شرعة

قريش التي كانت تكره بني هاشم، وشعار رغماً لأنوف بني هاشم هو بنحو وبآخر فلسفة قريش في التعامل مع الإسلام؛ فبعد يقين قريش بأنّ علياً عليه السلام أولى الناس بقيادة الأمّة وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله قالت لعبد الله بن عبّاس ـ واللفظ لعمر ـ : كرهت قريش أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فتبجحوا بجحاً؛ اختارت قريش لنفسها فوفقت وأصابت.

وقل مثل ذلك في منع ابن الزبير الصلاة على محمد في خطبة الجمعة؛ مبرراً المنع بقوله: لا يمنعني من ذكره إلاّ أن تشمخ رجال بآنافها، وفي رواية أخرى: إنّ له أُهَيْلَ بيت سوء.

ولولا هذا المشروع النبوي الحازم فإنّ الدين سيتعرض للإغتيال، بل لولاه ليس من البعيد أن يحكم كثير من المسلمين اليوم على آل بيت رسول الله بأنّهم من الخوارج أو الكفرة ـ حاشاهم والله فهم حقيقة الدين ـ ، أمّا قرية كونهم خوارج فهذا ما صوّره الأمويون لأهل الشام، بل هو ماجسّدوه بلعن وسبّ أمير المؤمنين علي عليه السلام وبما اجترحوه في كربلاء؛ فقد كان الشاميّون يشتمون آل البيت عليهم السلام ويقولون إنّهم هم خوارج كما هو مبثوث في كتب التاريخ بكل صراحة.

ولنا أن نقول اليوم إنّ اصرار بعض الفئات الإسلامية على التعبد بدين الإسلام في إطار (رغماً لأنوف الشيعة) يدل بوضوح على أنّ مشروع قريش ذاك في منع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ذي الطابع الشعاري فعّال حتى هذه الساعة، وقد نقلت لك بعض تصريحاتهم المخجلة في الفصل الأول من هذه الدراسة، فراجع.

تداخل القسمين (وحدة الهدف الكلي):

لا ينبغي الشك ـ كما هو مقرر في علم الكلام ـ في أنّ مفردات النظرية الإسلامية بعضها يكمّل بعضاً، فكما أنّ علينا أن نهتم كثيراً

بمضامين وأهداف وأدوار القسم الثاني من نصوص نظرية الإسلام ينبغي علينا أن لا نتنصل عن مسؤولية التعبد بمضامين القسم الأول، وما ذلك إلاّ لأنّ الإسلام وحدة واحدة لا يتجزأ؛ ولأنّه لا قيمة للإسلام في مستوى العقيدة ولا في مستوى التطبيق إذا أعرضنا عن شيء بحجة أنّ غيره أهم منه؛ فإنّ هدف كل من القسمين هو إعلاء كلمة الله تعالى ذكره، وهو لا يتمّ إلاّ بالمجموع، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى وتحت حكمة الإبقاء على الدين أصّل الإسلام لنا أصولاً ذات طبيعة شعارية يمكننا معها مواصلة الدرب، ومقارعة ما من شأنه أن يعيق مسؤولية التعبد بمضامين القسم الأول.

إنّ ما تهدف إليه هذه الأصول هو تفعيل العلاقة بين الفرد المسلم وبين مضامين القسم الأول (العبادات والمعاملات) بل وإعطاء الروح لتلك العبادات والمعاملات لتصبح فاعلة متحركة، بداهة أنّ التشريع لا ترتجى منه فائدة إذا ما كانت علاقته بالفرد المسلم ميتة..، وإذن فمضامين ووظائف القسم الثاني من النصوص السماوية هي أهم من هذه الجهة؛ لأنّها كفيلة بالإبقاء على الأخرى في نفس الفرد المسلم ثمّ في المجتمع الإسلامي حية غضة خلال عملية التفعيل تلك..

وقوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي» نص يوضح مقصودنا غاية التوضيح؛ فإنّه يوضح أنّ الشرع لا قيمة له من دون مباشرته على ضوء الاقتران بين الكتاب والعترة؛ والسبب في ذلك أنّ الكتاب الكريم مضافاً إليه نصوص السنة الشريفة هما وإن كانا ينبوعا المعرفة الإسلامية ومادة الدين إلاّ أنّهما ـ كما ينص هذا الحديث المتواتر ـ ليسا بكافيين لرفع غائلة الضلال إذا كان الانتهال منهما يدور في غير حريم العترة المقدس، وهذا هو السبب الذي حدا بالرسول ﷺ لأن لا يذكر في حديثه السنة مكتفياً

بالكتاب والعترة؛ حيث لم يقل ﷺ: «كتاب الله وسنتي...» كما أوضحنا لك سابقاً.

ولك أن تقول: إنّ الله تعالى ذكر أنّ الدّين قد كمل وأنّ الشريعة قد بلغت من قبل الرسول بالكامل، وبالتالي يلزم من ذلك عدم الضلال.

ولكن هذا التفسير سطحي جداً وساذج للغاية، بل الالتزام به كثيراً قد يؤدي للخدشة بحكمة الباري؛ إذ يلزم من الاعتقاد بهذا التفسير إلغاءٌ كاملٌ لدور الآية الكريمة التي تقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ والآية الأخرى التي تقول: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ واللتان تقرران بنحو وبآخر عمق الأبعاد المستوحاة من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1].

ويلوح لي أنّ مجموع هذه الآيات يهدف إلى شيء واحد يتوافق كثيراً مع رؤيتنا في التقسيم وفي آلية الإبقاء على الدين بل هو هو؛ وآية ذلك أنّ قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ إذا فسرناه برضى الله تعالى لنظرية الحلال والحرام وأنّ الدين قد كمل بها وأنّ الإسلام هو هذا؛ فهذا منطق هزيل؛ لأننّا والحال هذه حيال قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2].

ومعلوم أنّ هذه الآية هي آخر ما نزل من القرآن، والواضح منها أنّ

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) المائدة: ٦٧.

هناك ما ينبغي تبليغه هو في وزنه الوحيوي كوزن الرسالة سواء بسواء، بل لعلّه أهم؛ لأنّ المأمور بتبليغه الرسول ﷺ حسبما ترمي إليه الآية وحسبما ورد في الروايات المتواترة لا يحتاج إلى ساعة من نهار، فهو ﷺ لم يبلّغ سوى حديث الغدير، ولكن كيف يمكن لوظيفة النبي في ساعة من نهار أن توازي وظيفته كرسول على مدى ثلاث وعشرين سنة؟!!!

وعلى أيّ شيء ينطوي حديث الغدير ليوازي تبليغه في ساعة من نهار تبليغ كل الرسالة على مدى ثلاث وعشرين سنة؟!!!

ما نريد قوله: إننا لا نستطيع أن نجسد الإسلام ولا أن نعبد الله حق عبادته إذا ذهبنا إلى أنّ الإسلام مطوي من الناحية النظرية في القسم الأول من نصوص الوحي؛ وذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى كما أنّه نفى ذلك في آية البلاغ بالبيان الذي عرفت فإنّ الرسول ﷺ نفى هذه القضية بضرس قاطع في قوله: **«إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي»** حذو القذّة بالقذّة؛ الأمر الذي يوضح بجلاء أنّ الإسلام المطوي في القسم الأول من نصوص الوحي لا قيمة له من دون العترة، هذا من هذه الجهة.

ومن الجهة الأخرى؛ فإنّ آل البيت باعتبارهم أهم آليات الله تعالى في الحفاظ على الدين وأشرف وسائطه مع خلقه، حكم عزت أسماؤه باتباعهم لا لأنّهم آل البيت وحسب (العترة من دون الكتاب)؛ لأنّ وسائط الله لا تُتّبَع لمجرد أنّها ذوات سماوية مقدسة، بل لذوبانها الكامل وتلاحمها الذاتي مع الإرادة الإلهية المطوية في الكتاب؛ ولذلك قلنا آنفاً: إنّ الإسلام في بنيويته وذاته وحدة واحدة لا يتجزأ.

ثمّ إنّ قوله ﷺ **«كتاب الله وعترتي»** باعتبار من الاعتبارات لا يعني استقلال الكتاب عن العترة وبالعكس؛ ضرورة أنّ العترة أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بتأويله فضلاً عن تفسيره؛ فالكتاب مع

خزائن العلوم المطوية فيه يجري في العترة مجرى الدم من العروق، لا أشك في ذلك قيد شعرة؛ ولذلك فإنّ اتّباع آل البيت على ضوء التلاحم الذاتي الآنف يقود بالضرورة واليقين إلى التعبد بما يرمي إليه الكتاب؛ غير أن العكس غير ممكن لأنّ الكتاب (بما هو كتاب) قوانين مجردة ليست متحركة وليست حية، وإكساب تلك القوانين الحركة والحيوية ينحصر في تجسيدها على أرض الواقع خلال السلوك؛ الأمر الذي نفاه الرسول ﷺ عن غير العترة كما هو صريح حديث الثقلين والغدير وعشرات غيرهما؛ بل هو ما ذكره الله تعالى في آية البلاغ حيث جعل من علي عليه السلام عدلاً كاملاً لرسالة الرسول ﷺ.

نظرية التقسيم بين الثابت والمتحول:

صحيحٌ أنّ هذه النظرية تفترض أنّ النصوص الإسلامية عموماً على قسمين، وصحيحٌ أنّ القسم الثاني هو الذي أولته الحكمة الإلهية والرسالة المحمدية على صاحبها وآله أفضل الصلاة وأتمّ التسليم بالغ العناية ومزيداً من الاهتمام في عملية التبليغ الإسلامية، ومن ثمّ فصحيح أنّ قريشاً بواسطة عمر قد حظرت من تداول هذا القسم من النصوص كتابة ورواية..

أقول: إنّ كل هذا على نحو الإجمال صحيح حينما ندور مع ثابت هذه النظرية، ولكن مع ذلك ففي هذه النظرية ما هو متحول طبقاً لحركة التاريخ وبعدي الزمان والمكان وتبدل النظم والحكومات الإسلاموية..

وآية ذلك أنّ بعضاً من نصوص القسم الأول والتي هي في إطار بيان الحلال والحرام قد يؤول أمرها بحكم الظروف التاريخية والتحولات السياسية إلى أن تكون من نصوص القسم الثاني؛ فمثلاً الجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» هو وإن كان مندرجاً على ضوء ثابت النظرية في

نصوص القسم الأول إلاّ أنّه وبعد برهة من الزمان آلَ ليكون من نصوص القسم الثاني؛ أي حينما منع الأمويون من الجهر بالبسملة سعياً في إبطال آثار أمير المؤمنين علي عليه السلام..

قال الإمام الرازي في تفسيره: إنّ علياً كان يبالغ في الجهر بالتسمية في الصلاة، فلمّا وصلت الدولة إلى بني أميّة بالغوا في المنع من الجهر؛ سعياً في إبطال آثار علي...»[1].

والأمر هو الأمر مع الصلاة على محمد وآل محمد؛ فهي وإن كانت مدرجة على ضوء النظرية في نصوص القسم الأول باعتبارها من مفردات الحلال والحرام إلاّ أنّها آلت هي الأخرى لتندرج في القسم الثاني بعد أن منع ابن الزبير بخاصّة والمدرسة الرأيوية بعامّة عنها..، وقل مثل ذلك في التختم باليمين وفي تسطيح القبور وباقي مفردات نظرية الحرام والحلال..

نخلص من ذلك إلى أنّ القسم الثاني على ضوء نظرية التقسيم لا يقف عند النصوص السماوية التي جاءت مبينة لغير ما هو حلال وحرام، بل هو شاملٌ لكل نص من شأنه أن يكون سلاحاً فعّالاً في عمليات الصراع من أجل الهوية الوحيوية والتراث السماوي..

وبكلمة واحدة فمعيارية كون هذا النص ـ محتوىً أو مضموناً ـ من هذا القسم أو ذاك هو ما يتحلّى به من سمة الشعارية المؤثرة في خضمّ الصراع بشقّيه العام والخاص.

مصداقية تداخل القسمين في الصلاة!

وإذا كان تداخل كل من القسمين في آية البلاغ وفي حديث الثقلين: «**كتاب الله وعترتي وأهل بيتي...**» أمرٌ يوافق المعطيات العلمية

---

(١) تفسير الرازي ١: ٢٠٦.

والأولويات العقائدية ومناخ الإسلام العام، فمما لا ريب فيه بناء على ذلك هو وجود مصداقية كاملة لهذا التداخل في الصيغة القائلة: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»**..

ففي الوقت الذي يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] نجد الرسول ﷺ ينفي قيمة الصلاة عليه وحده بالكامل بقوله ﷺ: **«لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء»**[2]؛ ناصاً ﷺ على أنّ الاجتزاء بالصلاة عليه بالغاء ذكر العترة أو تناسي وجودهم القدسي تفريغ لمحتوى الصلاة عليه الذي نصت عليه الآية الكريمة.

وليس هذا وحسب فالرسول ﷺ يومىء بأنّ هذا يقود بنحو من الأنحاء إلى محذور الإيمان ببعض مقررات الوحي والكفر بالبعض الآخر، وإلى أنّ الإسلام متجزأ وليس هو بوحدة واحدة؛ أي أنّ نصوصه وكل مقرراته ليست متداخلة بعضها بالبعض الآخر..

بيد أنّ هذا محذور عقائدي خطير والإنصياع إليه عن دراية وعلم هو كما أراه مفتاح من مفاتيح الكفر؛ لأنّه إذ ذاك يدور في حلبة الجحود بالله العظيم وإن كان بشكل غير مباشر؛ فكما أسلفنا فإنّ تناسي جزء من أجزاء الإسلام عن عمد وإصرار تناس للإسلام نفسه، بداهة أنّ الكل يفقد هويته بالكامل إذا فقد بعض أجزائه عمداً..

ومن خلال المقايسة بين الصيغة النبوية القائلة: **«كتاب الله وعترتي أهل بيتي...»** وبين الصيغة النبوية التي تقول: **«اللهم صل على محمد**

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) في الفصل اللاحق سنمعن البحث في هذا الحديث وما يجري في مجراه سندا ودلالة.

وآل محمد» والتي شرّعت في أطار: **«لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء»**(١) يتضح ما اسميناه بالتداخل بجلاء، ففي الوقت الذي لا نشك في أنّ الكتاب الكريم من دون عملية الاقتران بالعترة لا تتجسد مضامينه على أرض الواقع بأيِ نحو من انحاء التجسيد كذلك الأمر في تحقيق الهدف السماوي من صيغة: **«اللهمّ صل على محمد وآل محمد»** إذ لا ولن يتحقق الهدف من الإيصاء بها من دون العترة (=الآل).

وآية ذلك في الأول اقترانهم بالكتاب فيما يتعلق بحفظ الدين: **«كتاب الله وعترتي أهل بيتي»** وفي الثاني قوله ﷺ: **«لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء»**.

وهناك شيء آخر نستطيع على ضوئه أن نزعم بوحدة الهدف في كل من الأمرين، ففيما يظهر فإنّ الهدف السماوي الذي دفع بالوحي لأن يوصي بالصلاة على الرسول بشرط اقتران أهل البيت يصب فيما يصب فيه الهدف الذي لأجله أولى الوحي اهتماماً بالغاً بالتزام الكتاب الكريم بشرط المرور بأهل البيت للانتهال منه (كما هو صريح حديث الثقلين)..

فلسفة الاقتران بالعترة عموماً!

ربما أجبنا عن ذلك في مطاوي بحوثنا السابقة ولكن تفرض علينا مسيرة البحث أن نبلور نقطة في غاية الأهمية تتلخص في أن نظرية الإسلام بكل أبعادها مطوية في القرآن (الكتاب)، وقد أجمعت الأمة الإسلامية على أنّ غير الرسول ﷺ لا ينهض بمسؤولية توضيح مبهمات

---

(١) سنتعرض لهذا الحديث في غضون المباحث اللاحقة، ولكن نشير إلى أنّ الأمة الإسلامية أجمعت على أنّ آل النبي يصلّى عليهم بلا خلاف، كما هو صريح ابن القيم في جلاء الأفهام: ٣٥٠، وسنتعرض لكل ذلك فيما بعد بتفصيل.

هذا الكتاب المقدس؛ هذا في حياته ﷺ..

أمّا بعد التحاقه بالرفيق الأعلى فكما أفاده حديث الثقلين المتواتر فالمسؤولية منحصرة بأهل البيت عليهم السلام، ولا شك بناء على ذلك في أنّ وظيفة آهل البيت عليهم السلام هي موازية لوظيفة الرسول ﷺ التي لم ينء بعبئها سواه في حياته الشريفة، وهذا مسلك من المسالك نفهم على أساسه معنى العصمة بقناعة تامّة.

ولكن قد يقال مرة أخرى: إنّ الله تعالى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾ أي أنّ الشريعة كملت بنزول آخر آية من القرآن وبآخر مفردة من مفردات البيان النبوية، وبناء على ذلك فما هي الحاجة إلى العترة مع الاعتقاد الكامل بأنّ الشريعة كاملة تامة؟

أقول: بيد أنّا لو التزمنا بمفروض السؤال كما قرره السائل فسنقع حينئذ بمحاذير عقائدية لا تحصى؛ أخطرها أنّ الالتزام بمفاد هذا التقرير يعني أنّ قول الرسول ﷺ: «كتاب الله وعترتي...» لغو، وهو ردّ صريح على الله، وجحود بأهم مقرراته المصاغة بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ إذ ما الفائدة منه مع أنّ المدار على الشريعة التي قد بُلّغت بالكامل.

ثمّ أقول: لا ريب في أنّ الرسول ﷺ حينما قال: «ألا هل بلغت» يريد أن يقول: إنّ عملية تبليغ الإسلام قد تمت، الأمر الذي يقود للاعتقاد بأن الشريعة قد بلغت بالكامل فعلاً..

وأحسب أنّ المخرج العلمي الصحيح من هذا الإشكال هو اللجوء إلى رؤيتنا في تقسيم النصوص؛ لوضوح أنّ المراد من أمثال حديث الثقلين

والغدير وغيرهما هو بناء ما يمكن به إبقاء الدين والشريعة؛ إذ ليس هو في صدد بناء دين وشريعة (=القسم الأول) لأنها كما هو صريح الآيات والروايات قد بنيت وبُلّغت فعلاً.

نخلص من كل ذلك إلى أنّ الهدف من اقتران الكتاب بالعترة ليس هو غير المحافظة على قوانين الإسلام (الشريعة = العبادات + المعاملات) تلك القوانين التي بلغت بالكامل في عهد الرسول ﷺ والتي هي عرضة للضياع الكامل بعد الرسول ﷺ؛ وطبقاً لحديث الثقلين المتواتر ولغيره من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن الرسول ﷺ كحديث السفينة[1] لا يبقى عندنا أدنى ترديد في أنّ اتّباع غير أهل البيت في عملية الانتماء للإسلام يوجب الضلال والمروق عن الدين لا محالة، هذا من الناحية النظرية...

ومن الناحية التطبيقية فالأمثلة أكثر من أن تحصى؛ أبرزها في واجهة التاريخ الإسلاموي أَدْلَجَة[2] عمر بن الخطاب التي تجسّمت بوضوح في ما قام به من عملية فصل الكتاب عن العترة؛ تلك الأيديولوجية المطوية في قوله: حسبنا كتاب الله إنّ النبي غلبه الوجع أو يهجر كما في بعض

---

(١) وهو قوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهلك» انظر المعجم الأوسط للطبراني ٥: ٣٠٦ وغيره من المصادر.

(٢) الأسطرة مقولة من مقولات علم الأنثربولوجيا الحديث وكذلك الأدلجة، ومعنى الأول: العملية التي من خلالها تجعل الأسطورة والخرافة كأنّها حقيقة، ومن ذلك خرافة عدالة الصحابة أجمعين التي تعاملت معها بعض الطوائف الإسلامية على أنّها حقيقة إسلامية، أمّا الأدلجة: فهي العملية التي تجعل من تلك الخرافة والأسطورة التي آل أمرها عند البعض لأن تكون وكأنّها حقيقة أيديولوجيا كاملة.

النصوص، ولكن مهما كان الأمر فهي رد صريح على الرسول ﷺ الموصي بالاقتران، وبكلمة واحدة هي رد على الله القائل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (١) بأبشع صورة.

ويثير عجبي أنّ بعض المتزمتين يحكمون بهدر دم من يسبّ عمر بحجة أن عمر من أهل بيعة الرضوان؛ بزعم أنّ سبّ أهل هذه البيعة ردّ على الله القائل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (٢) ولكن لا أدري ما هو التخريج العلمي عندهم لرد عمر على الله في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ..؟!!!.

فلسفة ذكر العترة في الصلاة بخاصّة!

فكما أنّ فلسفة الاغتراف من معين الكتاب (القرآن العظيم) تحت إدارة العترة عليهم السلام تكمن في قدرة العترة على إبقاء الكتاب سليماً معافى من سرطان التحريف، وبالتالي الابقاء على نبض القلب الإسلامي دؤوبا مع الليل والنهار، فكذلك هي فلسفة اقتران العترة بالرسول ﷺ في الصلاة؛ لأنّها في طول فلسفة اقتران العترة بالكتاب، إذ أنّ هناك جامعاً مشتركاً بين حديث الثقلين وبين الأحاديث الموجبة لاقتران العترة بالرسول في الصلاة، يتبين من خلال هذه المقدمات:

١ ـ إنّ الصلاة على محمد ﷺ من دون ذكر العترة حرام؛ لأحاديث النهي عن الصلاة البتراء وما في مضمونها.

٢ ـ وارتكاب الحرام ضلال؛ إجماعاً من أهل القبلة؛ بل هو من

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) الفتح: ١٨.

ضرورياتهم.

٣ ـ إذن فالصلاة على النبي من دون ذكر العترة ضلال.

٤ ـ ثم إنّ تناسي العترة في عملية الأخذ من الدين ضلال[1].. طبقاً لمقررات الوحي في حديث الثقلين وفي غيره.

ويتبين ذلك بشكل جيد حينما نقول: إنّ الرجوع للكتاب من دون العترة ضلال، ومن مصاديق الرجوع للكتاب من دون اعتبار العترة الصلاةُ البتراءُ..

فإنّ الأخذ بظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ بضرب قول الرسول ﷺ: «لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء» وما في معناه عرض الجدار ضلالٌ لا محالة.

يتحصل من ذلك أنّ حقيقة كل من الفلسفتين واحدة وهي التدرع حيال الضلال، غاية ما في الأمر أنّ الضلال المقصود في حديث الثقلين المتواتر ناشيء عن الإعراض عن آل البيت عليهم السلام بالكيلة وفي الصلاة البتراء ناشيء عن الإعراض عنهم ﷺ في خصوص هذه المفردة.

ولكن هذا من ناحية نظرية ليس غير؛ لأنّ الناحية التطبيقية شهدت كما أعلن التاريخ بوحدة الموقف؛ فالذين ازورُّوا عن العترة وراحوا يأخذون من الكتاب (القرآن الكريم) معالم دينهم تطبيقاً لشعار عمر: (حسبنا كتاب الله إنّ النبي يهجر) تقليداً له في الموقف السلبي من العترة بإزوائهم عن مراتبهم القدسية التي رتبهم الله فيها، هم وليس غيرهم من يصلّي الصلاة البتراء طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان؛ منذ عهد أبي بكر

---

(١) لأنّ الرسول ﷺ يقول: «كتاب الله وعترتي آل بيتي ما إن أخذتم بهما لن تضلوا أبداً».

حتى يومك هذا..

وفي مقابل ذلك شيعة محمد وآل ومحمد ﷺ الذين لا يأخذون الدين من الكتاب إلاّ بإمضاء أهل البيت وتوجيههم ﷺ والذين هم فيما سوى ذلك يصلّون على محمد وآل محمد ﷺ عبر تتالي تلك القرون.

وهذا إن دل فإنّما يدل على انقسام المسلمين إلى قسمين فيما يتعلق بالصلاة على محمد وآل محمد: الأول يصلي الصلاة البتراء من دون ذكر العترة عناداً ـ مدروسٌ طبعاً ـ مع الرسول ﷺ القائل: «**لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء**» والثاني يصلّي مع ذكر العترة طاعة للرسول ﷺ..

غير أنّ هذا الإنقسام ليس بالجديد؛ إذ هو متفرع عن انقسام المسلمين الأول في الانصياع لله وللرسول ﷺ بوجوب اتّباع العترة، وفي عدم الإنصياع لله وللرسول وعدم اتّباع العترة..

ومن هنا تتضح معالم المدرستين: فالأولى تدور مع العترة حيثما دارت والثانية على العكس من ذلك تماماً؛ أسماهما بعض مفكري الشيعة بمدرسة آل البيت والثانية بمدرسة الخلفاء؛ واللتان أسميناهما في بعض كتبنا[1] بمدرستي الوحيويين والرأيويين إشارة منّا إلى أنّ حقيقة كل مدرسة هي الوحي أو الرأي بشكل مطلق ومن خلال كل أبعاد الصراع: السياسية والإجتماعية والأنثربولوجية والأخلاقية والنفسية والتاريخية والعقائدية والشرعية وغيرها من الأبعاد، وليس هو الصراع من خلال البعد السياسي أو البعد الواحد لا غير!.

الصلاة بين الوحيويين والرأيويين:

كما ذكرنا انقسم المسلمون بعد الرسول ﷺ إلى مدرستين بوضوح بعد أن كانوا كذلك في عهد الرسول ﷺ ولكن ليس بشكل واضح..

---

(١) الرسول المصطفى ومقولة الرأي.

المدرسة الأولى:

فهمت الدين على أنّه رجوعٌ إلى الله وإلى الرسول ﷺ وإلى آل بيت الرسول ﷺ؛ انصياعاً لمقررات الوحي المصاغة بالآيات القرآنية الكثيرة والروايات المتواترة وغير المتواترة الصحيحة والمستفيظة التي لا يمكن أن يحصيها المحصون بسهولة..

وانصياعاً لسلوك وسيرة الرسول ﷺ في هذا الأمر، وهذه هي التي أسميناها بمدرسة الوحيويين؛ والتي تقومت ذاتياً بالوحي؛ لأنّها تدور معه حيثما دار لا شيء سواه.

المدرسة الثانية:

تلك التي ازورت عن آل البيت وعن الرسول ﷺ شرّ ازورار، أمّا ازورارها عن آل البيت فهو أوضح من أن يطول فيه الكلام، وأمّا ازورارها عن الرسول ﷺ فهو ما نص عليه أستاذ مدرسة الرأيويين ومؤسسها الأول عمر بن الخطاب بقوله: (حسبنا كتاب الله إنّ النبي يهجر)[1].

علم عمر وهو السياسي المحنك أنّ سنّة رسول الله ﷺ قادرةٌ تماماً على زعزة موقعه السياسي كسلطان على المسلمين، ذلك الموقع الذي حاز عليه بمباركة الكتلة القرشية خلال قرارها الصارم..، فقد علم أنّ التعبد بسنة الرسول ﷺ كفيل بتحطيم كل مشروع قرشي (أقوى حزب في الجزيرة العربية)[2] فعمل على إبعاد آل بيت رسول الله ﷺ عن موقعهم الوحيوي في إدارة الشؤون الإسلامية؛ ولو قال مثلاً: حسبنا كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فهو والحال هذه حيال حديث الثقلين المتواتر وحديث السفينة، وحديث الغدير المتواتر و...؛ تلك الأحاديث التي أبى

---

(١) صحيح البخاري ١: ٣٧، تاريخ الطبري ٢: ٤٣٦.

(٢) هكذا قال العقّاد في مجموعته الكاملة ٢: ١١١.

الله تعالى إلاّ أن تصل إلينا متواترة .

هذه النصوص المقدسة أحاديث نبوية ومقررات وحيوية كفيلة باظهار عوار كل مشاريع قريش المطوية تحت أضلاع عمر الهادفة إلى أبعاد بني هاشم عن مواقعهم المؤثرة في بناء الإسلام..

قال الطبري: قال عمر لابن عباس: أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟

قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني!

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت.

فقلت: يا أمير المؤمنين: إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت.

فقال عمر: تكلم يا ابن عباس.

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أنّ قريش اختارت لأنفسها حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة؛ فإن الله وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1].

فقال عمر: هيهات والله يا بن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك عندي.

---

(١) محمد ﷺ: ٩.

فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين، فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً!.

فقلت: أمّا قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً؛ فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول وضغناً وغشاً ما يزول[١]....

بيد أن عمر علم فيما بعد أنّ سنة رسول الله ﷺ فيها ما يظهر عوار المشاريع القرشية ويهدد وجود المدرسة الرأيوية؛ أعني به ما أسميته بالقسم الثاني من أقسام السنة النبوية الذي يهدف إلى إبقاء الدين من الضياع، وفيها ما يحدد معالم نظرية التشريع الإسلامية والحلال والحرام والذي أسميته بالقسم الأول.

ولا ينبغي الريب كما أوضحنا سابقاً أنّ القسم الثاني من سنة الرسول ﷺ الذي ينطوي على آلية الابقاء على الدين وبعبارة أخرى الذي ينطوي على آلية فضح عوار المشاريع الرأيوية اللانبوية، وبعبارة ثالثة الذي يتحلى بسمة الشعارية، هو ما أقلق مضجع عمر وقريش.

لذلك أجمع المؤرخون والمفسرون والفقهاء وغيرهم على أنّ عمر منع من كتابه أو رواية حديث رسول الله ﷺ، ولكنهم لم يفسروا لنا ذلك كما فسرناه؛ فإنّ عمر قبيل وفاة الرسول ﷺ في زرية يوم الخميس قال: (حسبنا كتاب الله)، ولكن بعد أعوام من هذا التاريخ في فترة خلافته قال: أقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلاّ فيما يعمل به[٢].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٨٩، شرح نهج البلاغة ١: ١٨٩ و١٢: ٥٤.

(٢) مصنف عبد الرزاق ١١: ٢٦٢، تاريخ مدينة دمشق ٦٧: ٣٤٤، البداية والنهاية ٨: ١١٥

إنّ تقسيم عمر لسنة الرسول ﷺ إلى ما يعمل به وإلى ما لا يعمل به لم يفسر من قبل المفكرين والباحثين بموضوعية، بل لم يخطر ببالهم أن يفسّروا ذلك على ضوء منهج واضح جامع للشتات، ولا مغالاة فيما إذا قلنا: بأنّهم لن يجدوا ـ فيما نظن ـ حلاً مقنعاً من دون الرجوع إلى منهجنا في قراءة السنة النبوية في مجراها العام؛ فأنت ترى أنّ عمر في المرحلة الثانية قسّم النصوص إلى قسمين: (ما يعمل به) و: (ما لا يعمل به) فتأمّل كثيراً..!!!

إنّ الذي لا يُعمل به هي تلك النصوص التي تمثل مشروعاً وحيوياً للصراع من أجل الدين؛ أو قل تلك النصوص التي تنطوي على سمة الشعارية القادرة على المجابهة...، وهذا المشروع كما ذكرنا لك هو في مقابل المشروع القرشي في حيازة السلطة الإسلامية المتمثلة بغير أهل بيت الرسول، وهذا هو الذي منع منه عمر بإصرار لا يقبل الرجعة..، أما ما يعمل به في نظر عمر فهي روايات القسم الأول من السنة النبوية التي تمثل عناصر نظرية التشريع والحلال والحرام، وهذا في إطار الثابت والمتحول طبعاً كما وضّحنا..

فعمر، وبهذا القرار الخطير قد جرّد الإسلام من حيويته وديناميكيته وفاعليته، وحصره في قوالب طقوسية جامدة لا روح فيها!!!.

ثمّ أنّ عمر وإن كان قد صرح بجواز رواية ما يعمل به إلاّ أنّ تاريخ التشريع الإسلامي أعلن وبكل وضوح أنّ عمر ضرب عرض الجدار كثيراً من أحاديث هذا القسم؛ فهو كان يجتهد في مقابل النص ويتعرف المصلحة التي لا دليل عليها من الشرع؛ تلبية لحالة الحرج التي كان يلاقيها باعتباره خليفة، فهو كان يجتهد إمّا لأنّه لم يحط خبراً بمفاصل النظرية الإسلامية في التشريع، وإمّا لأنّ الانصياع الكامل لما يُعمل به كان بنحو وبآخر يهدد وجوده القرشي سلطاناً على رقاب المسلمين، وإمّا لمجموع الأمرين..

وإذا تحدثنا عن أسباب المنع من هذا الجانب فقط نقول: إنّ الخروج من هذه الأزمة كان يملي على عمر ان يغيّر معالم نظرية الإسلام لتكون رأيوية؛ والابتعاد بها ما استطاع سبيلاً عن وحيويتها؛ فبعد أن كانت نظرية الإسلام تدور في مدار الوحي: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أدارها عمر في مدار الرأي حينما قال: حسبنا كتاب الله، إنّ الرجل (الرسول) ليهجر، وحينما ألغى أدوار ووضائف القسم الثاني من السنة النبوية أو فرغ محتواه (الذي لا يعمل به في نظره)، بل وحينما كان يجتهد مقابل النص؛ متعرفاً على مصلحة لا تنسجم مع مقررات الدين بشكل واضح..

وإذا كان الأمر كذلك، فليس عجيباً أن لا نجد ولا نصاً واحداً يشير إلى أنّ عمر أو قريش أو من انتمى إليهما في النزعة اللاوحيوية كان يصلّي على آل محمد حين الصلاة على محمد ﷺ، وآية ذلك أنّ المدرسة الرأيوية (العمرية ـ القرشية) عبر التاريخ وحتى يومك هذا لا تصلّي على آل بيت الرسول ﷺ حين الصلاة على الرسول ﷺ..

ولعلك تقول:

إنّنا في بعض الأحيان نسمع بعض أهل السنّة وخاصّة خطباءهم يصلون على آل محمد حين الصلاة على محمد ﷺ..

ولكنّنا نقول:

إنّ هذا وإن كان صحيحاً إلاّ أنّه لا يقع منهم إلاّ في نادر الأحيان، هذا أولاً.

وثانياً: وفي فرض الوقوع فصلاتهم على الآل هي صلاة بِدْعيّة وليست شرعية؛ بمعنى أنّهم يصلّون هكذا: اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وصحبه أجمعين، أو ما يشبه هذه الصيغة..، ولكن هذه الصيغة

ليست من دين الله؛ إذ لم يدل عليها دليل من الشرع؛ أي لم يدل دليل قرآني أو حديثي على محبوبية الصلاة على أحد من البشر سوى آل محمد تبعاً لمحمد ﷺ كما ستعرف لاحقاً بتفصيل.

وثالثاً: فهاهي كتبهم المطبوعة ليس فيها سوى: اللهم صل على محمد وسلم.

ورابعاً: فكل أهل السنة وخاصّة علماءهم وخطباءهم حينما يقولون: قال رسول الله يقولون بلا فاصلة: صلى الله عليه وسلم من دون ذكر الآل، وخامساً وسادساً وسابعاً....

ومهما يكن فتفسير ذلك بناءً على ما قدمنا هو أنّ الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ سواء أقلنا إنّها من مفردات القسم الثاني من قسمي نظرية الإسلام (الذي لا يعمل به بنظر عمر) أم قلنا إنّها من مفردات القسم الأول (الذي يعمل به) حسب اعتبارات التقسيم، هي مفردة تعني شيئين:

الأول: إنّ منعها والازورار عنها من قبل الرأيويين مع علمهم بأنها من شرع الله يدل دلالة قاطعة على أنّها ضرر عليهم، وإنّها من مشاريع الوحي في الصراع والمواجهة؛ وآية ذلك أنّ الرأيويين هم من منع منها عبر التاريخ الطويل وليس غيرهم من أهل الإسلام.

الثاني: ومع إصرار الرأيويين على ضرورة ترك الصلاة الوحيوية (الصلاة على محمد + آل محمد) بتغيير معالمها إلى أن تكون رأيوية يدْعِيهُ عبر أربعة عشر قرناً، لا يسعنا إلاّ أن نقول: إنّ إصرار الوحي في مقابل ذلك على ضرورة الصلاة الوحيوية يهدف إلى الوقوف في وجه انتشار سرطان النزعة الرأيوية في بدن الإسلام ولو من خلال صيغة الصلاة..

إنّنا لنخلص من كل ذلك إلى أنّ هناك اصرارا شديداً من قبل المدرستين

على كيفية الصلاة وعلى مدى أربعة عشر قرناً..

الأولى: ترى الصلاة على محمد ﷺ من دون أهل بيته بتراء كما رآها الرسول ﷺ.

والثانية: تصر على أن تكون بتراء مع علمها بأنّ الرسول نهى عن الصلاة البتراء؛ وليس عندها من دليل على ذلك سوى مهزلة: رغماً لأنوف الشيعة المستقاة من فلسفة قريش المصاغة بقول ابن الزبير: ما منعني من ترك الصلاة على محمد إلاّ أن تشمخ رجال بآنافها، إنّ له أُهَيْلَ بيت سوء، وليس يخفى أنّ ابن الزبير لا يعني بهذا الكلام على وجه الخصوص غير عليٍّ عليه السلام والحسن والحسين؛ وآية ذلك أنّه أصرّ على أن يشهر السيف في وجوههم في الجمل وفي غيرها محاولاً إنهائهم لو تسنّى له ذلك، ولكن أبى الله ويأبى تقدّست أسماؤه!!!

عزيزي القارئ، علينا أن لا نكون ساذجين..، علينا أن نرتقي عن مقررات المناهج الكلاسيكية التي تفسر مقولة: رغماً لأنوف الشيعة بالعناد وحسب؛ لأنّ هذه المقولة على ضوء ما قرّرناه مشروع ضخم ومدروس هو أكبر من تصوّراتنا الساذجة؛ إذ هو مشروع كامل في مقابل مشروع الوحي المطوي في القسم الثاني من النصوص الإسلامية؛ وهو عينه الذي جهد عمر ـ أو قريش ـ بطمس معالمه في رزية يوم الخميس حينما اتهم الرسول بأنّه يهجر، وحينما قرر وقال: حسبنا كتاب الله، وحينما منع من الحديث في فترة خلافته، وحينما ضرب الصحابة وسجنهم لأنّهم لم يتابعوه في قرار المنع.

فالصلاة الوحيوية في إطار هذا الصراع مفردة عظيمة من مفردات مشروع مدرسة آل البيت عليهم السلام في الكفاح من أجل الوحي، كما وأنّ الصلاة البذعيّة مفردة عظيمة من مفردات مشروع المدرسة الرأيوية التي أسسها عمر على ضوء فلسفة قريش المتمسلمة القائمة على ضرب الآل.

وآية ذلك أنّ الصراع بين المدرستين الوحيوية والرأيوية أو قل الصراع بين الصلاتين الصلاتين الوحيوية والرأيوية عمره بعمر الإسلام أي هو قائم على مدى أربعة عشر قرناً، بل هو قائم حتى هذه الساعة.

ولنا أن نتسائل هنا بموضوعية أكثر عمّا هو دور الصلاة المميّز في عملية الصراع عموماً ومع المدرسة الرأيوية بنحو خاص؟!.

الذي توصلنا إليه حسب مقررات علوم الانسان المطوية في النصوص الإسلامية المقدسة هو بناء حس ديني لا يمكن من دونه الدفاع عن الدين والصراع من أجله؛ فإنّ الوحي نجح غاية النجاح في الأخذ بصيغة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» من دائرتها الصوفية إلى حيث صارت تراثاً لمدرسة الوحي وشعاراً لحياة هويتهم الدينية.

أي نجح في الأخذ بأفراد هذه المدرسة إلى حيث الدفاع عن الخصائص الذاتية لمدرستهم بإرادة وبغير إرادة، وهذا كما أخبرناك لا يقتصر على الصلاة بل يشمل كل ما من شأنه أن يكون شعاراً كزيارة الحسين عليه السلام وحيّ على خير العمل والسجود على التربة الحسينية أنالنا الله شفاعة صاحبها و....

نظرية الحس الديني:

الحس الديني (أو الإحساس بالمسؤولية الدينية) كما أفهمه: هو اللاشعور الذي يدفع بالمرء لأن يُجَسِّد ما يعتقد في قلبه من مقررات دينية في سلوكه الخارجي بلا إرادة.

وفيما أحسب فقد أوضحت البحوث المتقدمة أنّ هناك فرقاً جوهرياً بين السمات العامّة لسلوكيات المجتمع الإسلامي وبين سلوكيات المجتمعات الأخرى؛ سواء أكانت تلك المجتمعات دينية أم غير دينية..

وتتضح معالم هذا الفرق الجوهري بمقارنة بسيطة بين التماسك النسبي في المجتمع الإسلامي قياساً بغيره؛ فقد أثبتت إحصائيات علماء الإجتماع التي لا يسع أن ينكرها من يريد أن ينكرها أنّ النزعة الإنسانية عند الغرب لا يمكن أن تقاس بالنزعة الإنسانية عند المسلمين، هذا إذا وجدت - بشكل مرضٍ - نزعة إنسانية عند الغرب الذي غاب الله عن ساحته بسبب القانون الوضعي كما اعترف نيتشة وغوشيه وماكس فيبر وغيرهم!

وإذا شككنا في كل شيء فلا نشك في أنّ للمسلمين على ضوء الإسلام موقفاً سلبياً حازماً من كل ما من شأنه أن يأخذ بهم إلى الرذيلة التي هي سبب تمزق المجتمع بالكامل؛ فموقفهم العام من الزنا مثلاً ومن السرقة ومن اللواط ومن شرب الخمر، ومن الاعتداء على أعراض الآخرين وغير ذلك هو الذي أضفى عليهم وعلى مجتمعهم مسحة من التماسك، وليس أوضح من نسبة الجريمة في مجتمعاتنا الإسلامية التي إذا قيست بنسبة الجريمة في المجتمع الغربي لا نجدها شيئاً يذكر.

وكمسلمين لا نشك إجمالاً في أنّ الإحساس بالمسؤولية تجاه الله عبر الدين الإسلامي الحنيف هو سبب كل تفوق يمكن أن ندعيه قياساً بغيرنا وفي شتى مجالات الحياة..

هذا اليقين يدعونا لأن نقرأ الإسلام قراءة ثانية؛ ففيما يظهر برهن الواقع الإسلامي على أنّ الإسلام ليس قانوناً يجبر الإنسان على أن لا يزني أو لا يسرق مثلاً، بل فيه ما يدفع الإنسان بلا إرادة لأن لا يزني ولا يسرق، وأكثر من ذلك وهو أنّه يدفع بالإنسان إلى حيث النزعة الإنسانية التي كانت همّ الأنبياء والمرسلين الأول في رسالاتهم إلى بني البشر.

وبكلمة واحدة فإنّ الإحساس بالمسؤولية تجاه الله أولاً وتجاه الرسول ﷺ ثانياً وتجاه آل البيت ﷺ ثالثاً هو ما جعل من المجتمع

الإسلامي متفوقاً على غيره في إطار النزعة الإنسانية ليس في ذلك أدنى شك؛ إذ بهذه النزعة انطلق الأنبياء والمرسلون في مهمّة التبليغ السماوي، وبهذه النزعة استقطبوا من استقطبوا من بني البشر، هذا بنحو عام..

وبنحو خاص وبعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى بهذه النزعة استطاع أهل بيت الرسول ﷺ أن يقوموا بمهمّتهم السماوية في الحفاظ على بيضة الدين..

إذن فهذه النزعة السماوية هي البعد الرابع للنظريات الوحيوية السماوية التي جاء بها الأنبياء والمرسلون وهم يمارسون تبليغ الدين، ومن دونها لا يؤتي التبليغ أكله، كما وأنّها البعد الرابع لعملية الحفاظ على بيضة الدين التي ناء بحملها أهل البيت عليهم السلام.

وليس من شك في أن حياة الإسلام على أرض الواقع دليل واقعي على حياته في قلوب ونفوس المسلمين، وإذا ما افترضنا موته في النفوس والقلوب فليس من شك أيضاً في أنّ تقييمنا للدين المطروح خلال السلوك العام على أرض الواقع ساعتئذ هو تقييم سلبي، ومدار كل ذلك هو حياة الدين في قلوبنا وأنفسنا وعدم ذلك، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى لا شك في أنّ تنظيم سلوك الفرد الإنساني عموماً لا يمكن أن نتخيل له النجاح بأدناه من دون قوانين الوحي الإسلامية التي جاهد من أجلها الأنبياء والأوصياء، آية ذلك ما أعلنه التاريخ البشري بالنسبة لكل المجتمعات ذات الموقف الإيجابي أو السلبي مع الوحي خلال الأنبياء والمرسلين عبر التاريخ الطويل....

غير أنّ الذي نشك فيه هو كفاية هذه القوانين السماوية الوحيوية من دون تفاعل البشر معها في عملية البناء وفي تحقيق الهدف الذي جائت من أجله؛ بل لا جزاف في القول: إنّ القوانين حتى لو كانت وحيوية إذا جرّدت عن تفاعل البشر معها نفسياً لا تغني شيئاً قليلاً أو كثيراً، وقارون

بني إسرائيل والسامري وأعداء الرسول ﷺ من المنافقين ومن غيرهم خير مثال؛ فإنّ أقل ما يقال في ذلك أنهم لم يقدّسوها ولم ينقادوا إليها؛ أي لم يتفاعلوا معها خلال ذلك الجانب النفسي الذي هو أولاً وآخراً علة الإنقياد والإنتماء...

فعمر بن الخطاب مثلاً وسائر قريش (المؤلفة قلوبهم) حينما ضربوا بسنة رسول الله ﷺ عرض الجدار بقولهم: إنّ الرجل ليهجر حسبنا كتاب الله، دلّ هذا على أنّ سنة الرسول ﷺ وما تتضمن من مقررات إلهية عظيمة لا تساوي عندهم حبة خردل إذا ما تقاطعت مع المصلحة التي يتعرفون عليها، حتى مع كونها في حسابات الوحي الإلهية أفضل سنة أنزلت على البشرية على الإطلاق.

فمقررات الإسلام إذن وقوانينه السماوية، هي في الوقت الذي يراها الوحي إرادة إلهية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وأنّها دون سواها صالحة لبناء الحياة، يقرر عمر تبعاً لقريش بضرورة المنع منها روايةً وتدويناً، طبعاً هذا على أحسن التقادير؛ لأنّ هذا الاتجاه يراها كما برهنّا عليه سابقاً ضرراً ما بعده ضرر؛ ولذلك منع منها..

وعلى العكس من ذلك تماماً أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذ لا ريب في أنّه عليه السلام كان رأس الحافظين للسنّة؛ لأنّه ومن دون أدنى شك أوعى الناس لها على الإطلاق..، وعلى كل حال فالمسلمون ممّن جاء بعدهما؛ أي بعد عمر وعلي عليه السلام على قسمين باعتبار ذلك..

ما نريد قوله أنّ ما يميز أعضاء المدرستين هو الاحساس أو عدم الإحساس بقدسية القوانين السماوية؛ ذلك الاحساس الذي لولاه لمات الإسلام في أول يوم جاء به الرسول ﷺ...؛ بل ذلك الإحساس الذي لولا علي بن أبي طالب وآل بيت رسول الله ﷺ لمات أيضاً بمجرد وفاة الرسول ﷺ؛ أي حينما قالت قريش (حسبنا كتاب الله) ضاربةً بالذي لا

يعمل به من سنة الرسول ﷺ عرض الجدار.

إنّ الإحساس بقيمة مقررات الدين وبآليات بنائه في نفس المجتمع الإسلامي هو ما أبقى الدين حياً جلداً قادراً على الصراع والبقاء حتى يومك هذا، أمّا نفس مقررات الدين فهي وإن كانت مقدسة في نفسها إلاّ أنّ ذلك لا يكفي لبقائها حية من دون إحيائها في النفوس؛ فهي ليست مقررات لعالم الملكوت الأمثل، إنّما هي لعالمنا الأرضي الإنساني؛ الذي فيه موسى عليه السلام والذي فيه في المقابل قارون....

إن عمر ومدرسة الرأيويين حينما طرحوا شعار حسبنا كتاب الله ومشروع ما يعمل به ممّا هو ليس بضرر على وجودهم الأسطوري يتضمن ذلك بنحو وبآخر طرح مشروع إماتة حس النفوس بالمقررات السماوية التي موضوعها الأساسي آل البيت عليهم السلام، ذلك الحس الذي يعطي لمدرسة الوحي الحياة ويكسبها الفعالية مع حركة التاريخ القاسية، والمؤثر في استمالة النفوس نحو آل البيت عليهم السلام؛ الأمر الذي يخيف قريش للغاية!

هناك فرق آيديولوجي (فضلاً عن الفروق الذاتية الأخرى) بين مدرسة الوحيويين ومدرسة الرأيويين، وهو أنّ الثانية حينما طرحت مشروع الاكتفاء بالكتاب (القرآن) ومشروع تقزيم الأطروحة النبوية الضّارّة على وجودها لم تنج ممّا يهدد وجودها السياسي، خاصّة إذا لا حظنا أنّ آليات الإبقاء المتجسدة في مدرسة الوحيويين تدل دلالة تاريخية سماوية قاطعة على مشروعيتها الكاملة في تمثيل الإرادة العُلْويَّة، بل هي في نفس الوقت برهان كامل على زيف تمثيل المدرسة الأخرى للإسلام، فما العمل؟

علاج هذه المشكلة هو العمل على بناء مشروع يقف حجر عثرة أمام مشروع بناء الحس الديني الذي له القابلية الكاملة على زعزعة الوجود الرأيوي؛ لذلك جدّت مدرسة قريش الرأيوية ابتداءً من عهد الرسول ﷺ وحتى يومك هذا على عدم الاعتراف بعناصر بناء هذا المشروع وبكل ما

يمت إليه بصلة قريبة أو بعيدة..

خرّج الهيثمي في مجمع الزوائد بسند حسن كما قال هو عن ابن الزبير قال: قالت قريش إنّ مثل محمد مثل نخلة في كبوة[١].

روى الطبراني بسنده عن عبد الرحمن بن أبي رافع أنّ أم هانئ بنت أبي طالب آذاها عمر بن الخطاب بقوله: إعلمي أنّ محمداً لا يغني عنك شيئاً!

فجاءت إلى النبي ﷺ فأخبرته!

فقال رسول الله ﷺ: «**ما بال أقوام يزعمون أنّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي، وأن شفاعتي تنال حا وحكم**»[٢].

وروي أنّ صفية بنت عبد المطلب مرت على ملأ من قريش، فإذا هم يتفاخرون ويذكرون الجاهلية، فقالت: منّا رسول الله ﷺ!

فقالوا: إنّ الشجرة لتنبت في الكبا ـ أي الكناسة ـ.

فجاءت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فقال ﷺ: هجّر بالصلاة يا بلال، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال على المنبر بغضب: «**أيها الناس من أنا**»؟

فقالوا: أنت رسول الله ﷺ.

فقال ﷺ: «**أنسبوني**».

قالوا: محمد بن عبد الله!

---

(١) مجمع الزوائد ٨: ٢١٦، والكبوة: الكناسة، أو المزبلة.

(٢) معجم الطبراني الكبير ٢٤، و(حا) و(حكم) قبيلتان ليستا من قريش أو من مضر، بل هما من اليمن، سبل الهدى والرشاد ١: ٢٥٤، ١١: ٤.

قال ﷺ: «أجل، أنا محمد بن عبد الله، وأنا رسول الله، فما بال أقوام ينقصون أهلي؟ فوالله لأنا أفضلهم أصلاً وخيرهم موضعاً»[١].

وممّا روي ممّا يوضح ذلك أنّ ابن عباس قال: إن أبي العباس قال: يا رسول الله، إنا لنخرج فنرى قريشاً تتحدث، فإذا رأونا سكتوا، فغضب النبي ﷺ ودر عرق الغضب بين عينيه ثم قال: «والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبّكم لله ولقرابتي»[٢].

وقال ابن عباس أيضاً: قال أبي: يا رسول الله ﷺ قد تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت فقال ﷺ: «لا يبلغون الإيمان حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[٣].

وفي مصنف ابن أبي شيبة قال العبّاس: يا رسول الله إنّا لنرى وجوه قوم من وقائع أوقعتها فيهم[٤]....

ومن هذا الباب قوله ﷺ: «لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصلم ثمّ لقى الله وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار».

أقول علق الحاكم على هذا الحديث بقوله: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[٥]، ووافقه الإمام الذهبي على ذلك[٦].

---

(١) ينابيع المودة ٢: ٣٤٨.

(٢) مسند أحمد ١: ٢٠٨، ينابيع المودة ٢: ١١٠، كنز العمال ١٢: ٩٧، تفسير ابن كثير ٤: ١٢٢، الدر المنثور ٦: ٧، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٠٢.

(٣) ينابيع المودة ٢: ١١٢، المعجم الكبير للطبراني ١١: ٣٤٣، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٣٧. وقد نصّ المناوي في فيض القدير ١: ٢٥٢ على أنّ إسناده صحيح.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٥١٨، كنز العمال ١٢: ٤١، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٣٧، تاريخ المدينة ٢: ٦٤.

(٥) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩.

(٦) تلخيص المستدرك ٣: ١٤٩.

قال الحاكم: حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة الأصبهاني حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا الأصبهاني حدثنا إسمعيل بن عمرو البجلي ثنا الأجلح بن عبد الله الكندي عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أنّ أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين»**.

قلت: يا رسول! الله فمحبونا؟.

قال: **«من ورائكم»**(١).

أقول: وقد علق عليه الحاكم بقوله: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ومن أظرف ما سمعته أذناي وقرأته عيناي أنّ الذهبي لمّا لم يجد ما يطعن به على سند هذا الحديث ممّا يستحق الذكر قال: والحديث منكر يشهد القلب بوضعه(٢).

والمستفاد من كلام الذهبي أنّ شهادة القلب مصدر من مصادر التشريع الإسلامي فضلاً عن القرآن والسنّة، ولكن لا ندري أنضحك أم نبكي على هذه المهازل في دين الله؟!!!!

وقال الحاكم حدثنا: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن الأصبهاني ثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا محمد بن فضيل الضبي حدثنا أبان بن جعفر بن ثعلب عن جعفر بن إياس عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار»**(٣).

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٥١.

(٢) تلخيص المستدرك ٣: ١٥١.

(٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٥١.

أقول: وقد علق عليه الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

إنّ أقل ما يقال في مضامين هذه النصوص ـ وعشرات غيرها ـ التي تبين موقف قريش السلبي من منهج الرسول ﷺ في بناء الدين إنّها الأساس التاريخي لشعار قريش الذي صاغته فيما بعد بقولها: رغماً لأنوف الشيعة.

أضف إلى ذلك فعملية الإبقاء على الإسلام حياً من خلال إحيائه في النفوس ومن خلال تفعيل وجود آليات الإبقاء لا يقف هدفه على فضح عوار الأفكار الأخرى المناوئة؛ إنّ هدفه أشمل من الاقتصار على عملية الإصلاح في داخل المجتمع الإسلامي، إنْ هدفه العام هو إحياء الدين بملاحظة المجتمع البشري ككل؛ لأنّ الدين أخذ على عاتقه إصلاح البشر كلهم في كل بقاع الأرض...، ولكن ما لم يضمن الدين بقاؤه في مجتمعه الأول (الإسلامي) لا يتسنى له أداء مهمته في الخارج، وكما عرفت ليست المشكلة هي القصور في قوانين الدين، المشكلة كل المشكلة هي تفاعلنا مع قوانينه واعتقادنا الصحيح بكفايته؛ وذلك لا يتم من دون تقديسه وإحيائه في القلوب والعقول والأنفس.

ومن هنا تتبلور أمامي نظريتان فيما يتعلق بالثواب والعقاب أسميت الأولى بنظرية السيّئة النوعية والثانية نظرية الحسنة النوعية سنتعرض لهما قريباً، ولكن أشير إلى أنّ مجرد الانتماء إلى مدرسة الوحيويين بناء على ذلك هو فعل من الأفعال التي سيجازي الله تعالى عليه بالثواب الجزيل؛ لأنّ مجرد الانتماء يحقق أهداف مشروع بناء الحس الديني وإن لم تفعّل كل قوانين الدين في السلوك، وهذا من قبيل قول القائل: تكثير السواد؛ هذا هو ألفباء نظرية الحسنة النوعية.

وفي مقابل ذلك نظرية السيئة النوعية: التي تتلخص في أنّ مجرد

الانتماء للمدرسة الأخرى عن علم بأنّها قد قوضت نصوص الإسلام وضربت بسنة الرسول ﷺ خلال شعار حسبنا كتاب الله؛ هو سيئة تعم كل الأفراد المنتمين؛ لأنّ مجرد الانتماء في هذه الصورة مساهمة فعّالة في مشروع إماتة الحس الديني؛ وضرب ـ بإرادة أو بغير إرادة ـ لآليات الإبقاء على الدين عرض الجدار.

ولعمري ما بعد هذا الإثم من إثم؛ لأنّه والحال هذه ليس إثماً شخصياً يعرقل مسيرة صاحبه كقاطع الصلاة مثلاً، بل هو نوعي يعمل على عرقلة مسيرة الإسلام بالكامل، وكل بحسبه!!!.

وإذن فقوانين الإسلام المتجسدة في نظرية التشريع (الحلال والحرام = العبادات + المعاملات) مع أهميتها العظمى الكامنة في قدرتها الكاملة في بناء الكون والحياة، ومع كونها قوانين قدسية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، إلاّ أنّها ما لم توصف بالحياة والحركة والفاعلية من خلال تقديسها في النفوس ومن خلال إحيائها في الأرواح؛ الأمر الذي لا يتم ولايتحقق من دون أهل بيت رسول الله ﷺ كما هو صريح نصوص القسم الثاني ذات الطبيعة الشعاريّة، لا تؤتي أكلها في أيّ حين من الأحيان ولا في أي فرض من الفروض، وبالتالي سيتعرض الإسلام للانقراض والموت لولا ذلك؛ هذه خلاصة شديدة للآثار الإيجابية لنظرية بناء الحس الديني وعلى العكس من ذلك مشروع إماتة الحس الديني....

ثمّ أنّ نظرية الحسّ الديني تعم كل شيء جاء به الإسلام كقوانين يهدف منها تنظيم سلوك البشر؛ فأنت تعلم أنّ الإسلام يريد منّا أن نصلّي ونصوم ونحج ونزكي ونعتكف و...، ولكن الإسلام لا يكتفي منّا بهذا الحد؛ فهو يريد منّا ـ علاوة على ذلك ـ الانتهاء عن الفحشاء والمنكر بسبب الصلاة، ويريد منّا أن نجسّد التواضع وتمييع الذات المتورمة بسبب الحج، ويريد منّا أن نتحسس بجوع الفقير وفاقته وبضرورة بناء نظام

إقتصادي يرفع العوز عن محتاجي المسلمين بسبب الصوم والزكاة؛ ويريد منّا أن نشعر بالحاجة الماسّة لإحياء الشعائر الإسلامية وبثّ الثقافة المحمدية بسبب الخمس، وهكذا..

أمّا إذا تجردت الصلاة والصوم والزكاة وبقية أمور الحلال والحرام عن هذه الآثار بأن تعبّدنا لله بالحلال والحرام من دون تلك الآثار فأحسن ما فيها في هذا الفرض هو أنّها ستسقط التكليف الشرعي عن عواتقنا، وبالتالي ستؤدي بالكاد إلى أنّ الله سبحانه وتعالى لن يعاقبنا على التخلف عنها يوم الحساب.

وكلي يقين بأنّ عبادة الله تعالى في هذا الإطار الضيق لا تساهم أدنى مساهمة في تجسيد العبادات والمعاملات بالصورة التي يطمح إليها القرآن القائل: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ مثلاً، هذا من هذه الجهة التي تحدث عنها علماء الأخلاق من قبل؛ وهي أنّه لا بد من الارتقاء بالعبادة أو بالمعاملة لكي تكون منتجة لهذه الآثار العظيمة، ودور نظرية الحس هنا واضح..

ومن جهة أخرى فإنّ الإسلام لا يكتفي حتى بتلك الآثار؛ فهو لا يكتفي بالصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر؛ وبالحج الذي يأخذ بالذات المتورمة إلى حيث العدم وبقية الأمور وحسب..

إنّ الذي يطمح إليه الإسلام فيما سوى ذلك وهو الأهم فيما أعتقد، والذي هو جوهر نظرية الحس الديني، هو كيف نحمي الإسلام من محاولات الإغتيال التي ما فتيء الكافرون والملحدون والظالمون والخائنون لمحمد ﷺ ولآل محمد ماضين بجدّ واجتهاد في تحقيقها؟..

صحيح أنّ الإسلام يريد منّا أنّ ننتهي عن الفحشاء والمنكر بسبب الصلاة، ولكنّه مع ذلك يطمح إلى ما هو أكبر؛ هو يطمح أنّ تكون الصلاة

علاوة على ذلك سلاحاً فعّالاً يقلق مضاجع أولئك المتربصين بنا وبديننا الدوائر..

وإذا نسينا فلا ننسى أنّ الصحابي عبد الله ابن مسعود حينما كان يقرأ القرآن في مكة رغم أنوف قريش الوثنية وأبو ذر الغفاري حينما كان يصلّي بمرأىً ومسمعٍ منها، وبلال الذي لم يكن لديه وهو تحت الحجر الذي لا يطيقه الإنسان العادي سوى أحدٌ أحدٌ، وغيرهم من النجباء..

أقول: وإذا نسينا كل شيء فلا ننسى مواقف هؤلاء النجباء في تشييد صرح الدين؛ فإنّ مجرد أحدٌ أحدٌ التي كان يتلفظ بها بلال شكّل مساهمة فعّالة في اهتزاز عروش الملأ المكي الوثني، ومجرد صلاة عمّار بن ياسر وأبي ذر الغفاري أربكت الحيثية المكيّة التي لا تريد أن تعترف بالإسلام وبالرسول ﷺ، على أنّ هبل كان يرتعد وجلاً لمجرد أنّ ابن مسعود كان يقرأ القرآن..

إنّ الإسلام لا يكتفي منّا بالصلاة الساذجة، ولا تلك التي تنهى عن الفحشاء والمنكر فقط، هو يطمح لأن تكون صلاتنا كصلاة عمّار مخيفة لكل الظالمين، كما وإنّه لا يكتفي منّا بأن نقول: أحدٌ أحدٌ مرددين هذه الكلمة المقدّسة كالببغاوات، هو يطمح لأن تكون هذه الكلمة ذات حسٍ بلالي ونزعة سماوية يمكننا معها مقارعة الصخرة العظيمة التي قارعها بلال، مع أنّه في ظرفه ذاك وهو ينازع الموت عطشاناً جوعاناً عرياناً تلفح وجهه الشمس الحارقة لو قيس بأحدنا اليوم لما صحّ القياس، والأمر هو الأمر مع ابن مسعود الذي لم يفعل أكثر من تلاوة بضع آيات من الذكر الحكيم، ولكنّها آيات ساهمت باعتراف الجميع في توطيد أركان الدين..

وخلاصة الكلام: لا يريد منّا الإسلام أن نصلي وأن نصوم وأن نتلو القرآن وأن نردد أحد احد فقط، هو يريد منّا أن نكون من خلالها قادرين على أن نزعزع عروش الظالمين والكافرين وكل من يضمر سوءً

للرسالة..، يريد منّا أن نلتحق بذلك الرعيل من الصحابة النجباء الذي كان يمتلك تلك القوة السماوية التي أكسبت أحد أحد البلالية والصلاة العمّارية والتلاوة المسعودية لبضع آيات من القرآن، القدرة على زعزعة العروش وعلى إحياء الإسلام وعلى المساهمة في إبقائه.

إنّ تلك القوة هي شيء غير الصلاة وغير الصوم وغير الزكاة وغير كل ما ألفناه من عبادات ومعاملات وحلال وحرام..؛ إنّ هذه القوّة هي ما أسميناه بالحس الديني؛ والذي هو أو والتي هي: الشعور الذي جسّد بلال من خلاله كلمة: أحد أحد خير تجسيد حينما أخبر العالم بأنّها أقوى من العطش ومن ثقل الصخرة ومن العذاب ومن كل شيء.

إنّها القوّة التي جعلت من كربلاء أنشودة الثائرين من أمثال غاندي العظيم..

إنّها القوة التي جعلت من الحسين عليه السلام وتراً لا يفتأ يعزف سمفونية النصر عبر الأجيال..

إنّها القوّة التي لولاها لما بقي للشيعة من وجود.

وهنا تتجلى رؤيتنا في تقسيم النصوص من جديد، لوضوح أنّ بناء مثل هذه القوة السماوية في النفس الإنسانية لم تتكفل به نصوص القسم الأول؛ لليقين بأنّ الأخيرة لم تتكفل سوى بيان وجوب الصوم ووجوب الزكاة وهلم جرّا؛ ولليقين بأنّ القوة (= الإحساس بالمسؤولية الدينية) التي دفعت مثلاً بأصحاب الحسين في كربلاء عليهم الرضوان لأن يلتذوا بالعطش وبالموت وبفقد الولد وبالألم لا وجود لها في غير سماء أهل البيت عليهم السلام ؛ أي لا وجود لها إلاّ فيما قرّره الرسول صلى الله عليه وآله بما اصطلحنا عليه بالقسم الثاني من نصوص الوحي.

وينبغي أن تعلم أنّ للحس الديني وظيفتين رئيسيتين طبقاً للظروف

التاريخية وحسب التحولات الإنسانية والإجتماعية المرافقة لمسيرة الدين:

الأولى: توطيد أركان الدين في حياة الرسول ﷺ، وهذا الأمر هو ما ناء بحمله مخلصو الصحابة كابن مسعود وبلال وعمّار وأبو ذر والمقداد وأُبي وخزيمة ذو الشهادتين وغيرهم رضي الله عنهم، حينما نشروا كلمة التوحيد تحت إشراف الرسول ﷺ، وحينما أطاعوه ﷺ طاعة مطلقة أو قل حينما أطاعوه طاعة منتجة.

الثانية: الإبقاء على الدين، وهذا الأمر هو ما ناء بحمله مئات من الصحابة المخلصين المطيعين لأمير المؤمنين علي ﷺ فيما بعد الرسول ﷺ وهو عينه الذي ناء بحمله في المراحل التاريخية التي تلت ذلك أصحاب الأئمة ﷺ من شيعة محمد وآل محمد ﷺ حتى يوم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف..

عزيزي القارىء ليس من أهدافنا في هذه الدراسة أن نتحدث عن هذه النظرية بتفصيل أكثر؛ مستعرضين الأدلّة الكثيرة القرآنية والنبوية؛ فهذا له وقت آخر؛ ولعلّنا سنلتقي مع القرّاء في دراسة مستقلّة في هذا الشأن؛ وعلى أيٍّ حال ففيما أحسب اتّضحت لك أبعاد هذه النظرية على نحو الإجمال، وهو يكفي لمواصلة بحوث هذا الكتاب..

آليات تنمية الحس الديني:

تحدثنا سابقاً وبسرعة خاطفة عن نفس نظرية الحس الديني، وهنا نريد أن نتحدث بشكل خاص عن تنمية هذا الحس من خلال الذكر عموماً ومن خلال الصلاة على محمد وآل محمد على وجه الخصوص، وهل أنّ هناك علاقة بين الذكر وبين الصلاة؟ وإذا كانت هناك علاقة فما هي وما هو الدليل عليها؟.

وقبل ذلك هل هناك مشكلة تدعو إلى هذا الاهتمام المتزايد ببناء الحس من خلال الذكر، وما هي حدودها، وكيف تقيّم؟

إذا انطلقنا في تقييم هذه المشكلة الحساسة من كون المسلمين على دين صحيح سالم من التحريف وأنّه هو المنجي ولا منجي سواه (كما هي عقيدتنا التي لا نزيغ عنها) لا ترتفع الإشكالية من الأساس؛ إذ عدم انتظام حا ل المسلمين في الحياة الأولى والآخرة أمر لا مفر لنا منه، ما يعني أنّ وجود الدين الصحيح السالم من التحريف ووجود الاعتقاد الصحيح بمقررات الوحي لا ينهض وحده لتحقيق السعادة في الدارين كما يقول علماء الأخلاق والكلام.

مبدئياً ليست المشكلة في وجود دين صحيح؛ لأنّه موجود ما في ذلك أدنى شك، المشكلة كل المشكلة في من يزعم أنّه على عقيدة صحيحة ومنهج قويم، بداهة أنّ العقيدة الصحيحة والمنهج السماوي القويم لا يؤتي أكله كل حين ولا يبين أثره في السلوك إلاّ إذا تحقق ذلك الشعور الذي أسميته بالحس الديني أو الإحساس اللاشعوري بالمسؤولية الدينية...!

والحس الديني ـ كما مر عليك ـ : هو اللاشعور الذي يدفع بالمرء لأن يُجَسِّد ما يعتقد من مقررات دينية في سلوكه الخارجي بلا إرادة.

وفيما أعتقد هذا هو المقصود في بعض جوانب قوله ﷺ: «نية المرء خير من عمله»[1] إذا العمل بما هو عمل لا قيمة له بنظر الإسلام من دون ذلك الشعور، وشواهد ذلك أكثر من أن تحصى، ولا جدال في أن الخوارج من أوضح الأمثلة على ذلك، ومثلهم الظالمون من بني أمية ومن غيرهم، ممن كان يعبد الله بدافع الحس السياسي والحس النفعي البغيض....

يتضح من ذلك أنّ الحس الديني هو الشرط الذاتي الذي يرتكن

---

(١) المحاسن ١: ٢٦٠.

إليه العمل الشرعي، ولولاه لا تتحقق أدنى مصداقية لانتظام السلوك الإسلامي وبالتالي لا تتحقق المصداقية الناجحة لانتمائنا للدين الحنيف.

وألفت النظر إلى أنّ الحس الديني مرحلة أعلى من النوايا الصالحة؛ إذ الثانية ليست على الدوام تدفع بصاحبها إلى مرحلة العمل الصالح الجوارحي وإن كانت هي في نفسها عمل صالح ولكنه جوانحي، فكما بان آنفاً ليس هذا هو الشعور الذي يتقوم ذاتياً بأنّه يدفع بصاحبه عبر الشعور أو اللاشعور بلا إرادة إلى تجسيده على أرض الواقع الخارجي خلال السلوك المحسوس والملموس الذي يستتبعه بناء الإنسان أولاً، ثمّ بناء الحياة في كل مجالاتها ومحاورها الاجتماعية والإنسانية ثانياً.

روى الكليني بسند صحيح عن الرضا عليه السلام قال: (ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم إنّما العبادة كثرة التفكّر في أمر الله عز وجل)[1].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: (إنّ التفكر في الله يدعو إلى البر والعمل به)[2].

هذان الحديثان المعتبران وعشرات مثلهما يؤكدان حقيقة مهمة وهي أنّ هناك ما هو أولى وأعلى قيمة من الصلاة والصوم وبقية العبادات، الأمر الذي يؤكد رؤيتنا بأنّ الحفاظ على الدين لا يتم من دون آليات، ففيما يبدو فالصلاة والصوم عرضة للضياع، والتفكر في الله أو في أمر الله وقاية من ذلك الضياع، ولكن هل لنا أن نحتمل أنّ نفس التفكر قد يكون عرضة للضياع والنسيان؟

الجواب نعم، وعلاج ذلك هو ذكر الله؛ ومتى ما حلّ الذكر لا يبقى نسيان ولا ضياع؛ لأنّ الضدين لا يجتمعان.

---

(١) الكافي ٢: ٥٤.

(٢) الكافي ٢: ٥٤.

روى الكليني بسند موثق: قال رسول الله ﷺ «من أكثر من ذكر الله أحبّه الله، ومن ذكر الله كثيراً كتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق»[١].

والملفت للنظر أنّ الرسول ﷺ يقول ـ حسبما أخرجه الكليني بسند صحيح ـ : «الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»[٢] ولكن ما علاقة الصلاة على آل محمد بذكر الله تعالى، بحيث أنّ كلاً منهما يُذهب بالنفاق؟

أجابنا عن ذلك الكليني بما رواه بسنده عن الباقر عليه السلام قال: (يا سعد أسمعك كلام الله؟)

قلت: بلى، صلى الله عليك.

قال عليه السلام: (﴿إِنَّ الصلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر)[٣].

عزيزي القارىء: تتجلى لك من خلال ذلك نظرية الحس الديني وحقيقة التداخل العضوي والذوبان بين النصوص الإسلامية في ضوء نظرية التقسيم، وفي البحوث اللاحقة سنعرض ما يتسنى لنا عرضه ممّا هو صريح في ذلك..

مهما يكن من أمر فالحديث الأول صريح في أنّ مجرد ذكر الله يستنزل براءتين ينطويان على البناء الإيجابي لمستقبل الإنسان في الدارين، وفيما يخص الحياة الدنيا فليس قليلا أن يذهب النفاق بمجرد الذكر، وعلى كل حال هو يساوق بناء حس ديني خلال آل البيت عليهم السلام كيما لا ننسى الله معه؛

---

(١) الكافي ٢ : ٥٠٠.

(٢) الكافي ٢ : ٤٩٢.

(٣) الكافي ٢ : ٥٩٨.

أي نبقى مع أمر الله في تفكر دائم وتفاعل وانفعال..

وإذا كان الحس الديني بهذه الدرجة من الأهمية في المحافظة على الإسلام وله ذلك الدور في انتظام حال المسلمين فليس من المعقول أن لا يهتم الشارع بتنميته؛ إذ لابد أن يوصي بما من شأنه تفعيل العلاقة بين القوانين الإسلامية الجامدة (المجردة) وبين المسلم الذي نزلت إليه تلك القوانين؛ لوضوح أنّ القانون بما هو قانون ميت ولا يكتسب الحيوية من دون تفاعل البشر معه حتى لو كان القانون وحيوياً وسماوياً، وهذا هو الذي كان يهدف إليه الباقر ﵇ بقوله: (ونحن ذكر الله، نحن أكبر)..

وإذا ما راجعنا القرآن الكريم نجد أنّ الله تعالت أسماؤه يوصي البشر بذكره كثيراً، وقد أعطى عز وجل لذلك تعليلاً أبعاده العلمية والعقائدية عظيمة للغاية قائلاً: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1] ما يعني أنّ مجرد ذكر الله بالصيغ الشرعية المخصوصة كاف في حصول الاطمئنان في القلوب.

ولا ريب (كما هي مقررات علم النفس) في أنّ حصول الاطمئنان في القلب سبب كامل لانتظام الحال؛ إذ بدونه ـ وكما أخبرنا القرآن الكريم مثلاً ـ لم تقم للمسلمين قائمة مع الرسول ﷺ في سوح الجهاد؛ فقد قال عز اسمه: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ

(١) الرعد: ٢٨.

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[1].

فالواضح الصريح من هذه الآيات أنّها مهتمّة جداً بضرورة وجود الاطمئنان وبضرورة إيجاده ومن أيّ سبب كان؛ فكما أنّه حصل بالذكر المطلق حصل كذلك بسبب بشرى الله تعالى، ولولا بشراه عز وجل لما انتظم حال المسلمين ولفشلوا، ولو كانوا قد فشلوا لم تقم للإسلام قائمة حتى هذا اليوم.

وما هو جدير بالملاحظة في هذه الآيات أنّ الإحساس بالمسؤولية الدينية كاد أن يموت عند أكثر المسلمين ممّن كان بحضرة الرسول ﷺ فتداركه الله سبحانه وتعالى رأفة بهم ورحمة، وما قوله تعالى: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾ إلاّ للإبقاء على ذلك الشعور الإسلامي الذي يدفع بصاحبه إلى مقارعة الكفر بثبات؛ إذ بدونه يفشل المسلمون ويخسروا الحرب لا محالة، وهنا تكمن بعض حكمة ثواب الصلاة العظيم؛ إذ لا ريب في أنّ حجم الثواب العظيم بسبب الصلاة على محمد وآل محمد هو بشرى من الوحي لكل المصلين، ولا ريب أيضاً أنّ هذه البشرى تورث الاطمئنان في القلب، ومع الاطمئنان يبقى الحس نابضاً!!!

إذن فتنمية الحس كان محط نظر الإسلام..، ونظرية هذا الدين الحنيف أخذت على عاتقها فضلاً عن التقنين والتقعيد الإبقاء على كل من الشعور واللاشعور الإسلامي حياً كيما يحصل التفاعل مع قوانين الدين وتظهر آثاره الإيجابية في الخارج.

ولا بأس بالإشارة هنا إلى أنّ فلسفة الإبقاء على الشعور الإسلامي

---

(١) آل عمران: ١٢٢ ـ ١٢٦.

ببناء الحس لا ينهض بتوضيح كل محاوره مختصر ما نحن فيه، وما ذكرته آنفاً مما سنح على الخاطر فقط؛ فالإبقاء على الشعور له أسباب ووسائل وآليات، عرضها كما ينبغي أن يكون العرض ليس من أهداف دراستنا المتواضعة هذه..؛ إلاّ ما يخص موضوعنا طبعاً.

آليات مشروع التنمية.. الأهداف والآثار!

ذكرنا لك سابقاً وبسرعة أنَّ ذكر الله تعالى يورث الاطمئنان في القلوب، والاطمئنان كما يقرر علماء النفس حالة نفسانية ووجدانية يظهر أثرها في استقرار وتوازن السلوك النفسي والقولي والفعلي كنتيجة حتمية وطبيعية، والعكس بالعكس تماماً.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاةِ﴾[1] وحاصل معنى الآية هو أنَّ ذكر الله تعالى سبب لعدم وقوع العداوة والبغضاء، وسبب للانتهاء عن الخمر والميسر، فأراد الشيطان لعنه الله أن لا ينتظم حال المجتمع الإنساني فعمل على الصد عن ذلك؛ بأن يميت ما كان حيّاً في القلوب والألسن والأفعال حتى يتسنى له أن يجرّهم إلى شركة ويؤدي بهم إلى اللاانتظام واللاتوازن واللااستقرار في كل شيء..

وأوضح من ذلك قوله تعالى في شأن يوسف النبي ﷺ: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾[2] فأمعن النظر في أهمية الذكر إثباتاً ونفياً وأثره في انتظام الحال سلباً وإيجابياً، وستعرف

(١) الأعراف: ٩١.

(٢) يوسف: ٤٢.

لاحقاً أنّ يوسف عليه السلام إنّما نجى من السجن ببركة الذكر ومن خلال صيغة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» ليس غير.

ومن خلال المجموع من هاتين الآيتين ومن خلال قوله تعالى: ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[1] وقوله عزت أسماؤه: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[2] وقوله: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾[3] وغير ذلك من الآيات الكثيرة، تتجلّى أمامنا حقيقة خطيرة للغاية وهي أنّ هناك مشروعاً إبليسياً شيطانياً في مقابل مشروع الله تعالى في تنمية الشعور السماوي بالمسؤولية الدينية؛ الأمر الذي أسميناه بمشروع إماتة الإحساس بالمسؤولية الدينية، وهذا يعني أنّ الصراع قائم حتى يومك هذا!!!.

ومن الأدلة القرآنية الصريحة في سببية ذكر الله تعالى الكاملة لصلاح الحال ولانتظام السلوك الإنساني والاجتماعي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[4] فإذا كانت الصلاة سبباً للانتهاء عن الفحشاء والمنكر (انتظام السلوك الإنساني والاجتماعي) فأولى بهذا الدور لذكر الله، للنص على أنّه أكبر من الصلاة، وقد عرفت وستعرف أكثر طبقاً للنصوص الإسلامية الصحيحة أنّ ذكر آل البيت عليهم السلام هو من ذكر الله..

---

(١) المنافقون: ٩.

(٢) المجادلة: ١٩.

(٣) الفرقان: ١٨.

(٤) العنكبوت: ٤٥.

وقد تقول: إنّ كثيراً من المصلين لا ينتهون عن الفحشاء والمنكر فكيف يتلائم ذلك مع تفسير الآية؟

قلنا: سنبين ذلك لا حقاً بتفصيل حينما سنجيب على السؤال الذي يقول: إنّ كثيراً من فضائل الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ الواردة في النصوص المعتبرة التي يطمئن بصدورها عن الرسول ﷺ متخلفة؛ بمعنى أننّا نصلّي على محمد وآل محمد ولا نرى الجزاء أمام أعيننا على الدوام، فما هي علّة ذلك؟.

نجيب هنا على الإجمال ونقول: إنّ الجزاء في النصوص التي وردت في بيان الثواب الإسلامي عموماً وكذلك التي وردت في بيان العقاب؛ في الصلاة وفي غير الصلاة..، ناظرٌ على الأعم الأغلب إلى الفردين الأعلى والأدنى؛ بمعنى أنّ السمة العامة في خطابات الترهيب والترغيب التي هي من هذا القبيل ناظرة إلى الحدين الأعلى والأدنى، وقلّما نظفر برواية ناظرة إلى الحد الوسط أو إلى ما بين ذينك الحدّين، والسبب في ذلك أنّ مراتب الأعمال فيما بين ذينك الحدين لا نهاية لها على عدد مراتب البشر أنفسهم، وليس معقولا أن تصدر ملايين الخطابات بالنظر إلى مستوى كل فرد، وسيأتيك تفصيل ذلك ....

على كل حال ومن الآيات الصريحة في سببية الذكر لانتظام الحال وسلامة السلوك البشري من الإنحراف قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1] وصراحتها تغني عن التعليق عليها بشيء، ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَانِ

---

(١) طه: ١٢٤.

(٢) البقرة: ٢٠٠.

نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾[2]

وفي الواقع فإنّ مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[3] لا يستقيم له تفسير معقول ويكون طوباوياً لا علاقة له بالواقع إذا ما تغافلنا عن التعرض إلى حكمة هذا الإيصاء الشديد بالذكر، وليست هي إلاّ لأجل بناء ذلك الإحساس الذي من شأنه أن يمنعنا أن نقول: غاب الله عن الساحة كما قال الغرب اليوم.

وفيما أرى فإنّ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[4] يدل دلالة قاطعة على أنّ إيمان المؤمنين المخاطبين بهذه الآية لا يرضي الله بشكل مقبول من دون الخشوع لذكر الله تعالى وهو عين ما قررناه سابقاً.

مهما يكن من أمر، فالبحث في ما يتعلق بذكر الله طويل لا يسعه هذا المختصر، ولكن كنا نقصد البرهنة على أنّ النظرية الإسلامية ليست ساذجة كما يتصور البعض وليست هي نظرية تشريعية وطقوسية لا غير؛ هي فضلاً عن ذلك متماسكة وذات آليات يمكن معها إبقاء الدين حياً حتى يوم المهدي عليه السلام، ومن خلال المحاور النفسية والإنسانية والاجتماعية على أقل التقادير؛ إذ هي أخذت على عاتقها إبقاء ذلك الإحساس عند

---

(١) الحديد: ١٦.

(٢) الجن: ١٧.

(٣) الأنعام: ٤٤.

(٤) الزخرف: ٣٦.

المسلمين ولو بهذا المقدار القليل المطروح اليوم وبالأمس؛ فهو - أي الإحساس - بهذا المقدار القليل كفيل بإبقاء الدين ولو بصيغته المطروحة في العالم اليوم والتي هي غير مرضية كثيراً حسبما يقرر الوحي قياساً بأهداف الإسلام الكبرى[١]، ولكن مع ذلك هي مرضية قياساً بالأديان الأخرى.

الصلاة ونظرية الحس الديني:

الذي ينبغي أن يبحث عنه هو علاقة الصلاة بهذه النظرية، وفي الحقيقة هذا السؤال واحد من عشرات بل مئات الأسئلة الموضوعية المهمّة؛ إذ الصلاة مفردة واحدة من مجموع مئات المقررات المرتبطة ذاتياً وعضوياً بهذه النظرية؛ لأنّ النظرية على ضوء ما قدمنا تعم لتشمل زيارة الرسول ﷺ وآل البيت عموماً، وزيارة الحسين سيد الشهداء على نحو الخصوص، بل لتشمل ذكر الله، والتفكر في أمر الله وغير ذلك..

بل هي تعم لتشمل حتى العبادات والمعاملات (نظرية التشريع) ولكن لا في إطار الحلال والحرام فقط، بل في إطار تجسيدهما على أحسن صورة؛ فمرة نصلّي ونصوم ونحج وو...، ولا نبتغي من ذلك إلاّ إسقاط فرض وتارة يكون الطمع بالجنة هو الدافع لذلك، وثالثة يكون الدافع هو حب الله والخوف على كلمته العليا من الضياع، وأنت تعلم أنّ بين هذه الأقسام الثلاثة فرق عظيم.

وعلى القسم الثالث لا ريب في دخول كل العبادات والمعاملات كمفردات مهمة في نظرية الحس الديني؛ وآية ذلك أنّك مرّة تصلّي صلاة الظهر مثلاً

---

(١) وعدم الرضا هذا ناشيء عن تقاعس كثير من المسلمين عن القيام بواجبهم السماوي أو قل تقاعسهم عن الالتزام بتلك الآليات التي أكّد عليها الرسول ﷺ والتي ذكرنا لك بعضها فيما سبق؛ وذلك منذ وفاة الرسول ﷺ على أقل التقادير.

وحدك في البيت وتارة تصليها خلف مقدّس من المقدسين جماعة، وحينما تصطنع مقايسة بين الصلاتين تجزم بأنّ البناء الروحي والدعم النفسي والاقتراب من الله واطمئنان القلب والمساهمة الإعلامية في نشر الكلمة هو آثار صلاتك مؤتماً خلف ذاك المقدس، في حين قد لا تحصل على أي شيء من ذلك فيما لو صليت وحدك في البيت، ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقرأ كثيراً من النصوص الإسلامية التي تكاسلت المناهج الكلاسيكية في قراءتها..؛ كالنص الذي يقول: إنّ الصلاة جماعة تعدل عند الله سبعين صلاة منفرداً؛ فإن هذه النصوص لا يمكن قراءتها جيداً من دون المرور بمبادئ نظرية الحس الديني ونظرية الحسنة النوعية، ونظرية تقسيم النصوص الإسلامية في إطار الثابت والمتحول.

مهما يكن من أمر؛ فالصلاة مفردة من مفردات بناء الحس؛ إذ هي فضلاً عن كونها صيغة من أهمّ صيغ الذكر الإسلامي؛ أولاها الإسلام عناية بالغة الأهمية في بناء النفس والروح، إلاّ أنّها لا قيمة لها إذا كانت بتراء؛ لأنّ كل المسلمين بمختلف طوائفهم يذكرون الرسول ﷺ، ولكن هل في هذا الذكر آلية الإبقاء على الدين وتفعيل قوانينه؟

نفى الرسول ﷺ ذلك بقوله: «**لا تصلوا علي الصلاة البتراء**»؛ الأمر الذي يسوقنا للقول بأنّ الصلاة مفردة من مفردات بناء ذلك الحس ولكن بشرط الصلاة على آله عليهم السلام؛ هذا من هذه الناحية.

ومن ناحية تاريخية فإنّ إصرار مدرسة الرأيويين على ذلك الإعراض لدليل لا يقبل جدال مجادل على أنّ الصلاة مع ذلك الإعراض ستؤول لتكون مفردة من مفردات مشروع إماتة ذلك الحس الذي يطمح الإسلام لخلقه في نفوسنا.

ولا أقل من القول أنّ التزام مبدأ الإعراض عن ذكر العترة تحت شعار: رغماً لأنوف الرافضة مع يقين أولئك المعرضين بأنّ الرسول ﷺ

أصرّ على ذكرهم، لدليل واضح على جريان قاعدة يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه الآخر، ولا ريب في أنّ هذه القاعدة أينما حلّت مع آلياتها تميت الإحساس بالمسؤولية الدينية لا محالة.

وفي مقابل ذلك فإن إصرار مدرسة الوحي على قرن العترة بالرسول ﷺ في عملية الصلاة على محمد وآل محمد[١] هو لون من ألوان الجهاد لأجل الإبقاء على شريان الدين نابضاً؛ إذ هي في مقابل مدرسة تؤمن ببعض الكتاب وتكفر[٢] ببعضه الآخر وهي مدرسة الرأيويين القرشية التي تجسّدت بالأمويين في مرحلة من مراحل التاريخ.

محمد أركون يجهل أبعاد نظرية الإسلام:

ويثير عجبي أنّ المفكر الإسلامي محمد أركون (كما هو مطروح عند الكثير) يجاهد كثيراً في نقد العقل الديني عموماً والعقل الإسلامي بنحو خاص في كل كتاباته؛ زاعماً أنّ العقل الإسلامي المطروح قاصر عن تمثيل الفكر الإسلامي الأصيل بشكل جيد؛ وكتاباته تصرح بأنّ من يمثل الدين الإسلامي على أرض الواقع هو مجموع الطوائف الثلاثة: الشيعة والسنّة والخوارج، ومجموع هذه الثلاثة أو كل واحد منها على حدة لا ينهض اليوم لأن يعكس فكر الإسلام الأصيل، وكتاباته كلّها ناطقة بذلك.

ولو كنت مختصاً في العلوم الإنسانية تكاد تجزم بأنّ أركون يحوم في

---

(١) أسمي الصلاة بالعملية؛ لأنها مع كل هذه الملابسات التي عرضها منهجنا في قراءة النصوص هي ضمن مشروع الكفاح من أجل الكلمة العليا وليست هي مجرد ذكر في قالب ساذج كما تطرحه الرؤية الصوفية في الإسلام.

(٢) لا أقصد بذلك سوى العصيان وعدم الامتثال، وهو لا ينافي كون المرء مسلماً، فانتبه!!!.

كل كتاباته حول مزعمة أفضلية الفكر المسيحي المطروح على الفكر الإسلامي؛ بزعم أنّ الأول قام بثورة على استبداد الكنيسة في قراءة النصوص المسيحية، وبزعم أنّ من حق كل مسيحي أن يقرأ (=يفسّر) النصوص المسيحية حسب قناعاته حتى يتحقق التطور في فهم الدين؛ تلك القناعات البروتستانتية التي أصّل أصولها مارتن لوثر قبل قرنين من الزمان والتي قامت على أساس حرية الفكر وحرية التفكير لإخراج الفكر المسيحي المتحجر من عالم الظلمة إلى عالم النور..

يزعم أركون ونصر حامد أبو زيد وحسن حنفي وسروش وعشرات غيرهم أن الفكر الإسلامي القرُسطي (= المتحجر على القرون الوسطى) كما يسمّيه هو أو يسمّونه هم بحاجة إلى مثل هذه الثورة، ومن دون ذلك لا نستطيع أن نواكب حركة التاريخ....

الذي حدا بأركون وأمثال أركون إلى هذا الانزلاق العقائدي أنّه يتعامل مع نظرية الإسلام طبقاً لآليات المنطق الجدلي؛ بمعنى أنّ تفسير النظرية الإسلامية خلال آليات منطق الجدل يجعل من الإسلام مجرد قانون يفتقر لكل قيمة معنوية؛ وآية ذلك أنّه في كل كتاباته لا يتعرض للمفاهيم الإسلامية السامية كالرحمة والرأفة واليسر وعدم الحرج وغيرها ممّا هو أساس بناء نظرية الإسلام الأول؛ فإنّ هذه الأوّليات والأولويات في بناء الشريعة الإسلامية هي التي تجعل من القانون الإسلامي في خدمة البناء الإنساني والإجتماعي؛ وليس من شك في أنّ القانون الذي يدير دفّة المجتمع غير الإسلامي لا وجود فيه لهذه الأوليات والأولويات.

فليعلم أركون وأتباعه أنّ الإسلام ليس شريعة وحسب..، هو فضلاً عن ذلك ضمان لبقاء إنسانية الإنسان حية قادرة على الصراع مع وحشية الحيوان إلى يوم يبعثون، وليس من طريق ـ كما هي عقيدة كل مسلم ـ إلى ذلك غير وجود الله لا أقل في الألسن والقلوب في سماء المجتمع

الإنساني، كما يوحي إليه قول نيتشة وماكس فيبر وغوشيه وعشرات غيرهم بل مئات، فهل يقبل أركون وغير أركون من وكلاء البروتستانتية وأبنائها البارين أن نواكب حركة التطور العلمي على حساب غياب الله عن الساحة كما يقول الغربيون؟!!!

إنّ نظرية الذكر في القرآن الكريم والتي تستتبع بقاء المجتمع الإسلامي متماسكاً تسبياً حيال التفكك الأخلاقي والتدهور الإنساني الذي أبتلي به المجتمع الغربي الذي يعيش أركون فيه الآن، تقف عائقاً كاملاً أمام مشروعه هذا؛ لأنّ أصل المسألة كما قدمنا ليس هو كيف نقرأ نصوص الشريعة الإسلامية وكيف نتعبّد بها وحسب..، الأهمّ من ذلك هو الاهتمام بها كيما لا تخرج من حلبة القداسة والتقديس فيضيع الله من القلوب والعقول كما ضاع على الغربيين اليوم، وهذا هو السبب الذي حدا بالنصوص اليهودية والمسيحية لأنّ تُحَرَّف.

الذي لا ريب فيه أنّ ذكر الله يزرع بذرة الإحساس بذلك التراث المقدّس بفعّالية عالية جداً، ومن ثمّ يزرع بذرة الإحساس بضرورة الحفاظ على ذلك التراث بتلكم الدرجة من الفعّالية؛ حذراً من ضياع الهوية الإسلامية المقدسة (بيضة الدين)..

وقد أكثرنا القول أنّ الإبقاء على الإسلام أهم بكثير من عرض مفرداته على شكل شريعة متكاملة؛ آية ذلك أنّ الرسول ﷺ لم يكن يهدف حينما بعث في مكة إلى بناء شريعة أولاً وبالذات، اللهمّ إلاّ بعض أساسيّات الحلال والحرام، بل شرع في هذا الأمر وبنى شريعة متكاملة في المدينة أي بعد ثلاثة عشر عاماً من بعثته الشريفة..

وإذا نسينا فلا ننسى أنّ أغلب السور المكية إن لم نقل كلها خالية من التشريع تقريباً، وقد اتفق المفسّرون على أنّ ما تهدف إليه تلك السور هو عرض أصول الدين وبناء الشعور القادر على الأخذ بركاب

البشر إلى الله ولو بمجرد الانتماء إليه..

وأكثر من ذلك وهو أنّ الرسول ﷺ في رزية يوم الخميس وفي غير رزية يوم الخميس ترك بيان بعض المقررات الإسلامية والتي هي مهمّة للغاية، وفي المقابل أراد أن يعطي ضماناً وآليةً للحركة لأجل بيضة الدين والحفاظ عليه ولعمري فقد أدّى ووفى؛ فصلّى الله عليه وآله الميامين مليك السماء.

وهذا الأمر نلمسه واضحاً في الأنبياء السابقين عليهم السلام أيضاً؛ فهذا موسى ألقى الألواح من بين يديه ولم يطلع بني إسرائيل على ما فيها؛ وذلك بعد أن خدعهم السامري بأسطورة العجل الإله.

ومن خلال ذلك نفهم وندرك مقدار الصعوبة التي كان يعانيها المعصوم بعد الرسول ﷺ؛ إذ قد ألقى الله تعالى على عاتقه عليه السلام وظيفة معقدة كالتي ألقيت على الرسول ﷺ حينما لم يكتب الكتاب في رزية يوم الخميس، وكالتي نهض ببعض أعبائها موسى عليه السلام حينما ألقى الألواح من بين يديه ولم ينشر ما فيها لبني إسرائيل لمّا اخترع السامري أسطورة العجل الإله، وفي آخر المطاف هذا الأمر هو ما تجسّد بغيبة مهدي آل محمد ﷺ الكبرى..

إنّ ما ألقاه تعالى على كاهل هؤلاء السماويين عليهم السلام هو مهمة الإبقاء على جوهر الدين من خلال كل الوسائل الممكنة؛ وذلك بإبقاء الله (=ذكر الله) حيّاً في سماء المجتمع بزرع الحس الديني في نفوس أولئك الذين يُخشى عليهم من ضياع تراثهم القدسي وهم الأكثر على الدوام كما أعلن القرآن الكريم، وهي مهمة صعبة غاية ما تتصور من الصعوبة وعسيرة كذلك؛ لأنّها أهم بكثير من مهمة التشريع وعرض القوانين الإسلامية؛ بداهة أنّ التشريع مع أهميته السماوية العظمى لا يغني كثيراً أو قليلاً مع احتمال تعرضه للضياع أو الموت.

من خلال ذلك يمكننا أن نقف على ضفاف وظيفة الإمام المهدي المقدسة عليه وعلى آبائه أزكى الصلوات؛ فهو عليه الصلاة والسلام يعلم مقدار ما يعانيه المسلمون فيما يتعلق بعدم الإحاطة بمفردات نظرية جدّه المصطفى ﷺ الإسلامية، ولكنّه مع ذلك لا يحرك ساكناً (هكذا يتجاسر البعض)..؛ يدعوه ﷺ لذلك أنّ ما يهدف إليه أكبر من ذلك وأهم، ولو على حساب بعض مفردات النظرية التي يجهلها فيما نحسب كل المسلمين؛ فإنّ مجرد وجوده الشريف بين الناس وحتى مع كونه مُغَيَّباً [1] يزرع في النفوس الانقياد إلى الله وإلى الإسلام وإلى الرسول وإلى القرآن وإلى الوحي وإلى الملائكة و...، خلال ما أسميناه ببناء الحس الديني في ضوء حكمة الإبقاء على الدين، بل إنّ مجرد وجوده حتى لو كان غائباً (مُغَيَّباً) حرب كاملة لكل مشروع أسطرة أو أدلجة يراد من خلالهما إلصاق الأساطير بالإسلام على أنّها منه[2].

بل من خلال ذلك أيضاً يمكننا الوقوف على عوار أطروحة الدكتور الإيراني سروش فيما يتعلق بنظرية الإسلام التي يصوّرها كما صوّرها الغربيون على أنّها تشريع ليس إلاّ، وخصوصاً فيما يتعلق بنقده اللاذع

---

(١) هذا ما أعتقد فهناك مانع من ظهوره وهم الظالمون بمختلف درجات ظلمهم المؤثرة في ذلك، وليس بدقيق ولا سديد أن نقول: غاب؛ لننسب فعل الغياب إليه.

(٢) ذكرنا لك سابقاً أنّ الأسطرة مقولة من مقولات علم الأنثربولوجيا الحديث وكذلك الأدلجة، ومعنى الأولى: العملية التي من خلالها تُجْعَل الأسطورة والخرافة كأنّها حقيقة، ومن ذلك خرافة عدالة الصحابة أجمعين التي تعاملت معها بعض الطوائف الإسلامية على أنّها حقيقة إسلامية، أمّا الأدلجة: فهي العملية التي تجعل - مثلاً - من تلك الخرافة والأسطورة التي آل أمرها عند البعض لأن تكون وكأنّها حقيقة آيديولوجيا كاملة.

لمراجع الدين وهم يقومون بدورهم المقدس في إحياء الكلمة، فقد فاته كما فات أركون وحنفي ونصر حامد أبا زيد وغيرهم أنّ الإسلام فضلاً عن كونه شريعة وقانوناً هو ضمان بما تحمل كلمة ضمان من معنى.

وقد أولت وظيفة مراجع الدين والتي هي في طول وظيفة المعصوم عليه السلام بحكم الضرورة التاريخية اهتماماً كبيراً بمقولة ضمان البقاء الإسلامي، وبنفس الدرجة من الأهمية التي أولتها للحلال والحرام وهي تمارس الإفتاء وعرض مفردات التشريع؛ وآية ذلك أنّ كل فتاواهم محكومة بمصلحة الإبقاء على الإسلام وبيضة الدين حسبما يقرره آل بيت رسول الله عليهم السلام؛ وذلك للخوف من ضياع الكلمة كما ضاعت على المسيحية وعلى غير المسيحية..

وإذا رأينا أنّ الإسلام لا يهتم ببعض موارد الشريعة التي هي مهمّة جداً في نفسها كما في رؤية يوم الخميس والألواح وعشرات غيرهما، فهذا يعني أنّه صبّ اهتمامه على الضمان وعلى آلياته، ومن الأمثلة التي سنحت على الخاطر أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حينما رأى بعض من كان في عسكره يصلي صلاة التراويح سكت ولم ينبس ببنت شفة مع يقينه بأنّها بدعة في الدين لم ينزل الله بها من سلطان، وقل مثل ذلك في سكوته العجيب حينما أُخذت الخلافة منه عنوة؛ فهو لعمر الحق سكوت أفضل من كل كلمة...

ومن ذلك ما رواه الكليني بسند حسن بل صحيح بقوله: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عثمان، عن سليم بن قيس الهلالي قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: (قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين لخلافه، ولو حملت الناس على تركها لتفرق عني جندي، أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم فرددته الى الموضع الذي كان فيه إلى أن قال: وحرمت المسح

على الخفين، وحددت على النبيذ، وأمرت بإحلال المتعتين، وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم إلى أن قال ﷺ: إذن لتفرقوا عني...)[١].

هذه هي النقطة المهمّة التي يجهلها سروش وغير سروش من تلامذة التنوير والحداثة؛ ولا إسراف فيما لو قلنا بأنّ تلامذة التنوير هؤلاء يبرهنون في كل كتاباتهم على أنّهم إلى الآن لم يفهموا الإسلام بشكل صحيح، وكل ما يفهمون منه هو مجرد الحلال والحرام الذي جاء به محمد ﷺ غافلين عن أنّ الإسلام من دون وصف البقاء ليس هو دين محمد ﷺ لا من قريب ولا من بعيد!!.

فإذا ما أرادوا نقد العقل الإسلامي عليهم أن لا يتغافلوا عن مجموع هذه المعطيات وعن مئات غيرها ممّا لم نذكرها هنا!.

العصمة وفلسفة تنمية الحس الديني!

صحيح أنّ الله سبحانه وتعالى تكفل حفظ هذا الدين، كما نصّ على ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٢]، ولكن من المهم ـ فيما أعتقد ـ أن نقف على الآلية التي على أساسها بقي الدين يصارع الأباطيل..

بلى إنّ الله قادر على كل شيء، ولكنه مع ذلك أبى وهو أحكم الحاكمين إلاّ أن يجري الأمور طبقاً للأسباب الطبيعية والحسابات الإنسانية، وهذا يجرنا لأن نقف على فلسفة التنمية بجدية؛ فالمثير للانتباه في هذا الأمر الحساس أنّ القرآن الكريم ومثله السنة النبوية قد اهتمّا

---

(١) الكافي ٣: ٣٢.

(٢) الحجر: ٩.

بشكل ملفت للنظر على ذلك كيما يبقى الشعور واللاشعور بالانتماء إلى الوحي صامداً أمام الخطوب وحركة التاريخ، ففي الوقت الذي نجد أنّ الله تعالى بمقتضى علمه وحكمته ترك اليهود والنصارى وغيرهما بعد النذر الكثيرة والآيات الباهرة يختارون طريق الضلال ويختارون إماتة حسّهم الديني بعد أن أحياه لهم مراراً وتكراراً..

أقول: ففي هذا الوقت نجد أنّ الله تعالى يأبى ذلك بالنسبة للإسلام، وفي الآيات المارة ما يوحي بهذه الحقيقة..؛ وأصرح هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَيَأْبَى اللهُ﴾ وكذلك الآيات التي دلّت على أنه تعالى أبى على المسلمين أن تموت معنويّاتهم (حسّهم) التي تستتبع فشلهم وانكسارهم وخسارتهم في الحرب، والتي تستتبع أيضاً ذهاب الدين وموته..

هذا الأمر بنحو وبآخر يدل دلالة كافية على أنّ فلسفة التنمية سبب من الأسباب الطبيعية التي تضمن للدين الإسلامي مواصلة الدرب مع عجلة الزمان القاسية، ببقائه حياً صامداً سالماً من التحريف.

واكثر من ذلك وهو أنّ هذا الكلام يدل على أنّ العصمة ضرورة شرعية وتاريخية؛ لعدم إمكان تحقق التنمية من دون مرشد نفسي يلاحظ الأمر ويراقب عن كثب نقطة الخطر كما راقبها الله في صحابة رسول الله ﷺ حينما أرادوا الفشل في الحرب وكاد حسهم الديني أن يموت، ولا يمكن لغير المعصوم أن ينهض بأعباء حبة خردل من هذه الوظيفة.

إذن تنطوي التنمية على فلسفة الإبقاء على الدين سالماً من التحريف، وهي في نفسها تدل بنحو من أنحاء الدلالة على ضرورة وجود المعصوم؛ لأنّ غير المعصوم لا يمكنه أن يوازي في التطبيق بين نظرية الإسلام في الإبقاء على الحس الديني حياً وبين نظرية الإسلام في التقنين والتقعيد (التشريع)؛ فقد أعلن التاريخ أنّ غير المعصوم يتخبط كثيراً في هذه النقطة الحساسة؛ إمّا لأنّه جاهل بمفردات الشرع وهذه طامّة، وإمّا لعدم

كفائته في ملائمة العلم الوحيوي مع الظروف التاريخية والاجتماعية والسياسية وهذا أطمّ؛ لأنّ المهم بالدرجة الأساس هو حفظ الدين ولو على حساب غياب بعض مفردات الدين كما في صورة التقية، لا العكس الذي يستلزم ضياع نفس الدين، ولذا قلنا أطم.

بناء على ذلك فأنا لا أميل إلى تفسير قوله ﷺ: (التقية ديني ودين آبائي)[1] بشكل عشوائي غير مقنع كما يفعل الغير؛ لوضوح أنّ التقية لمّا كانت سبباً في الإبقاء على الدين أمكن طبقاً لأساليب العرب في الكلام البليغ أن يُذْكَر السبب ويُقْصَد به المسبب بعلاقة يسميها علماء البلاغة بعلاقة السببية، والحاصل: فإنّ التقية لمّا كانت سبباً للإبقاء على الدين أمكن أن تسمّى ديناً كما في النص الآنف وكما هو ديدن بلغاء العرب خلال علاقة السببية، ولا داعي لأن نتمحّل للحديث بألف تمحّل كما يفعل البعض!!!.

الصلاة وفلسفة المتواترات في الإسلام:

كما قلنا فقد أولى الوحي مسألة الصلاة على النبي وآله ﷺ عناية بالغة واهتماماً بيناً، فقد وردت الصلاة عن الوحي كما ذكرنا وكما ستوضح بطرق وأسانيد متواترة عن مجموع المدرستين الوحيوية والرأيوية، وهذا إن دل فإنّما يدل بيقين على أنّ الدور الذي ألقي على عاتقها من قبل السماء في عملية الصراع من أجل المبادىء السماوية، عظيم.

وإذا ما قارنّا بين مقررات الوحي فيما يتعلق بالصلاة على النبي ﷺ ومقدار اهتمامه بها حيث أوصلها لنا بالتواتر مع كونها مستحبة في أغلب الأحيان وبين أكثر الواجبات الإسلامية التي لم ترد عن الوحي إلاّ بطريق

---

(١) الكافي ٢: ٢١٩.

معتبر واحد أو بطريقين نرى الفرق الواضح بين قيمة الصلاة السماوية وبين قيمة الواجبات الأخرى.

رأيت في أكثر كتابات الباحثين هروباً من إعطاء تفسير مقنع لهذه المسألة؛ إذ كيف يولي الوحي إهتماماً بالغاً للصلاة على محمد وآل محمد مع أنها مستحبة غالباً (هكذا يقال) في حين أنّه لم يول كثيراً من الواجبات الإسلامية عشر معشار ما أولاها..!!!.

أقول: ستعرف لاحقاً أنّ إضافة كلمة غالباً كقيد لاستحباب الصلاة مجازفة عجيبة، هذا أولاً، وثانياً أوضحنا أنّ هدف الوحي فيما يتعلق بآلية الإبقاء على الدين يدفعه لأنّ يولي بعض المقررات أهمية بالغة وعناية عالية حسب نظرية بناء الحس، وكما قلنا فإنّ الهدف من الإبقاء على الدين أكبر وأهم من نفس قوانينه مع احتمال ضياعه وموته.

وكما ذكرت لك فمن مظاهر اهتمام الوحي الشديد بالصلاة هو أنّها وصلت إلينا بطرق متواترة؛ الأمر الذي سنبرهنه في غضون المباحث اللاحقة بجديّة.

وإذا كان الأمر كذلك لا نعدو الصواب إذا تَيَقّنّا من علو تأثير الصلاة في بناء ما أسميناه بالإحساس بالمسؤولية الدينية؛ لأنّ ما يلائم اهتمام الوحي الشديد في هذا الأمر هو هذا الشيء من علو التأثير، وعلى هذا الأساس نقف على فلسفة المتواترات في الإسلام؛ فإن المتواترات هي التي نقطع بصدورها عن الوحي والمعصوم ومن ثمّ عن الله، وهي - أي المتواترات - إذا ما قيست ببقية مفردات الإسلام نجدها قليلة أو قليلة جداً، في حين أنّ النصوص الإسلامية الباقية غير المتواترة والتي هي الأكثر، لا يمكن أن نزعم بصدورها عن المعصوم بشكل قطعي بل ظني معتبر وغير معتبر (الأحاديث الصحيحة والأحاديث الضعيفة)، وهذا برهان بيّن على أنّ الإسلام ارتكن في ولادته أولاً، وعلى بقائه قوياً ثانياً،

وعلى قدرته على الصراع مع الباطل ثالثاً على هذه المتواترات.

وتفسير ذلك أن هذه المتواترات في ظرفها الإجتماعي والإنساني تكشف عن لون من ألوان الإصرار والتحدي ـ إذا جاز لنا التعبير ـ على عدم تناسيها في عمليات الصراع؛ أي تكشف كشفاً كاملاً عن إصرار المعصوم على عدم تناسيها، الأمر الذي ننتهي معه إلى أنّ مهمة المتواترات الوحيوية كبيرة فيما يتعلق بتأصيل أصول الدين وببناء هيكله العام، بل لا أغالي إذا قلت: إنّ المتواترات هي العمود الفقري للنظرية الإسلامية إجمالاً وتفصيلاً.

يقودني لهذا القول إشكالية اللغوية؛ لأنّ تفسير إصرار المعصوم على مفردة من مفردات الدين الإسلامية بهذا الشكل؛بحيث يخبر بها ويوصي كل المسلمين كلما تسنى له أن يوصي ويخبر؛ لتصل إلينا بطرق متواترة يمتنع تواطؤ رجالاتها على الكذب، إمّا أن يكون لغواً الأمر الذي ينفيه كل مسلم وإمّا هو ما ذكرناه آنفاً!!!.

وهذا هو الذي يفسّر لنا وصول أحاديث الرسول ﷺ في فضائل أهل البيت ﷺ بعامّة وأمير المؤمنين ﷺ بخاصّة إلينا وإلى الأجيال اللاحقة سالمة صحيحة بل ومتواترة؛ فأنت تعلم أنّ الأمويين وغيرهم جدّوا في إطفاء شعلة أهل البيت الوحيوية، بل رووا أحاديث موضوعة مكذوبة على الرسول ﷺ في ذمّهم، ليميتوا الإحساس بالله وبآل البيت ﷺ، ولكن موقف الرسول ﷺ وتحدّيه لذلك في إطار ذلك الاصرار (=المتواترات) منع من كل ذلك، وهذه آية أخرى على عظمة الرسول محمد ﷺ.

نظرية الحسنة النوعية:

تبلورت أمامنا هذه النظرية من خلال كل ما ذكرنا سابقاً، ومن خلال انقسام المسلمين إلى مدرستين: الوحيويين والرأيويين، والفرق الجوهري

بين هاتين المدرستين على ما بينّا هو أنّ الأولى تدور مع الوحي والنص المقدس حيثما دار..

بخلاف الثانية التي كانت وما زالت تدور مع الرأي حيثما دار؛ ضاربةً تبعاً لعمر بن الخطاب بقول المعصوم عرض الجدار كما هي مقرراتها المصاغة بـ: حسبنا كتاب الله، والمصاغة ثانياً بـ: أقلّوا الرواية عن رسول الله إلاّ فيما يعمل به، والمصاغة ثالثاً فيما بعد بـ: رغماً لأنوف الشيعة، ممّا هو ليس بضرر على وجود هوية قريش الرأيوية.

وهذا يعني أنّ المدرسة الوحيوية كانت تعبد الله تعالى من خلال إيمانها بضرورة التعبد بكل النصوص الإسلامية المقدسة سواء أكانت من أفراد القسم الأول الذي يجمع في طياته نظرية التشريع (العبادات والمعاملات) أم كانت من أفراد القسم الثاني الذي يجمع في طياته عناصر الإبقاء على الدين؛ تلك العناصر التي تحقق المصداقية الكاملة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[1] و..

بيد أنّ هذا الكلام لم يلحظ البعد التاريخي ولا البعد السياسي ولا البعد الاجتماعي ولا البعد الإنساني؛ بمعنى أنّ علينا أن نلحظ الصراع بين المدرستين من خلال هذه المحاور بملاحظة الحركة التاريخية والتحولات السياسية وتغير الهيئات الاجتماعية؛ وذلك لأنّ انقسام المسلمين إلى مدرستين لا يقف أمره على مجرد الإنقسام، ولا على أنّ موقف هذه إيجابي وموقف هذه سلبي يوم الحساب الأكبر، فهذا وإن كان صحيحاً إلاّ أنّه لا ينهض بأعباء الكشف عن معالم نظرية الثواب والعقاب الإسلامية إلاّ بشكل ساذج..

---

(١) الأنعام: ٨٧.

إنّ المناهج الكلاسيكية لا تتحدث عن نظرية الثواب والعقاب إلاّ من خلال ما أسمّيه بنظرية الحسنة الشخصية؛ وهو أنّ المسلم إذا عبد الله من خلال مقررات الإسلام في العبادات والمعاملات (مقررات القسم الأول من النصوص المقدسة) دخل الجنة وإلاّ فلا..

أنا أجزم بصحة هذه النتيجة على نحو التعليق، إذ لا بدّ من ملاحظة مضامين القسم الثاني من النصوص المقدسة، ومن دون ملاحظة ذلك سنقع في محذور الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالآخر بالرد على الرسول ﷺ؛ لأنّ طاعة الله في العبادات والمعاملات من دون ملاحظة حديث الغدير المتواتر وحديث الثقلين وحديث الصلاة البتراء و...، هو وقوع في ذلك المحذور، وحينئذ وبملاحظة ذلك المحذور لا تساوي الطاعة شيئاً قليلاً أو كثيراً.

ولقد أكثرنا من نقل قول الرسول ﷺ: **«لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار»**.

وكما أخبرناك فقد علق الحاكم على هذا الحديث بقوله: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[1]، ووافقه الإمام الذهبي على ذلك[2].

وقوله ﷺ: **«والله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبّكم لله ولقرابتي»**[3].

وقد أخرج الكليني قال: عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩.

(٢) تلخيص المستدرك ٣: ١٤٩.

(٣) مسند أحمد ١: ٢٠٨، ينابيع المودة ٢: ١١٠، كنز العمال ١٢: ٩٧، تفسير ابن كثير ٤: ١٢٢، الدر المنثور ٦: ٧، تاريخ مدينة دمشق ٢٦: ٣٠٢.

الجبار، عن الحسن بن علي بن فضال، عن ثعلبة بن ميمون؛ عن أبي أمية يوسف بن ثابت بن أبي سعيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنهم قالوا حين دخلوا عليه: إنما أحببناكم لقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولِمَا أوجب الله عز وجل من حقكم..؛ ما أحببناكم للدنيا نصيبها منكم إلا لوجه الله والدار الآخرة، وليصلح لامرء منّا دينه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: (صدقتم صدقتم) ثم قال: (من أحبنا كان معنا أو جاء معنا يوم القيامة هكذا) ثم جمع بين السبابتين ثم قال: (والله لو أن رجلا صام النهار وقام الليل ثم لقى الله عز وجل بغير ولايتنا أهل البيت لَلَقِيَه وهو عنه غير راض أو ساخط عليه)[1].

أقول: وهذا الحديث موثق لمكان ابن فضّال الفطحي، وأبو علي الأشعري هو أحمد بن إدريس الثقة الوجه كما يعرف المختصون..

وأنت ترى أنّ هذه الأحاديث نصوص صريحة في أنّ طاعة الله سبحانه وتعالى خلال نظرية التشريع والحلال والحرام ليست لها قيمة من دون حب أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله، ولكن هذه النصوص ثلاثة أربعة من مئات النصوص الدّالة بالتصريح وبالتلويح على هذا الأمر الخطير؟!!!

وأكثر من ذلك وهو أنّ المناهج الكلاسيكية لمدرسة الوحيويين نفسها لم تخرج عن فلك نظرية الحسنة الشخصية وعن العبادات والمعاملات؛ فهي تقول مثلاً: إنّ الفعل الفلاني له ثواب كذا وفيه طاعة لله كذا؛ أي أنّ لكل فعل صالح ثواب واحد وحسنة واحدة في إطار تلك الطاعة؛ إلاّ أنّ هذا تفسير ساذج غاية ما تتصور من السذاجة لنظرية الثواب؛ لأنّ هذه المناهج كأنّها اقتصرت على طاعة الله من خلال مقررات القسم الأول من النصوص الإسلامية المقدسة (العبادات والمعاملات) ولم تسلط الضوء

---

(١) الكافي ٨: ١٠٧.

كثيراً على الطاعة والمعصية من خلال مقرات القسم الثاني، هذا من جهة..

ومن جهة أخرى فإنّ أفراد مدرسة الوحي المباركة ومنذ عهد الرسول ﷺ حتى يوم المهدي جعلنا الله من أتباعه شربوا ظلم الظالمين من نفس الكأس الذي شرب منه الرسول وآل بيته ﷺ؛ وذلك لمجرّد حبّهم للرسول ولأهل بيته ﷺ.

وقد أعلن التاريخ بكل وضوح أنّهم تجرعوا الغصص ودفنوا أحياء وقتلوا تقتيلا وشردوا تشريدا..؛ وكما بان لك فيما تحسب فإنّ مجرد الحب والانتماء هو شعارٌ فعّال قادر وبكل جدارة على فضح مشروع قريش ومن لفّ لفّ قريش من بني أمية وبني العباس و...؛ لذلك ظلموا عبر التاريخ ببشاعة هي لعمر الله فوق كل التصورات..

ومن ذلك مما له دلالة في الجملة على ما نحن فيه ما رواه علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾؟

قال عليه السلام: (بما صبروا على التقية)[1].

فأمعن النظر في قوله تعالى في إطار هذا الحديث: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾؟.

إنّ تلكم المناهج لم تسلط الضوء بجدّية على التفسير موضوعي لقوله عليه السلام: «حب علي عبادة»[2] لأنّها جَمُدَت على مقررات القسم

(١) الكافي ٢: ٢١٧.

(٢) تاريخ بغداد ١٢: ٢٤٦، تاريخ مدينة دمشق ٥٨: ٢٦٩، بحار الأنوار ٣٩: ٢٨٠.

الأول من النصوص الإسلامية، ولكن على ضوء نظرية تقسيم النصوص يمكننا قراءة هذا النص المقدس ببساطة..

فإنّنا مهما شككنا في شيء فلا نشكّ في أنّ ما يلاقيه المحب لعلي كما أوضح التاريخ ونطق لا يلاقيه المجاهد مع الكفار في سوح الجهاد، فلم نسمع أو نقرأ أنّ أحداً من المسلمين قد دفنه الكفار حياً لأنّه مسلم أو قتلوه لمجرد أنّ اسمه عليٌّ أو حسنٌ أو حسينٌ؛ إذ لم يحدثنا التاريخ عن مثل ذلك لا عن الروم ولا عن الفرس ولا عن العرب فيما بينهم في أيّامهم الجاهلية.

ولكن حدثنا التاريخ عمّا اجترحه معاوية ويزيد والحجاج في أصحاب علي عليه السلام لمجرد أنّهم أطاعوا الرسول صلى الله عليه وآله في حب آل البيت عليهم السلام، وهذا يبين أنّ الموقف اللاإنساني الذي اتخذته الأنظمة السياسية الإسلاموية التي علت على رقاب المسلمين بالقهر والغلبة من المنتمين لمدرسة علي الوحيوية لا ينوء بعبئه كل أحد.

وإلاّ ما هو التفسير المعقول للجرائم الوحشية للأنظمة القرشية والأموية والعباسية والسلجوقية والأيوبية والعثمانية..؛ الدموية وغير الدموية مع شيعة آل محمد الذين لا جريمة عندهم سوى مجرد ذلك الحب الكاشف عن ذلك الانتماء الفعّال؟!!!.

إن حبّ علي في إطار مقررات القسم الثاني من النصوص الإسلامية طاعة لله وللرسول صلى الله عليه وآله؛ وبالتالي ففي حب علي ترجمة صادقة للإحساس بالمسؤولية الدينية.

وبكلمة واحدة: فإنّ حبّ علي هو ما يبقي الدين حياً لا تناله يد التحريف الأموية والعباسية والقرشية عموماً، وهو الذي يفضح عوار هذه الأنظمة المعيقة لمسيرة الدين؛ لأنّه وكما قلنا نحن وقالوا هم شعارٌ لطريقة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

نحن من هذا المنطلق الواقعي نقرأ نظرية الثواب والعقاب الإسلامية، ومن هذا المنطلق نجيب على السؤال الذي يقول لماذا في حب علي وأهل البيت عليهم السلام هذا الثواب العظيم؟!!

فكما عرفت فلأنّ ضريبة هذا الحب وهذا الانتماء لا تضاهيها ضريبة ـ أيّ ضريبة) في تاريخ البشرية؛ وليس أبشع من قتل المسلم لمجرد أنّ اسمه علي أو حسن أو حسين كما كان يفعل الحجاج، أو قتل الرضّع في كربلاء، أو اغتصاب عذارى ألف أو أكثر من بنات الأنصار البواكر خلال ساعة من نهار في واقعة الحرّة، بل لم يبقوا فيها باكراً، أو... وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

الذي نخلص إليه من ذلك أنّ أفراد المدرسة الوحيوية صحيح أنّهم يدورون في فلك نظرية الحسنة الشخصية؛ بملاحظة أنّ الذي يطيع الله في الصوم والصلاة والزكاة وسائر مقررات القسم الأول (العبادات والمعاملات) له حسنة تلائم المفردة العبادية أو المعاملاتية التي أطاع الله من خلالها.

ولكن الوقوف عند ذلك نظرياً ليس بسديد؛ لأنّ المساهمة في عملية الإبقاء على الدين بمجرد الانتماء لمدرسة علي عليه السلام ولو بالحب الصادق الذي يستتبع سفك الدم والقتل أو السجن وغيره، هي حسنة غير مختصة بهذا الفرد أو ذاك؛ لوضوح أنّها حسنة عامة شاملة لكل الأفراد المنتمين.

ولا ريب في أنّ هذا الأمر يستنزل ثواباً عظيماً؛ بداهة أنّ ضريبة ذلك هي من غير جنس ضريبة من يعبد الله تعالى في إطار العبادات والمعاملات، فضريبة الصوم هي الجوع والعطش القليل وضريبة الصلاة منحصرة بتعب الوقوف والإلتواء في الركوع والسجود وضريبة الزكاة بعض الحسرة على المال وهكذا الأمر في البواقي، ولكن هل كل هذه الضرائب عبر مئات السنين تحدل ضريبة سنة بل شهر بل يوم واحد دفعها محب علي

خلال فترة حكم الحجاج مثلاً؛ الذي امتلأت سجونه بهم وبنسائهم، وأرضه بشهدائهم، وسيوفه بدمائهم؟.!!!.

وهل نحن سُذّج لنوازي بين ثواب وعبادة العابد لمئة سنة ممّن كان يرتع في النعيم الأموي الذائق لطعم الأمان، مع رعب لحظة واحدة لهذا الذي قتله الأمويون لمجرد أنّ اسمه عليٌّ أو حسنٌ أو حسينٌ، والذي لم ير الأمان منذ أن انعقدت نطفته على حب علي وآل البيت عليهم السلام؟

وإذن فهناك فضلاً عن الحسنة الشخصية فيما لو أطاع الله في مفردة من العبادات والمعاملات، حسنة نوعية تعم كل أفراد المدرسة، ولكن لا تنهض بأعباء ضريبتها الجبال الرواسي كما أعلن التاريخ..

ولنا الحق في أن نتصور أنّ آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام حتى يوم المهدي لا يحبهم أحد؛ أعني الحب الذي يساهم في بناء الدين والذي يقلق مضجع الأمويين والعباسيين والأيوبيين والذي يجازون عليه بالقتل والسجن والدفن في حالة الحياة..

أقول: فلنتصور ذلك فقط، ولنتصور أيضاً أن مدرستهم لا ينتمي إليها أحد وأنّ الحسين لا يزوره أحد، وأنّ علياً أمير المؤمنين لم يتوافر في جيشه الذي قاتل من خلاله القاسطين والمارقين والناكثين من أحد، وأنّ الصادق لم يسمع منه أحد، وأنّ باقي الأئمة عليهم السلام كذلك، وأنّ الإمام المهدي لا يندبه أحد...، فماذا سيحصل؟!!!.

يخطر ببالي ما ورد عن الصادق عليه السلام بسند معتبر قوله: (لولا هؤلاء الأربعة: محمد بن مسلم وبريد العجلي وزرارة وأبو بصير لذهبت آثار النبوة واندرست) [1] فانظر إلى رجالات الشيعة الأربعة هؤلاء ودورهم في إبقاء الدين، فما بالك بكل أفراد مذهب الحق على نحو المجموع؟! طبعاً

---

(١) وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٢، رجال الكشي ١: ٣٩٨.

على ما بينهم من تفاوت!

وقد أخرج الكليني بسند صحيح قال: عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، عن أبيه، عن جده قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نورا وجعل له حصنا وجعل له ناصرا؛ فأمّا عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة ثم هبط بي إلى أهل الارض فنسبني إلى أهل الارض فاستودع الله عز وجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي، فمؤمنوا أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة، ألا فلو أن الرجل من أمتي عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لأهل بيتي وشيعتهم ما فَرّجَ الله صدره إلاّ عن نفاق»**[1].

وهذا نص على أنّ الشيعة لا يقف دورهم على العبادة الساذجة وحسب بل لهم وظيفة أخرى وهي نصرة الدين، ولنا أن نمعن النظر بنعمة الانتماء لآل بيت رسول الله ﷺ، وبثقل المسؤولية الملقاة على عاتقنا، فالحمد لله حمداً كثيراً لا يعدّه العادّون.

وأشير إلى أنّ النظريتين (نظرية الحسنة النوعية والشخصية) قد تتداخلان فيما بينهما كما في زيارة الإمام الحسين ﷺ التي اهتم الشارع المقدس بالإيصاء بها حتى وصلت إلينا بطرق متواترة أيضاً؛ **فهي من جهة**

---

(١) الكافي ٢: ٤٦.

لا ريب في كونها من العبادات لأنّها وكما هو مشهور بين أساطين المدرسة الوحيوية مستحبة، بل قد ذهب البعض إلى وجوبها، حسب استظهاراتهم من النصوص.

بيد أنّها من جهة ثانية وكما تشير نصوص القسم الثاني عملية من عمليات الصراع مع الأفكار المناوئة للدين؛ ولسنا بصدد عرض الروايات المتواترة في ذلك، لكن يكفينا أن نقول: إنّ هذه الروايات تدل بنحو من أنحاء الدلالة على أنّ التزام طريق سيد الشهداء الحسين يساهم بيقين في إحياء كلمة الله العليا في القلوب وإحياء الشعور الفعّال بالله..، تلك الكلمة التي تمثل أقوى صرخة أمام الظلم اللامحدود عبر ما أسميناه ببناء الإحساس بالمسؤولية الدينية..

ففي الوقت الذي يطاع الله تعالى في مفردة زيارة الحسين في محور القسم الأول (العبادات والمعاملات) باعتبارها واجبة أو مستحبة، نجد أنّ في نفس هذا الوقت يطاع الله تعالى بها ولكن من خلال القسم الثاني؛ وآية ذلك أنّ المتوكل وغير المتوكل كان يقطع الأيدي عليها؛لأنّها وكما برهنّا دخلت في مشروع الدفاع عن الوحي والإحساس بالمسؤولية، بل شعار لحياة الوجود الوحيوي المقلق لمضجع الآخرين، وهذا الوجود بسبب ذلك قادر دوماً على البناء ولو من خلال الصراع مع الوجود الآخر!

والكلام عن ثواب الصلاة على محمد بشرط آل محمد ﷺ هو كالكلام عن ثواب زيارة الحسين حذو القذة بالقذة..

ومن هذا المنطلق نستطيع قراءة النصوص التي تذكر الثواب العظيم لمجرد زيارة الحسين أو لمجرد الصلاة على محمد وآل محمد؛ إذ أنّ زيارة الحسين ـ ومثلها الصلاة ـ كفيلة بتعريف الظلم والوقوف بوجهه، وكفيلة بإحياء الدين في القلوب وفي الخارج.

لذلك ترى الأنظمة السياسية الظالمة يسلب رقادها ما تنطوي عليه

زيارة الحسين وبقية مقررات القسم الثاني من نظرية الإسلام من قوة؛ ولذلك كانوا يقتلون عليها ويسجنون ولذلك أعطى الله ثواباً عظيماً للمتعبدين بها..

بل ليس من تفسير لاصرار المتزمتين على عدم السجود للتربة وعلى عدم زيارة الرسول ﷺ وعلي عليه السلام والحسين عليه السلام و...، إلاّ لأنّ هذه الأمور مشاريع كاملة لفضح القرارات الملتوية لمدرسة الرأي التي ضربت بسنة الرسول ﷺ عرض الجدار (إلاّ فيما يعمل به) وليست المسألة هي خلاف فقهي ساذج كما تصور المناهج الكلاسيكية.

نظرية السيئة النوعية:

وفي مقابل الحسنة النوعية تتبلور أمامنا نظرية السيئة النوعية؛ التي هي على نقيض الأولى تماماً؛ لوضوح أنّ مجرد الانتماء للمدرسة القرشية الرأيوية يحقق المساهمة الفعالة في مشروع إماتة الحس الديني المصاغ قديماً بـ: (حسبنا كتاب الله إنّ النبي يهجر) والمصاغة فيما بعد بـ: (رغماً لأنوف الرافضة) وذلك في مقابل مشروع الإحياء الذي تتبناه المدرسة النبوية ...

إنّ أقل ما يقال في دائرة الصراع هذه هو أنّ من علم مقامات العترة الوحيوية ومع ذلك انتمى لمدرسة متقاطعة في مبادئها مع مدرستهم عليهم السلام؛ فإنّ ذلك مساهمة فعّالة مضافاً إلى كونها مدروسة في عملية عرقلة مسيرة الدين التي ناءت بحملها وظيفة المعصوم..

كثيرةٌ هي الأسئلة المثارة حول دخل ولاية مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام في توقف صحة طاعة الله عليها! وفيما نحسب أماطت رؤيتنا في قراءة النصوص الإسلامية اللثام عن مبهمات كثير من هذه النصوص، وحسب رؤيتنا فإنّ ولاية علي متداخلة عضوياً ومتلاحمة ذاتياً مع كل

مقررات الوحي فيما يتعلق بنظرية التشريع (العبادات والمعاملات).

فكما بان ليس غرض الله من دين الإسلام الكامل، أعني الموصوف بالبقاء هو الصلاة والصوم والزكاة و...، وحسب، بل إنّ ما يريده الله أهم من ذلك بكثير وهو الإبقاء على حقيقة الصلاة وحقيقة الصوم و...

وهذا من دون ولاية علي لا يمكن تصوره بحال من الأحوال؛ ندرك ذلك بوضوح حينما نفهم أنّ الذي جاء به الرسول ﷺ ليس هو الإسلام وحسب بل هو الإسلام الموصوف بالبقاء على ما عرفت..

ولا بأس بإيراد بعض النصوص التي تدل على مجمل ما أردنا قوله في هذه المسألة..

نصوص صريحة في النظريتين:

وهذه النصوص على قسمين فبعض رواه أهل السنّة وبعض رواه الشيعة..

بعض نصوص أهل السنّة:

ومن هذه النصوص ما أخرجه الحاكم بقوله: حدثنا مكرم بن أحمد القاضي، حدثنا أحمد بن علي الابار، حدثنا إسحاق بن سعيد بن أركون الدمشقي، حدثنا خليد بن دعلج أبو عمر والسدوسي أظنه عن قتادة عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس**» هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه[1].

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩.

كما وقد أخرج الحاكم بقوله: اخبرنا أبو النضر محمد بن محمد بن يوسف الفقيه وأبو الحسن أحمد بن محمد العنبري قالا: حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، حدثنا علي بن بحر بن برى، حدثنا هشام بن يوسف الصنعاني..

وحدثنا أحمد بن سهل الفقيه ومحمد بن علي الكاتب البخاريان ببخارى قالا: حدثنا صالح بن محمد بن حبيب الحافظ، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا هشام بن يوسف، حدثني عبد الله بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبي»** هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجه[1].

وبقوله: حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن الأصبهاني، حدثنا محمد بن بكير الحضرمي، حدثنا محمد بن فضيل الضبي، حدثنا أبان بن جعفر بن ثعلب عن جعفر بن إياس عن إبي نضرة عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«والذى نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار»** هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[2].

ويقوله أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بطة الاصبهاني، حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا الاصبهاني، حدثنا إسمعيل بن عمرو البجلي، حدثنا الأجلح بن عبد الله الكندي عن حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة عن علي رضى الله عنه قال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنّ أوّل من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين»**.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٨.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٠.

قلت: يا رسول الله فمحبونا؟

قال ﷺ: «من ورائكم» صحيح الاسناد ولم يخرجاه[١].

وأخرج الثعلبي في تفسيره ـ كما ذكر ابن حجر ـ بقوله: أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي البلخي، حدثنا يعقوب بن يوسف بن إسحاق، حدثنا محمد بن أسلم، حدثنا يعلي بن عبيد عن إسماعيل عن قيس عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنّة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»**[٢].

أقول: ورواية الثعلبي هذه حجة سنداً ودلالة، وسيأتيك تفصيل البحث في ذلك في البحوث اللاحقة إن شاء الله تعالى، وأحسب أنّ فيما ذكرنا كفاية، وإلاّ فالنصوص في هذا الموضوع في غاية الكثرة!!.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٥١.

(٢) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (لابن حجر العسقلاني) المطبوع في حاشية الكشاف ٤: ٢٢٠.

بعض النصوص الشيعية:

منها: ما أخرجه الصدوق بقوله:حدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، قال: حدثني أحمد ابن إسحق بن سعيد، عن بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن حبنا أهل البيت ليحط الذنوب عن العباد كما يحط الريح الشديدة الورق عن الشجر)(١).

أقول: وسند هذه الرواية صحيح، ثمّ أنت ترى أنّ أبا عبد الله الصادق لا يتحدث هنا عن ثواب العبادات والمعاملات من صوم وصلاة وحج وزكاة، بل عن شيء آخر وهو عين ما خلصنا إليه في نظرية الحسنة النوعية.

ومنها: ما أخرجه البرقي عن أبيه، عن عبد الله بن قاسم الحضرمي، عن مدرك بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (لكل شئ أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت)(٢).

ومنها: ما أخرجه أيضاً عن علي بن الحكم او غيره، عن حفص الدهان، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (إن فوق كل عبادة عبادة، وحبنا أهل البيت أفضل عبادة)(٣).

ومنها: ما أخرجه عن محمد بن علي، عن الفضيل، قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أي شئ أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله فيما افترض عليهم؟

فقال: (أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله طاعة الله وطاعة رسوله، وحب الله وحب رسوله صلى الله عليه وآله وأولي الأمر) وكان أبو جعفر عليه السلام يقول:

---

(١) ثواب الأعمال: ١٨٧.

(٢) المحاسن ١: ١٥٠، والكافي ٢: ٤٦.

(٣) المحاسن ١: ١٥٠.

(حبنا إيمان وبغضنا كفر)[١].

ومنها: ما أخرجه عن ابن فضل، عن عاصم بن حميد، عن فضيل الرسان، عن أبي داود عن أبي عبد الله الجدلي، قال: قال لي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: (يا أبا عبد الله، ألا أحدثك بالحسنة التي من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة، وبالسيئة التي من جاء بها أكبه الله على وجهه في النار).

قلت: بلى.

قال: (الحسنة حبنا والسيئة بغضنا)[٢].

فأمعن النظر في هذه النصوص المتضافرة المعتبرة التي هي غيض من فيض، فهي واضحة الدلالة فيما ذهبنا إليه.

الصلاة ونظرية الحسنة النوعية:

أوضحنا سابقاً أنّ الصلاة على محمد وآل محمد تلحظ باعتبارين:

الأول: أنّها مفردة من مفردات نظرية الحرام والحلال الإسلامية؛ فمثلاً تبطل الصلاة اليومية إذا لم تذكر الصلاة على محمد وآل محمد في التشهدين على ما أجمع عليه الأصحاب كما سيتوضح، أو تبطل صلاة الجنازة إذا لم تذكر فيها الصلاة على محمد وآل محمد على ما عليه المشهور، وهذا يعني أنّها تدور في حلبة الحسنة الشخصية إذا امتثل المكلف أمر الله بإتيانها في التشهدين وفي صلاة الجنازة، وقس على ذلك باقي الموارد التي تدخل الصلاة على محمد وآل محمد فيها بعنوان فقهي....

---

(١) المحاسن ١: ١٥٠.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٩٣، والمحاسن ١: ١٥٠.

الثاني: أنّها مفردة من مفردات الوحي في بناء الإحساس بالمسؤولية الدينية وآلة وحيوية من آلات الإبقاء على الدين، كما في قوله ﷺ: «**الصلاة عليّ وعلى آل بيتي تذهب بالنفاق**» أو أنّها: «**تعدل عند الله التسبيح والتهليل والتكبير**» أو أنّ: «**ثواب الصلاة على محمد وآل محمد كثواب ذكر الله تعالى...**»[1].

هذا على مستوى التحليل المنطقي (العقلي) أمّا بلحاظ الواقع الخارجي فالاعتباران متداخلان وذائبان بعضهما بالبعض الآخر؛ لأنّ الصيغة الشرعية للصلاة على محمد وآل محمد وبأيّ اعتبار أخذتها من هذين الاعتبارين هي عنوان صارخ للإنتماء السلبي أو الإيجابي من مدرسة الرسول ﷺ، بل هي عنوان صارخ لتولي علي وآل بيته بشكل صحيح أو عدم ذلك، ومن ثمّ هي عنوان صارخ لرفض أو قبول كل آيديولوجية لا تمت للعترة بصلة، ورابعاً هي عنوان صارخ لتولي أعداء العترة أو التبري منهم بالكامل، وخامساً هي عنوان صارخ لأنّها شعارٌ للصراع مع كل وجود متقاطع مع الوجود السماوي لآل بيت رسول الله ﷺ أو بالعكس تماماً.

وعلى ما عرفت فللصلاة صيغتان: شرعية وبِدْعِيَّة؛ الأولى هي: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» والثانية: «**اللهمّ صل على محمد**» من دون ذكر آل محمد ﷺ.

وهذا يعني خروج الصلاة من إطارها الفقهي الضيّق خروجاً مذهلاً لتمثل مفردة من مفردات الصراع بين المدرستين، وآية ذلك الصراع أنّ كلاً من هاتين المدرستين وعلى مدى أربعة عشر قرناً له موقفه السلبي أو الإيجابي منها؛ فهذه تصر على الصيغة الشرعية؛ لأنّ الرسول ﷺ جاء

---

(١) في الفصول اللاحقة ستتعرض بالبحث لهذه الأحاديث سنداً ودلالة.

بها هكذا، وتلك تصر على البدعية؛ رغماً لأنوف الرافضة وبشكل لا تراجعي.

وإذن فالصلاة على محمد وآل محمد آلت لتكون برهاناً على الانتماء لمدرسة الوحي، وهي في نفس الوقت آلت لتكون برهاناً على الانتماء المقابل؛ وإذا شككنا في شيء فلا نشك في أنّ المسلمين برمّتهم إمّا يُصلّون على آل محمد حين الصلاة على محمد ﷺ وإمّا لا، ولا ثالث في البين، وأولئك هم الوحييون وهؤلاء هم الرأيويون.

نخلص من ذلك إلى أنّ الصلاة آلت لتكون شعاراً فعّالاً له القابلية الكاملة للبرهنة على الانتماء، وقد برهنا آنفاً بعجالة أنّ مجرد الإنتماء يستنزل ما أسميناه بالحسنة النوعية في هذه الجهة والسيئة النوعية في تلك الجهة.

ومن طريف ما صادفني في حياتي في بغداد العراق أنني حاورت بعض الزملاء من أهل السنة والجماعة بعد أن قال لي: إنّ تقسيمك المسلمين على قسمين باعتبار الصلاة على آل بيت النبي ﷺ، ومن ثمّ قولك: ولا ثالث في البين باطل، والوجدان خير شاهد؛ فأنا أقول: اللهم صل على محمد وآل محمد، وأنا أجوز ذلك، بل كل أهل السنة يجوزون ذلك.

أذكر أنني قلت له: وهذه هي الطامّة، فإذا كنتم تجوزون ذلك، فلم لا أجد عند خطبائكم في المساجد ذكراً مقنعاً ومحموداً للآل حين الصلاة على محمد ﷺ، بل لم لا أجد ذلك في كل كتب أهل السنة المطبوعة وغير المطبوعة مع أنّ ذكرهم مندوب في الشرع حسب مبانيكم...، وأين هي عنكم عبر أربعة عشر قرناً من الزمان حتى هذه الساعة؟! حينها بدأ يخوض في الدفاع التبريري كما يخوض فقهاء التبرير بشكل متعب!!!.

عزيزي القارئ: أنت ترى أنّ المدرسة المقابلة أخرجت الصلاة عن دائرتها الفقهية إلى دائرة الصراع المذهبية من خلال صيغتها البدعية، وإذا

كان الأمر كذلك وأنّ الصيغة الشرعية للصلاة على محمد وآل محمد برهان كامل ودليل قطعي على صحة الانتماء لمدرسة الوحي فإنّ حدود التعبد بها أعمّ من حدود استنزال الثواب الشخصي المحدد بحدود الحسنة الشخصية، بل يرقى التعبد بها إلى ما هو أكثر من ذلك؛ لأنّ الصلاة والحال هذه آلت لتكون شعاراً؛ أي آلة وحيوية من آلات عملية الكفاح من أجل الكلمة؛ التي لولاها لما بقي الدين ولمات في خضم ذلك الصراع التاريخي..

نخلص من ذلك إلى أنّ التعبد بالصلاة الشرعية هو ضمن عنوانين متداخلين فيما بينهما؛ فكونها مفردة من مفردات نظرية الحلال والحرام فإنّ أجرها بهذا العنوان معلوم حسب نظرية الثواب والعقاب في إطار الحسنة الشخصية، ولكنها في نفس الوقت شعارٌ وآلةٌ من آلات الوحي في الدفاع عن الدين في عملية الصراع الآنفة؛ وإذن فلها أجر آخر وهو ثواب من يريد أن يبقي على الكلمة السماوية، وقد ورد أنّ تلك العبادة تُسمّى بعبادة الأحرار؛ لذلك أنا أجزم أنّ عبادة الأحرار لا وجود لها إلاّ في سماء مدرسة الوحي التي مثلها خير تمثيل مولى الموحدين وسيد الوصيين؛ عليٌ أميرُ المؤمنين ﷺ.

وفي الجملة: فكل عبادة(١) جاء بها الإسلام؛ صغيرة كانت تلك العبادة أو كبيرة، من صوم وصلاة وحج وزكاة وخمس ونكاح وطلاق...، إذا دخل فيها العنوانان الآنفان تكون مورداً من موارد الحسنة النوعية فضلاً عن الشخصية؛ وذلك لخروجها في هذا الفرض عن دائرة العبادة الساذجة إلى ساحة الصراع من أجل الإبقاء على الكلمة العليى، ولعمر الحق ليس بعد هذا الثواب من ثواب.

---

(١) أقصد بالعبادة معناها العام وهو الطاعة، لا خصوص ما توقف على قصد القربى.

الصلاة في سبيل وظيفة العصمة:

سيأتي في المباحث اللاحقة ما يدل على الثواب العظيم للذاكرين الصلاة آناء الليل وأطراف النهار بالأرقام، وفيما أحسب أوضح المطلب المتقدم إجمالاً دور الصلاة الشرعية في استدرار الرحمة الإلهية واستنزال الثواب العظيم (=الحسنة النوعية)..

وهنا نقول: إنّ وظيفة الإبقاء على الدين هي وظيفة المعصوم بالدرجة الأساس، وهي مهمة لا ينهض أو لا يستطيع أن ينهض بكل أعبائها سواه عليه السلام ولكن مع ذلك وبالقياس إلى وظيفة المعصوم نجد أنّ طاعة المعصوم بمجرد حبه والانتماء إليه على تفاوت المنتمين إليه يخلق الظروف الموضوعية إن لم نقل بعض الظروف الذاتية لكي يمارس المعصوم وظيفته في الإبقاء على الدين في عملية الصراع مع الضلال؛ بكل إشكاله وصيغه المطروحة.

ثمّ لا شك في أنّ ثواب المعصوم قبال وظيفته المقدسة عظيم، والذي لا ينبغي أن نشك فيه أيضاً هو أنّ الثواب المترشح من خلق الظروف الموضوعية لمباشرة المعصوم وظيفته عظيم أيضاً.

وقد مر عليك قول الصادق عليه السلام: (لولا محمد بن مسلم وبريد العجلي وزرارة بن أعين وأبو بصير لذهبت آثار النبوة واندرست)، فانظر إلى قوة مصداقية هؤلاء الأربعة في الانتماء إلى مدرسة الوحي والعصمة أولاً، وإلى عظيم ما قاموا به من أجل إبقاء الدين ثانياً، وإلى ارتكان المعصوم عليهم في أداء وظيفته المقدسة ثالثاً، وإلى عظيم الأجر والثواب الذي سيحصلون عليه رابعاً، وخامساً وسادساً....

أنا أشك في أنّ الثواب النازل على المسلم لأجل نافلة صلاتية أو صومية أو زكاتية يوازي أو يضاهي عشر معشار الثواب النازل لأجل خلق الظروف الموضوعية وبعض الذاتية لكي يؤدي المعصوم وظيفته ولكي يبقى الدين.

وإذا نسينا فلا ننسى شهداء كربلاء عليهم الرضوان، ولا ننسى عظيم الثواب المذكور في الروايات المتواترة الذي حصلوا عليه، غير أنّي أقطع أنّه ليس لأجل الشهادة في سبيل الله بما هي شهادة فهذا يدخل في دائرة الحسنة الشخصية ليس إلاّ، وإنّما هو لأجل خلق الأرضية الكاملة لسيد الشهداء الحسين عليه السلام لأداء وظيفته المقدسة في الإبقاء على الدين بعد أن كاد يموت على أيدي الأمويين..

فالسلام على كل فرد منهم يوم ولد ويوم استشهد في كربلاء ويوم يبعث حياً مع الحسين مضرجاً بدماء الشهادة..

ثمّ السلام على كل من مهد الطريق لمسيرة المعصوم كزرارة وبقية الأربعة ومن حذا حذوهم..

وفي آخر المطاف السلام على كل من انتمى لمدرسة المعصوم الوحيوية؛ إذ وكما قلنا فإن مجرد الحب الصادق للمعصوم يساهم مساهمة فعالة ولو قليلة في إبقاء الدين عبر الفلسفة آنفة الذكر، فليتسابق أعضاء مدرسة المعصوم في الدرجات.

العلاقة بين الصلاة والذكر!

ذكرنا لك سابقاً أنّ الدين الإسلامي الحنيف ينطوي على عناصر بقائه طبقاً لآليات الوحي في إبقاء الحس الديني حياً بواسطة ذكر الله تعالى في إطار الانتماء لآل بيت رسول الله ﷺ؛ بيد أني أعتقد أنّ ذكر الله تعالى له مراتب متعددة وصيغ كثيرة، ولا ينبغي الشك في أنّ الصيغة المقدسة التي تقول: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» من أهم صيغ الذكر الإلهي للأسباب الآتية:

١ ـ إنّ الصيغة ابتدأت بذكر الله صراحة، وأكثر من ذلك وهو أن ذكر الله فيها جاء بصيغة: اللهمّ التي تفيد معنى الدعاء، وهذا يستبطن

أنّه هو المعبود والواحد الأحد، وأنّ القائل «اللهمّ» عبد من عبيده مقرٌ له بذلك.

٢ ـ ثمّ ثنّت الصيغة بذكر محمد ﷺ؛ ومحمد ﷺ هو سيد الأنبياء والمرسلين.

٣ ـ ثمّ ذكرت الصيغة آل محمد ﷺ، ولا ريب في أنّ اقتران آل محمد ﷺ بمحمد ﷺ في هذه الصيغة المقدسة لابد أن يكون له معنى عظيم؛ إذ لا ينبغي الشك في أنّ هذه الصيغة المقدسة حينما قرنتهم بالله وبالرسول يعني أنّهم ليسوا كباقي البشر، وأنّهم من المصطفين الأخيار كجدهم المصطفى ﷺ.

هناك أمور أخرى عظيمة مطوية في هذه الصيغة المقدسة ستتعرض لها لاحقاً، والذي أردنا بيانه هنا هو أظهر الأمور التي نصّت عليه، وهي «الله» و «محمد» و«آل محمد»، وعلى أيّ حال ليس من شك في أنّ التعبد بهذه الصيغة يحقق المصداقية الكاملة لذكر الله لأنها ابتدأت بـ «اللهم» التي هي أفضل صيغ ذكره تعالى، ولا أقل من أنّها ذكرت لفظة «الله» صراحة، وفيما عدا ذلك هي أفضل أو من أفضل صيغ الدعاء على الإطلاق.

الصلاة معجم أصول الدين:

واضح أنّ هذه الصيغة المقدسة جمعت من أصول الدين ثلاثة أشياء هي أساس الإسلام الموصوف بالبقاء: التوحيد، النبوة، الإمامة، أمّا المعاد والعدل فهما وإن كانا من الأصول إلاّ أنّ الاعتقاد بهما متفرع عن الاعتقاد بتلكم الثلاثة؛ ولا أقل من القول أنّ الله والرسول والإمام هم من بين لنا بيناً إرشادياً أصول وفروع نظرية الإسلام الباقية.

نخلص من ذلك إلى أنّ الصلاة على النبي وآل النبي ﷺ هي فضلاً عن كونها من أبرز مصاديق ذكر الله تعالى هي في عين الوقت تضم بين

ثناياها أهم أصول الدين على الإطلاق، وهنا تكمن بعض الحكمة في الإيصاء بها بشدة.

الملازمة بين الصلاة وذكر الله:

عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: ما معنى قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[1]؟

فقلت: كلما ذكر اسم ربه قام فصلّى!

فقال لي: لقد كلف الله عز وجل هذا شططا!.

فقلت: جعلت فداك فكيف هو؟.

فقال عليه السلام: كلما ذكر اسم ربه صلّى على محمد وآله[2].

ففضلاً عن أنّ الصلاة على محمد وآل محمد من أبرز مصاديق ذكر الله، نصّت الرواية الآنفة على أنّ هناك ملازمة سماوية قرآنية غير منفكة بين ذكر الله تعالى وبين الصلاة على محمد وآل محمد.

وقد روى الكليني بسنده عن حسين بن يزيد عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله عز وجل ولم يصلّوا على نبيهم إلاّ كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم»[3]

ويدل على ذلك أيضاً ما رواه الكليني في الموثق عن الصادق عليه السلام قال: (ما من قوم اجتمعوا في مجلس فلم يذكروا اسم الله عز وجل ولم يذكرونا إلاّ كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة) ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: (إنّ

---

(١) الأعلى: ١٥.

(٢) الكافي ٢: ٤٩٤.

(٣) الكافي ٢: ٢: ٤٩٧، تفسير نور الثقلين ٤: ٣٠١، الوسائل ٤: ١١٨٠.

ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر الشيطان)[١].

كما ويؤيد ذلك قول الصادق عليه السلام: (إنّ العبد لتكون له الحاجة إلى الله تعالى فيبدأ بالثناء على الله عزوجل والمدحة له، والصلاة على النبي وآله...)[٢].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (إذا كانت لك إلى الله حاجة فابدأ بالصلاة على محمد وآل محمد ثم سل حاجتك؛ فإنّ الله أكرم أن يسأل حاجتين فيقضي أحدهما ويمنع الأخرى)[٣].

وقد روى أهل السنّة مثل ذلك بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: إذا أراد أحدكم أن يسأل الله فليبدأ بالمدحة والثناء على الله بما هو أهله ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ليسأل بعد فإنّه أجدر أن ينجح[٤].

وأقوى من كل ذلك أنّ النبي قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير»....

الصلاة تعدل الذكر!

بلى، ترقى قيمة الصلاة على محمد وآل محمد في حسابات الوحي إلى درجة أنّها تعدل التسبيح والتهليل والتكبير..، روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) الكافي ٢: ٣٦٠، تفسير نور الثقلين ٤: ٣٠١، الوسائل ٧: ١٥٣ أبواب الذكر ب: ٣ ح ٣؛ والحديث موثق لأنّه من رواية الحسن بن محمد بن سماعة الثقة، غير أنّه شيخ من شيوخ الواقفة.

(٢) البحار ٩٣: ٣١٢.

(٣) الوسائل ٤: ١١٣٨ ح ١٨، ونور الثقلين ١: ١٤٤ / ٥٩٢، وروضة الواعظين: ٣٧٩.

(٤) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠: ٧٩ رجاله رجال الصحيح. (يراجع)

أنّه قال: **«الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير»**[1].

في الواقع لا يستقيم معنى جيد لهذا الحديث الشريف إذا ما أخذنا به على ظاهره أخذاً قشرياً؛ بأنّ نعامله كما يعامله الآخرون على أنّه مجرد كلام صادر عن الرسول ﷺ؛ وذلك لعدم المناسبة الظاهرة بين الصلاة على محمد وآل محمد وبين التهليل والتسبيح والتكبير.

بلى على ضوء منهجنا الموضوعي في هذا الكتاب وفي غيره في قراءة نصوص المعصوم يمكننا بيسر أن نجد المناسبة بين طرفي التعادل في هذا النص السماوي، ولا أحسبك نسيت أنّ الهدف من كل من الطرفين في المحور العام ينحصر في بناء الحس الديني والإياب إلى الله تعالى، ومن هذا المنطلق يمكننا بموضوعية الوقوف على مقصود المعصوم من الحسرة والوبال، وليس هما غير ما ذكره نيتشة وماكس فيبر ومارسيل غوشيه وعشرات غيرهم من علماء الاجتماع، مع فرق واضح وهو أنّ المعصوم سبق هؤلاء بألف سنة أو أكثر!!!.

عزيزي القارىء: هذا مثال من الأمثلة التي توضح ضرورة استنطاق نصوصنا الإسلامية المقدسة خلال المناهج المتطورة.

ومهما يكن من ذلك فالذي لا شك فيه أنّ الصلاة على محمد وآل محمد على هذا الأساس هي كالتهليل والتسبيح والتكبير بل والتحميد وغير ذلك من ضروب الأذكار، وألفت النظر إلى أنّ موازاة الصلاة للذكر لا يقف أمر البرهان عليه على النصوص المتقدمة؛ لأنّ صيغته **«اللهم صل على محمد وآل محمد»** هي من أوضح مصاديق الذكر الإلهي؛ إذ هي

---

(١) أمالي الصدوق ٤: ٦٨، عيون أخبار الرضا ١: ٥٢ / ٢٩٤، روضة الواعظين: ٣٢٢.

قد ابتدأت بـ «اللهم» ما يعني أنها بنفسها ذكر لله بهذا الاعتبار، بل وأكثر من ذلك وهو أننا لا نعدو الصواب إذا زعمنا أنّ ذكر محمد ﷺ أو آل محمد أو كليهما هو ذكر لله، وذلك للملازمة غير المنفكة بين هذه الأسماء المقدسة وبين الله الذي أصطفاهم واجتباهم على العالمين.

فكلما يذكر محمد الرسول ﷺ أو يذكر محمد مجرداً ويقصد منه الرسول ينصرف الذهن وبلا واسطة إلى الله تعالى الذي أرسله رحمة للعالمين بعلاقة يسميها علماء المنطق والبلاغة بعلاقة اللزوم البين بالمعنى الأخص.

ويؤيد ذلك من النصوص ما رواه الصدوق بسنده المعتبر عن الصادق قال عليه السلام: (من ذكر الله كتبت له عشر حسنات، ومن ذكر رسول الله ﷺ كتبت له عشر حسنات؛ لأنّ الله قرن رسوله بنفسه)[1].

فهذا نص على أنّ هناك ملازمة شرعية بين الذكرين الإلهي والنبوي غير منفكة؛ وآية ذلك أنّ «الله تعالى قرن رسوله بنفسه» كما هو صريح الإمام الصادق عليه الصلاة والسلام، وسنتعرض فيما بعد إلى حكمة موازاة الذكر النبوي في الثواب للذكر الإلهي الذي إن دل فإنّما يدل على أن قيمة ذكر الرسول في حسابات الوحي هي عين قيمة ذكر الله..، وهي من المسائل العويصة التي لا تنهض المناهج الكلاسيكية بأعباء حل ألغازها؛ نعم على ضوء منهجنا في قراءة النصوص الإسلامية الذي توضحت معالمه إجمالاً سابقاً فالأمر هين كما سترى!!!.

ومن هذا المنطلق نحن نقرأ ما أخرجه الكليني بسنده الموثق عن أبي بصير قائلاً: قال أبو عبد الله عليه السلام : (ما اجتمع في المجلس قوم لم يذكروا الله عزوجل ولم يذكرونا إلاّ كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة) ثمّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام : (إنّ ذكرنا من ذكر الله وذكر عدونا من ذكر

---

(١) علل الشرائع ٢: ٢٠٦٦.

الشيطان)[١]..

وأصرح من هذه النصوص ما رواه الطوسي بسنده الصحيح عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يذكر النبي ﷺ وهو في الصلاة المكتوبة إمّا راكعاً وإمّا ساجداً؛ فيصلّي عليه وهو في تلك الحال؟

فقال عليه السلام: (نعم، إنّ الصلاة على نبي الله ﷺ كهيئة التكبير والتسبيح، وهي عشر حسنات، يبتدرها ثمانية عشر ملكاً أيّهم يبلغها إيّاه)[٢].

وروى الطوسي أيضاً بسند صحيح آخر عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلّي على النبي ﷺ وأنا ساجد؟!

قال عليه السلام: (نعم، هو مثل سبحان الله والله أكبر)[٣].

وقد مرّ عليك ما رواه الكليني قال: علي بن محمد، عن أحمد بن الحسين، عن علي بن الريان، عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: (ما معنى قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾)[٤]؟.

قلت: كلما ذكر اسم ربه قام فصلى.

فقال لي: (لقد كلف الله عز وجل هذا شططا)!.

فقلت: جعلت فداك فكيف هو؟.

---

(١) الكافي ٢: ١٨٦.

(٢) تهذيب الطوسي ٢: ٢٩٩ / ١٢٠٦، ورواه الكليني في الكافي ٣: ٣٢٢/ ٥ أيضاً.

(٣) تهذيب الطوسي ٢: ٣١٤ / ١٢٧٩.

(٤) الأعلى: ١٥.

فقال: (كلما ذكر اسم ربه صلى على محمد وآله)[١].

وروى علي بن طاووس في جمال الاسبوع باسناده إلى شيخ الطائفة، باسناده إلى الصفار، عن إبراهيم بن هاشم، عن أبي عبد الله البرقي، يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام، قال له رجل: جعلت فداك، اخبرني عن قول الله تبارك وتعالى، وما وصف من الملائكة: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ كيف لا يفترون، وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وآله؟.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: (إن الله تبارك وتعالى: لما خلق محمداً، أمر الملائكة فقال: انقصوا من ذكري، بمقدار الصلاة على محمد، صلى الله عليه وآله؛ فقول الرجل: صلى الله على محمد، في الصلاة، مثل قوله، سبحان الله، والحمد لله، ولا اله الا الله، والله اكبر)[٢].

وروى الكليني قال: محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عمن ذكره، عن محمد بن أبي حمزة عن أبيه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (من قال في ركوعه وسجوده وقيامه: صلى الله على محمد وآل محمد كتب الله له بمثل الركوع والسجود والقيام)[٣].

ورواه الصدوق بقوله: حدثني محمد بن علي بن ماجيلويه (ره) عن محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن محمد بن عيسى عن أبيه عن عبد الله بن محمد بن أبي حمزة عن أبيه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: (من قال في

---

(١) الكافي ٢: ٤٩٤.

(٢) جمال الإسبوع: ١٥٦، الميرزا النوري ٥: ٣٣٠

(٣) الكافي ٣: ٣٢٤.

ركوعه...) وساق نحو ما تقدم[١].

وأصرح من كل ذلك ما رواه الكليني بسنده عن الباقر عليه السلام قال: يا سعد أسمعك كلام الله؟

قلت: بلى، صلى الله عليك.

قال عليه السلام: ﴿إِنَّ الصلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله ونحن اكبر[٢].

وفي هذا النص الأخير عزيزي القارىء تتبلور رؤيتنا في تقسيم النصوص بجلاء؛ إذ المعصوم عليه السلام يتحدث هنا عن آليات إبقاء الدين وهي جهة ثانية للنص!.

ومما رواه أهل السنّة في ذلك ما أخرجه البيهقي بقوله:

أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطان أنبانا أبو سهل بن زياد القطان حدثنا جعفر يعني ابن هشام حدثنا سهل بن عثمان حدثني يحيى بن أبي زائدة حدثني المبارك عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾؟

قال: (إذا ذكر الله ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٣].

ومن مجموع هذه الروايات يمكننا ادراج كل روايات الصلاة تحت عمومات روايات الذكر الإلهي، باعتبارها على ضوء ذلك المجموع هي من أجلى مصاديق الذكر الإلهي قطعاً، الأمر الذي يحدو بنا لأن نجعل من قوله

---

(١) ثواب الأعمال: ٣٤.

(٢) الكافي ٢: ٥٩٨.

(٣) سنن البيهقي ٩: ٢٨٦.

تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ دليلاً عاماً شاملاً حجةً على أنّ الصلاة على محمد وآل محمد سبباً تامًّا لاطمئنان القلوب كذكر الله تماماً.

الفصل الثالث

أدلّة حرمة الصلاة البتراء
في روايات الشيعة

أدلة حرمة الصلاة البتراء في روايات الشيعة

الذي حدا بنا لأن نقدم البحث في ملابسات الصلاة البتراء مرجئين البحث في فضائل الصلاة وعظيم موقعيتها في القرآن والسنّة وعموم مقرّرات الوحي إلى الفصل الأخير من هذه الدراسة هو ما أكثرنا من التأكيد عليه في البحوث السابقة؛ وهو أنّ الصلاة من دون الآل في إطار التاريخ والعقيدة والنفس لا قيمة لها وغير مجدية.

لذلك رأينا من الضروري أن نشفع تلك النتائج التي توصلت إليها تلك البحوث بالنتائج المفاضة علينا من معين القرآن والسنّة المؤكدة على ضرورة إلحاق الآل في عملية الصلاة على محمد وآل محمد..

وأشير إلى أنّ عنوان هذا الفصل يلمح إلى مخالفة منهجنا للمناهج الأخرى في تناول هذه البحوث وفي قراءة النصوص الإسلامية ككل، فتلكم المناهج تتعامل مع الصلاة البتراء وملابساتها من خلال علم الفقه ليس إلاّ، لذلك ليس بالفرق عندهم أن يبحثوا فيها في البداية أو في الوسط أو في النهاية؛ إذ هي طبقاً لمناهجهم مفردة من مفردات نظرية التشريع ومفردة تندرج في العبادات والمعاملات لا أكثر ولا أقل.

ولكن طبقاً لمنهجنا الذي يرى في هذه الصيغة المقدسة (فضلاً عمّا تراه المناهج القديمة) آلة وحيوية من آلات مشروع الإبقاء على الدين تحقيقاً لمصداقية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ والذي يرى

أنّ هذه الآلية تفقد محتواها وينتفي الغرض منها بإزواء العترة والإعراض عن ذكرهم في الصلاة قدمنا البحث في حرمة الصلاة البتراء على بقية البحوث.

أضف إلى ذلك فإنّ كل البحوث اللاحقة متأسسة على نتيجة هذا الفصل؛ لأنّ القضية فوق البحث العلمي المجرد؛ فهي تحدد أو تساعد في تحديد هوية الصراع فيما بين المسلمين في مسرح التاريخ الطويل.

لذلك سنتناول هذه المفردة في هذا الفصل على ضوء الصراع المحتدم والممتد حتى يومك هذا، وألفت نظرك إلى ما ذكرناه في الفصل الأول من هذه الدراسة المتواضعة، وهو أنّ منهجنا موضوعي في قراءة النصوص بمعنى أنّنا لن نتعامل مع النص إلاّ بملاحظة النصوص الإسلامية الباقية من خلال الأهداف المرحلية ومن خلال الأهداف الكلية من دون الاكتفاء بأحدهما.

من خلال هذه المنطلقات سنبحث في هذا الموضوع المحوري على ضوء مقررات كل من المدرستين الوحيوية والرأيوية.

ونلفت النظر فيما سوى ذلك إلى أنّ مقصودنا من هذا الفصل لا يقف دوره على بيان وجوب ضم الآل للرسول ﷺ في عملية الصلاة وحسب، ففي الواقع لدينا أهداف ضمنية أخرى أهمّها بيان كثرة طرق أحاديث الصلاة عن المعصوم ﷺ وأنّها في واقع الأمر متواترة، بل وأكثر من المتواترة؛ ابتغاء الوقوف على فلسفة الوحي والمعصوم من التواتر عموماً والصلاة على محمد وآل محمد بنحو خاص بشكل جدّي.

كما ونؤكد على أنّ استدلالنا بمضامين الروايات التي سنتلوها عليك ليس هو استدلالاً تجزيئياً؛ بمعنى أنّنا لن نتعامل مع الرواية بما هي مستقلّة عن الروايات الأخرى بل سنتعامل معها بملاحظة كل المعطيات الشرعية؛ كالإجماع وعدم الخلاف وغير ذلك، وأهم من كل ذلك الملازمة..

دليل الملازمة على وجوب ضمّ الآل:

هناك بعض الروايات الصحيحة لا يمكن الاستدلال بها على نحو الاستقلال على وجوب إلحاق العترة بالرسول في الصلاة المحمدية ﷺ كما في قوله ﷺ: **«الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»** إذ ليست فيها دلالة واضحة على ذلك، غير أنّ هذا وإن كان صحيحاً عموماً إلاّ أنّه لا يمكن الالتزام به في المقام لسببين:

الأول: هو أنّه لا توجد ولا رواية في كل كتب أهل الإسلام؛ سنيّة أو شيعيّة تسوّغ لنا ترك الصلاة على الآل تبعاً للرسول، في أيّ حال من الأحوال وفي أيّ فرض من الفروض.

الثاني: إنّ كل روايات المسلمين الواردة في بيان كيفية الصلاة بل مطلق الروايات الحاوية على صيغة الصلاة؛ سواء أكانت شيعية أم سنية وفي أيّ موضوع كان كالنفاق كما في الرواية أعلاه وكتلك الروايات التي موضوعها الشفاعة والثواب و...، ناصّة على إلحاقهم بالرسول ﷺ.

نريد أن نقول: إنّنا بملاحظة ذلك نقطع بوجوب ضم آل البيت عليهم السلام في كل صلاة وفي أيّ موضوع كان، وهذه ملازمة واضحة مستقاة من لسان كل روايات المسلمين الشيعية والسنيّة الواردة في بيان كيفيّة الصلاة، وعلى ذلك يصلح الاحتجاج بأمثال قوله ﷺ: **«الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»** باعتبارها دليلاً من الأدلة الدّالة على تلك الملازمة.

وهذا يعني أنّ عملنا في هذا الفصل سيسلط الضوء على الروايات الدالة على المطلوب بنحوين:

الأول: أن تدل الرواية على المطلوب على نحو الاستقلال؛ لكفايتها دلالياً في وجوب ضمّ الآل.

الثاني: أنّ تدل على المطلوب بملاحظة الملازمة؛ وهو أنّ كل رواية

ذكرت فيها صيغة الصلاة على محمد ﷺ وفي أيّ موضوع كان لم تتناس الآل؛ سواء وردت في النفاق أم في الزيارة أم في الدعاء أم في قضاء الحاجة أم لغفران الذنب أم في أيّ غرض آخر.

ومن الضروري بمكان أن نتحقق من صدور النص أو النصوص الوحيوية الموصية بإلحاق العترة بالرسول ﷺ في عملية الصلاة الوحيوية؛ إذ قد يكون الكلام في هذا الأمر مصادرة على المطلوب وتحكماً فيما إذا لم تثبت النصوص عن الوحي والمعصوم ﷺ، ونحن قد أخذنا على عاتقنا في كل بحوثنا أن لا ندعي شيئاً بلا دليل نقلي ثابت أو عقلي يفيد اليقين أو الاطمئنان أو ما يوجب الاعتبار.

بناء على ذلك فلهذه المدرسة المباركة مجموعة من النصوص نستعرضها كالآتي:

١ ـ صحيحة ابن القدّاح

قال الشيخ الكليني (قدس سره): وعن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد عن ابن القدّاح عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول: اللهم صل على محمد.

فقال له أبي عليه السلام: (يا عبد الله لا تبترها، لا تظلمنا حقنا، قل: اللهمّ صل على محمد وأهل بيته)[١].

هذه الرواية عبّر عنها النراقي في مستند الشيعة بالصحيحة[٢]؛ لأنّه (قدس سره) على ما يبدو يذهب إلى وثاقة سهل بن زياد تبعاً لبعض أعلام مدرسة الوحي، وممّن ذهب إلى وثاقته فيما عداه: الوحيد البهبهاني[٣] والسيد

---

(١) الكافي ٢: ٣٥٩ / ٢١، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٢ ب ٤٢ من أبواب الذكر ح ٢.

(٢) مستند الشيعة ٥: ٣٣١.

(٣) تعليقة الوحيد البهبهاني: ١٧٧.

بحر العلوم القائل: والأمر في سهل سهل[١]، وصاحب المستدرك[٢] وغيرهم، ومن القدماء الشيخ الطوسي في كتابه المسمّى بالرجال بقوله: ثقة[٣]، والشيخ المفيد (قدس سره) حين يحتج به في الرد على الصدوق[٤]، والكليني في إكثاره من الرواية عنه في كتاب الكافي حيث روى عنه أكثر من ألف رواية كما يشهد المتتبع الخبير لكتابه المنير.

أقول: وأساس الطعن في سهل بن زياد عدة أمور:

الأمر الأول: قول الفضل بن شاذان: إنّ سهل بن زياد أحمق[٥].

غير أنّ المختصين في علوم الدراية والحديث والرجال مجمعون على أنّ وصف الأحمق لا يدل على عدم الوثاقة؛ لجواز أن يكون الثقة أحمق؛ إذ النسبة بينهما عموم وخصوص من وجه كما لعلك تعرف.

الأمر الثاني: قول الشيخ الطوسي قدس سره في الفهرست: ضعيف، له كتاب[٦]....

وفيه أولاً: أنّه معارض بتوثيق الشيخ نفسه في كتاب الرجال مع قوة احتمال تأخر كتاب الرجال عن الفهرست، وعلى ذلك لا قيمة للتضعيف إذا كان التوثيق هو آخر قوليه؛ إذ قد قرر علماء الإسلام أنّ المتأخر من قولي الفقيه أو الرجالي ينسخ المتقدم.

---

(١) جواهر الكلام ٤١: ٢٨٦.

(٢) خاتمة مستدرك الوسائل للنوري ٥: ٢١٣ وما بعدها.

(٣) رجال الطوسي: ٤١٦ / ٢.

(٤) الرسالة العددية: ٢٠، ضمن سلسلة مصنفات الشيخ المفيد: ٩.

(٥) حكاه عنه الشيخ الطوسي في رجاله: ٥٦٦ / ١٠٦٨.

(٦) الفهرست للشيخ الطوسي: ٨٠ / ٣٣٩.

وثانياً: لا دلالة لوصف الضعيف على عدم الوثاقة؛ إذ قد يكون الضعيف ضعيفاً لقلة ضبطه أو لتخليطه حتى مع كونه ثقة في نفسه.

وثالثاً: يتساقط قولا الشيخ مع التعارض المستقر، ولكن لا يصار إلى ذلك إلاّ بعد اليأس من الترجيح، وهو لم يحصل عندنا.

الأمر الثالث: قول النجاشي: كان ضعيفاً في الحديث[1].

وفيه ما أجمع عليه علماء أهل القبلة من أنّ الضعيف في الحديث لا يلازم عدم الوثاقة؛ بل يلازم أنّ الراوي ثقة في نفسه غاية ما في الأمر لا يحتج بحديثه إلاّ بعد المتابعة والاعتبار؛ بمعنى البحث عن رواية رواها راو آخر في نفس المضمون تتأيد بها رواية الضعيف في الحديث؛ فإن وجدت خرجت رواية الضعيف إلى مرحلة الاعتبار والاحتجاج.

ولعملية الاعتبار والمتابعة عدة صور أهمّها: وجود روايتين أو أكثر في نفس المضمون..، ولكن كل رواية على حدة لا يمكن الاحتجاج بها لضعف راويها في الحديث، ومع ضمهما معاً تتأيد أحدهما بالأخرى، وهذا هو بعض مقصود الفقهاء من قولهم: وقد أخرج فلان من طريق معتبر.

طبعاً ولعملية الاعتبار شروط أهمها أن لا يكون في طريق الرواية أو الروايات التي يراد اعتبارها راو كذاب أو وضاع، ويشترط أيضاً أن لا تكون معارضة برواية أصح، وأن لا تكون مخالفة لبعض الثوابت الإسلامية الواضحة.

الأمر الرابع: أنّ أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري (قدس سره) أخرجه من قم واتهمه بالغلو[2]....

---

(١) رجال النجاشي: ١٨٥ / ٤٩٠.

(٢) رجال النجاشي: ٢٥٥ / ٦٦٩.

أقول: نحن لا نقيم وزناً علمياً لمقررات أحمد بن محمد بن عيسى (قدس سره) حينما يتهم البعض بالغلو، وما فِعْلُه بالبرقي (قدس سره) من التوهين والطرد ثم نَدَمُه على ذلك حتى مشى حافياً في جنازته إلاّ آيات على ما قلنا، وأكثر من ذلك وهو أنّ الوحيد (قدس سره) يَعُدّ موقف أحمد بن محمد من سهل بن زياد واتهامه بالغلو دليلاً على العكس وهو وثاقة سهل قال:

وهذا مّا يضعف التضعيف ويقوي التوثيق عند المنصف المتأمِّل سيما المطّلع على حالة أحمد وما فعله بالبرقي وبغيره[1]....

بل ذهب الوحيد البهبهاني (قدس سره) إلى أنّ تضعيف من ضعف سهلاً منشؤه موقف أحمد بن محمد من سهل بقوله: ظني أنّ منشأ التضعيف حكاية أحمد بن محمد بن عيسى وإخراجه من قم وشهادته عليه بالغلو[2]....

وجهة نظرنا في سهل:

لم يدل دليل علمي يلوي الأعناق على عدم وثاقة سهل، ولكن مع ذلك لا يمكن تناسي قول النجاشي: كان ضعيفاً في الحديث بالكلية، وقول الفضل بن شاذان: كان أحمقاً، ببساطة، ومجموع ذلك قد يورثنا ـ بدواً ـ قناعة بأنّ سهلاً ثقة في نفسه ولكن لا يحتج به في كل حال.

نعم نحتج به على ضوء هذه الشروط:

الأول: ان لا تكون رواياته معارضَة بالروايات المشهورة للرواة الضابطين.

---

(١) حكاه عنه أبو علي الحائري في منتهى المقال ٣: ٤٢٦.

(٢) حكاه عنه أبو علي الحائري في منتهى المقال ٣: ٤٢٦.

الثاني: أن لا تكون رواياته مخالفة لضروريات الدين وللثوابت الإسلامية.

الثالث: أن لا تكون مخالفة للاجماع.

وفيما عدا ذلك نحتج برواياته بل ونحكم عليها بالصحة بكل ارتياح، وآية ذلك أنّ كثيراً (إن لم نقل الأكثر) من أساطين مدرسة الوحي وعلمائهم يحتجون بروايات سهل على ضوء هذه الشروط كما يعرف المتتبع لمسالكهم في الاستنباط والاستدلال، ومنها روايته الآنفة كما هو ظاهر البحراني في الحدائق[1] وجعفر كاشف الغطاء في كشف الغطاء[2] والميرزا القمي في الغنائم[3] والهمداني في مصباح الفقيه[4] والسيد الجزائري في نور البراهين[5] والمازندراني في شرح أصول الكافي[6] وغيرهم قدس الله أسرارهم.

وعلى ذلك فإنّ كل هذه الشروط متوفرة في رواية سهل الآنفة، ولذا فهي صحيحة حسب الصناعة؛ سيما لو لاحظنا أنّها ممّا تتأيد بروايات أخرى في هذا المضمون عن رواة آخرين.

ولكن هذا على أسوأ التقادير، وإلاّ فسهل فيما يبدو لي أعلى شأناً من ذلك؛ فالشيخ الصدوق أفتى بجواز الوضوء والغُسْل (رفع الحدثين الأصغر والأكبر) بماء الورد، مستنداً في فتواه على رواية لم يروها غير سهل

---

(١) الحدائق الناضرة ٨: ٤٦٥.

(٢) كشف الغطاء ٢: ٣١٢.

(٣) غنائم الأيام ٣: ٥٨.

(٤) مصباح الفقيه ٢: ٣٧٠ في القسم الأول من الجزء الثاني.

(٥) نور البراهين ١: ٢٠١.

(٦) شرح أصول الكافي ١: ٢٧٤.

بن زياد في عالم الرواية الشيعية وهذا يقتضي وثاقة سهل أولاً، وحجية كل أحاديثه عنده ثانياً.

أضف إلى ذلك أنّ سهلاً روى عن ثلاثة من الأئمة هم الهادي والجواد والعسكري عليهم السلام، ومن البعيد جداً أن يكون حاله كما قال مضعّفوه ولم تصدر ولا رواية عنهم عليهم السلام تحذر منه وتبين خطورة الأخذ منه.

خاصّة مع كونه مكثراً من رواية الحديث للغاية؛ فقد روى عنه الكليني في كتاب الكافي ألف ومائتين رواية بل أكثر، والكليني هو القائل في مقدمة الكتاب المذكور: الآثار الصحيحة عن الصادِقِين[1]، وليس من المعقول خروج ألف ومائتين رواية عن إطلاق مثل هذه العبارة؛ خاصّة وأنّ قائلها الكليني أوحدي زمانه، وهذا إن دل فإنّما يدل على أنّ الرجل ثقة والله العالم.

وفي الجملة فأنا أذهب إلى وثاقة كل من عاصر ثلاثة من أهل العصمة عليهم السلام وإن لم يوثّقه أحد من أئمة الرجال؛ لاستبعاد أن يكون خطيراً ليس بثقة ولا ترد ولا رواية من أحد من المعصومين عليهم السلام الذين عاصرهم تبين خطورة الموقف منه!!!.

دلالة الحديث:

ودلالة الرواية الصحيحة الآنفة على وجوب ضم أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إليه في الصلاة واضحة؛ فصادق أهل البيت عليهم السلام يقول: لا تبترها، وهو نهي صريح، ظاهر في الحرمة لا محالة؛ إذ لا توجد قرينة صارفة إلى غيرها قطعاً.

وفيما عدا ذلك يقول الصادق عليه السلام: (لا تظلمنا حقنا) وهو دليل

---

(١) الكافي ١: ٢٥.

آخر على أنّ البتر ظلمٌ بحق آل البيت ﷺ ومن ثمّ هو يدل على وجوب ضم أهل البيت عليهم السلام إلى الرسول ﷺ في الصلاة؛ للقطع بحرمة الظلم عموماً، وللقطع بحرمته مع أهل بيت الرسول ﷺ للأولوية؛ وما أسوأ من أن يدخل الشخص في زمرة الظالمين لهم؟!

فقد ورد في روايات الفريقين المتواترة أنّ الظالم لهم ﷺ هو من أهل النار من دون أدنى شك.

٢ ـ صحيحة عبد الله بن سنان:

قال الصدوق (قدس سره) في أماليه: حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد عن عمّه عبد الله بن عامر عن محمد بن أبي عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال:

قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأمير المؤمنين:«**يا علي! ألا أبشرك**»؟

قال: بلى يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ : «**أخبرني جبرائيل أنّ الرجل من أمتي إذا صلّى عليّ وأتبع بالصلاة عليّ أهل بيتي فتحت له أبواب السماء، وصلت عليه الملائكة سبعين صلاة، وإنّه لمذنب، ثمّ تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر، ويقول الله تبارك وتعالى: لبيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي، أنتم تصلّون عليه سبعين صلاة، وأنا أصلّي عليه سبعمائة صلاة، وإذا صلّى عليّ ولم يتبع بالصلاة عليّ أهل بيتي كان بينها وبين السموات سبعون حجاباً، ويقول الله تبارك وتعالى: لا لبيك ولا سعديك، يا ملائكتي، لا تصعدوا دعائه إلاّ أن يلحق بالنبي عترته، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي**»[1].

---

(١) أمالي الصدوق: ٤٦٤ / ١٨، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٥ ب ٤٢ من أبواب الذكر ح ١٠.

أقول: هذه الرواية بهذا السند صحيحة باتفاق من علماء المدرسة الوحيوية، الأمر الذي يغنينا عن تطويل الكلام في هذا الشأن..؛ يحضرني منهم السيد محسن الحكيم حيث حكم بصحة الرواية الآنفة في مستمسكه[١] ثمّ استدل (قدس سره) بها وبغيرها على وجوب ضم الصلاة على الآل إلى الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله.

وما هو ملاحظ في الرواية أنّ قوله تعالى: «**لا لبيك ولا سعديك...، إلاّ أن يلحق بالنبي عترته...**»، لا يلائمه إلاّ المبغوضية الشديدة التي على أساسها يتأسس حكم الحرمة في الإسلام؛ فهي على ذلك حجة من الجهتين السندية والدلالية عند عموم رجالات المدرسة الوحيوية، على تفاوت بينهم في طريقة الاستدلال وعرض الدليل، لكنهم متفقون جميعاً في النتيجة المستفادة من الرواية، فراجع على سبيل المثال جواهر الكلام للنجفي قدس سره القائل:

وأما نصوصنا فهي مستفيضة في ذلك (حرمة الصلاة البتراء)، بل في بعضها: «**وكان بين صلاته وبين السماوات سبعون حجابا؛ ويقول الله تبارك وتعالى: لا لبيك ولا سعديك يا ملائكتي لا تصعدوا دعاؤه إلا أن يلحق بالنبي صلى الله عليه وآله عترته، فلا يزال محجوبا حتى يلحق به أهل بيته عليهم السلام**»[٢].

ويؤيد ما استنتجناه آنفاً صحيحة هشام ابن سالم التي رواها الكليني بقوله: علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يزال الدعاء محجوباً حتى يُصلّى على محمد وآل محمد»[٣].

---

(١) مستمسك العروة الوثقى ٦: ٤٤١.

(٢) جواهر الكلام ١٠: ٢٦٢.

(٣) الكافي ٢: ٤٩١.

ولا داعي لإطالة الكلام فيما يتعلق بسند الرواية هذه، نعم هناك كلام في رواية إبراهيم بن هاشم أبي علي بن إبراهيم؛ إذ العلماء بين من يقول بصحة رواياته وبين من يقول بأنّها حسنة؛ والسبب في ذلك بعد الاجماع على كونه من أعلام الطائفة المعتمدين في مجال الرواية هو عدم النص على وثاقته وإن أجمع على كونه ممدوحاً مدحاً معتداً به، ولكن هذا لعمر الحق من أعجب العجب فمثله فيما أرى بوضوح أعلى شأناً من ذلك، وكأنّ المجلسي (قدس سره) احتاط فجمع بين القولين حينما يصف كل رواياته بأنّها: حسنة كالصحيح في مرآة العقول[1] وفي غيره.

مهما يكن من أمر فالأمر هين، إذ على كلا القولين رواياته حجة إجماعاً، ولكن ينبغي أن تعرف أننا نذهب إلى وثاقته جازمين بذلك بلا أدنى ترديد؛ لسبب بسيط وهو أنّه كان سفير الكوفيين في قم، وكان ﷺ ذا منبر متميز للرواية فيها أمام مرأى ومسمع من جهابذة القميين عموماً، وخصوصاً أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري المتشدد في آرائه الرجالية..

وإذا كان أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري (رضي الله عنه) قد طرد أمثال أحمد بن محمد بن خالد البرقي وهو الوثاقة بعينها بسبب روايته عن الضعفاء؛ فما بالك بإبراهيم بن هاشم الذي لم يغمز في روايته عموم القميين والأشعري منهم على وجه الخصوص؟.

لهذا ولغيره فنحن لا نتردد في أنّه أعلى شأناً من التوثيق.

ودلالة الرواية على ما نحن فيه أنّ استجابة الدعاء متوقفة تماماً على صيغة الصلاة التي فيها آل محمد، واستجابة الدعاء بواسطة الصلاة على النبي من دون ذكر الآل غير متحققة كما هو نص الرواية، وعلى ذلك فالرواية بهذا النحو من الاستدلال مؤيدة لمطلوبنا بوضوح.

ولكن وبملاحظة الملازمة الخارجية وعدم القول بالفصل يمكن أن

---

(١) مرآة العقول ١٢: ٨٦.

تعد هذه الرواية دليلاً مستقلاً على حرمة الصلاة البتراء، وبيان ذلك أنّ المسلمين برمتهم على قسمين بين مصلٍ الصلاة الكاملة في كل حال وبين مصلٍ الصلاة البتراء في كل حال، وليس هناك من يبعض في حال دون حال فالتفت؛ فإنّ الدعاء حالٌ من تلك الأحوال.

أضف إلى ذلك ما نبّهناك عليه في مقدمة هذا الفصل وهو أنّ إتياننا بهذه الرواية وأمثالها إنّما هو لغرض الاستدلال بها باعتبار المجموع بالدرجة الأساس، حتى لو كانت الروايات كل على حدة قد تدل على المطلوب بنحو من أنحاء الدلالة؛ أي أنّ الاستدلال بالروايات في مقامين:

الأول: باعتبارها كل على حدة.

الثاني: باعتبار المجموع.

وقد تكون الرواية لوحدها ليست قوية الدلالة، ولكنّها كذلك باعتبار المجموع أو باعتبار الملازمة الخارجية مثلاً، كما توحي إليه بل تنص عليه كلمات الأفذاذ[1] كالسيد الخوئي القائل:

فالمستفاد من هذه النصوص (الشيعية والسنّية) تبعية الآل ودخول العترة في كيفية الصلاة عليه وأنّه كلما ورد الامر بالصلاة عليه ﷺ لا تتأدى الوظيفة إلا مع ضم الآل ولا يجزىء تخصيصه بالصلاة وحده، فهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهذه الملازمة بمكان من الوضوح لدى الفريقين حتى قال الشافعي ونعم ما قال:

كفاكم من عظيم القدر أنّكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له[2][3]

---

(١) كالسيد محسن الحكيم في المستمسك ٦: ٤٤١، والمجلسي في مرآة العقول ١٢: ٩٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ١١: ١١، ينابيع المودة ٢: ٤٤٣، الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٤٨.

(٣) كتاب الصلاة للسيد الخوئي ٤: ٢٧٣.

فإنّ السيد الخوئي قال ذلك وهو في صدد الجواب عن الإشكال الذي يقول: إنّ قول الصادق عليه السلام: (أنّ الصلاة على النبي ﷺ من تمام الصلاة فمن تركها متعمّدا فلا صلاة له) مختص بالصلاة على الرسول وحسب، ولا يجب ضم الآل..

ولكن هذا كما قرره السيد الخوئي آنفاً وكما قرره غيره واهٍ بسبب تلك الملازمة على أقل التقادير.

وفيما عدا كل ذلك نهدف ضمناً إلى الوقوف على حقيقة تواتر أحاديث الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ وأنّها ليست أخبار آحاد غاية ما تفيده الظن الشرعي المعتبر؛ بل هي كثيرة الطرق متواترة تورث القطع بتشريعها والقطع بما يترتب عليها من آثار تبعاً لذلك.

كما ويتأيد مطلوبنا بما رواه الكليني أيضاً بقوله: محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم وعبد الرحمن بن أبي نجران جميعاً عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كل دعاء يدعى الله عز وجل به محجوب عن السماء حتى يُصلّى على محمد وآل محمد»(١).

هذه الرواية بهذا الطريق صحيحة ما في ذلك كلام أو ترديد، والاستدلال بها على المطلوب ينحو منحى الاستدلال بصحيحة هشام بن سالم المتقدمة.

وفيما يتعلق بتوقف قبول الدعاء على الصلاة على محمد وآل بيته بحث مهم سنتعرض له فيما بعد.

٢ ـ صحيحة أبان ابن تغلب:

قال الشيخ الصدوق: حدثني علي بن الحسين المؤدب، عن محمد بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير

---

(١) الكافي ٢: ٣٩٣.

عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **«من صلّى عليَّ ولم يصلِّ على آلي لم يجد ريح الجنّة؛ وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»**[1].

أقول: سند الرواية طبقاً لوجهة نظري المستقاة من معايير علم الرجال الثابتة عند مدرسة الوحي، صحيح ليس عندي أدنى شك؛ لثبوت وثاقة كل رجالها فيما أعتقد، ولكن قد يناقش البعض بوثاقة علي بن الحسين المؤدب وأبان بن عثمان..

أما الأول فلعدم النص على توثيقه من قبل أساطين العلم.

غير أنّ الالتزام بذلك في كل الصور والفروض مجازفة أراها واضحة في عملية نقد الرجال والرواة؛ لعدم انحصار معرفة الثقات بما ينص عليه الرجالي بقوله ثقة؛ فمثلاً علي بن الحسين المؤدب (=ابن شاذويه) رواي الرواية أعلاه وإن لم ينص الرجاليون على توثيقه خلال قولهم: ثقة، إلاّ أنني تبعاً لمن لا يستهان به من أعلام مدرسة الوحي لجزم بوثاقة من لا ينص الرجاليون على توثيقه فيما لو ترضى عنه الصدوق أو الكليني قدس سرهما مثلاً.

إن الصدوق (قدس سره) على سبيل المثال مع احتياطه في الدين وعلو مرتبته في المذهب يعني ما يقول، وصدور جملة (رضي الله عنه) منه في حق أحد هو فيما أعتقد توثيق وزيادة؛ وآية ذلك أنّ هذا ليس ديدن الصدوق مع كل الرواة، بل يصدر منه ذلك لبعض مشايخه لا كلهم وهذه خصوصية تلازم علو شأنهم وحجية مروياتهم لا محالة وإلاّ فترحّمه وترضّيه عليهم لغو ما بعده لغو.

قال الكاظمي (قدس سره) في عدته: ومنها (أسباب المدح عموماً):

---

(١) الأمالي للصدوق: ٢٦٧.

ترضي الأجلاء عنه، وترحمهم عليه، وهذا ـ كما ترى ـ الكليني والصدوق والشيخ (=الطوسي) يترحمون على ناس ويترضون عنهم، فتعلم أنهم عندهم بمكانة من الجلالة، بدليل أنهم ما زالوا يذكرون الثقات والأجلاء ساكتين، وربما كان الترحم والترضي لخصوصية أخرى كالمشيخة ونحوها، وكيف كان فما كان ليكون إلاّ عن ثقة يرجع إليه[١].

ولا بأس بالإشارة إلى أنّ حجة المانعين من إفادة الترضي للتوثيق، قد بلورها السيد الخوئي (قدس سره) بقوله: كيف يكون ترحم الشيخ الصدوق أو محمد بن يعقوب وأمثالهما كاشفاً عن حسن المترحم عليه؟ وهذا النجاشي قد ترحّم على محمد بن عبد الله بن محمد بن عبيد الله، بعد ما ذكر أنّ شيوخه يضعفونه وأنّه لأجل ذلك لم يرو عنه شيئاً[٢]....

أقول: وهذه غفلة عجيبة من قلم السيد (قدس سره)..

أمّا أولاً: فلأنّ الترضي غير الترحم؛ وآية ذلك أنّ القرآن الكريم ذكر أنّ الله تعالى نالت رحمته الأنس والجن، بخلاف رضاه الذي خص به قليلاً من عباده.

وأمّا ثانياً: فإنّ قول النجاشي الآنف يشير إلى عدم ضعفه كما نص على ذلك أبو علي الحائري في منتهى المقال[٣]، وكما هو واضح لمن أمعن في عبارة النجاشي التي لم ينقلها السيد الخوئي بشكل دقيق!!

فإنّ النجاشي قال: كان في أول عمره ثبتاً ثمّ خلّط، وجل أصحابنا يغمزونه، ثمّ قال: رأيت هذا الشيخ وسمعت منه كثيراً ثمّ توقفت عن الرواية عنه إلاّ بواسطة بيني وبينه[٤].

---

(١) عدة الرجال (للكاظمي): ٢٦، وعنه في هامش منتهى المقال: ١: ٩٤.

(٢) معجم رجال الحديث ١: ٧٢.

(٣) منتهى المقال ٦: ١٠٠.

(٤) رجال النجاشي: ٣٩٦ / ١٠٥٩.

وهذا صريح في أنّ النجاشي لم يترك الرواية عنه كما قال السيد الخوئي!!!.

وأمّا ثالثاً: فهل أنّ ما ذكره السيد الخوئي قدّس سره من مثال (والذي لا يوجد له قرين فيما أحسب) يضر بعموم قاعدة إفادة الترضي المدح والتوثيق؟.

طبعاً لا، وذلك لأنّ القاعدة تفترض أنّ من ترضى عنه الأجلة هو ثقة أو ممدوح، بشرط أن لا يثبت بالدليل الخاص كونه مقدوحاً، وعلى ذلك فالأمثلة إن وجدت فهي خارج عن حدود موضوع القاعدة من الأساس.

وزبدة القول: إنّ القاعدة تقرر أنّ كل من ترضّى عنه الأجلّة أمثال الصدوق قدس سره فهو ثقة، إلاّ إذا دلّ الدليل الخاص على كونه على عكس ذلك، وهذا عزيزي القارئ من قبيل قولنا: إنّ كل مسلم طاهر، ولكن هذا لا يعني أنّه لايوجد دليل خاص على نجاسة المسلم في بعض الأحوال.

أمّا أبان بن عثمان (الأحمر البجلي) فهو وإن لم ينص على توثيقه أحد من القدماء إلاّ أنّ الكشي (قدس سره) قال: إنّ العصابة (=الطائفة) أجمعت على تصحيح ما يصح عن أبان بن عثمان، والاقرار له بالفقه[1].

وقد أردف العلاّمة هذا القول بقوله: فالأقرب عندي قبول روايته ـ وإن كان فاسد المذهب ـ للإجماع المذكور[2].

أقول: وافتراض أن أبان بن عثمان فاسد المذهب ليس بمتجه ولا سديد، وفيما يبدو لي أخذ العلامة هذه التهمة عن بعض نسخ رجال

---

(١) رجال الكشي: ٣٥٢ / ٦٦٠، ٣٧٥ / ٧٠٥.

(٢) خلاصة الأقوال: ٢١ / ٣.

الكشي التي تقول: قيل إنّه كان ناووسياً..

غير أنّ المقدس الأردبيلي يقول: غير واضح كونه ناووسياً، بل قيل: (صيغة التمريض) كان ناووسياً، وفي رجال الكشي الذي عندي (يقصد نسخة أخرى منه) قيل: كان قادسياً؛ أي من القادسية[1].

أضف إلى ذلك لم ينسب الى أبان بن عثمان فساد المذهب أحد يؤخذ بقوله ويعتمد عليه كثيراً لا من القدماء ولا من المتأخرين؛ سوى علي بن الحسن بن فضال، غير أنّ الاعتماد على تقييم الأخير مشكل؛ ففساد المذهب ثابت بيقين له لأنّه كان من الفطحية..

وفي معراج أهل الكمال: قول علي بن الحسن بن فضال، لا يوجب الجرح لمثل هذا الثقة الجليل[2].

هذا وقد أورده الشيخ عبد النبي الجزائري في قسم الثقات من كتابه الحاوي[3] مع أنّه من المتشددين كثيراً في التوثيق.

أقول: هذا هو حال أبان بن عثمان حسب الصناعة الرجالية، ولكنك تجزم بوثاقته حينما تقف على مواقف الفقهاء منه وهم يمارسون عملية الاستنباط، فأكثرهم إن لم نقل كلهم يحتجون برواياته بكل ارتياح كما يعرف المختصون.

نخلص من مجموع ما تقدم إلى أنّ روايات أبان عموماً صحيحة؛ وآية ذلك أنّ أفذاذ مدرسة الوحي يحتجون برواياته استقلالاً وبالتبع في عموم أبواب الفقه من دون استثناء..

---

(١) مجمع الفائدة والبرهان ٩: ٣٢٣.

(٢) معراج أهل الكمال: ٢٠ كما في منتهى المقال ١: ١٣٨.

(٣) حاوي الأقوال ١: ٢١١.

أمّا مع الرواية أعلاه فكذلك يفعلون؛ حينما يستدلون على وجوب ضم الآل للرسول ﷺ حين الصلاة على محمد ﷺ..؛يحضرني منهم، ابن فهد الحلّي في الرسائل العشر[1]، وكاشف الغطاء في كشف الغطاء[2] والهمداني في مصباح الفقيه[3]، والخونساري في جامع المدارك[4]، والروحاني في فقه الصادق[5]، والنيسابوري في روضة الواعظين[6] وغيرهم، هذا إذا لم أقل كلهم.

٤ ـ معتبرة عبد الله بن الحسن المحض:

وفي نفس مضمون الرواية السابقة؛ أعني صحيحة أبان روى الصدوق (قدس سره) قال: حدثنا الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عن أبيه عن جده الحسن (سيد شباب أهل الجنة) قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال صلى الله على محمد وآله، قال الله جل جلاله: صلّى الله عليك، فليكثر من ذلك، ومن قال: صلّى الله على محمد ولم يصل على آله لم يجد ريح الجنّة، وريحها يوجد من مسير خمسمائة عام**».

رجال هذه الرواية ممّن نص العلماء على وثاقتهم سوى الحسين بن أحمد بن إدريس وعبد الله بن الحسن، والأمر هين فيما يخص الحسين بن

---

(١) الرسائل العشر: ٤٣٧.

(٢) كشف الغطاء ٢: ٢١١.

(٣) مصباح الفقيه ٢: ٣٧٠.

(٤) جامع المدارك ١: ٣٨٩.

(٥) فقه الصادق ٥: ٧٤.

(٦) روضة الواعظين: ٣٢٣.

أحد؛ إذ يكفي أنّ الصدوق ترضى عنه أكثر من ألف مرة كما هو صريح المجلسي في روضة المتقين[١]، مع اليقين بعدم وجود دليل على قدحه، فتبقى استفادة التوثيق من قاعدة الترضي جارية بلا شبهة.

أما عبد الله بن الحسن فمن المجازفة الواضحة ـ بدواً ـ القول بوثاقته على الإطلاق، على أنّ القول بطعنه وجرحه ـ بدواً أيضاً ـ مجازفة أوضح من تلك؛ والسبب على نحو الإجمال هو ورود أخبار صحيحة متعارضة في شأنه..

ويهوّن الخطب أنّ رواية المدح متأخرة زماناً عمّا ورد في قدحه من روايات، وإذا كان الأمر كذلك فيمكن الجمع بين القسمين المادح والقادح بملاحظة إختلاف حال عبد الله بن الحسن المحض ﷺ في مرحلتين متعاقبتين من تاريخ حياته.

ففي المرحلة الأولى: صدرت فيها روايات الذم الكاشفة عن سوء حاله؛ وفي الثانية: صدرت فيها رواية المدح الكاشفة عن حسن حاله والتي هي متأخرة زماناً عن روايات الذم؛ إذ هي قد صدرت حينما حُمل المحض ﷺ هو وأهل بيته إلى سجون المنصور العباسي..

وفي هذه الأثناء أرسل الصادق ﷺ رسالة له قال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة[٢]...» وكما ترى هي نص في أنّ المحض وكل آل بيته ابتداء من تاريخ صدور هذه الرسالة إلى ما بعد ذلك التاريخ هم خلف صالح وذرية طيبة، ولعمر الحق ليس بعد هذا المدح من مدح.

وعلى هذا فقول السيد الخوئي قدس سره ـ وبعد اعترافه بصحة سند هذه الرسالة وأنها متأخرة زماناً عن الذامّة ـ : لا إشكال في أنها من

---

(١) روضة المتقين ١٤: ٦٦.

(٢) معجم رجال الحديث ١١ ك ١٧٥ عن السيد بن طاووس.

شواذ الأخبار ولا يمكن أن تقع معارضة للروايات المشهورة في ذم عبد الله بن الحسن..، لا يستقيم، بل هو غفلة أخرى من قلمه الشريف؛ بداهة إمكان الجمع بين الروايات على ضوء ما قررنا أعلاه، وهو التمسك بآخر تقييم للمحض صدر عن شرعة العصمة المقدسة..

وعليه فالمحض ﷺ صالح وطيب كما يقول الصادق ﷺ، ومات ﷺ وهو على هذا الحال، ولم يدل دليل على العكس بعد صدور الرسالة الشريفة، ولكن المشكلة ليست في ذلك، بل هي تتعلق بزمن صدور كل رواية من رواياته، وهل هو (=الصدور) حينما كان مذموماً أم حينما آب إلى الحق والصواب؟!

هذا يحتاج إلى تحقيق أكثر ليس هو من شأن القارئ الكريم ولا هو بالمرتبط كثيراً بنتيجة هذا الفصل من هذه الدراسة المتواضعة؛ ولكن وعلى أيٍّ تقدير فهذه الرواية صحيحة ما في ذلك شك لمجموع هذه الأمور:

الأول: أنها ـ كمتن ـ عين صحيحة أبان بن تغلب السابقة، وهذا دليل خارجي على صحة متنها وسلامتها من الشذوذ والعلّة.

الثاني: انجبارها بعمل فقهاء الأصحاب؛ إذ لم يهجرها أحد منهم على الاطلاق.

الثالث: سلامتها من المعارض.

وعلى ذلك فهي صحيحة ومعتبرة وحجة.

دلالة الرواية:

نصت رواية المحض ﷺ ومثلها صحيحة أبان المتقدمة على أنّ من يترك ذكر الآل في الصلاة على محمد ﷺ لا يجد ريح الجنة، ويمكن أن يقال بدلالتها على وجوب ضم الآل بدلالة اللزوم البين بالمعنى الأخص،

وذلك للملازمة غير المنفكة بين فعل الحرام أو ترك الواجب وبين عدم وجدان ريح الجنة.

ولا ريب في أنّ عدم وجدان ريح الجنّة كناية عن عدم دخولها بقرينة قوله ﷺ: «وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»، الموضح لذلك؛ بداهة أنّ من كان قريباً من الجنة ولا يجد ريحها مع أنّ ريحها ينوجد من مسيرة خمسمائة عام هو لعمر الحق ممعناً في فعل الحرام وترك الواجب أيّما إمعان..

قال صاحب الجواهر:

وأما نصوصنا فهي مستفيضة في ذلك (حرمة الصلاة البتراء)، بل في بعضها أنّ من لم يتبع الصلاة عليهم بالصلاة عليه لم يجد ريح الجنة[1].

٥ ـ صحيحة كعب بن عجرة:

روى الشيخ الطوسي قدس سره بإسناده الصحيح عن محمد بن أحمد بن إبراهيم الليثي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال: حدثنا علي بن الجعد، قال: أخبرنا شعبة، قال: حدثنا الحكم، قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول: لقيت كعب بن عجرة، فقال، ألا أهدي لك هدية؟ إن رسول الله ﷺ خرج علينا، فقلنا: يا رسول الله، قد علمتنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟.

قال:«**قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد**»[2].

---

(١) جواهر الكلام ١٠: ٢٦٢.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٢٩.

أقول: هذه الرواية أعلى شأناً من أن يبحث في سندها؛ فقد اتفق قاطبة المسلمين على صحة إسنادها إلى الرسول ﷺ بل ومضمونها كذلك؛ وحسبك أنّ البخاري ومسلم وغيرهما أخرجوها في صحاحهم ومجاميعهم بأسانيدهم الصحاح الصراح عن شعبة عن الحكم على نحو ما تقدم كما ستعرف لاحقاً بتفصيل..

لأجل ذلك سنرجىء البحث فيها إلى محلّه؛ وفيما يبدو هو الأنسب لأنّ الرواية بهذا الطريق سنية وليست شيعية، ولكن لها طريق عن الشيعة غير هذا وهو الآتي في رواية الريّان بن الصلت الآتية.

٦ ـ صحيحة الريان بن الصلت:

قال الصدوق قدس سره: حدثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنهما قالا: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان للمناظرة فقال الرضا عليه السلام: «...وأما الاية السابعة فقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قالوا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم فكيف الصلاه عليك؟.

فقال ﷺ: «تقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم انك حميد مجيد»[١].

أقول: ولا ريب في صحة سند الرواية، ونحن حتى لو تناسينا ابن شاذويه

---

(١) عيون أخبار الرضا ٢: ٢١٣.

فهي من رواية جعفر بن محمد بن مسرور الثقة بالاتفاق، عن محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري الثقة بالاتفاق أيضاً بل الذي أولاه صاحب العصر أرواحنا له الفداء عناية خاصّة في الغيبة الصغرى؛ فقد كان يكاتبه..

وأمّا أبوه فهو كذلك ثقة بالاتفاق، بل هو فضلاً عن ذلك من خواص أصحاب العسكري عليه السلام، والحال هو الحال مع الريان بن الصلت الثقة الذي كان من خواص أصحاب الرضا عليه السلام.

وأمّا دلالة الرواية فلا إشكال في كونها دالّة على الوجوب؛ فإنّ قوله ﷺ: «تقولون» هو في طول قوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ وهو واضح في ظهوره في الوجوب بلا كلام.

٧ ـ صحيحة أبان الأخرى:

قال الشيخ الصدوق (قدس سرة): حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد بن عامر، عن عمه عبد الله بن عامر، عن محمد بن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر الباقر، عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أراد التوسل إليّ وأن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة، فليصل على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»**[1].

هذه الرواية بهذا الطريق بناء على ما قررناه آنفاً صحيحة للنص على وثاقة كل رواتها سوى أبان الذي تقررت أمامنا وثاقته طبقاً لمعايير الصناعة الرجالية، ومن ناحيتها الدلالية فعلى ضوء مفهومها لا مناص من ذكر الآل في عملية الصلاة على محمد وآل محمد؛ إذ أنّ مجرّد تركهم سبب تام للحرمان من الشفاعة بالكامل، وهذا معنىً خطير للغاية؛ لأنّ الأخبار

---

(١) أمالي الصدوق: ٥٣٠ / ٥، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٣ ب ٤٢ من أبواب الذكر ح ٥.

النبوية الصادرة بيقين عن الرسول المصطفى ﷺ قررت أنّ الذي يحرم من الشفاعة هو أخبث البشر..

فقد تواتر عن الرسول ﷺ قوله: **«ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»** والذي وصفه الإمام الطبرسي (قدس سره): بالذي تلقته الأمة بالقبول[1]، والحلبي ﷺ بقوله: الذي لم ينازع في صحته أحد من العلماء[2].

وفي هذا المضمون ما رواه أهل السنّة بسند صحيح كما هو صريح الهيثمي في مجمع الزوائد عن الرسول ﷺ قوله: « **أما أنّها (الشفاعة) ليست للمؤمنين المتقين ولكنّها للمذنبين الخطّائين المتلوثين»**[3] وقوله ﷺ : **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»**[4] وقوله ﷺ : **«أخبأت شفاعتي لمن لم يشرك بالله من أمّتي»**[5] وغير ذلك عشرات من المرويات..

على كل حال، المستفاد من مجموع ذلك أنّ متلوثي هذه الأمة وأهل الكبائر (المحرمات الشديدة) تعمّهم رحمة الله وشفاعة سيد البشر محمد ﷺ ، في حين أنّ التارك لذكر آل بيت الرسول ﷺ ليس بأهل لأن تشمله الرحمة والشفاعة وحاله أشد من حال مرتكب الكبائر.

وسبب ذلك فيما بدى لنا أنّ تَرْك الصلاة على الآل ليس عصياناً لحكم شرعي فحسب، بل هو جحود بحكم وجوب ضمّهم للرسول في صيغة الصلاة، ولو قايسنا ذلك بشرب الخمر مثلاً والذي هو من أشد الكبائر في الإسلام نجد أنّ جلّ المرتكبين لهذه الكبيرة ـ إن لم نقل كلّهم ـ

---

(١) مجمع البيان ١: ٢٠١.

(٢) الكافي للحلبي: ٤٦٩.

(٣) مجمع الزوائد ١٠: ٣٧٨.

(٤) مسند أحمد ٣: ٢١٣.

(٥) مسند أحمد ٤: ٤١٦.

يعتقدون بالحرمة ولا يجحدون أنّها حكم الله تعالى، وغاية ما عندهم هو العصيان بسبب غلبة الشهوة..

ولكن ليس هذا هو حال التاركين للصلاة على الآل الجاحدين بحكم الله تعالى في وجوب الصلاة عليهم ﷺ؛ وآية جحدهم قولهم: رغماً لأنوف الرافضة أو الشيعة المتستقى من قول ابن الزبير: رغماً لأنوف بني هاشم!!!.

ومن المعلوم أنّ الجاحد بالدين أو ببعضه لا تنفعه شفاعة الشافعين بخلاف العاصي الذي تدركه الشفاعة حتى لو ارتكب الكبيرة بل حتى لو ارتكب الكبائر، فأمعنوا النظر رحمكم الله في ذلك ليهلك من هلك عن بينة ويحيى بمحمد وآل محمد من حيّ بهم عن بينة مثلها.

وأياً ما كان الأمر فمفهوم شرطية صحيحة أبان التي نحن بصددها يدل بالأولوية القطعية على حرمة الازورار عن ذكر الآل في الصلاة، بل هي حرمة أشد من حرمة ارتكاب الكبائر وأولى منها في التسبيب بدخول جهنم أعاذنا الله منها؛ إذ مع هذه الحرمة التي تدور مدار الجحود بأحكام الإسلام تنغلق باب الشفاعة بالكامل، وليس هذا هو الأمر مع الكبائر حتى مع كونها أشد المحرمات في الإسلام على الإطلاق؛ إذ الأخيرة لا تعدو العصيان وإن كان كبيرة وعظيمة..

ويسوغ لي أن استطرد وأقول: إنّ ما هو أشد من الكبائر هو الكفر بالله العظيم أو ما يستتبع ذلك من جحود ما وصل إلينا من الدين بالضرورة، ولا ندري حسب أي مقياس منطقي ومعيار شرعي نتعامل مع الذاهبين إلى ترك آل البيت عليهم السلام في عملية الصلاة، والجاحدين لحكم الله فيهم رغماً لأنوف الشيعة كما يقولون؟!!!.

٨ ـ قوية عمّار الساباطي:

قال الصدوق (قدس سره): حدثنا محمد بن موسى المتوكل عن علي بن الحسين السعد آبادي، عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه عن عمرو بن سعيد عن مصدق بن صدقة عن عمار بن موسى قال: كنت عند أبي عبد الله ﷺ فقال رجل: اللهم صل على محمد وأهل بيت محمد.

فقال الصادق ﷺ: يا هذا لقد ضيقت علينا أما علمت أنّ أهل البيت خمسة أصحاب الكساء؟!

فقال الرجل: كيف أقول؟!

قال الصادق ﷺ: «قل: اللهم صل على محمد وآل محمد؛ فسنكون نحن وشيعتنا قد دخلنا فيه»[1].

لم أجد ما يستحق البحث في رواة هذه الرواية، ففضلاً عن كونهم ممدوحين، احتج بهم أساطين مدرسة الوحي وهم يمارسون عمليات الاستنباط.

نعم، إنّ بعضهم لم ينص الرجاليون على توثيقه، كما وأنّ بعضهم ليس إمامياً اثني عشرياً، غير أنّ ذلك لا يضر في عملية الاحتجاج بالكلية، فرواياتهم وإن كانت قد تقصر عن مرتبة الصحيح والحسن لأجل ذلك، لكنها تبقى حجة مع عدم المعارض ومع سلامتها من الشذوذ والإعلال، أضف إلى ذلك هم ممن نص العلماء على ممدوحيتهم وإن لم ينصوا على تقويتهم، فانتبه.

مهما يكن من أمر لا يترك الاحتجاج بهذه الرواية؛ لقوة إسنادها، ولا بأس بالإشارة إلى إلى أنّ السعدآبادي من مشايخ ابن قولويه في كتاب

---

(١) ثواب الأعمال: ٢/١٨٩، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٥ ب ٤٢ من أبواب الذكر ح١.

كامل الزيارات، وهذا يعني أنّه ثقة على مذهب كثير من الأصحاب كالسيد الخوئي قدس سره مثلاً[1].

ثمّ إنّ دلالة الرواية على وجوب ضم الآل في الصلاة على محمد وآل محمد تكاد تكون ظاهرة، وصيغة الأمر من قول الصادق عليه السلام: «قل» ظاهر في الوجوب، مضافاً إلى أنّه لا توجد قرينة حالية أو مقالية صارفة من الوجوب إلى غيره، هذا من جهة..

ومن جهة أخرى فالرواية نصٌ على أنّ صيغة: «**اللهمّ صل على محمد وآل محمد**» هي صيغة توقيفية؛ بمعنى أنّه لا يجوز تغيير النص إلى ما يُتَخَيَّلُ أنه يؤدي معناه بما يرادفه، وقد اتفق أهل القبلة على عدم جواز تغيير النص باستبداله أو باستبدال بعض كلماته بما يؤدي معناه مما يرادفه أو يرادف كلماته..

وقد روى أهل السنة أنّ النبي ﷺ علّم البراء بن عازب دعاءً قال فيه: «**ورسولك الذي أرسلت**» فقرأ معاذ: ونبيّك الذي أرسلت فمنع النبي ﷺ من هذه العملية[2].

ومن جهة ثالثة فالنص إذا ما حللناه بملاحظة الأبعاد السياسية والتاريخية والاجتماعية في إطار النزعة العقائدية للمسلمين عبر تتالي القرون حتى وقت صدوره، لنا الحق في أن نتساءل عن عدم رضا الصادق عليه السلام بضم صيغة أهل البيت إلى الصلاة على محمد ﷺ؛ وسبب التساؤل هو قوله عليه السلام: أما علمت أنّ أهل البيت خمسة أصحاب الكساء..

إذ أليست الصلاة على هؤلاء الخمسة عليهم السلام وعلى تسعة

---

(١) أنظر معجم رجال الحديث ١: ٥٠.

(٢) تفسير القرطبي ١: ٤١٣، وقد نصّ على أنه ثابت عن النبي ﷺ، لسان العرب ١: ١٦٣، النهاية الأثيرية ٥: ٤، وغيرها من المصادر.

بعدهم من ذرية الحسين هي من مختصاتهم دون العالمين؟

ثم ألم يدل الدليل القطعي على أنّ أهل البيت في الاصطلاح الشرعي هم هؤلاء دون سواهم من العالمين؟

وإذ كان الأمر كذلك فما دخل الشيعة؟

وما معنى دخولهم في صيغة: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»** مع أنّ الوحي أخبرنا أنّ الداخلين فيها هم المعصومون الأربعة عشر ليس غير؟

بل إذا كان لفظ **«آل محمد»** هو عينه لفظ أهل بيت محمد في الاصطلاح الشرعي (لا اللغوي) وهم المعصومون، فهل هناك من سر لعدم رضا الإمام عليه السلام؟

يمكن أن يجاب عن ذلك بأنّ دخول الشيعة في هذه الصيغة ليس دخولاً حقيقياً بل دخولاً تشريفياً اعتبارياً؛ وذلك لأنّ الشيعة هم وليس غيرهم من أبقى على هذه الصيغة صامدة في عملية الصراع، أضف إلى ذلك فإنّ الأدلة العلمية العامّة والخاصّة على ما أسميناه بالادخال التشريفي كثيرة جداً؛ وأساس ذلك ـ شرعاً ـ هو توسعة موضوع الدليل..

فمثلاً في الوقت الذي نعرف أنّ الصلاة اليومية هي مجموعة الأفعال المخصوصة (الأركان والأجزاء) من قراءة وسجود وركوع و...، يأتي المعصوم ويقول لنا: إنّ الطواف بالبيت صلاة؛ وذلك لعلاقة بينهما، وهي شرطية الطهارة لصحة وقوع كل منهما..

إنّ الطواف ليس صلاة على نحو الحقيقة ولكنه صلاة اعتباراً بتلك العلاقة، الأمر الذي يعبر عنه في علم أصول الفقه بالحكومة أو الورود.

وفيما نحن فيه من هذا القبيل فالشيعة ليسوا هم آل البيت على نحو الحقيقة؛ لما تعرف من أن الشيعة إجمالاً هم عموم المحبين الموالين على

تفاوت درجاتهم ومنازلهم، كما وأنّ آل البيت عليهم السلام هم خصوص المعصومين الأربعة عشر، ولا دخل للأنساب في ذلك؛ لأنّ المدار الدلالي في المقولات السماوية هو ما اصطلح عليه الوحي لا ما اصطلحت عليه اللغة أو ما اصطلح عليه العرف..

فقد نص الوحي حاكياً عن الله تعالى ذلك بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(١) ومعلوم بالضرورة عند أساطين مدرسة الوحي أنّ إذهاب الرجس (= العصمة) لم ولن يحصل لغير الأربعة عشر عليهم السلام، ولذلك نفى الإمام عليه السلام دخول أحد من الناس في ما اصطلح عليه الوحي بـ «أهل بيت محمد ﷺ» أو: «آل بيت محمد ﷺ».

هذا، والعلاقة المصححة لدخول الشيعة في ما اصطلح عليه الوحي بـ «آل محمد» هو أنّ الشرف الوحيوي لعموم الشيعة المندرجين تحت عنوان التشيع المقدس إنّما هو من باب انتمائهم لآل محمد المعصومين عليهم السلام..

وفي بيان ذلك نقول: إنّ المعصومين من آل محمد ﷺ لهم حقيقتان باعتبارين:

الأولى: بملاحظة ذواتهم المقدسة التي لم يخالطها ﴿الرجس﴾ بأيّ نحو من أنحاء المخالطة، وحينما نتحدث عن المعصومين بهذا الاعتبار فإنّنا نتحدث عن خلق من خلق الله اصطفاهم واجتباهم على العالمين وأذهب عنهم الرجس تكويناً؛ أي نتحدث عن هويتهم الوحيوية ليس غير، وهؤلاء هم أهل البيت كما هو نص الآية.

(١) الأحزاب: ٣٣.

الثانية: بملاحظة وظائفهم المقدسة النّاشئة إلى إعلاء كلمة الله، ونحن في هذا الفرض لا نتحدث عن هويتهم الوحيوية التي هي من شأنهم ومن شأن الله أولاً وآخراً؛ أي لا نتحدث عن الأئمة باعتبار ذواتهم الشريفة، بل باعتبار وظائفهم المقدسة في إبقاء الدين ما بقي الليل والنهار..

ولا شك في أنّ إمامتهم المقدسة بالاعتبار الأخير ليس لها وجود خارجي ولا تتجسد إلاّ بمن يأتم بهم؛ وهذا يعني ذوبان الحقيقة الثانية لآل البيت في معنى التشيع، وفي عين الوقت ذوبان معنى التشيع في الحقيقة الثانية لآل البيت..

ولا شكّ في أن إمامة الأئمة عليهم السلام بملاحظة وظائفهم فقط (لا ذواتهم) لم يكن لها أن تتحقق على أرض الواقع الخارجي من دون الشيعة، كما وأنّ التشيع لولا الأئمة عليهم السلام لا وجود له قطعاً، وهذا كلّه بخلاف ذواتهم المقدسة التي هي موجودة سواء وجد الشيعة أم لم يوجدوا، بل قل وجد البشر أم لم يوجدوا.

وإذن فقد حاز الشيعة الشرف الوحيوي الكامل في تجسيد إمامة الأئمة عليهم السلام على أرض الواقع الإنساني، على تفاوت منهم في التجسيد كما وكيفاً، وفي قول الصادق عليه السلام : (لولا هؤلاء الأربعة: محمد بن مسلم وزرارة بن أعين وبريد العجلي وأبو بصير، لذهبت آثار النبوة واندرست) وقوله صلى الله عليه وآله : «**وأمّا أنصاره** (الدين) **فأنا وأهل بيتي وشيعتهم...**»[1] ما يوضح المقصود غاية التوضيح..

هذه هي العلاقة المصححة لدخول الشيعة في الآل، وإذا كان الأمر كذلك فالإمام الصادق عليه السلام يرمي إلى شيء عظيم بقوله: (فسنكون نحن وشيعتنا قد دخلنا فيه) فهو عليه السلام يتحدث عن تلك العلاقة بين المعصوم

---

(١) الكافي ٢: ٤٦.

الموظف من قبل الله بوظيفة إبقاء الدين وبين دور الشيعة في تفعيل آلية الإبقاء بتجسيد إمامة الأئمة على أرض الواقع البشري، ولعمر الحق هو شرف ما بعده شرف للشيعة استحقوا به أن يلحقهم الوحي والمعصوم بـ «الآل» في عملية الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ.

ومن هذا المنطلق نستطيع وبيسر قراءة قوله ﷺ: **«سلمان منّا أهل البيت»**[1] إذ ليس هو منهم على نحو الحقيقة إذا ما تحدثنا عن ذواتهم المقدسة، ولكنّه منهم بملاحظة تلك العلاقة، وهكذا بقية الشيعة، والأمر لا يقف على هذين النصين فهناك نصوص كثيرة يمكننا قرائتها على ضوء ذلك؛ منها قوله ﷺ: **«يا علي أنا وأنت أبوا هذه الأمّة»**[2].

والمستفاد من مجموع ما قررناه هو أنّ آليات إبقاء الدين وإن كان الأئمة ﷺ هم رأسها وسنامها وحقيقتها إلاّ أنّ الشيعة على ضوء دورهم في تفعيل هذه الآليات جزء من أجزائها لامحالة.

عزيزي القاريء وهذا بعد آخر من الأبعاد التي تتبلور على ضوئها نظرية الحسنة النوعية التي على أساسها نستطيع أن نقرأ وبوضوح كامل قول الرسول ﷺ: **«حب علي حسنة لا تضر معها سيئة»** وقوله: **«النظر في وجه علي عبادة»** وعشرات بل مئات من هذا القبيل؛ لأنّ أصل المسألة فيما بان لنا هو أنّ كل ذلك يصبّ في دور الشيعة العظيم في ترجمة إمامة الأئمة على أرض الواقع الإنساني، وحسبهم شرف أنّ آثار النبوة لولاهم لاندرست واندثرت!!!

ولا أزيد على ما أخرجه الكليني بسند صحيح بقوله:

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عبد العظيم بن عبد الله

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ٦: ٢١٣.

(٢) علل الشرائع ١: ١٢٧.

الحسني، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، عن أبيه، عن جده قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نورا وجعل له حصنا وجعل له ناصرا؛ فأمّا عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا، فأحبوا أهل بيتي وشيعتهم وأنصارهم فإنه لما أسري بي إلى السماء الدنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة ثم هبط بي إلى أهل الارض فنسبني إلى أهل الارض فاستودع الله عز وجل حبي وحب أهل بيتي وشيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي، فمؤمنوا أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة، ألا فلو أن الرجل من أمتي عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لأهل بيتي وشيعتهم ما فرج الله صدره إلاّ عن نفاق»[1].

فأمعن النظر في قوله صلى الله عليه وآله: «وأمّا أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتهم...» تجده نصّاً في كل ما قلناه!

أضف إلى ذلك ففي قوية عمّار الساباطي التي صدّرنا بها هذا البحث مطالب دقيقة جداً لا يحتملها موضوع دراستنا هذه، سنتعرض لبعضها في الفصل الأخير من هذا الكتاب؛ وذلك حينما سنتكلم عن فرق الثواب بين الصلاة التي في صيغتها: «آل محمد» وبين تلك التي في صيغتها: «أهل بيت محمد».

٩ ـ رواية إسماعيل بن جابر:

قال السيد المرتضى قدس سره: قال شيخنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني رحمه الله في كتابه تفسير القرآن: حدثنا أحمد بن

(١) الكافي ٢: ٤٦.

محمد بن سعيد بن عقدة، قال: حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي عن إسماعيل بن مهران عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن إسماعيل بن جابر قال: سمعت أبا عبد الله: جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: حدثني آبائي عن علي عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال: **«لا تصلّوا عليّ صلاة مبتورة، بل صِلُوا إليَّ أهل بيتي، ولا تقطعوهم؛ فإنّ كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلاّ سببي ونسبي»**[1].

لا نتناسى أنّ هذا الحديث هو من رواية الحسن بن علي بن حمزة الكاذب أو الكذاب الملعون كما هو صريح الكشي[2]، ولكن الالتزام بكونه كذاباً من أشكل المشكلات؛ والسبب في ذلك أنّ باقي جهابذة الفن لم يصفوه بذلك، وهذا الغضائري الذي لم يسلم من لسانه أحد لم يتّهِمْهُ بالكذب؛ فقد قال فيه: واقف بن واقف، ضعيف في نفسه وأبوه أوثق منه[3]، وكذلك النجاشي القائل: قال محمد بن سعود: سألت علي بن فضال عن الحسن بن علي بن حمزة البطائني، فطعن عليه[4]....

أضف إلى ذلك فقول الكشي: «كذاب»، ليس بشيء..؛ لأنّه إنّما حكاه عن ابن فضّال؛ فإنّه ـ أي الكشي ـ قال: حدثني محمد بن مسعود قال: سألت علي بن فضال عن الحسن بن علي بن حمزة البطائني فقال: كذاب ملعون..

---

(١) المحكم والمتشابه: ١٩ وراجع بحار الأنوار ٩٣ ـ ٩٧، فالكتاب (المحكم والمتشابه) نقله المجلسي بنصه هناك.

(٢) رجال الكشي: ٤٨٥ / ٩١٧ نقلاً عن ابن فضال وكما هو صريحه في كتابه: ٤٤٢ / ٨٣١.

(٣) خلاصة الأقوال في علم الرجال (للعلامة): ٢١٢ / ٧.

(٤) رجال النجاشي: ٣٦ / ٧٣.

غير أنّ هذه الحكاية ليست بصحيحة؛لأنّ النجاشي روى عن محمد بن مسعود كما روى الكشي عنه، وليس فيما رواه النجاشي سوى أنّ ابن فضّال: طعن عليه، وهذا إن دل فإنّما يدل على أنّ فيما نقله الكشي تخليط لا يمكن إثبات التكذيب من خلاله بسهولة، هذا أولاً..

وثانياً: فعلى ما تقرر عند الأصحاب رضي الله عنهم فإنّ قول النجاشي أو روايته هما الراجحان على ما يرويه الكشي أو ما يقوله حين المعارضة؛ لأنّ الأوّل أدق وأثبت وأضبط، وليس هذا هو حال الكشي إذا ما قيس بالنجاشي أو بالشيخ الطوسي؛ وآية ذلك أنّ كتاب رجال الكشي فيه أخطاء كثيرة جداً، الأمر الذي حدا بالشيخ الطوسي لاختصاره وتهذيبه وتصحيحه ليسمّيه فيما بعد بـ« اختيار معرفة الرجال» على أنّ «اختيار معرفة الرجال» لم يسلم من كل الخطأ حتى بعد التهذيب والتصحيح كما يعرف المختصون!!!

وفيما أحسب فإنّ هذه الأمور هي التي حدت بالتقي المجلسي (قدس سره) لأن يقول: الطعون باعتبار مذهبه الفاسد، ولذا روى عنه مشايخنا لثقته في النقل[1].

ولكن الالتزام بكون الحسن ثقة في النقل من المشكلات أيضاً؛ لعدم تصريح القدماء بذلك أو إيمائهم به فضلاً عن المتأخرين..

والمتحصل من ذلك أنّ الاحتجاج بروايات الحسن مطلقاً مشكل وترك رواياته أشكل بعد تلك الملابسات وبعد تصريح المجلسي بوثاقته، ولكن مع ذلك فالمعيار في الاحتجاج أو عدم الاحتجاج به مجموعة من الأمور نجردها لك بسرعة كالآتي:

١ ـ أن لا يستشم من رواياته أنّه داعية إلى مذهبه؛ مذهب الواقفة، وإلاّ تسقط عن الاعتبار بالكلية.

---

(١) روضة المتقين ١٤: ٩٤.

٢ ـ أن لا تكون متقاطعة مع ضروري من ضروريات الدين أو مع بعض الثوابت الإسلامية.

٣ ـ أن لا تكون معارضة بالروايات المعتبرة النزيهة، وإلاّ تطرح في الحال بلا ترديد.

٤ ـ أن لا تتوفر فيها دواعي الكذب؛ فحينئذ لا يلتفت إليها.

غير أنّك عرفت أنّ رواية الحسن أعلاه على العكس من ذلك كلّه؛ فهي ليست بالتي تدعو لمذهب الواقفة، وهي فضلاً عن ذلك مؤيدة في الجملة بروايات صحيحة ومعتبرة من المدرستين الوحيوية والرأيوية كما ستعرف، مضافاً إلى أنّ دواعي الكذب ليست ممّا تكتنفها جزماً.

وزبدة القول: الرواية بملاحظة كل هذه الأمور معتبرة، لا أشك في ذلك قيد شعرة.

يبقى الكلام عن أبيه علي بن حمزة البطائني؛ رأس الوقف على إمامة الإمام الكاظم عليه السلام والجحود بإمامة باقي الأئمة عليهم السلام من أولاده المعصومين؛ غير أنّه لا داعي للإطالة في الكلام عن حال الأب؛ لأنّ الكلام عنه حسب رؤيتنا كالكلام عن ابنه الحسن في الإطار العام حذو القذة بالقذة، وإلاّ فحاله عند الغضائري أحسن من ابنه بكثير فقد قال: وأبوه أوثق منه على ما مرّ عليك.

وفيما عدا ذلك فالرواية صريحة في بيان المطلوب؛ إذ يقول الرسول ﷺ: «لا تصلوا علي صلاة مبتورة» والنهي ظاهر في التحريم بلا أي كلام.

١٠ ـ صحيحة محمد بن مسلم:

قال الكليني (قدس سره): علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: (ما في

الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد وإنّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج ﷺ الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به)[١].

لا إشكال ولا شبهة في صحة طريق هذه الرواية، اللهم إلاّ من جهة إبراهيم بن هاشم الذي يعد بعض العلماء رواياته في مرتبة الحسن..، غير أنك عرفت تحقيق الحال في ذلك فيما مضى، وأنّ رواياته أقل ما يقال عنها أنّها حجة؛ للاتفاق على علو شأنه في الطائفة وعلى إطباقها على كونه من أعمدة الرواية الشيعية.

وقد روى نحوه الحميري في قرب الإسناد بسند موثق قال: محمد بن عيسى قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي عبد الله أو عن أبي جعفر عليهما السلام قال: (أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وعلى أهل بيته)[٢].

ويمكن أن يقال في الاستدلال بها على المطلوب هو أنّ ما يلائم كون صيغة: اللهمّ صل على محمد وآل محمد أثقل ما في الميزان من أعمال العباد، الوجوب، وآية ذلك أنّ المستحبات والمندوبات من شأنها أن تثقل الميزان لا أنّها أثقل ما فيه، ولكن كل ذلك متوقف على الإتيان بكل الصيغة المقدسة التي نصّت عليها صحيحة محمد بن مسلم؛ لتوقيفيتها؛ أي بإلحاق الآل في عملية الصلاة، وإذا ما ثبت الوجوب عبر تلكم المقدمات القطعية ثبتت حرمة الترك لا محالة، وبه يتم المطلوب، وهو حرمة الصلاة البتراء.

وكلّي يقين باستحالة استفادة الاستحباب فقط من هذه الرواية؛ إذ القول بأنّ الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ مستحبة مع أنّها أثقل ما في

---

(١) الكافي ٢: ٤٩٤.

(٢) قرب الإسناد: ١٤.

الميزان وأنّ بقية الواجبات أخف منها في الميزان، مدعاة للسخرية فضلاً عن الاستحالة.

ولعلك تقول: إنّ الصلاة على محمد وآل محمد واجبة في حال ومستحبة في حال، فهل هي في حال استحبابها لا توصف بأنّها أثقل ما في الميزان؟

قلت: الصحيحة أعلاه ظاهرة الدلالة في محبوبية الصلاة على محمد وآل محمد بالنسبة لبقية ما هو محبوب ومرغوب للوحي، وشدة المحبوبية جامع يدخل تحته الواجب والمستحب، ومعنى ذلك أنّ الصلاة على محمد وآل محمد في حال كونها واجبة هي أثقل ما في الميزان قياساً بباقي الواجبات الأخرى، وفي حال كونها مستحبة هي أثقل ما في الميزان قياساً بباقي المستحبات.

ولعلك تقول أيضاً: ما هو الداعي لأن تفسروا النص بالتقرير السابق؟

قلنا: يدعونا لذلك محذور اللغوية في النص؛ إذ إمّا أن نعتبر النص في الصحيحة أعلاه لغواً، وأنّ كون الصلاة أثقل ما في الميزان لا معنى له، وإمّا أن نجد له تفسيراً شرعياً، وفي الأول محذور عقائدي خطير وهو الرد الصريح على المعصوم عليه السلام.

ولعلك تقول ثالثة: هل يمكن أن يقال أن النص في هذه الصحيحة ناظرٌ إلى الفرد المستحب، وليس هو في صدد الواجب، وأنّ الصلاة على محمد وآل محمد أثقل ما في الميزان قياساً بباقي المستحبات؟

قلنا: الاطلاق أو العموم في الصحيحة: (ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد...) يمنع من هذا الحمل التبرعي، والتقييد بالمستحب دون الواجب من الاعتباط بمكان، مضافاً إلى أن القدر المتيقن من النص السابق هو الواجب بقرينة أثقل ما في الميزان، ونحن

بواسطة الإطلاق أدخلنا المستحب فراراً من محذور اللغوية كما قررنا سابقاً.

مهما يكن من أمر فالقائل باستفادة الاستحباب فقط من النص السابق عليه أن يتجاوز شيئين:

الأول: الاطلاق أو العموم في النص.

الثاني: أنّ المستحب أثقل من الواجب في الميزان؛ إذ كيف تكون الصلاة على محمد وآل محمد أثقل ما في الميزان مع أنّها مستحبة وبقية الواجبات التي هي واجبة أخف منها.

وفيما اعتقد ليس إلى تجاوز هذين من سبيل، ولا محيد إلاّ أن يصار إلى ما قررناه آنفاً، فأمعن النظر جيداً في ذلك..

ولا بأس أن ننبه إلى أنّ قوله ﷺ: (ما في الميزان شيء أثقل...) ظاهر أو هو نص في حصر الأثقلية بالصلاة؛ لأنّه ابتدأ بـ «ما» النافية التي نفت ذلك عن غير الصلاة.

هذا، ولنا الحق في أن نتساءل منهجياً وعلمياً على ضوء مقررات المنطق فيما يتعلق بالجزاء العظيم الذي صورته هذه الصحيحة لمن يتعبد لله بالصلاة على محمد وآل محمد ﷺ؛ إذ كيف يمكن أن تكون عبارة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» أثقل ما في الميزان مع أنّها لا تعدو الذكر الذي يتألف من ستة كلمات؟!

وهل أن الذكر بما هو ذكر يردده اللسان أفضل من الخمس والزكاة، اللّذيْن فيهما قوام الاقتصاد الإسلامي؟

وهل الذكر أفضل من الصلاة اليومية التي هي عمود الدين؟

وهل أنّ صيغة الصلاة أفضل من الجهاد الذي لولاه لما استطال الإسلام على الكفر؟

وهل هي أفضل من الحج الذي يرفع الحجب بين العبد وبين الله وأفضل وأفضل..

ولماذا لا يكون القرآن الذي هو كلام الله أثقل شيء في الميزان وأثقل من الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ؟

لا يعترينا ريب في أنّ المناهج الكلاسيكية في قراءة النصوص الوحيوية عاجزة عن إبداء تفسير موضوعي لهذا الأمر، هذا إذا تعرضت له بالتفسير؛ بزعم أنّ المطلوب الأول هو معرفة الشرع وإيكال ما سواه ممّا تتضمنه النصوص من الأمور الأخرى إلى عالمه، أو هو ليس من وظيفة الفقهاء..

وبغض النظر عن صحة هذا الكلام أو سقمه، فإنّ المناهج الكلاسيكية مطالبة على الدوام بإعطاء تفسير موضوعي لكل نص يمكن استنطاقه واستخراج ما فيه من ثروة سماوية؛ لأنّ القاعدة في نصوص الوحي أنّها جاءت هادية بما يلائم عقول البشر، وهذا يعني أنّ البشر يمكنهم استنطاقها، وقد قال الرسول ﷺ: «أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»[1].

مهما يكن من شيء فإنّنا أشرنا فيما سبق إلى أنّ هناك علاقة وطيدة بين الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ وبين نظرية الثواب والعقاب الإسلامية طبقاً لرؤيتنا في تقسيم نصوص الوحي إلى قسمين، وطبقاً لنظرية الحسنة النوعية التي اكتشفناها على ضوء ذلك، مروراً بما أسميناه بالتداخل العضوي بين أعضاء الأطروحة الإسلامية وبغيرها من الأمور، فبواسطة هذه العلاقة يمكننا وبكل ارتياح إعطاء تفسير موضوعي لروايات الثواب العظيم بعامّة وروايات الصلاة على محمد وآل محمد بخاصّة..

ولا بأس أن نقول هنا بأنّه: لا ريب في أنّ الصلاة اليومية (الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء) مثلاً هي عمود الدين فمن أقامها فقد

---

(١) الكافي للكليني ٨: ٢٦٨، أمالي الطوسي: ٥٠٤.

أقام الدين، ولكن قبل أن نقرر ذلك كما قرره الرسول ﷺ في هذا النص علينا أن نتساءل عن الصلاة التي هي عمود الدين، أهي الصلاة التي تتعبد بها مدرسة الرأيويين؟

أم هي التي تتعبد بها مدرسة الوحيويين؟

بل علينا أن نتساءل بهذه الصيغة: أين هو الدين الذي عماده الصلاة؟

أهو ما يجسده الرأيويون خلال سلوكهم الرأيوي؟

أم هو ما يجسده الويحيويون خلال سلوكهم الوحيوي عبر محاور الوحي العامة؟

مهما يكن جواب هذه التساؤلات فالذي لا ريب فيه هو أنّ الدين مختلف فيه، ولم يتجسد في الخارج عند كل المسلمين كما أراد له الرسول والوحي والقرآن أن يتجسد، وإذا كان الأمر كذلك فلا يمكن للصلاة اليومية (لو افترضنا عدم الاختلاف فيها) أن تكون عماداً للدين المختلف فيه، بل هي كذلك للدين الذي أراده الرسول ﷺ والوحي والقرآن لعموم المسلمين، والذي لم يجسده المسلمون جميعاً بالشكل المطلوب إلى يومك هذا، إذ لا الصلاة المقصودة في الحديث الأنف يمكن لصلاة أكثر المسلمين أن تجسدها خارجاً ولا الدين المطروح يمكن له أن يجسد ولو حبّة خردل من الدين الذي أريد له أن يكون ديناً سماوياً للأسود وللأبيض وللأصفر والأحمر .

وإذن فليس من المنطقي أن نتحدث عمّا يفتقر إلى شروط إيجاده الموضوعية والذاتية؛ والرسول ﷺ وضع العلاج السماوي لهذا التشتت بإبقاء الدين ديناً كما أريد له أن يكون والصلاة صلاة كما أريد لها أن تكون والحج كذلك والزكاة والجهاد و...، ولو عند فئة من المسلمين بإبقائه حياً ولو في القلوب والعقول حتى يظهر أمر الله..

ولو تساءلنا عن كيفية إبقائه حيا في العقول والقلوب، فحينئذ نتحدث عن آليات الإبقاء التي من أهمها أو أهمها صيغة: اللهمّ صل على محمد وآل محمد، الجامعة لكل آليات الإبقاء (التوحيد النبوة الإمامة) عبر ما أسميناه بالحس الديني.

وإذن فالصلاة عمود الدين، فيما لو كانت هناك صلاة وحيوية (وخمس وجهاد وحج وزكاة و...) متجسدة أو في مرحلة التجسد، وكان هناك دين هو ما أراده الرسول ﷺ أرضية لتلك الصلاة التي هي عموده، ولا ريب في أنّه أمر لم يتحقق خلال حركة التاريخ الإسلامي إلاّ عند الثلّة القليلة المتمسّكة بجوهر الدين وروحه.

وهذا يعني أنّ: «الصلاة عمود الدين...» لا يقف مع: «ما من شيء أثقل في الميزان من الصلاة على محمد وآل محمد» موقف المعارضة؛ لأنّ الثاني، آلة أو من آليات الوحي للإبقاء على أصل الصلاة وأصل الحج وأصل الزكاة و...، من الضياع، وبالتالي للإبقاء على أصل الدين (بيضة الدين) من الضياع.

والذي نعتقده على ضوء منهجنا أنّ عبادة الله تعالى بأسباب الإبقاء على أصل الدين أفضل بكثير من عبادة الله بالدين المختلف فيه؛ إذ لولا تلك الأسباب لضاع الدين من الأساس، وهنا تتبلور أمامنا نظرية الحسنة النوعية من جديد؛لأنّ العبادة التي يتعاطاها الوحيويون هي في مرحلتين متزامنتين، الأولى: عبادة الله بأسباب الإبقاء وآلياته والثانية: محاولة تجسيد أصل الدين (بيضة الدين) على أرض الواقع.

ولكن أيّ دين هذا المطلوب منّا تجسيده؟

أهو ذاك الذي وصل إلينا من دون كتاب الهداية الذي منع منه عمر في رزية يوم الخميس، ومن دون الألواح التي سكت عنها موسى ولم يعلن

عمّا فيها لبني اسرائيل ومن دون أن يملأ فراغه مهدي آل محمد ﷺ بسبب الغيبة فيما يزعم البعض؟!!.

إنّ آية كل ما نريد قوله هو أنّ الوحيوي بمجرد أن يقول: «**اللهمّ صل على محمد وآل محمد**» تتجلى أمام الخصوم كل آليات الإبقاء على الدين:

منها: أنّ الرسول ﷺ معصوم في الأحكام والموضوعات.

ومنها: أنّ علياً عليه السلام هو وصي رسول الله ﷺ.

ومنها: أنّ فاطمة سيدة نساء العالمين.

ومنها: أنّ الحسن والحسين إمامان معصومان واجبا الطاعة.

ومنها: أنّ التسعة المعصومين هم من ذرية الحسين.

ومنها: أنّ المهدي المنتظر يسيح في الأرض كالمسيح عليه السلام، وهو خائفٌ يترقب كموسى عليه السلام...

وتتجلى فيما سوى ذلك عند الخصوم: ضلالة الوحيوي، بدعة زيارة الحسين، بدعة السجود على التربة، بدعة الإرسال (الإسبال) في الصلاة، بدعة المسح في الرجلين في الوضوء....

كل هذه الأمور تتجلى عند الخصم بمجرد أن يقول الوحيوي: «**اللهمّ صل على محمد وآل محمد**» وخير شهادة هي شهادة الوجدان.

وقد نال الوحيوي جرّاء ذلك ما هو مسطور في التاريخ مما يخجل منه جبين الإسلام والضمير، فقد كان الحجاج يقتل كل من كان أسمه علياً أو حسناً أو حسيناً، وكان المتوكل يقطع يد كل من يزور سيد الشهداء الحسين؛ لعلمهم بأنّ أسباب إبقاء الدين هذه كفيلة بتحطيم عروشهم بالكامل.

وقولنا الأنف: إنَّ الوحيوي بمجرد أن يقول: «اللهمَّ صل على محمد وآل محمد» تتجلى أمام الخصم (كالحجاج والمتوكل)...، تنطوي فيه كل الأبعاد التي توضح بنحو وبآخر ما أسميناه بالتداخل العضوي بين مفردات نظرية الإسلام؛ إذ ليست الصلاة (اليومية) مطلوبة للشارع بما هي صلاة وحسب، هي مطلوبة للشارع بملاحظة آليات إبقائها بواسطة الصلاة على محمد وآل محمد، وزيارة الحسين، وحب علي، والتبري من أعداء فاطمة، و...

ومن هنا تتوضح المعالم العامة لنظرية الثواب والعقاب؛ لأننا نجد أنَّ كثيراً من آليات الإبقاء لها ثواب عظيم مع أنَّ نفس الواجبات كالحج والصلاة والصوم ليس فيها ما يوازي ذلك الثواب..

كل ذلك يوضح أنَّ ما يعانيه الوحيوي حينما يعبد الله في إطار آليات الإبقاء أمرٌ هو فوق حسابات الضمير؛ إذ الوحيويين كما أعلن التاريخ بين مقتول ومسموم وبين من تقطع يده بمجرد زيارة الحسين، وبين من يدفن حياً و...، وقد توضح كل ذلك فيما سبق.

وبكلمة واحدة: الصلاة عمود الدين فيما لو كان هناك دين غير مختلف فيه وصلاة غير مختلف فيها، ولكن إذا لم يتحقق ذلك وأنَّ أصل الدين مهدد بالزوال والضياع جرّاء ذلك الاختلاف، ففي هذا الفرض ينصب اهتمام المعصوم عليه السلام على دور الخطابات ذات السمة الشعارية في خضمّ الصراع من أجل إحياء الدين، والتي منها: «ما من شيء في الميزان أثقل من الصلاة» وغيرها، ونحن على هذا الأساس قسمنا النصوص الإسلامية إلى قسمين، وعلى هذا الأساس قلنا بنظرية الحسنة النوعية، فلاحظ.

١١ ـ صحيحة عمر بن أذينة:

قال الكليني: علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير بن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله في ـ حديث طويل ـ قال: عرج بنبيّه ﷺ فأذّن

جبرائيل... إلى أن قال: قال رسول الله ﷺ: «**فقال لي رب العزة: يا محمد! صل عليك وعلى أهل بيتك**».

فقلت: «**صلى الله عليّ وعلى أهل بيتي وقد فعل...**»[(١)].

أقول: الحديث بهذا الطريق صحيح ما في ذلك شك عندي، وأقل ما يقال فيه إنّه حسن، ولا يضر ذلك بعد الاتفاق على الاحتجاج بما يرويه إبراهيم بن هاشم كما ذكرنا آنفاً.

وتقريب الاستدلال بهذا الحديث الوارد في بيان أركان وأجزاء الصلاة هو أن يقال: إنّ الحديث نصّ على أنّ رب العزة جل جلاله أمَرَ الرسول ﷺ بالصلاة على محمد وآل محمد في التشهد لتوقف صحة الصلاة اليومية على هذا الجزء، وقول الله: «**صل عليك وعلى أهل بيتك**» أمرٌ في إلحاق أهل البيت بالرسول ﷺ والأمر يفيد الوجوب اتفاقاً.

ولا يضر كون النص الآنف في صحيحة ابن أذينة وارد في الصلاة فقط؛ إذ المورد لا يخصص الوارد؛ ببيان أنّ تسرية إلحاق الآل بالرسول ﷺ من الصلاة اليومية إلى الصلاة المحمدية في كل حين، ثابت بسبب الملازمة الخارجية وعدم القول بالفصل؛ إذا المسلمون كما عرفت على فريقين بين ملحق للآل في كل حال؛ في الصلاة وفي غيرها وبين من هم ليسوا كذلك، فينتج من ذلك أنّ إلحاقهم بالرسول ﷺ في الصلاة وغير الصلاة واجباً.

بل يمكن الاستدلال على المطلوب بالأولوية؛ إذ لما كان إلحاق الآل بالرسول في الصلاة اليومية الواجبة واجباً، فمن الأولى إلحاقهم بالرسول ﷺ في المستحب الذي هو أدنى قيمة من الواجب.

وعلى أسوأ التقادير (من خلال صحيحة ابن أذينة فقط) فإنّ

---

(١) الكافي ٣: ٤٨٢ ـ ٤٨٥ / ١، علل الشرائع، وسائل الشيعة ٥: ٤٦٥ ب١ أبواب أفعال الصلاة ح ١٠.

الأحوط في الدين إلحاق الآل بالرسول ﷺ في الصلاة على محمد في كل حال؛ إذ بعد اهتمام الوحي بإلحاقهم في التشهد من الصلاة اليومية؛ فإنّ ترك إلحاقهم في غير ذلك خلاف الاحتياط قطعاً.

على أي حال وحسب الصناعة الفقهية، فصحيحة ابن أذينة نص في وجوب: «اللهم صل على محمد وآل محمد» في تشهد الصلاة اليومية حتى على الرسول ﷺ، ومن ثمّ فهي واجبة حتى على أهل بيته عليهم السلام، فأمعن النظر رحمك الله في قدسية الصلاة المحمدية ﷺ وعلى عظيم رتبتها الوحيوية التي من شأنها إبطال الصلاة اليومية من دونها من الأساس حتى بالنسبة للرسول ولآل بيته ﷺ.

ومن هذا الباب ما رواه الشيخ الطوسي في الصحيح بإسناده عن حمّاد بن عيسى عن حريز عن أبي بصير وزرارة جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من تمام الصوم إعطاء الزكاة كما أنّ الصلاة على النبي ﷺ من تمام الصلاة، ومن صام ولم يؤدها فلا صوم له إذا تركها متعمداً، ومن صلى ولم يصل على النبي ﷺ وترك ذلك متعمداً فلا صلاة له؛ إنّ الله تعالى بدأ بها فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾[1])[2].

لم ترد هذه الصحيحة في بيان كيفية الصلاة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، بل لبيان أصل وجوبها وجزئيتها في الصلاة اليومية، وهي على ذلك من المجمل، ولكن قد تقرر علمياً (باتفاق أهل القبلة) إرجاع المجمل للمبين لرفع الإبهام المجمل، وفيما نحن فيه نرجعها إلى صحيحة ابن أذينة المتقدمة وإلى غيرها.

ومن هذا الباب أيضاً ما أخرجه الصدوق في الصحيح بإسناده عن

---

(١) الأعلى: ١٤ ـ ١٥.

(٢) التهذيب ٢: ١٥٩ / ٦٢٥، و٤: ١٠٨ / ٣١٤.

حماد بن عيسى عن حريز عن أبي بصير وزرارة جميعاً قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام: (إنّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله من تمام الصلاة إذا تركها متعمداً فلا صلاة له)[1].

وفي الجملة فالاستدلال بها ينحو منحى الاستدلال بصحيحة عمر ابن أذينة حذو القذة بالقذة.

١٢ ـ معتبرة عبد الملك بن عمرو:

روى الشيخ الطوسي بإسناده الصحيح عن الحسين بن سعيد، عن صفوان عن عبد الله بن بكير عن عبد الملك بن عمرو الأحول، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (التشهد في الركعتين الأوليين: الحمد لله أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد وآل محمد، وتقبل شفاعته في أمّته وارفع درجته)[2].

أقول: السند إلى الحسين بن سعيد صحيح كما في المشيخة التي ذكرها الشيخ الطوسي في نهاية كتابيه التهذيب والفهرست ما في ذلك كلام[3]، أمّا بقية السند فرواته ثقات، نعم لم ينص أحد على وثاقة عبد الملك ولكنه مع ذلك ومع التصريح بكونه أمامياً، لم يقدح فيه أحد، بل هو في الجملة ممدوح مدحاً يُعتد به، ولا حاجة للتفصيل بعد اتفاق مشهور الأصحاب على اعتبار رواياته.

والاستدلال بها على نحو ما تقدم ولا أقل من الملازمة.

---

(١) الفقيه ٢: ١١٩ / ٥١٥.

(٢) التهذيب للطوسي ٢: ٩٢ / ٣٤٤.

(٣) التهذيب ١٠: ٦٣، الفهرست ٥٨: ٢٣٠، وممّن نص على صحة طريق الشيخ إلى الحسين بن سعيد النوري في خاتمة المستدرك ٦: ١١١ / ٢١٦.

١٣ ـ رواية علي بن حمزة:

قال الصدوق: محمد بن علي بن الحسين في معاني الأخبار: عن جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن أحمد بن حفص، عن أبيه، عن ابن أبي حمزة، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[(١)]؟ فقال: الصلاة من الله عز وجل رحمة، ومن الملائكة تزكية، ومن الناس دعاء، وأما قوله عز وجل: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فإنه يعني التسليم له فيما ورد عنه.

قال: فقلت له: فكيف نصلي على محمد وآله؟.

قال: (تقولون: صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وآل محمد، والسلام عليه وعليهم)

قال: فقلت: فما ثواب من صلى على النبي ﷺ بهذه الصلوات؟.

قال: (الخروج من الذنوب كيوم ولدته أمّه)[(٢)].

أقول: هذه الرواية واردة في بيان كيفية الصلاة وهي واضحة الدلالة على ضرورة إلحاق الآل، أمّا سندها فقد مر الكلام فيه.

١٤ ـ معتبرة عبد الرحمن بن كثير:

قال الشيخ الطوسي: أخبرنا جماعة، عن أبي المفضل، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الهمداني بالكوفة وسألته، قال: حدثنا محمد بن المفضل بن إبراهيم بن قيس الاشعري،

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) معاني الأخبار: ٣٦٧، وسائل الشيعة ٧: ١٩٦ ب: ٣٥ من أبواب الذكر.

قال. حدثنا علي بن حسان الواسطي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن كثير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده علي بن الحسين عليهما السلام، قال: لما أجمع الحسن بن علي عليه السلام على صلح معاوية خرج حتى لقيه، فلما اجتمعا قام معاوية خطيبا...، إلى أن قال الراوي: قال الحسن عليه السلام: (وفرض الله عز وجل الصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على كافة المؤمنين، فقالوا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليك؟).

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد» فحق على كل مسلم أن يصلي علينا مع الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فريضة واجبة)[(١)].

اقول: وسندها معتبر وإن تُكُلِّمَ في بعض جهاته..، وفي الجملة فرواتها ما بين الموثق والممدوح؛ وجهالة الجماعة في سند هذا الحديث لا تضر، على أنّ البحث في حال أبي المفضل ليس بالمهم أيضاً بعد إمكانية إجراء ما يسمّى بتعويض الأسانيد؛ وذلك لأنّ للشيخ الطوسي قدس سره طريق معتبر لأبي العباس أحمد بن محمد الهمداني (ابن عقدة) ومع ذلك لا نحتاج للبحث عن حال الجماعة ولا عن حال أبي المفضل..

فقد قال الشيخ في الفهرست: أخبرنا بجميع كتبه أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى الأهوازي عنه وكان معه خط أبي العبّاس بإجازته وشرح رواياته وكتبه[(٢)].

وأنت ترى أنّ هذا يدل في الجملة على اعتباره وصحة روايته عنه بخصوصه كما هو صريح أبي علي الحائري في منتهى المقال[(٣)].

أمّا باقي رواة الرواية فثقات سوى عبد الرحمن بن كثير..، وعبد

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٥٦٤.

(٢) الفهرست: ٢٨ / ٨٦.

(٣) منتهى المقال ١: ٣٤٤.

الرحمن هذا قال النجاشي عنه: ليس بشيء...»[١].

غير أنّ الاعتماد على قول النجاشي فيما نحن فيه لا يخلو من مجازفة؛ وذلك لأنّ الراوي عن ابن كثير في هذا السند هو علي بن حسان الواسطي الذي قال عنه الغضائري: ثقة ثقة (مرتان)[٢]، ولعلّك تعلم أنّ الغضائري لم يسلم من لسانه أحد حتى أجلّة الثقات، فما بالك إذا وثّق أحداً كعلي بن حسان بقوله: ثقة ثقة؟

أنا أعتقد أنّ الإعراض عن ابن كثير الهاشمي لمجرد قول النجاشي مع هذه الملابسات من أوضح المجازفات في عالم الرواية؛ خاصّة مع ملاحظة أنّ أئمة الحديث كالصدوق فضلاً عن الطوسي قد اهتموا برواياته وطرقه كما يعرف المتتبع لمسالكهم في التعامل مع الرواية، ولأجل كل ذلك قال الوحيد البهبهاني قدس سره:

ورواية هؤلاء الأجلة الثقات كتبه تشهد على الاعتماد بل والوثاقة، ويعضّده رواية المحدثين الأجلّة رواياته في كتب الأخبار، واعتناؤهم بها واعتمادهم عليها وإفتاؤهم بمضمونها وإكثارهم من ذلك، فتدبر[٣].

والحاصل: فإنّ رواية ابن كثير هذه بل كل رواياته معتبرة فيما نرى، ومن أوضح المجازفات الاكتفاء بقول النجاشي فيما لو اكتنفته ملابسات من مثل التي ذكرناها، والله العالم بحقائق الأحوال.

ثمّ، وصراحة معتبرة ابن كثير تغني عن التعليق عليها بشيء؛ فهي نص في أنّ الصلاة على الآل فريضة واجبة!.

---

(١) رجال النجاشي: ٢٣٤ / ٦٢١.

(٢) منتهى المقال ٤: ٣٧٢.

(٣) تعليقة الوحيد البهبهاني: ١٩٢.

١٥ ـ صحيحة بكر بن محمد:

قال أبو العبّاس الحميري البغدادي في كتابه قرب الإسناد: حدثنا أحمد بن إسحاق، عن بكر بن محمد قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول ـ وقد قال بعض أصحابه ـ : (اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم).

فقال أبو عبد الله عليه السلام: (لا، ولكن: كأفضل ما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[١].

وهي واضحة الدلالة على إلحاق آل البيت عليهم السلام في الصلاة في كلٍ من الصيغتين، سواء أقلنا بأنّ الصيغة الثانية محمولة على أفضل الصيغ أم قلنا غير ذلك، بل بملاحظة الملازمة التي أكثرنا من ذكرها تدل الرواية على المطلوب بوضوح تام.

الاستدلال العام (دليل الملازمة):

ننبه على أنّ هناك روايات كثيرة غير التي أوردناها توفر العناصر الكاملة لبناء عملية الاستدلال الموضوعي على وجوب إلحاق آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عملية الصلاة المحمدية؛ اكتفينا بما نقلناه في هذا الفصل حفظاً لمنهج الدراسة عن العشوائية، على أننا سنذكر بقية الروايات في محلّها من الفصول والمباحث اللاحقة، وبإمكان القارىء أن يرجع إلى ما سنقوله في الاستدلال العام هنا بعد أن يمر مروراً إمعانياً بما أوردناه من روايات في هذا الفصل وبما سنورده لاحقاً ليتوضح له الاستدلال بشكل جيد.

وينبغي أن يقال إننّا بحثنا في كل الروايات المروية في كيفية الصلاة

---

(١) قرب الإسناد للحميري: ٤٠.

على الرسول ﷺ؛ الواجبة منها والمستحبة، في تشهد الصلاة اليومية وفي غيرها، في هذا الفصل وفي غيره من الفصول، فلم نقف على رواية واحدة؛ صحيحة معتبرة أو ضعيفة ساقطة قد اجتزأت بالرسول ﷺ فقط من دون ذكر الآل.

وأكثر من ذلك، وهو أننا أكثرنا من البحث والتنقيب والاستقصاء إلى حد الإسراف في مرويات أهل السنّة الواردة في بيان كيفية الصلاة فكذلك لم أقف على رواية تناست الآل، اللهمّ إلا رواية واحدة سقطت الآل منها سهواً، وآية ذلك أنّ أهل السنّة برمتهم لم يلتزموا بها في المرحلة التأسيسية من استدلالاتهم.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك أنّ كل تلكم الروايات الواردة في بيان كيفية الصلاة المحمدية المروية عن الفريقين، هي روايات متواترة، وأنّها جميعاً ذكرت الآل في عملية الصلاة، نستنتج بجزم ويقين أنّ إلحاق آل البيت بالرسول ﷺ في الصلاة المحمدية من الأمور المقطوعة الصدور عن وحي الله وشرعة التوحيد المقدسة.

وإذا كان الأمر كذلك فإنّ أقل ما يقال في الإعراض عن ذكر الآل في الصلاة المحمدية هو المخالفة الصريحة لطريقة الوحي فيما يتعلق بهذا الموضوع، ويؤسفني أن أقول أنّ الرأيويين كلهم مطبقون في مرحلة السلوك العملي على المخالفة الصريحة لهذه الظاهرة الوحيوية اليتيمة ..

أسميها يتيمة؛ لأنّ الوحي لم يعهد عنه أن يصب كل اهتمامه في شيء من الأشياء كما عهد عنه فيما يتعلق بآل الرسول ﷺ؛ فكل ما يتعلق بالمسائل المحورية للدين الإسلامي الحنيف تجد آل الرسول ﷺ هم موضوع الوحي الأول، وآية ذلك أنّنا بأي شيء نفسر قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وآية التطهير وبقية الآيات

الأخرى؟ ثمّ بأيّ شيء نفسّر التواتر في مواقف الوحي، في حديث الغدير، وحديث الثقلين، وحديث الصلاة على محمد وآل محمد...، هذا في المحور العام للدين.

وفي المحاور الخاصة، بأي شيء نفسر آلية الآل عليهم السلام في تصحيح الصلاة اليومية، وفي استجابة الدعاء، وفي الإذهاب بالنفاق وفي ترجيح كفة الميزان، وفي تحصيل الحسنات العظام و و....

وكيف كان فقد استقصينا كما ذكرنا جميع مرويات أهل الإسلام الواردة في بيان كيفية الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ، وفي بيان صيغتها التي يُتَعَبّد بواسطتها إلى الله تعالى جلّ ذكره، فوجدناها جميعاً وبلا استثناء تذكر الآل وتلحقهم بالرسول ﷺ في صيغة الصلاة، على اختلاف الصيغ قلة وكثرة، سعة وضيقاً، ففي الجميع تجد المقطع المقدس: «آل محمد» متجلياً أمامك تماماً.

وإذا ما اتفقت المدرستان الوحيوية والرأيوية في مرحلة الرواية على ذلك، فلا حيلة لنا إلاّ أن نرمي الرأيويين بمخالفتهم لمقررات النظرية الإسلامية في هذا الأمر، وأنّهم عاصون جميعاً بوضوح لا حاجة معه لتطويل الكلام.

ثمّ الذي نقصده بالاستدلال العام هو ما أوضحناه في مقدمة هذا الفصل..، وخلاصة القول فيه: إنّنا لم نقف ولا على أيّ رواية شيعية بل وسنيّة أيضاً تعرضت لصيغة الصلاة وتناست ذكر الآل، وهذا نحو آخر من الاستدلال يتطلب من الباحث أن يلاحظ كل روايات الصلاة (المعتمدة طبعاً) وفي أيّ موضوع كان، وحينذاك سيقف الباحث بنفسه على حقيقة الملازمة بين الرسول وآله في كل صيغ الصلاة..

الفصل الرابع

أدلّة حرمة الصلاة البتراء
في روايات أهل السنّة

أدلّة حرمة الصلاة البتراء
في روايات أهل السنّة

كما وعدناك عزيزي القارئ، سنستعرض ما يمكننا استعراضه ممّا استقصيناه من روايات الرأيويين الدالة على وجوب إلحاق الآل في عملية الصلاة المحمدية على صاحبها وآل بيته أفضل الصلاة والسلام حذو القذة بالقذة؛ فهاكها:

١ ـ صحيحة كعب بن عجرة

قال البخاري: حدثنا قيس بن حفص وموسى بن إسماعيل، قالا: حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا أبو فروة مسلم بن سالم الهمداني، قال: حدثني عبد الله بن عيسى سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: **ألا أهدي لك هدية سمعتها من النبي ﷺ؟**

فقلت: بلى فاهدها لي!

فقال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؛ فإن الله تعالى علمنا كيف نسلّم؟

فقال ﷺ: قولوا: **«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»**[1].

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١١٨.

أقول: قد رواه البخاري بطريق ثانٍ عن ابن أبي ليلى بقوله: حدثني سعيد بن يحيى، حدثنا أبي، حدثنا مسعْر عن الحكم عن ابن أبي ليلى به، وفيه: أنّ الرسول ﷺ قال: قولوا: **«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم أنك حميد مجيد»**(١).

أقول: لا حظ أنّ الفقرة: **«وبارك على محمد وآل محمد»** لم تفصل بين الآل والنبي ﷺ بحرف «على».

وبطريق ثالث بقوله: حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حديثا الحكم عن ابن أبي ليلى به(٢)...، وفيه ما ورد في الطريق الثاني الأنف.

وقد رواه مسلم بقوله: حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار (واللفظ لابن المثنى) قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن الحكم قال سمعت ابن أبي ليلى(٣)...، وساق عين ما ساقه البخاري عن شعبة.

ورواه أبو داود بقوله: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى به، إلاّ أنّ فيه: **«قولوا اللهمّ صل على محمد وآل محمد، كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد ومجيد»**(٤).

أقول: لاحظ عدم الفصل بـ: «على» بين النبي ﷺ والآل في كل من الفقرتين!.

---

(١) صحيح البخاري ٦: ٢٧.

(٢) صحيح البخاري ٧: ١٥٦.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١٦.

(٤) سنن ابي داود ١: ٢٢١.

كما ورواه النسائي بطريقين:

الأول: قال فيه: أخبرنا القاسم بن زكريا بن دينار من كتابه قال: حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن سليمان عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى...، وفيه: «**قولوا: اللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم**»[1] وبقيته على هذا النسق.

الثاني: أخبرنا القاسم بن زكريا قال حدثنا عن زائدة عن سليمان عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى[2] وساق عين ما ساقه البخاري في الطريق الأول.

الثالث: وهو ما رواه أبو داود آنفاً؛ قال ـ أي النسائي ـ : أخبرنا سويد بن نصر، قال: حدثنا عبد الله عن شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى به؛ وفيه:«**قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»[3].

أقول: لاحظ عدم الفصل بـ «**على**».

وفيما عدا ذلك روى الترمذي بقوله: حدثنا محمود بن غيلان، قال حدثني أبو أسامة عن مسعر والأجلح ومالك بن مغول عن الحكم بن عتيبة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به، وفيه: «**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنّك حميد مجيد وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم إنّك حميد مجيد**».

---

(١) سنن النسائي ٣ : ٤٧.

(٢) سنن النسائي ٣ : ٤٨.

(٣) سنن النسائي ٣ : ٤٨.

والترمذي علق على حديثه هذا بقوله: حديث كعب بن عجرة، حديث حسن صحيح[1].

دلالة الحديث الإجمالية:

إنّ حديث كعب بن عجرة من الأحاديث التي لم يشك بصدورها عن المصطفى الأمجد ﷺ قاطبة الرأيويين، فهو لا شك في كونه حديث صحيح كما قال الترمذي..

وتنبغي الإشارة إلى أنّ قول الترمذي: حسن لا يعني ما شاع من معنىً لهذا المصطلح الدرائي وأنّه الأقل اعتباراً من الصحيح، بل للترمذي مقصود آخر ليس هذا، وليس من غرضنا التعرض لذلك..

وفيما عدا ذلك فدلالة الحديث على مطلوبنا واضحة غاية الوضوح؛ إذ قد نص على الالتحاق الوحيوي للآل بالرسول ﷺ في عملية الصلاة المحمدية ﷺ، وفيما أعتقد اتضح لك أيضاً أن الحديث من باب أحاديث بيان كيفية الصلاة لا من أحاديث الصلاة عموماً.

وفي هذه الأحاديث المروية عن كعب المتعددة بتعدد الطرق مباحث نحوية غاية في الأهمية تتعلق بحرف الجر «على» سنتعرض لها بالتفصيل لاحقاً، ولأمور اخرى لن نتناساها.

٢ ـ صحيحة أبي مسعود (عقبة بن عمرو)

قال مسلم: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي قال: قرأت على مالك عن نعيم بن عبد الله المجمر أنّ محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري (وعبد الله

---

(١) سنن الترمذي ١: ٣٠١.

بن زيد هو الذي أري النداء) [١] أخبره عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد:

أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نصلي عليك؟

فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنّينا أنّه لم يسأله، ثمّ قال رسول الله ﷺ: قولوا: «**اللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنّك حميد مجيد، والسلام كما علمتم**» [٢] ورواه الإمام أحمد بثلاثة طرق:

الأول: قال فيه: حدثنا عثمان بن عمر، أخبرنا مالك عن نعيم به....، وفيه: «**قولوا: اللهمّ صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين، إنّك حميد مجيد**» [٣].

اقول: لاحظ عدم الفصل بـ: «على».

الثاني: قال: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، قال: وحدثني - في الصلاة على رسول الله ﷺ إذا المرء المسلم صلّى عليه في صلاته - محمد بن إبراهيم بن الحرث التميمي عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عبد ربه أخي الحارث بن الخزرج عن أبي مسعود...، وفيه: «

---

(١) هو الصحابي الذي يزعم البعض أنّه أريَ الأذان في المنام فأخبر الرسول ﷺ برؤياه تلك، وعلى أساس ذلك شرّعَ الرسول ﷺ الأذان في الإسلام، وهي مصيبة أخرى من مصائب الرأيويين؛ إذ كيف تقوم الأحلام مقام الوحي في تأسيس قواعد الدين؟!!.

(٢) صحيح مسلم ٢ : ١٦.

(٣) مسند أحمد ٤ : ١١٨.

فقولوا: اللهم صل على محمد النبي الأمّي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد النبي كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»[١].

أقول: لاحظ عدم الفصل بـ: «على» في بعض الفقرات.

الثالث: قال: قرأت على عبد الرحمن عن مالك، وحدثنا إسحاق عن مالك عن نعيم بالطريق السابق، وفيه: «**قولوا: اللهمّ صل على محمد على آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد، والسلام كما علمتم**»[٢].

ورواه الدارمي بقوله: أخبرنا عبيد الله بن عبد المجيد، حدثنا مالك عن نعيم...، وفيه: «**قولوا: اللهمّ صل على محمد وعلى وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد**»[٣].

ورواه الترمذي بقوله: حدثنا إسحاق بن موسى الأنصاري، أخبرنا معن، أخبرنا مالك بن انس عن نعيم بن عبد الله المجمر...، وفيه: «**قولوا: اللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد**».

وقد علق الترمذي على هذا الحديث بقوله: هذا حديث حسن صحيح والحاكم في المستدرك بقوله على بعض طرقه: صحيح على شرط مسلم[٤]، ولأهمّية ما رواه الحاكم سنورد الرواية بالكامل..

---

(١) مسند أحمد ٤: ١١٩.

(٢) مسند أحمد ٥: ٢٧٣.

(٣) سنن الدارمي ١: ٣٠٩.

(٤) سنن الترمذي ٥: ٣٧، مستدرك الحاكم ١: ٢٦٨ والدار قطني في سننه ١: ٣٥٥.

قال الحاكم:... عن أبي مسعود عقبة بن عمرو قال: اقبل رجل حتى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن عنده فقال يا رسول الله أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلوتنا صلى الله عليك؟

قال: فصمت حتى أحببنا أنّ الرجل لم يسأله ثم قال ﷺ: «**إذا أنتم صليتم علي فقولوا: اللهم صلى على محمد النبي الأمّي وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد**» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه فذكر الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله في الصلوات[1].

أقول: واهمية هذه الرواية في كونها نص على وجوب الصلاة على محمد وآل محمد في تشهد الصلاة اليومية.

وفيما يخص آل محمد ﷺ من خلال هذه الرواية فقط لنا أن نتساءل بشكل موضوعي: وهو أنّ الله سبحانه وتعالى إذا كان قد أوجب الصلاة على آل محمد تبعاً للصلاة على محمد ﷺ في الصلاة اليومية؛ والتي هي من أعظم فروع الدين ومن أهمّ الواجبات الإسلامية، فما بالك بالصلاة عليهم في غير هذا الفرض؟

نحن نقطع أنّه أولى!!!

٢ ـ رواية أبي سعيد الخدري

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث قال: حدثنا ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول

---

(١) مستدرك الحاكم ١: ٢٦٨.

الله هذا التسليم عليك، فكيف نصلي عليك؟

قال ﷺ: «قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم».

أقول: هكذا رواها البخاري عن الليث من هذا الطريق، ولكن من طريق آخر قال البخاري نفسه: حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد (وهو ابن الهاد) به، وفيه: «... كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»[1].

ورواه أحمد بقوله: حدثنا عبد الملك بن عمرو، حدثنا عبد الله بن جعفر الزاهري عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن عبد الله بن الخباب عن أبي سعيد الخدري نحو ما تقدم[2].

ورواه النسائي بقوله: أخبرنا قتيبة قال: حدثنا بكر وهو ابن مضر عن ابن الهاد عن عبد الله بن خناب عن أبي سعيد الخدري بنحو ما تقدم[3].

رواية أبي سعيد لم تذكر الآل:

ثمّ أقول: وهذه هي الرواية الوحيدة في عالم الإسلام التي ذكرت الصيغة من دون ذكر الآل؛ فهي من هذه الناحية شاذّة لا محالة، أو نقول بأنّ لفظ الآل ساقط منها قطعاً، وهذا هو الصحيح؛ فإنّ كل روايات الإسلام المتواترة الواردة في بيان الصيغة جازمة بإلحاق الآل، ومع ذلك

(١) صحيح البخاري ٦: ٢٧.

(٢) مسند أحمد ٣: ٤٧.

(٣) سنن النسائي ٣: ٤٩

وعلى ضوء حساب الإحتمالات يكون احتمال أنّ الرسول ﷺ لم يذكرها قريب من الصفر، وعلى أسوأ التقادير رواية أبي سعيد خبر واحد وهو لا ينهض لمعارضة المتواتر.

ولكن هذا إذا قلنا إنّ رواية أبي سعيد سالمة من العلة أو الاضطراب، والحال أنّها ليست كذلك؛ إذ أنّ صيغة الصلاة التي رواها البخاري في الطريق الأول هي: **«قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم»**.

وفي الطريق الثاني: **«... كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»**

وفيما رواه ابن أبي شيبة يتجلّى الاضطراب أكثر فقد روى عن أبي سعيد هكذا: **«اللهم صل على عبدك ورسولك كما صلّيت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم»**[1].

فانظر إلى شدة اضطراب متن الرواية مع أنّها واحدة، ومع هذا الاضطراب تسقط عن الحجية لا محالة، اللهم إلاّ إذا قلنا بترجيح إحتمال سقوط لفظ: «الآل» بملاحظة الروايات المتواترة الذاكرة لهذا اللفظ، وهذا هو الذي اختاره ابن حجر في فتح الباري[2].

ويؤيد ما ذهبنا إليه وما ذهب إليه ابن حجر هو أنّ في بعض طرق رواية أبي سعيد: **«وبارك على محمد وآل محمد»** وهو يوضح سقوط لفظ الآل في المقطع الأول من الحديث.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٨: ٢٥٢.

(٢) فتح الباري ١١: ١٣٢.

٤ ـ صحيحة أبي هريرة

قال الشافعي: أخبرنا إبراهيم بن محمد أخبرنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: يا رسول الله ﷺ كيف نصلي عليك؟

فقال ﷺ: «**تقولون: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم ثمّ تسلمون علي**»[١].

أقول: وهذه الرواية أيضاً لم تفصل بين النبي ﷺ والآل بـحرف الجر على.

وقال ابن القيم الجوزية:قال محمد بن إسحاق السراج: أخبرني أبو يحيى، وأحمد بن محمد البرتي، قال: أنبأنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، أنبأنا داود بن قيس عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة أنّهم سألوا رسول الله ﷺ كيف نصلي عليك؟

قال ﷺ: «**قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم**».

وقد علق ابن القيم على هذا الحديث بقوله: وهذا الاسناد صحيح على شرط الشيخين[٢].

(١) مسند الشافعي: ٤٢، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢: ١٤٤، رواه البزاز ورجاله رجال الصحيح.

(٢) جلاء الأفهام: ٤٠.

٥ ـ صحيحة طلحة بن عبيد الله

قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن بشر، حدثنا مجمع بن يحيى الأنصاري، حدثنا عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ بعد أن سألته كيف الصلاة عليك:

«قل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنّك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد»[(١)].

ورواه النسائي قال: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أنبأنا محمد بن بشر، قال: حدثنا مجمع بن يحيى بالإسناد المتقدم إلاّ أنّ فيه: **«قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[(٢)].

ورواه النسائي ثانياً قائلاً: أخبرنا عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن سعد قال: حدثني عمي قال: حدثنا شريك عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه أنّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال كيف نصلي عليك؟

فقال النبي ﷺ: **«قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[(٣)].

---

(١) مسند أحمد ١: ١٦٢.

(٢) سنن النسائي ٣: ٤٨.

(٣) سنن النسائي ٣: ٤٨.

٦ ـ صحيحة زيد بن خارجة

قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن بحر، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا عثمان بن حكيم، حدثنا خالد بن سلمة أنّ عبد الحميد بن عبد الرحمن دعا موسى بن طلحة حين عرس على ابنه فقال، يا أبا عيسى كيف بلغك الصلاة على النبي ﷺ ؟

فقال موسى: سألت زيد بن خارجة عن الصلاة عن النبي ﷺ، فقال زيد: إني سألت رسول الله ﷺ نفسي كيف الصلاة عليك؟

فقال ﷺ : «صلّوا واجتهدوا ثمّ قولوا: اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنّك حميد مجيد»[١].

أقول: هذا، ولكن النسائي رواه بنحو آخر بقوله: أخبرنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي في حديثه عن أبيه عن عثمان بن حكيم عن خالد بن سلمة عن موسى بن طلحة قال: سألت رسول الله ﷺ، فقال ﷺ : «صلّوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا: اللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد»[٢].

وفي سنن النسائي الكبرى: «صلّوا واجتهدوا في الدعاء وقولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد»[٣].

أقول: فلاحظ ما في سنن النسائي الكبرى؛ إذ الرواية لم تفصل بـ: على.

٧ ـ معتبرة بريدة الخزاعي

قال الإمام أحمد: حدثني يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل عن أبي داود الراعي عن بريدة الخزاعي قال: قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف

(١) مسند أحمد ١: ١٩٩.

(٢) سنن النسائي ٣: ٤٨.

(٣) سنن النسائي الكبرى ٦: ١٩

نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟

قال ﷺ: **«قولوا: اللهمّ اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**(١).

٨ ـ صحيحة عبد الله بن مسعود

قال ابن ماجة القزويني: حدثنا الحسن بن بيان، حدثنا زياد بن عبد الله المسعودي، عن عون بن عبد الله، عن أبي فاختة، عن الأسود بن يزيد، عن عبد الله بن مسعود، قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعلّ ذلك يعرض عليه.

فقالوا له: فعلمنا!

فقال: **«قولوا: اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللهم بارك على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**.

ولا ريب في أن رجال هذا الحديث ثقات كما هو صريح الزوائد(٢).

ثمّ إنّ الحديث موقوف على ابن مسعود وليس هو بمرفوع إلى رسول الله ﷺ، ولكن لا يضر ذلك بحال، فهو وإن كان موقوفاً إلاّ أنّ له حكم

---

(١) مسند أحمد ٥: ٣٥٣.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٢٩٣.

المرفوع؛ وسبب ذلك ما قرّره علماء الحديث من أنّ ما لا مجال للإجتهاد فيه يأخذ حكم المرفوع وليس هو بموقوف على الحقيقة، ومعلوم أنّ نص ابن مسعود أعلاه لا يمكن ادّعاء أنّه ممّا اجتهده مجتهد واستنبطه مستنبط، لأنّ سياقه ومضمونه يأبيان ذلك ولا بدّ على ذلك أن يكون أصله نفس المشرّع؛ رسول الله ﷺ ليس غير، ويدلّ على ذلك..

٩ـ رواية أخرى عن ابن مسعود

حدثنا عبدان بن أحمد ثنا محمد بن يحيى القطعي ثنا محمد بن بكر البرجاني ثنا عبد الوهاب بن مجاهد حدثني مجاهد قال حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو معمر قال: علمني بن مسعود المنكدر وقال: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] **«التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل على محمد وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم صل علينا معهم اللهم بارك على محمد وأهل بيته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك علينا معهم صلوات الله وصلاة المؤمنين على محمد النبي الأمي السلام عليه ورحمة الله وبركاته»**[٢].

---

(١) من الوقاحة بمكان أنّ معجماً حديثياً مهمّاً كمعجم الطبراني هذا، في الوقت الذي يروي عن رسول ﷺ الصلاة على محمد والصلاة على آل محمد على السواء، وفي صيغة واحدة نجده يقول كما في الرواية أعلاه: علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم، من دون ذكر الآل، والأمر هو الأمر مع صحيحي البخاري ومسلم (أصحّ كتابين بعد القرآن كما يزعم البعض) بل لك أن تعمّم ذلك إلى كل كتب حديث أهل السـنّة بل إلى غير الكتب، وسيعلم الذين ظلموا آل محمد أيّ منقلب ينقلبون!!!

(٢) المعجم الكبير ١٠: ٥٤.

سيتبين لك فيما بعد أنّ روايات الصلاة التي روتها الصحاح والمسانيد السنية مضطربة متناً من عدة جهات، وعلى هذا فلا يجوز الاحتجاج بآحادها على نحو الاستقلال إلاّ بعد الترجيح، ولكن هذا الاضطراب بأيّ وجه من الوجوه لا يضر باستدلالنا على وجوب ضم الآل للرسول ﷺ لا من قريب ولا من بعيد، وسبب ذلك أنّ الروايات متفقة وصريحة في مطلوبنا، وهذا الاتفاق دليل قطعي على أنّ الروايات من هذه الجهة فقط ليست بمضطربة؛ فالتفت إلى ذلك.

نعم، هي مضطربة من جهة أنّ بعضها فصل بين الرسول والآل بحرف الجر «على» وبعضها لم يفصل بأكثر من حرف العطف الـ «و»، وهي كذلك مضطربة من جهات أخرى ستقف عليها بنفسك...

١٠ ـ صحيحة عبد الله بن جعفر

روى الحاكم النيسابوري بسنده الصحيح عن بكير بن مسمار مولى عامر بن سعد، سمعت عامر بن سعد يقول قال سعد: نزل على رسول الله الوحي فأدخل علياً وفاطمة وابنيهما تحت ثوبه ثم قال: «**اللهمّ هؤلاء أهل بيتي**».

ثمّ قال الحاكم: حدثني أبو الحسن إسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعراني، حدثنا جدي، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة الحزامي، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، حدثني عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة قال: «**ادعوا لي ادعوا لي**»!

فقالت صفية: من يا رسول الله ﷺ؟

فقال ﷺ: «**أهل بيتي؛ علياً وفاطمة والحسن والحسين**» فجيء

بهم فالقى عليهم كساء، ثم رفع يديه ثم قال: **«اللهمّ هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد، وأنزل الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ »**.

ثم علق الحاكم على هذا الحديث بقوله: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

١١ ـ رواية عبد الله (ابن عمر أو ابن عمرو)

قال الجهضمي: حدثنا يحيى الحماني قال: حدثنا هشيم قال: حدثنا أبو بلج: حدثني يونس مولى بني هاشم قال: قلت لعبد الله بن عمرو أو ابن عمر كيف الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؟

قال: **«اللهم اجعل صواتك عنه وبركاتك ورحمتك على سيد المسلمين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير اللهم ابعثه يوم القيامة مقاما محمودا يغبطه الأولون والآخرون وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»**[2].

هذه الرواية وإن كانت موقوفة، لكنّها تأخذ حكم المرفوع كما تقدّم عليك في رواية ابن مسعود؛ لأنّها ممّا لا مجال للاجتهاد فيها كما هو مقرر في محلّه في مثل هذه الموارد.

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٧.

(٢) فضل الصلاة على النبي للجهظمي: ٦٠.

دلالة روايات الرأيويين المتقدمة

أوضحت لك الروايات المتقدمة ذات الطرق التي لا يشك بكونها صحيحة ومعتبرة بل التي يمتنع تواطؤ رواتها على الكذب وفي كل الطبقات (=المتواترة) أنّ إلحاق الآل في عملية الصلاة المحمدية أمرٌ من الأمور الواجبة في الشريعة الإسلامية؛ وذلك لأنّ الرسول المصطفى مطلوب منه شرعاً تبيين مقاصد السماء وما جاء به الوحي حسبما تملي عليه وظيفته المقدسة المطوية في كونه أشرف الخلق أجمعين وسيد الأنبياء والمرسلين؛ والملاحظ ممّا تقدم في كل بياناته المقدسة ﷺ قال: «قولوا...»، وهو أمر اتفق الناس على كونه ظاهراً في الوجوب..

على أنّ متعلق هذا الوجوب هو الصلاة عليه وعلى آله على السواء؛ الأمر الذي نطقت به وبلا خوف كل روايات الباب الآنفة.

ولكن قد يقال إنّ رواية أبي سعيد الخدري قالت: «**قولوا: اللهمّ صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم**» ولم تذكر الآل.

ونحن وإن كنا أجبنا على ذلك سابقاً ولكن لحساسية المسألة ومراعاة لحال القارئ الكريم نعاود الكرة قائلين: إنّ هذه الرواية ومن دون ملاحظة المعطيات العلمية الخارجية لا أهلية لها لأن تقاوم الروايات المتواترة الأخرى المصرحة بذكر الآل، على أنّه لم يدّع أحد أنّ لها القابلية لأن تقف أمام ما رواه عقبة بن عامر (أبو مسعود) وكعب بن عجرة وأبو

هريرة وطلحة بن عبيد الله وزياد بن خارجة وعبد الله بن مسعود وبريدة الخزاعي وغيرهم، المصرح بذكر الآل؟!

هذا إذا قيل بمعارضة رواية أبي سعيد للروايات المتواترة الأخرى المصرحة بذكر الآل، ولكن قد لا نحتاج إلى الترجيح انطلاقاً من عدم وجود معارضة؛ لقوة احتمال سقوط الآل في رواية أبي سعيد من النساخ؛ وآية ذلك أنّ في ذيل الرواية المروية عن أبي سعيد: «**وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم**» الذي لا يتلائم مع صدرها الذي يقول: «**اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم**» بشهادة كل روايات الباب.

واضح جداً أنّ هذا الكلام غير بليغ ولا يلائم بلاغة وفصاحة سيد من نطق بالضاد؛ لكونه مرتبكاً كما ترى، ويؤكد ذلك أنّ بعض الطرق روت عن أبي سعيد ـ كما عرفت آنفاً ـ : «**...كما صليت على إبراهيم...**» وفيما سقناه آنفاً: «**... آل إبراهيم...**» فما هو الصحيح؟

إن قلت: نلجأ للروايات الأخرى المتواترة التي رواها أبو هريرة وكعب بن عجرة وأبو مسعود وعامر بن مسعود وابن مسعود وزيد بن خارجة وبريدة وطلحة؛ لنحكم بسقوط لفظ «**آل محمد**» كما فعل ابن حجر، ثبت المطلوب، وإلاّ فيضرب بهذه الرواية من هذه الجهة لنكارتها وشذوذها عرض الجدار؛ إذ نحن نميل وندور مع التواتر حيثما دار ولا نلتفت مع ما يعارضه إذا كان شاذاً أو منكراً أدنى التفاتة.

ولكن لا حاجة لذلك؛ لأنّ ذيل رواية أبي سعيد قرينة قوية على إلحاق الآل بالرسول في عملية الصلاة، الأمر الذي يجعلنا نعتقد بسقوط الآل في صدرها بسبب نسيان النساخ والرواة أو تناسيهم، وقد تقدم عليك أنّ ابن حجر ذهب إلى ذلك!!.

هذا إذا لم نلتفت للمعطيات العلمية الخارجية (أعني خارج حلبة البحث الروائي) فإنّنا إذا صرنا حيال إجماع مدرسة الرأيويين (فضلاً عن إجماع الوحيويين) الذي يقرر إجمالاً في المرحلة النظرية دخول الآل في عملية الصلاة تتلاشى المشكلة من الأساس....

تواتر الروايات:

مهما يكن من أمر، فالروايات كما اتضح متواترة في وجوب إلحاق الآل في عملية الصلاة المحمدية؛ رواها طائفة من الصحابة لا يستهين الرأيويون بشأنهم ولا بعددهم، وللتسليم بامتناع تواطئهم وتواطؤ من روى عنهم على الكذب.

وفي الجملة: فإنّ المدرسة الرأيوية لم تشك أدنى شك بصدور روايات إلحاق الآل بالرسول ﷺ.

فهي من رواية عشرة من الصحابة على أقل التقادير..

١ ـ كعب بن عجرة

٢ ـ أبو مسعود عقبة بن عمرو

٣ ـ أبو سعيد الخدري

٤ ـ أبو هريرة

٥ ـ طلحة بن عبيد الله

٦ ـ زيد بن خارجة

٧ ـ بريدة الخزاعي

٨ ـ عبد الله بن مسعود

٩ ـ عبد الله بن جعفر

١٠ ـ عبد الله بن عمر أو عبد الله بن عمرو

وفي الجملة لا توجد رواية رواها أهل السنّة في بيان كيفية الصلاة إلاّ كانت ذاكرة للآل، وعلى الأقوى حتى رواية أبي سعيد الخدري في ضوء البيان المتقدم..

ظاهر الروايات الوجوب وحرمة الصلاة البتراء:

لم يختلف أهل الإسلام في أنّ ظاهر الأمر الوجوب، وكما علمت فكل الروايات الصحيحة السابقة آمرة بالصلاة بهذه الصيغة:«**اللهم صل على محمد وآل محمد**» أو بهذه الصيغة: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**» وعلى كل من التقديرين فإنّ ترك الصلاة على الآل والاكتفاء بالصلاة على محمد ﷺ فقط عصيان واضح لقوله ﷺ: «**قولوا**» وهذا يعني أنّ كل التاركين للآل عاصون بما تحمل الكلمة من معنى؛ بداهة أنّ مخالفة الأمر الملزِم عصيان، وقد قال ابن حجر في الصواعق المحرقة وهو في صدد الحديث عن قوله ﷺ: «**قولوا**»: والأمر حقيقة في الوجوب[1].

ويؤيد ذلك بل يدل عليه ما أرسله ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة إرسال المسلّمات بقوله: ويروى: «**لا تصلّوا الصلاة البتراء عليَّ الصلاة البتراء**»

فقالوا: وما الصلاة البتراء؟

فقال ﷺ: «**تقولون: اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد** »[2].

وقول الرسول ﷺ:«**لا تصلّوا**» نهي وهو ظاهر في الحرمة بالاتفاق.

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٣٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٤٦، وانظر ينابيع المودة ١: ٣٩ الذي أرسله إرسال المسلّمات أيضاً ومثلهما فعل الشعراني في كشف الغمّة ١: ٢١٩، طبعة مصر/مصر/الطبعة الميمنية.

محاولة مضحكة:

ومن المحاولات البارزة المضحكة هي محاولة إلحاق الأزواج بالرسول وبالآل في عملية الصلاة المحمدية؛ ومن ذلك ما نسب زوراً إلى الرسول ﷺ من خلال هاتين الروايتين الملصقتين بالإسلام عنوة:

الأولى: قال أبو داود: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حبان بن يسار الكلابي، حدثني أبو مطرق عبيد الله بن طلحة بن عبد الله بن كريز، حدثني محمد بن علي الهاشمي عن المجمر، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«من سرّه أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلّى علينا أهل البيت فليقل: اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على آل إبراهيم إنّك حميد مجيد»**[1].

غير أنّ هذا الحديث لا يمكن الركون إليه ولا الاستناد عليه في إثبات إلحاق الأزواج؛ لأنّه من رواية حبان بن يسار..

وحبّان هذا أحسن ما يقال فيه ما ذكره الإمام المزي بقوله: روى له أبو داود حديثاً واحداً مُعَلاً أو معلّلاً (أي ليس بحجة) وساق الحديث الآنف[2].

وفيما عدا ذلك نص المزي على أنّ له حديثاً مُعَلاً يشبه السابق رواه عنه النسائي بقوله: حدثني أبو الأزهر أحمد بن الأزهر عن عمرو بن عاصم عن حبان بن يسار عن عبد الرحمن بن طلحة الخزاعي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن علي بن الحنفية عن علي عن رسول الله قال: «من سرّه أن...» ثم ذكر بقيته مثل ما رواه عن أبي هريرة سواء[3].

---

(١) سنن أبي داود ١: ٢٢٢.

(٢) تهذيب الكمال: ترجمة رقم ١٠٥٩.

(٣) تهذيب الكمال: ترجمة رقم ١٠٥٩.

هذا ولقد تتبعت كلمات الرأيويين فيه، فلم أجد من احتج به أو وثقه محتجاً به، فهاك أهم ما قاله أساطينهم:

قال البخاري: قال الصلت بن محمد: رأيته آخر عمره وذكر منه اختلاطاً(١).

وقال أبو حاتم: ليس بالقوي ولا بالمتروك(٢).

وقال ابن عدي: وحديثه فيه ما فيه لأجل الاختلاط(٣).

ولأجل كل ذلك ذكره العقيلي في كتابه الضعفاء(٤).

وقد ذكره ابن حبان في كتابه المجروحين من الرواة ولكنّه سهى فسماه حبان بن زهير أبا روح الكلابي مع أنّ اسم أبيه يسار(٥).

والإمام الذهبي فعل مثل ابن حبان حيث أورده في كتابه الميزان الذي صنفه في ضعفاء الرواة(٦).

على أنّ هذا الحديث فيما عدا ذلك من رواية أبي مطرف عبيد الله بن طلحة الخزاعي المجهول الحال، ولا يغرّنك إيراد ابن حبان له في كتاب الثقات؛ فإنّ هذا الكتاب عند علماء الرأيويين لا يدل على وثاقة الذي فيه مطلقاً، وآية ذلك أنّك لو راجعت كتابه مراجعة متأنية لرأيت أنّ ابن حبان نفسه يصرح في بعض الرواة أنّه لا يعرفهم (مجاهيل).

---

(١) تهذيب الكمال ٥: ٣٤٧، التاريخ الكبير للبخاري ٣: ٨٧.

(٢) الجرح والتعديل ٢: ٢٧٠.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٢: ٤٢٤.

(٤) ضعفاء العقيلي ١: ٣١٩.

(٥) المجروحين لابن حبان ١: ٢٦١.

(٦) ميزان الاعتدال ١: ٤٤٩.

وأمر ثالث وهو أنّ محمد بن علي الهاشمي مجهول الحال أيضاً كما هو صريح ابن حجر في تقريب التهذيب[١].

أقول: لا ريب بعد ذلك أن يضرب بهذا الحديث عرض الجدار.

الثاني: قال البخاري: وقال إسماعيل؛ عبد الله بن أبي بكر حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك بن أنس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي، قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنّهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟

فقال رسول الله: **«قولوا اللهمّ صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[٢].

أقول: احتج من احتج بهذا الحديث الموضوع على أنّ الآل هو مجموع الزوجات والذرية.

وقد حمل عنّا الشوكاني في نيل الأوطار مؤونة الجواب عن هذه السخافة بقوله: ولكنّه يشكل على هذا امتناعه ﷺ من إدخال أم سلمة تحت الكساء بعد سؤالها ذلك، وقوله ﷺ عند نزول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ مشيراً إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، اللهم إنّ هؤلاء أهل بيتي بعد أن جللهم بالكساء.

وحديث الكساء قال عنه الشوكاني في نفس كتابه المشار إليه: الحديث الثابت في صحيح مسلم وغيره[٣]، هذا شيء..

---

(١) تقريب التهذيب ٢: ٩٧ .

(٢) صحيح البخاري ٤: ١١٨.

(٣) نيل الأوطار ٢: ٣٢٧.

والشيء الآخر هو اضطراب هذه الرواية متناً؛ إذ قد رواها عبد الرزاق بقوله:

عن معمر عن ابن طاووس عن أبي بكر بن محمد عن عمرو بن حزم عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «**اللهم صل على محمد وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى** آل إبراهيم، **إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى أهل بيته، وأزواجه، وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» قال ابن طاووس: وكان أبي يقول مثل ذلك[1]، ومع مثل هذا الاضطراب تسقط عن الحجيّة لا محالة.

وهذا الطريق عزيزي القارئ، صحيح سنداً على مباني أهل السنة بالإجماع، بل هو كذلك على شرط الشيخين، وذلك بعد إجماعهم على أنّ إهمال ذكر الصحابي لا يضر.

ثمّ لنا أن نتساءل: هل أنّ أهل البيت هم ليسوا من الأزواج وليسوا من الذرية، أم هم من الذرية دون الأزواج، أم هم الأزواج دون الذرية، أم هم الملفقون من الاثنين معاً؟!!!

وكيف يمكننا أن نجيب على هذه الأسئلة من خلال النص المضطرب أعلاه؟

وكيف يتلائم هذا النص مع النص الذي رواه مالك آنفاً؟

بل كيف يتلائم صدر هذا النص مع ذيله بل مع ذيل كل الروايات التي قالت: «**كما صليت على آل ابراهيم**» أو «**وكما باركت على آل إبراهيم**»؟

---

(١) مصنف عبد الرزاق ٢: ٢١١.

أليس مدار التشبيه في كل الروايات هي لفظة الآل في صدر الحديث وفي ذيله؟

فكيف انقلبت لفظة الآل في صدر رواية مالك فقط دون روايات بني البشر إلى الأزواج والذرية؟

ولماذا يروي مثل هذه الرواية رجل مثل الإمام مالك لا يحب علياً وآهل البيت كما ستقف على ذلك بنفسك؟

وهل من الصدفة أن يروي هذا الأمر مالك فقط؟!!

وليته رواها كما رواها عبد الرزاق من دون حذف كلمة أهل البيت، طبعاً على ما في رواية عبد الرزاق من اضطراب أيضاً!!!

رواية مالك في محكمة التاريخ:

وفيما عدا ذلك دعنا عزيزي القارىء نقف وقفة تاريخية وتراثية سريعة مع رواة هذا الخبر الموضوع، وهم مالك بن أنس وعبد الله بن أبي بكر وأبوه، أمّا الأخيران فهما كما لعلك تعرف أو لا تعرف فأبرز رجالات دولة بني أمية فيما يتعلق بالمجال الثقافي الإسلامي، وكانا ينتقيان من الدين ما يلائم طريقة الحكم الأموية ويضربان بما لا يلائم تلك الطريقة عرض الجدار وليس من شك في أنّهما كانا يقولبان الفقه والحديث لأجل بني أمية عند الحاجة وعند الطلب، وكان سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين بمرأى وبمسمع منهما، وكان يريان الوحشية الأمويّة بأجلى صورة وهي تمارس بمحبي محمد وآل محمد؟

ومع كل ذلك فهل تتوقع منهما أن يرويا ما فيه نصرة لخصوم بني أمية، وهم آل بيت رسول الله ﷺ؟

ولو سلمنا أنّهما ثقتان حسب معايير علم الرجال، فهل ستسمح لهما فاشية ونازية الأمويين بالرواية في مثل هذه الأمور؟

وإذا كانت صيغة: «**اللهمّ صل على محمد وآل محمد**» من آليات الوحي للإبقاء على الدين، ولفضح زيف الأساطير التي تتعاطاها السياسة بكثرة؛ فهي إذن مع بقية الآليات الوحيوية الأخرى قادرة على محو مبادئ الميكافيلية الأموية، وبالتالي على محو دولتهم من الوجود.

إنّ الأمويين لا شك في أنّهم يبغضون آل محمد بغضاً فاق حد التصور البشري؛ فالجمل وصفين والنهروان[1] وكربلاء وحتى الساعة لآيات لأولي الألباب؛ بل لا شك أيضاً في أنّهم يبغضون المحبين والموالين لآل محمد، وليس بعد قتل معاوية لبعضهم صبراً ودفنه بعضهم الآخر أحياء وتتبعه للباقين تحت كل حجر ومدر لمجرد أنّهم رفضوا الانصياع لسياسته في سب علي من دليل على ذلك.

ومن ثمّ فإنّ الأمويين لأجل ذلك وكما هو صريح من لا يستهان بهم من المؤرخين قد وضعوا أحاديث في ذم آل البيت إعاقة لحركة آليات الوحي التي بحوزة آل البيت، تلك الآليات القادرة على محو دولتهم من على وجه الأرض، وفي مقابل ذلك أو في عرض ذلك وضعوا بواسطة أزلامهم أحاديث في فضائل بني أمية تضحك منها الثكلى كثيراً..

ومن شأن مجموع هذين اللونين من الحديث المصنوع والمنحول إماتة الحس الديني عند المسلمين عموماً؛ إذ أنّ وجود دولتهم مع وجود مثل هذا

---

(١) أقول الجمل؛ لأنّها إنّما حصلت بتخطيط أموي، وعائشة فيما أرى كانت آلة مختارة ضمن هذا التخطيط؛ لأنها لم تكن تحب علياً ﷺ، وكذلك النهروان وغيرها؛ فهي على ما اعتقد نتاج سياسي أموي متطور لإرباك المسيرة العلوية وإن كان الخصوم الظاهريون هم الخوارج وليس الأمويين.

الحس بالانتماء الصحيح للدين على طرفي نقيض، الأمر الذي يقلق مضجع الأمويين، بل هو الأمر الذي دعا الأمويين لانتهاج مشروع إماتته الحس الديني، ذلك المشروع الذي حقق إنجازات كبيرة لا إنسانية اهتز لها عرش الرحمن، ومنها سب آل البيت عليهم السلام سبعين أو ثمانين سنة على منابر الجحود اللاإسلامية.

عزيزي القارئ ومن ذلك واقعة كربلاء التي برهن فيها الأمويون وبجدارة منقطعة النظير على بغضهم الكامل للوجود الوحيوي المتجسم بمحمد وآل محمد ﷺ، وإذا ما حدّثنا البعض بأنّ القتل من شأن الرجال وأنّ القتل لآل بيت رسول الله ﷺ عادة وكرامتهم من الله الشهادة فما ذنب الرضع الأطفال؟!!!

ولنعطف عنان القلم إلى واقعة الحرة التي يصف فيها المؤرخون (الرأيويون طبعاً فضلاً عن غيرهم) أنّ الأمويين وأزلامهم لم يبقوا في مدينة رسول الله ﷺ من باكر، فعلى أقل التقادير جاء الأمويون (قيادات الإسلام وممثلي الله في عباده) إلى هذه المدينة الطيبة وإلى أهلها المسلمين وأخذوا ببناتها البواكر إلى حيث الفضيحة التي اهتز لها عرش الرحمن من فوق سبع السماوات.

ثم فلنأت إلى الإمام العظيم مالك بن أنس زعيم المذهب المالكي، والذي تحقق عندنا أنّه لم يكن يحب علياً عليه السلام لا قليلا ولا كثيراً وكذلك آل بيت رسول الله ﷺ، هل تتوقع منه وهو يعيش في كنف السياسة التي هي على الدوام مع آل بيت محمد ﷺ على طرفي صراع أن يحب آل البيت عليهم السلام أو أن يروي عنهم ما جاء به الوحي؟

وهل هذا يرضي السياسة؟

أو هل هو يرضي نزعة مالك الأموية العباسية (اللاعلوية).

إذا تقرر ذلك؛ فلا ريب عندنا في أنّ هذا الحديث موضوع، ولعن الله من وضعه غاية اللعن وأقصاه، والله ورسوله وآل بيته ﷺ منه براء، ولهذا الكلام تتمة أهم من ذلك تأتي فيما بعد في محلها؛ لأنّ الالتزام بهذا الحديث تكذيب لرسول الله ﷺ في الضروريات الدينية، كما ألمح أو أومأ إلى ذلك الشوكاني في نيل الأوطار، فالتفت.

ولكن لا بأس بالإشارة إلى بعض النصوص التاريخية المهمة التي تحدد هوية الإمام مالك اللاعلوية، وأنّ تراثه مستقى عن هذه الشرعة اللاوحيوية، نريد من خلالها بيان حقيقة أنّ تراث مالك الرأيوي يقف عائقاً كاملاً أمام مسيرته الصحيحة في رواية الحديث النبوي!!!

مؤثرات التراث على رواية الإمام مالك:

ذكرت لك سابقاً عزيزي القارئ أنّ التراث يتقوم ذاتياً بمجموعة من الخصائص الذاتية التي على أساسها تتحدد بدقة أو بما يقرب من الدقة هوية مجتمع معين أو دين معين أو فئة معينة، وأكثر من ذلك وهو أنّ التراث تُحَدَّد من خلاله هوية الشخص نفسه، بداهة أنّ الشخص لابد أن يكون منتمياً إلى فئة معينة بأيديولوجية وعقيدة خاصة، هذا من جهة..

ومن جهة أخرى فإنّ المناهج الكلاسيكية كما ذكرنا لك أيضاً عاجزة أو متكاسلة (ما شئت فعبر) عن قرائة النصوص الوحيوية أو المنسوبة للوحي بشكل موضوعي بمعنى أنّها لم تعط الدور الذي ينبغي أن يُعْطَى لقواعد العلوم الإنسانية (بالأخص علم النفس والمجتمع ومعرفة الإنسان) لكي تؤتي القراءة أكلها في كل حين..

بناء على ذلك وانطلاقاً من منهج البحث الموضوعي لا يسعنا أن نتناسى تأثير التراث الذي ينتسب إليه الإمام مالك بن أنس والذي يحدد هويته الإسلامية، ولا أن نتناسى إمامته لطائفة عظيمة من المسلمين، سمّوا

فيما بعد بالمالكية في إطار مذهب كبير..

وإذا كناّ نغض الطرف عن كل شيء فلا نغضه عن كون مالك من أبرز رجالات الرأيويين، فهو كما أعلن التاريخ تسنم زعامة المدرسة الرأيوية في عهد المنصور العباسي، وهو الوريث الشرعي الوحيد لهذه المدرسة اللاعلوية.

وأصرح من كل ذلك أنّ مالكاً لا يقيم وزناً شرعياً لأمير المؤمنين علي كما أقام له الوحي في حديث الغدير المتواتر وفي غيره من الأحاديث المتواترة والمستفيضة، ومع معرفتنا بأنّ أمير المؤمنين علياً هو زعيم المدرسة الوحيوية بعد عهد الرسالة كما يقرر الوحي بلا أدنى لبس، تتوضح لنا الدوافع التي حدث بسلوك الإمام مالك لأن لا يكون معقولاً ولا مشروعاً، ففيما يبدو تتعلق المسألة بالصراع بين التراثين الرأيوي من جهة والوحيوي من الجهة الأخرى..

يقول أبو بكر البيهقي: سئل مالك عن عثمان وعلي؟

فقال مالك: لست أجعل من خاض في الدماء كمن لم يخضها(١)!

ولا ريب في أنّ أقل ما يقال في موقف مالك اللاعلوي هذا هو أنّه يُعَرِّض بأمير المؤمنين علي بأنّه سفّاك للدماء، وأنّه لأجل ذلك رجلٌ دمويٌ لا يستأهل أن يقرن بعثمان..

وقال القاضي عياض:

وجاء في رواية ابن وهب أنّه سأل مالكاً: من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟

فقال: أبو بكر وعمر!

---

(١) مناقب الشافعي ١: ٥٢٠.

فقال ابن وهب: ثم من؟

فأمسك مالك.

فقال ابن وهب: إني امرؤ أقتدي بك في ديني؟

فقال: وعثمان ثم استوى الناس(١).

وهنا يقرر مالك اللاعلوي أنّ علي بن أبي طالب ليس بخليفة راشد، والنص الذي سقناه لك قبل هذا أوضح السبب الذي دفع به ليصطنع هذا القرار، وهو فِرْيَة الخوض في الدماء؛ وسبحان الله رب العزة عمّا يصفون!!!.

وقد ساق لنا القاضي عياض خبراً آخر ذكر فيه:

أنّ مالكاً سئل من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ:

فقال: أبو بكر؟

فقال السائل: ثمّ من؟

فقال: عمر.

فقال السائل: ثم من؟

فقال مالك: عثمان؛ فوقف الناس هاهنا؛ هؤلاء خيرة أصحاب رسول الله ﷺ؛ أمر أبا بكر بالصلاة، واختار أبو بكر عمر، وجعلها عمر في ستة فاختاروا عثمان، فوقف الناس هاهنا، وليس من طلب الأمر كمن لم يطلبه(٢)!.

هذه النصوص لا تبق ريباً في اتجاه مالك اللاعلوي الرأيوي، وهي

---

(١) ترتيب المدارك ١: ١٧٥.

(٢) ترتيب المدارك ١: ١٧٥.

أدلة واضحة الدلالة على الخصائص الذاتية للهوية اللاعلوية التي تحدد شخصية مالك، وأنّه من دون أدنى ريب ينتمي إلى ذلك التراث الذي قام على أساس الصراع الكامل مع المدرسة الوحيوية المتجسمة بعلي بن أبي طالب عليه السلام وبأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده..

ويزيد الأمر وضوحاً أنه استقى ذلك التراث عن الزهري (محمد بن شهاب) قاضي قضاة الأمويين الباغين والناصبين العداء الدموي لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ولشيعتهم، على أنّ الزهري قد أخذ هذا التراث اللاوحيوي واللاعلوي من بني أمية على ضوء آيدولوجية الغاية تبرر الوسيلة وفلسفة المصلحة على حساب كل شيء، تلك الأيديولوجية التي تبنّاها عبد الله بن عمر وأبو هريرة وزيد بن ثابت، والتي حددت من بعدُ معالم الدول اللاوحيوية (الباغية) الأموية والعبّاسية والعثمانية والأيوبية و...

وآية ذلك أنّ الإسلام بنظر الإمام مالك هو ما فاض من شرعة هذه الشخصيات التي يجمعها مبدأ الازورار عن كل ما يمت لعلي بصلة من الصلات، ومن ذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله التي توسط أمير المؤمنين علي وأتباع مدرسته في روايتها سواء أكان أتباع مدرسته من الصحابة أم كانوا من التابعين..

قال هارون الرشيد لمالك: لِمَ لَمْ نَرَ في كتابك (يقصد الموطّأ) ذِكْراً لعلي وابن عبّاس؟

قال مالك: لم يكونا في بلدي ولم ألق رجالهما[1].

أقول: أنا لا ادري هل أكذب التاريخ الذي جزم بأنّ مالكاً عاصر ثلاثة من آل البيت عليهم السلام هم: الإمام علي بن الحسين السجاد، والإمام محمد بن علي بن الحسين الباقر، والإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ ١: ٨ ـ ٩، وانظر ضحى الإسلام ٢: ٢١٣.

الصادق، والذي كان يعيش معهم ﷺ في مدينة واحدة وهي مدينة رسول الله ﷺ، أم أكذب مالكاً الذي ضرب بالتاريخ عرض الجدار؟!!!.

روى بن سعد في طبقاته بسنده عن مالك قال: قال لي أبو جعفر المنصور: كيف أخذتم قول ابن عمر من بين الأقاويل؟

فقال مالك: يا أمير المؤمنين بقي وكان له فضل على الناس، ووجدنا من تقدمنا أخذ به فأخذنا به.

فقال أبو جعفر المنصور: فخذ بقوله وإن خالف علياً وابن عباس(١).

وفي نص آخر قال المنصور: والله يا أبا عبد الله (كنية مالك) ما بقي على الأرض أعلم مني ومنك، خذ بقول ابن عمر ودعني مما سواه(٢).

وفوق ذلك صوّر مالك عبد الله بن عمر بأنه إمام الناس ولا إمام غيره في قوله: كان إمام الناس عندنا بعد زيد بن ثابت عبد الله بن عمر، مكث ستين سنة يفتي الناس، كان ابن عمر إماماً في الدين(٣)، ومثله الإمام الزهري (استاذ مالك) بقوله: لا نعدل برأي ابن عمر؛ فإنّه أقام بعد رسول الله ستين سنة، فلم يخف عليه شيء من أمره ولا من أمر أصحابه(٤).

ولكن من هو ابن عمر وما هي هويته التي تحدد معالم تراثه؟

هو الذي بايع أبا بكر على الخلافة وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد بن معاوية ومروان (على أرجح الأقوال) وعبد الملك بن مروان، ضارباً بعلي وبأهل بيت رسول الله ﷺ عرض الجدار فلم يبايعهم على شيء!.

---

(١) طبقات بن سعد ٤: ١٤٧.

(٢) ترتيب المدارك ١: ٢١٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٣: ٢٢٢.

(٤) تهذيب الكمال ١٥: ٣٣٩.

والكلام في الخط العام هو الكلام عن زيد بن ثابت وأبي هريرة وبقية هذا التراث المتمثل في هذا الاتجاه، وهذا إن دل فإنما يدل على أنّ هذه الاتجاه ينطوي على عناصر صراع هما بين تراثين وبين هويتين وهما ما تجسما بالمدرستين الوحيوية من جهة والرأيوية من جهة أخرى؛ إذ قد أعلن التاريخ أن السلسلة التاريخية عكسياً، ابتداءً من مالك فالزهري ثمّ عبد الله بن عمر وزيد بن ثابت وأبي هريرة فعثمان وعمر وأبو بكر تمثل المدرسة الأولى خير تمثيل.

وإذا كان الأمر كذلك، فهل نتوقع من مالك ألاّ تؤثر فيه غريزة ذلك التراث اللاعلوي ليروي لنا الحديث المار بشكل صحيح مع أنّه بمثابة سلاح من الأسلحة الوحيوية للصراع مع تراثه ذاك ؟

وهل ستسمح هويته اللاعلوية بأن يروي ما يكشف عن عظيم شأن الآل ببساطة؟

إنّ ذكر الآل متواتر في صيغة الصلاة كما عرفت، والذي فعله مالك مع هذا الحرج (بسبب التواتر) أنّه أضاف الزوجات في النص ليسحب البساط من المدرسة الوحيوية في عملية الصراع؛ وإلاّ ما هو التفسير المعقول لأن لا نجد للزوجات ذكراً إلاّ في رواية مالك مع أنّ روايات كيفية الصلاة المتواترة خالية عن ذكر الزوجات؟

وإذا ما أحسنا الظن بمالك يقف أمامنا جحوده اللامشروع بالثوابت الإسلامية التي حددت هوية علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فهو يراه ليس أهلاً لأن يوسم بالخليفة الراشد ولو بعد عثمان، وأنّه سفاك للدماء، وأنه ركض إلى الخلافة حباً بالكرسي كما يوحي كلامه الآنف، مضافاً إلى ذلك الازورار عن حديث رسول الله من خلاله؛ إذ هو لم يرو عنه ولا رواية في

الموطأ[١]، وفيما سوى ذلك تقف أمامنا أمورٌ كثيرةٌ لا يسعنا استقصاؤها كلّها في هذه العجالة.

كل هذه الأمور دليلٌ قطعيٌ على تناسي مالك للثوابت الإسلامية التي لا يعتريها ريب والمصاغة بقول الرسول ﷺ: «**فهذا علي وليي من بعدي، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه**»[٢] وبقوله ﷺ: «**علي مع الحق يدور معه حيثما دار**»[٣] وبقوله: «**من سب علياً فقد سبني**»[٤] وبقوله: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما**»[٥] إلى عشرات النصوص الصحيحة المتواترة والمستفيظة المعلنة عن الخصائص الذاتية لهوية علي بن أبي طالب ولهوية آل البيت ﷺ الوحيوية.

ثمّ لا ينبغي الريب في أنّ مالكاً على ضوء مواقفه السلبية تلك

(١) هذه هي عقيدتي وكما هو صريح النصوص السابقة عن هارون الرشيد والمنصور، وأما الروايات الأربع أو الخمس المروية عن علي في الموطأ المطبوع الآن، فليست بشيء؛ لاعتقادي بأنّ الموطأ المتداول اليوم هو لمالك على نحو الجملة لا على نحو التفصيل، وليس هنا أوان البحث في ذلك.

(٢) نص جمع غفير من علماء أهل السنة بتواتره عن رسول الله ﷺ منهم الذهبي في سير أعلام النبلاء ٨: ٣٣٤، والمناوي في فيض القدير ٦: ٢١٨، والألباني في سلسلته الصحيحة ٤: ٣٤٣، وغيرهم.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢: ٢٩٧ و١٠: ٢٧٢ وقد نص على صحته، مستدرك الحاكم ٣: ١٢٤، وقد نصّ على أنّه صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، تاريخ بغداد ١٤: ٣٢٢، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٤٤٩، الإمامة والسياسة ١: ٩٨.

(٤) مستدرك الحاكم ٣: ١٣٨ و١٢١، وتلخيص المستدرك للذهبي ٣: ١٢١ وقد نصّا على صحته.

(٥) سنن ابن ماجة ١: ٤٤ مثلاً.

ضرب بهذه الثوابت الوحيوية المحمدية عرض الجدار، جاحداً بها إلى آخر لحظة من حياته؛ فهو إلى أن مات لم يقم وزناً لعلي ولا لآل بيت الرسول ﷺ؛ ليضرب فيما عدا ذلك بقول الرسول ﷺ: **«كتاب الله وعترتي آل بيتي ما إن أخذتم بهما لن تضلوا أبداً»** عرض الجدار أيضاً.

وإذا كان مالك لا يعبأ بثوابت الوحي بهذه الدرجة، فهو لعمر الحق دليلٌ أوضح من الشمس في رائعة النهار على تأثير التراث الرأيوي على سلوكه المصطبغ بصبغة الإسلام، وأنّ غريزته التراثية تمنعه بدرجة كبيرة من مجرد الإشادة بفضل علي أو الآل.

وأكثر من ذلك وهو أنّ غريزته التراثية تسوقه فيما نعتقد إلى الحرام وإلى ما لا يرضي الله ورسوله ﷺ، وإلاّ بأيّ شيء نفسر اتهامه لعلي بأنّه سفاك الدماء من أجل كرسيّ الحكم كما يوحي كلامه الأنف؟!!!

وممّا يثير التساؤل أنّ أهل السنة أطبقوا مجمعين على أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة راشد وأنّه أحد الخلفاء الأربعة الراشدين، وأنّه إمام حق واجب الطاعة خلافاً للنواصب الذين لم يعترفوا لعلي بالخلافة والإمامة ولو للحظة واحدة، هذا ما قرره أهل السنة، ولكن لا ندري هل استثناؤهم النواصب من الإجماع يتناول الجميع أم لا؟!!!.

مهما يكن من أمر لاح لك بوضوح ومن خلال ضرب مالك لسنة الرسول المصطفى ﷺ المشيدة بفضل الآل والمعلنة عن موقعيتهم الوحيوية في صدارة الأمة، انّه أسير بما تحمل الكلمة من معنى لغريزة التراث الرأيوي اللاعلوي، وفي هذه الصورة لا يمكننا الاحتجاج بمالك، بل نضرب بما يروي على ضوء ذلك عرض الجدار، فراراً من محذور الازورار عن السنة التي أعرض وازور عنها مالك؛ ولا خيار لدينا في البين!!.

ولا بأس بالإشارة السريعة إلى أنّ منهجنا في الاحتجاج بالروايات ربما أوضحت المناقشة الآنفة معالمه العلمية وحدوده الشرعية بجلاء؛ إذ أنّ

منهجنا خلافاً للمناهج القديمة أخذ على عاتقة الدور المؤثر للتراث وللغريزة التراثية على سلامة الرواية وعدم سلامتها.

وأنبه محذراً من يريد استثمار هذا المنهج أن يبتعد عن التخرص وما أسميه بالترف العلمي؛ إذ على كل من يتعاطاه أن يقطع أو يطمئن لا أقل بأنّ هناك أدلّة ومؤشرات تاريخية تلوي الأعناق على تأثير التراث والغريزة التراثية على سلامة الرواية من التلاعب، كما قطعنا نحن بموقف مالك أعلاه، وإلاّ فالخوض في ذلك من دون دليل حرام؛ لأنّ الظن لا يغني من الحق شيئاً كما قال الله من فوق سبع سماوات.

وفيما أحسب أتضح القارئ الكريم أننا في مناقشتنا الدرائية لرواية مالك أعلاه لم نعتمد أو لم نجمد على المناهج الكلاسيكية التي تكتفي بالحكم بصحة الرواية لأنّ علماء الرجال قالوا عن رواتها بأنّهم ثقات، اثبات، أهل صدق، وغير ذلك، بل لم نتعرض إلى أقوالهم كما لاحظت؛ لأنّ القطع الذي حصل عندنا أقوى من شهاداتهم السلبية أو الإيجابية في مالك والتي هي غاية ما تفيد الظن المعتبر، ولكن أين الظن المعتبر من القطع أو الإطمئنان؟!.

نعم مع عدم الدليل على رؤيتنا؛ أي مع عدم الدليل على إمكان تطبيق هذا المنهج فكلمات الرجاليين هي العمدة ما في ذلك شك، وعلى أي حال هذا هو الفرق الجوهري بين منهجنا في التعامل مع الأسانيد وبين المناهج القديمة الجاحدة على قول الرجالي، والله العالم بكل شيء.

بناء على مجموع ما ذكرنا فرواية مالك التي رواها عن الأمويين في انتمائهما السياسي: عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه، أسيرةٌ للتراث الرأيوي الذي هو في صراع دائم مع الوحيويين (الآل)، وعلى ذلك فلا نحتج بها بأي حال من الأحوال.

الفصل الخامس

هوية آل محمد
بين الوحي
وغريزة التراث الرأيوي

هوية آل محمد
بين الوحي وغريزة التراث الرأيوي

آل محمد حقيقة الدين:

قد أجملنا القول في البحوث السابقة عن موضوعية آل محمد ﷺ في بلورة الإسلام كدين موصوف بالبقاء، كما وقد أجملنا القول عن إهتمام الرسول ﷺ الشديد في هذا الأمر؛ وفيما أحسب فمن الضرورة بمكان أن نستعرض بعض الأرقام الكاشفة عن ذلك الاهتمام النبوي المحمدي الوحيوي المتزايد في هذا الأمر..، وقد عقدنا هذا الفصل لهذا الغرض ولأغراض أخرى سنقف عليها في محلّها..

ولا شك في أنّ من حق الجميع أن يسأل عن علة إصرار الوحي والرسول ﷺ حول موضوعية الآل في عملية الانتماء للدين، كما ومن حق الجميع أن يسأل عن الأرقام التي تثبت اهتمام الوحي والرسول ﷺ في هذا الأمر؛ إذ أليس من الغريب أن يهتم الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى هذا الاهتمام اللامتناهي بخصوص الآل؟

وحسبنا أن ندرك ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1] فقط والذي ينص على أنّ مودة القربى

---

(١) الشورى: ٢٣.

(= الآل) عدل الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ولكن كيف تكون المودة في القربى عدل الرسالة؟

ثمّ ما علاقة الرسالة (التي هي تشريع أو قوانين فيما يعتقد البعض) بالمودة لتكون الثانية عدل الأولى؟

مرة أخرى نعود لنقول: إنّ المناهج الكلاسيكية اليوم لم تفكّر في الإجابة عن هذه الأسئلة وما شاكلها بموضوعية، وإن فعلت فإنّها لا تفعل ذلك إلاّ بشق الأنفس؛ هذا إذا أعطت إجابة ذات سمة إقناعية، ولكن على ضوء ما توصلت إليه الفصول السابقة من أنّ الإسلام هو الباقي ما بقي الليل والنهار، وأنّه نصوصه بناء على ذلك على قسمين، يتيسر أن نجد إجابة فيها سمة الإقناع؛ إذ على ضوء ذلك لنا أن نفسر الآية وبكل ارتياح بقدرة القربى (= الآل) دون سواهم من العالمين على الإبقاء على الرسالة حية نابضة.

والذي لا نشك فيه من مجموع معطيات الآية هو أنّ الرسالة المحمدية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام تساوي المودة في القربى، وأنّ الرسالة من دون المودة لا تساوي شيئاً، وبعبارة أخرى: الرسالة من دون آلية إبقائها لاشيء؛ لأنها وكما أكثرنا من التعرض له في معرض الضياع كما هو شأن المسيحية واليهودية، وعلى ذلك فالآية الآنفة وما يشابهها من آيات هي في واقع الأمر من القسم الثاني من قسمي تقسيمنا للنصوص؛ لأنّها في واقع الأمر شعارات إسلامية كاملة معبّرة تمام التعبير عن هوية الدين الحنيف وعن أهدافه المطوية فيه وبكل أمانة..

هذا، وقد نص الرسول ﷺ على هذا الأمر في قالبه العام على ضوء ما أخرجه الثعلبي في تفسيره..:

رواية الآل:

قال ابن حجر: قال الثعلبي: أخبرنا عبد الله بن محمد بن علي البلخي، حدثنا يعقوب بن يوسف بن إسحاق، حدثنا محمد بن أسلم، حدثنا يعلي بن عبيد عن إسماعيل عن قيس عن جرير قال: قال رسول الله ﷺ: **«من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنّة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنّة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة»**(١).

هذه الرواية فيما نعلم لم يبحث في سندها هذا أحد من أهل الإسلام لا من الشيعة ولا من أهل السنة، وهي نص واحد من مئات النصوص المتروكة بلا تحقيق كامل، الأمر الذي يجعلنا نتحقق من سندها بشكل موضوعي، على أنّنا أسميناها برواية الآل؛ تمييزاً لها عن غيرها من باقي الروايات، ولأنّها جامعة لكل ما يخطر على البال أو ممّا يعتلج في الصدور؛ ولا غرو فهي نص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قادر على الإجابة عن كل سؤال فيما يخص آل رسول الله ﷺ.

---

(١) الكافي الشّاف في تخريج أحاديث الكشاف (لابن حجر العسقلاني) المطبوع في حاشية الكشاف ٤: ٢٢٠.

وعلى أيّ حال ولخطورة مضمون هذه الرواية، لا يجوز فيما أرى أن نتعبد بمضمونها من دون الاطمئنان بصدورها عن الرسول ﷺ..

ولكن لمّا كانت بهذا الطريق سنيّة ينبغي أن نبحث في سندها بشكل علمي حسبما قررته علوم الدراية والحديث والرجال التي توافق عليها علماء أهل السنّة..

البحث السندي لرواية الآل:

١ـ عبد الله بن محمد بن علي البلخي

قال الذهبي: هو الإمام الكبير، حافظ بلخ، أبو علي... عظمه الحاكم وفخمه[١].

وقال الخطيب البغدادي: كان أحد أئمة أهل الحديث حفظاً وإثباتاً وثقة وإكثاراً[٢]....

وقال أحمد بن الخضر الشافعي: لما قدم عبد الله بن محمد البلخي نيسابور عجزوا عن مذاكرته[٣].

وفي الجملة: لم يذكر البلخي في كتاب من كتب أهل السنّة إلاّ ومدح بهذا النحو من المدح والتمجيد والإجلال أو أكثر من ذلك.

٢ ـ يعقوب بن يوسف بن إسحاق

هو يعقوب بن يوسف بن إسحاق بن إبراهيم، أبو عمرو القزويني.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣: ٥٢٩، وراجع ترجمته في شذرات الذهب ٢: ٢١٩، والمنتظم ٦ : ٧٩، وتذكرة الحفاظ ٢: ٦٩٠.

(٢) تاريخ بغداد ١٠: ٩٣.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣: ٥٢٩.

قال الخطيب بعد أن ذكر اسمه كما ذكرناه أعلاه: قدم بغداد وحدث بها عن...، وكان ثقة[١].

٣ ـ محمد بن أسلم

قال الذهبي: هو محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد، أبو الحسن الكندي (مولاهم) الطوسي، الإمام الحافظ الرباني، شيخ الإسلام[٢].

وقال الحاكم: كان من الأبدال المتتبعين للآثار[٣].

وقال الإمام ابن خزيمة: لم تر عيناي مثله[٤].

وقال أحمد بن نصر: محمد بن أسلم ركن من أركان الإسلام[٥].

أقول: وفي الجملة فشأنه عظيم عند أهل السنة، ولا نستعرض كل ما مدح به لأنّ عرض ذلك يحتاج إلى كتيب مستقل.

٤ ـ يعلي بن عبيد

هو يعلي بن عبيد بن أبي أمية الإيادي، أبو يوسف الطنافسي الكوفي، احتج به الجماعة[٦]؛ بمعنى أنّ روايته على أقل التقادير صحيحة على شرط الشيخين.

قال أحمد بن حنبل: كان صحيح الحديث، وكان صالحاً في نفسه[٧].

---

(١) تاريخ بغداد ١٤: ١٩٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢: ١٩٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢: ١٩٥.

(٤) شذرات الذهب ٢: ١٠١.

(٥) حلية الأولياء ٩: ٢٤٠.

(٦) المقصود بالجماعة (درائياً):الأئمة الستة وهم: البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة.

(٧) تهذيب التهذيب ١١: ٤٠٣.

وقال يحيى بن معين ـ حسب رواية إسحاق بن منصور عنه ـ : ثقة[١].

وقال أبو حاتم: صدوق وهو أثبت أولاد أبيه في الحديث[٢].

وقد ذكره ابن حبان في كتاب الثقات[٣].

وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث[٤].

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: ما رأيت أحداً يريد بعلمه الله عزوجل إلاّ يعلي[٥].

هذا ما تسنى لنا من ترجمته وبقي مدح كثير لم نتعرض له، وفيما قدمنا كفاية.

٥ ـ إسماعيل

هو إسماعيل بن أبي خالد (واسمه هرمز) البجلي الأحمسي مولاهم، احتج به الجماعة، وروايته صحيحة على شرط الشيخين بلا كلام من أهل السنة، وهو فيما عدا ذلك ممن احتج به الجماعة.

قال عبد الله بن المبارك، حفّاظ الناس ثلاثة: إسماعيل ابن أبي خالد و[٦]....

وقال يحيى بن معين ـ حسب روايتي إسحاق بن منصور وابن أبي خيثمة عنه ـ : ثقة[٧].

---

(١) تهذيب التهذيب ١١: ٤٠٣.

(٢) الجرح والتعديل ٩: ترجمة ١٣١٢.

(٣) ثقات بن حبان ٧: ٦٥٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٦: ٣٩٧.

(٥) تهذيب الكمال ٣٢: ٣٩٢ ترجمة ٧٧١٠.

(٦) تهذيب التهذيب ١: ٢٩١.

(٧) تهذيب التهذيب ١: ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ٦: ١٧٦.

وقال العجلي في كتابه الثقات: تابعي، ثقة، وكان رجلاً صالحاً، سمع خمسة من أصحاب النبي[١].

وقال النسائي: ثقة[٢].

وقال يعقوب بن شيبة: كان ثقة ثبتاً [٣].

وقال أبو حاتم: ثقة [٤].

وقال الذهبي في السير: أجمعوا على إتقانه والاحتجاج به وحديثه من أعلى ما يكون في صحيح البخاري[٥].

٦ ـ قيس

هو قيس بن أبي حازم؛ والذي هو حصين بن عوف بن الحارث، عاصر الرسالة ولكن ليست له صحبة؛ لأنّه هاجر إلى النبي ﷺ وقد قبض النبي ﷺ وهو في الطريق.

وقيس هذا احتج به الجماعة، وروايته على ضوء ذلك صحيحة على شرط الشيخين، وما هو فوق ذلك أنّ أهل السنّة أجمعوا على الاحتجاج به، وممّن نقل الإجماع على ذلك الإمام الذهبي بقوله: ثقة حجة كاد أن يكون صحابياً، أجمعوا على الاحتجاج به[٦].

ونشير إلى أنّ قيس بن أبي حازم كان عثمانياً؛ أي يفضل عثمان

---

(١) هامش تهذيب الكمال ٣٢: ٣٩٢.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٢٩١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦: ١٧٧.

(٤) تهذيب التهذيب ١: ٢٩١.

(٥) سير أعلام النبلاء ٦: ١٧٧.

(٦) ميزان الاعتدال ٣ الترجمة ٦٩٠٨.

ويقع في أمير المؤمنين علي وفي بعض الصحابة..

وهذا يجعلنا نعض على رواية الآل بالنواجذ؛ لأنّ روايته لهذه الرواية بالخصوص وبعد الفراغ عن كونه ثقة كما يقول أهل السنة، لدليلٌ واضحٌ على أنّ تراثه العثماني لم يؤثر أدنى تأثير على هذه الرواية ـ رواية الآل ـ حتى مع كونها تتقاطع مع تراثه، وعلى تعبير الكلاسيكيين: لا توجد فيها دواعي الكذب، وهذا كافٍ لنا.

٧ ـ جرير

هو جرير بن عبد الله البجلي، وهو أحد الصحابة بالإجماع؛ وقد أجمع أهل السنّة على أنّ الصحابي ثقة وحجة و....

رتبة الرواية درائياً:

إذا اتضح ما تقدم تتجلى أمامنا حقيقة صحة طريق هذه الرواية المهمّة إلى رسول الله ﷺ، وأنّها حجة لا يجوز الإعراض عنها أو تناسيها، وبالتالي لابد من التعبد بمضمونها.

ويؤيد كل ذلك أنّ طائفة من الأئمّة كالرازي[١] والقرطبي[٢] والزمخشري[٣] أرسلوها في تفاسيرهم إرسال المسلمات، وكذلك الثعالبي في تفسيره[٤]، ونحى نحوهم الخوارزمي حيث روى نظيرها في المناقب عن ابن عمر[٥].

---

(١) تفسير الرازي ٢٧: ١٦٦.

(٢) تفسير القرطبي ١٦: ٢٣.

(٣) تفسير الزمخشري ٤: ٢٢٠.

(٤) تفسير الثعالبي ٥: ١٥٧.

(٥) مناقب الخوارزمي: ٧٢.

الرواية صحيحة على شرط الشيخين:

وما لا ينبغي أن يخفى هو أنّ هذه الرواية ممّا يستدرك بها على صحيحي البخاري ومسلم؛ فهي من قبيل الروايات التي يصفها الحاكم في مستدركه بأنّها صحيحة على شرط الشيخين، ولكن الشيخين لم يخرجاها في صحيحيهما كما هي عادتهما المعروفة في مثل هذه الموارد الحرجة؛ أي تلك الموارد التي تكشف عن تأثير غريزة التراث الرأيوي على سلوكهما، ولكن يأبى الله!.

دلالة الرواية:

هناك فجوة بين مضامين هذه الرواية الشريفة وبين فهم الإسلام بشكل جيّد على ضوء المناهج الكلاسيكية؛ ففي الوقت الذي تعكس المناهج الكلاسيكية فهمها للإسلام بأنّه المجموع المؤلف من أصول الدين وفروعه، وأنّ من يعتقد اعتقاداً جازماً بالتوحيد والنبوة والمعاد (= أصول الدين) ويؤدي ما عليه من صوم وصلاة وحج وزكاة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر و... (= فروع الدين) يتحقق إسلامه، تنص رواية الآل على أنّ من يموت على بغض آل محمد يموت كافراً و...، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟

بلى، تجيب المناهج الكلاسيكية، بأنّ الله أمرنا بطاعتهم ومحبتهم ومودتهم، وخلاف ذلك عصيانٌ واضح لله تعالى!

أقول: هذا صحيح إلا أنّه لا يرفع الفجوة؛ إذ العاصي يسمّى مذنباً وآثماً ولا يسمّى كما تنص رواية الآل: «كافراً»، ولا: «آيساً من رحمة الله»، ولا أنّه: «لا يشم رائحة الجنة» أو غير ذلك، ومن حقنا أن نتساءل: أين ذهبت صلاة العاصي وصيامه وحجه وزكاته وبقية عباداته...؟

هل أضحت ﴿هَبَاءً مَنثُورًا﴾ كما يقول القرآن الكريم، ولكن لماذا؟

عزيزي القارئ تتفرع عن هذه التساؤلات عشرات التساؤلات الأخرى تحتاج إلى إجابة وهو أمر لا ينتهي، ولهذا قلنا أنّ هناك فجوة.

ولكن على ضوء رؤيتنا في تقسيم النصوص إلى قسمين فالأمر واضح فيما نظن؛ لأنّ الإسلام على ضوء ما قدمنا ليس هو أصول الدين الأساسية الثلاثة وفروعه وحسب، بل هو فضلاً عن ذلك: عناصر الإبقاء على تلكم الأصول والفروع حية لا تنالها يد التحريف، تلك العناصر المتجسدة شكلاً ومحتوى ومضموناً بالآل؛ وإذا كان الأمر كذلك، فبغض الآل ضرب للإسلام من الأساس؛ إذ في هذه الحال يقدم مبغض الآل الإسلامَ كلّه فريسة سهلة بين أنياب الطاغين من المحرفين والمبدلين والمضمرين له سوءً.

ومعلوم أنّ الكفر على ضوء رؤيتنا أوسع من مفهوم الكفر على ضوء المناهج الكلاسيكية؛ إذ هو على ضوء رؤيتنا لا يقف عند الجحود بالإسلام في أصوله وفروعه وحسب، بل يتعدى ذلك إلى الجحود بعناصر الإبقاء على تلكم الأصول والفروع؛ تلك العناصر التي أثبتها الوحي لنا بدليل قطعي كحديث الثقلين المتواتر والغدير المتواتر و...، والتي جمعت اجمالاً في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أو التي جمعتها رواية الآل وغيرها..، على أن أقل ما يقال في مبغض «آل محمد» أنّه منكر لكثير من ضروريات الدين.

ومن هنا يتبلور أمامنا من جديد ما أسميناه بنظرية السيئة النوعية؛ فإنّ المبغض لآل محمد لا تنفعه صلاته أو صيامه أو زكاته أو... إذا كان يدور في فلك البغض، فكما نصت رواية الآل فإنّه يموت كافراً وآيساً من رحمة الله، ولا يشم رائحة الجنة؛ لأنّ مجرد عدم حبهم يساهم مساهمة فعّالة

في تعريض الدين للضياع.

وفي مقابل ذلك تتبلور أمامنا نظرية الحسنة النوعية فإنّ مجرد حبهم الصادق يساهم مساهمة موضوعية وحقيقية (على تفاوت الدرجات) في إبقاء الدين سالماً من التحريف؛ لأنّ حبهم يفسح المجال أمامهم عليهم السلام ليؤدوا وظائفهم كائمة وكحفظة للدين من الضياع على أتمّ وجه.

وبمرور سريع على الجانب السياسي للتاريخ الإسلاموي يتضح لنا مقدار ما عاناه محبو آل البيت بسبب مجرد حبهم، فلعمر الله قتلوا تقتيلا وشرّدوا تشريدا ودفنوا أحياء وزلزلوا واستضعفوا؛ لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وآله في رواية الآل: «**من مات على حب آل محمد مات شهيداً، وتائباً ومؤمناً مستكمل الإيمان مبشراً بالجنة**»..

لأنّ حب آل محمد كما أعلن التاريخ لا تنوء بعبئه الجبال الرواسي، ولا يلائمة إلاّ هذا الثواب الذي نطق به الرسول صلى الله عليه وآله؛ بداهة أنّ المحب (من حيث يدري أو لا يدري) سيعرض نفسه وماله وعرضه للتلف والضياع من أجل أن لا يضيع الدين؛ ولعمر الله ليس بعد هذا الثواب من ثواب ولا بعد هذه الحسنة من حسنة.

من هذا المنطلق نستطيع أن نقرا كثيراً من النصوص بموضوعية وعقلانية، والتي منها قوله صلى الله عليه وآله: «**حب علي إيمان وبغضه نفاق**» الذي علق عليه الإمام الحسكاني بقوله: في كون حب علي علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق وردت أحاديث متواترة ذكر بعضها أبو نعيم في ترجمة زر من الحلية[1][2].

ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «**حب علي حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه**

---

(١) حلية الأولياء ٤: ١٨٥.

(٢) شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ٢٥٠.

سيئة لا تنفع معها حسنة»[١] فإنّه نص آخر من مئات النصوص يوضح رؤيتنا حول الحسنة النوعية والسيئة النوعية بوضوح، وعلى ضوء ما قررنا آنفاً يتوضح بجلاء أنّ السيئة أو الحسنة النوعيتين لا تقاومهما الحسنة أو السيئة الشخصيتان؛ إذ تتجسد في الأولى آلية إبقاء الدين أو تضييعه وفي الثانية تخص الفرد المسلم ـ بما هو فرد ـ فأين الأولى من الثانية؟!!!.

العلاقة بين الصلاة وحب الآل:

إنّ الروايات المتواترة التي أوجبت ذكر الآل في الصلاة الوحيوية لابد وأن تربطها علاقة برواية حب الآل التي رواها الصحابي جرير بن عبد الله البجلي والتي هي صحيحة على شرط الشيخين؛ ففيما يبدو أخرج الوحي حب الآل عن إطار الايصاء بالاهتمام الشعوري والقلبي بالنسبة للمسلمين إلى ما هو أكبر من حلية الحلال والحرام بل إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير حسبما تقرر سابقاً.

حيث حكم على المسلمين جميعاً ـ وهو أقل ما يقال ـ بوجوب ذكرهم أو استحباب ذلك (حسب الموارد)، بل حكم بوجوب حبّهم وحرمة بغضهم إلى الدرجة التي يدور معها الحب والبغض مدار الإيمان والكفر.

وأنا أفسر ذلك بأنّ الوحي أراد لنا أن نتواصل مع الآل باللسان فضلاً عن الشعور، وبالقول فضلاً عن الانقياد القلبي، ولكن هذا وإن كان صحيحاً إلاّ أنّ الأهم من ذلك أنّ الإسلام ـ كما تقرر عشرات أو مئات الروايات ـ من دون موضوعية الآل لا يعني شيئاً ..

وعلى أقلّ تقدير فإنّ الوحي يهدف إلى إبقاء الشعور الإيجابي

---

(١) ينابيع المودة ٢: ٢٩٢.

والانقياد القلبي للآل بعيداً عن الصدأ وبعيداً عن هزّة الشعور، وكأنّ الوحي خشي علينا النسيان؛ فوضع لأجلنا برنامجاً كاملاً يضمن معه إبقاء الشعور فعّالاً تجاه آل بيت رسول الله ﷺ.

وقد عرّفنا الفصل الأول أنّ النسيان كما هو صريح كثير من آيات القرآن علّة كل إنهيار يمكن أن يُتَصَوَّر في المجتمع الإنساني؛ خذ مثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ...﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [3] وعشرات غيرها..

ولسنا في صدد عرض مفردات هذا البرنامج الوحيوي ماهنا، فهذا خارج عن حدود دراستنا المتواضعة هذه، ولكن كلي يقين بأنّ صيغة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» من أهم مفردات هذا البرنامج الذي ناء بعبء تصفية الحب الصادق والشعور الخالص من أكدار الحركة التاريخية وتأثيرات الوجودات السياسية الإسلاموية المبغضة للآل، وقل مثل ذلك في زيارة الحسين عليه السلام، وزيارة باقي الأئمة عليهم السلام.

وهناك ظاهرة تستحق التوقف كثيراً وهي أننا لا نقرأ دعاء أو زيارة لأحد المعصومين إلاّ ونجد بين ثناياه أو ثناياها صيغة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» متجلية أمام العيان، وهذا إن دل فإنّه يدل على أنّ صيغة الصلاة متداخلة عضوياً مع كل مفردات برنامج إبقاء الشعور بعيداً عن الصدأ.

---

(١) الأعراف: ٩١.

(٢) البقرة ٢٠٠.

(٣) طه: ١٢٤.

وقد مرت وستأتي الروايات الصحيحة التي تنص على أنّ الدعاء لا قيمة له من دون «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» وأنّه محجوب عن السماء، ولا يتلقاه الله تعالى بالقبول و...، ومن هذا المنطلق يمكننا بيسر أن نقرأ قوله ﷺ: (**ما من شيء في الميزان أثقل من الصلاة**) فإنّ إبقاء الشعور إيجابياً مع الآل، حياً لا يموت، كفيل بإبقاء الحب مع الآل حياً لا يموت، وبالتالي هو كفيل بإبقاء الدين حياً لا يموت ولا نطيل.

عزيزي القاريء: هذا البرنامج هو ما أطلقنا عليه سابقاً بنظرية بناء الحس الديني، وفيما نحسب كلمّا أمعن القارى في التوغل في مواضيع هذا الكتاب كلمّا توضحت له معالم هذه النظرية بشكل أكبر..

وأيّاً ما كان من أمر فهذه أولويات سماوية وحكمة ربّانية آمرة بحب الآل، وهي عينها آمرة بعدم تناسيهم خلال صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» مثلاً، وعلى ضوء ذلك فمن الطبيعي أن يكون التعبد لله بهذه الصيغة مستتبعاً لذلك الثواب العظيم؛ لأنّ حب الآل وذكرهم في الصلاة الوحيوية وفي غيرها يعطي الإسلام معناه الحقيقي وحجمه السماوي الكامل؛ إذ هو يعط الصلاة معناها الحقيقي والحج معناه الحقيقي والزكاة والصوم وتلاوة القرآن والصدقة وكل شيء؛ لأنّ المهم ليس هذه الأشياء وحسب، بل المهم هو كيف تبقى هذه الأشياء تصارع والكفر والظلم بكل أنواعه وبكل أشكاله المطروحة في مسلسل التاريخ..

هذا، ولكن من هم الآل على وجه التحديد؟

من هم الآل؟

أجمعت الأمة الإسلامية شيعة وسنة على أنّ أولاد علي وفاطمة عليهما السلام هم آل رسول الله ﷺ وهم أهل بيته، واختلفوا في زوجات الرسول ﷺ وفي غيرهن، والأمر لا يحتاج إلى عناء كثير؛ بداهة أنّ «الآل» كلفظ الصلاة

والصوم والحج والزكاة و...، مقولات إسلامية وليس هي بالكلمات التي يتحدد معناها طبقاً لما هو موجود في قواميس اللغة العربية، الا ترى أنّ قواميس اللغة العربية عاجزة تماماً عن تحديد معنى الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما جاء به الإسلام؟.

والسبب في ذلك أنّ الوحي بنحو من الأنحاء بلور مثل الصلاة والزكاة والحج و...، بما يلائم نظرته في بناء الدين، جاعلاً من هذه الكلمات العربية مقولات إسلامية معبّرة عن الأجزاء السماوية لنظرية الدين الإسلامي، مبتعداً بها قليلاً أو كثيراً عن متعارف أهل اللسان وما ألفه العرب.

وعلى هذا الأساس فـ«الآل» ليس هو كلمة يتحدد معناها حسب ما هو موجود في قواميس اللغة؛ لليقين بأنّ الوحي اخرجها عن إطار الكلمات إلى حدود المقولات الإسلامية التي على أساسها تتبلور نظرية الدين، فمثلا قوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] دليل واضح الدلالة على ما ذكرنا؛ فالوحي قرّر أنّ أهل البيت هم من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وليسوا هم عشيرة الرجل أو زوجاته أو ذريته بنحو عام كما تقول كتب اللغة.

وأنبه إلى أنّ ما قرّرناه آنفاً لا يلغي دور قواميس اللغة وما فهمه العرب الأوائل وأهل اللسان، وما نحن فيه ينحصر فيما إذا دلّ الدليل الشرعي المعتبر على تصرف الوحي فيه من كلمات العرب وألفاظهم كما تصرّف في لفظ أهل البيت العربية لتكون مقولة إسلامية، وكما تصرف في حدود معنى الصلاة والحج وغير ذلك من ألفاظ العرب لتكون مقولات إسلامية؛ ففي هذا الفرض لن يكون المدار في الوقوف على حدود المعاني

---

(١) نسيم الرياض في شرح الشفاء للخفاجي ٣: ٤٠٩.

الإسلامية هو كتب اللغة.

وإذن فلدينا قاموس وحيوي ليس باستطاعة قواميس اللغة الوقوف على كنهه وتحديد معنى مقولاته إلاّ بنحو من المناسبة البعيدة؛ كالمناسبة بين الحج اللغوي (والذي هو مجرد القصد) وبين الحج الإسلامي الذي هو القصد الذي ينبغي تجسيده بالوقوف بعرفات فالمزدلفة فمنى فالذبح فالطواف... وكما ترى فالفرق بين الحجين عظيم جداً.

الذي نريد قوله من كل ذلك إيقاف رجالات المدرسة الرأيوية على سقم كثير من مزاعمهم التي يستدلون عليها بكتب اللغة وبقواميسها؛ ضرورة أنّ ارتكاب ذلك في كل حين ضرب لقاموس الوحي ولمقولاته السماوية عرض الجدار؛ فمثلاً قول الرسول ﷺ: «**ألست أولى بكم من أنفسكم**» وقوله ﷺ: «**فهذا علي ولي من بعدي، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...**» [1] يحدد كلمة الولي على أنها مقولة هي ضمن مقولات قاموس الوحي وأنّها مستقاة من: «**ألست أولى بكم من أنفسكم**» الذي ليس له وجود في قواميس اللغة؛ لوضوح أنّ القواميس اللغوية ليس فيها أنّ بشراً أولى بكل الناس من أنفسها سوى من قال عنه الوحي أنّه كذلك؛ ولا غرو فإنّ اللغة لا تفهم هذه الدرجة السماوية العالية من الأولوية..

ولا بأس بالإشارة السريعة إلى أن عمر بن الخطاب أو قريش ما شئت فعبّر حينما منع من تدوين الحديث وتناقله بالرواية.. وكما قلنا سابقاً من أنّه إنّما منع من القسم الثاني من قسمي النصوص الإسلامية الذي يمثل آلية الإبقاء على الدين والقادر على فضح زيف الأنظمة الإسلاموية والرأيوية..

أقول: إنّ قريشاً حينما منعت من التدوين والرواية تحت ذريعة

---

(١) انظر صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

حسبنا كتاب الله ألغت دور القاموس الوحيوي بالكامل مُرجِعةً المسلمين خلال عمليات الأسطرة والأدلجة إلى أفهامهم العرفية، وكانت تهدف من ذلك تفريغ المعنى الوحيوي للولي، ولآل البيت (= أهل البيت)، وللخلافة، وللصحبة ولعشرات المقولات المؤثرة...

وبكلمة واحدة عاملت قريش المقولات الوحيوية بسبب المنع على أنّها كلمات لغوية، لوضوح أنّ مآل المنع هو تضييع الحديث وبالتالي تضييع ما من شأنه بلورة مقولات الإسلام المؤثرة إيجابياً على مسيرة أهل البيت عم، وسلبياً على المسيرة القرشية؛ وهي عملية ذكية جداً لا ينهض عمر بأعباء اكتشافها وحده؛ الأمر الذي يدعوني لأن أقول أنّ هناك فئة وليست هي غير قريش برمجت له هذه المسألة، وليس أوان التفصيل في ذلك الآن.

مهما يكن من ذلك فالذي نريد قوله هو أنّ آل البيت (= أهل البيت) مقولة وحيوية؛ لأنّها مّما حددت معنوياً بالذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيراً، وهذا المعنى كما هو متيقن ليس له وجود في قواميس اللغة العربية أو في أيّ قاموس بشري.

ثمّ إنّ معنى الآية أنّ الله سبحانه وتعالى أذهب عن آل البيت الرجس؛ والرجس الآثام والذنوب وكل ما من شأنه تدنيس الذات الإنسانية؛ وهو مستعار من القذر الحسي الذي هو معنى الرجس في أصل اللغة كما هو صريح الخفاجي[1].

وإذن فآل البيت قرر الوحي أنّها مقولة إسلامية يكون معناها في قاموسه: من طهر من الآثام والذنوب والأدناس، وليست هي بالتي تعني أزواجه صلى الله عليه وآله أو عشيرته أو كل ذريته كما تقول كتب اللغة.

نعم هناك مناسبة بين أهل البيت اللغوية وبين أهل البيت الوحيوية،

---

(١) نسيم الرياض في شرح الشفا للخفاجي ٣: ٤٠٩.

وهي أنّ أهل البيت في كل من القاموسين تعني أقرباء النبي ﷺ، ولكن قيدها الوحي بمن طُهِّر تطهيراً من الآثام والذنوب والأدناس فافهم ذلك واغتنمه.

وعلى ذلك فعائشة وحفصة وأم حبيبة وغيرهن لا تتناولهنّ مقولة آل البيت الإسلامية وإن كانت قد تتناولهنّ كلمة آل البيت حسبما ما هو موجود في كتب اللغة، وهذا طبعاً على أحسن التقادير؛ لأنّ زيد بن أرقم نفى أن تكون الزوجات من آل البيت حتى لغة كما هو صريح كلامه[1]..

أقول: إنّ عائشة وكل من ارتبط بالرسول ﷺ بعلقة القرابة السببية أو النسبية لا تتناوله مقولة آل البيت الوحيوية التي ذكرها الوحي في قاموسه، والسبب أنّها مختصة بالذي لا يذنب ولا يأثم ولا يخطأ (= من طهّر تطهيراً)، ولا ينبغي الخلاف في أن عائشة وعموم من ارتبط بالرسول ﷺ بنحو من أنحاء الارتباط السببي والنسبي ليسوا كذلك، والوجدان خير شاهد؛ إذ أنّ أقل ما يقال في عائشة أن آلافاً من المسلمين؛ صحابة وتابعين قد سُفِكَت دمائهم في الجمل بسبب قراراتها اللاإسلامية التي تنطوي على حقيقة عدم انسجامها الكامل مع أمير المؤمنين علي ومع أولاده عع؛ وهذا فضلاً عمّا ورد من نصوص صحيحة صريحة في أنّها كانت تؤذي النبي ﷺ بغيرتها وحسدها.

وأياً ما كان الأمر فقد ألمح ابن حجر في فتح الباري إلى زبدة ما توصلنا إليه آنفاً بقوله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قالت أم سلمة: لما نزلت دعا النبي ﷺ فاطمة وعلياً والحسن والحسين فجللهم بكساء فقال ﷺ: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي**» الحديث أخرجه

---

(١) انظر صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

الترمذي وغيره، ومرجع أهل البيت هؤلاء إلى خديجة؛ لأن الحسنين من فاطمة، وفاطمة بنتها، وعلي نشأ في بيت خديجة وهو صغير، ثم تزوج بنتها بعدها، فظهر رجوع أهل البيت النبوي إلى خديجة دون غيرها[1].

وقال الخفاجي: أهل البيت في الآية نصب على النداء والمدح والاختصاص، واستشهاده (يعني القاضي عياض) بهذه الآية على أنّ أهل بيته ذريته وأزواجه ﷺ كما اختاره ابن عطية في تفسيره وهو أحد الأقوال فيه.

وقيل لهم: إن أهل بيته هم أهل الكساء الآتي بيانهم؛ علي وفاطمة والحسن والحسين؛ لما روي في الحديث أنّه عليه الصلاة والسلام خرج غداة وعليه مرط أسود فأدخلهم فيه ثم تلى الآية.

وقيل: المراد زوجاته، ولكن تذكير الضمير في قوله تعالى: ﴿عَنكُمُ﴾ يأبه[2].

الرسول ﷺ يُعيّن الآل!

ومع كل ذلك فالرسول ﷺ وكما نقل عنه المفسرون والمحدثون نص بما ليس معه ريب أو شك على أنّ من تحلّى بالصفات الذاتية التي على أساسها تتبلور مقولة أهل البيت الإسلامية التي نصت عليها آية التطهير، هم علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) دون سواهم..

قال مسلم: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير (واللفظ للأول) قالا: حدثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بن شيبة قالت: قالت عائشة خرج النبي ﷺ غداة وعليه

---

(١) فتح الباري ٧: ١٠٤.

(٢) نسيم الرياض في شرح الشفا ٣: ٤٠٩.

مرط من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال ﷺ: « ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ »[1].

وروي من طرق أخرى عن أم سلمة رضي الله عنها كما هو في مسند أحمد وسنن الترمذي ومستدرك الحاكم وغيرها قالت: جلّل رسول الله ﷺ على علي والحسن والحسين وفاطمة كساءً ثمّ قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهمّ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

فقالت أم سلمة: يا رسول الله: أنا منهم.

قال ﷺ: «إنك إلى خير»[2].

وقد علق عليه الترمذي بقوله: حديث حسن صحيح[3]، والحاكم النيسابوري بقوله: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه[4].

وروي هذا الحديث عن سعد بن أبي وقاص القائل: لا أسبه (وذلك حينما طلب منه معاوية سب علي عليه السلام) ما ذكرت حين نزل على رسول الله ﷺ الوحي فأخذ علياً وابنيه وفاطمة فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: « رب إنّ هؤلاء أهل بيتي».

وقد علق عليه الحاكم بقول: صحيح على شرط الشيخين[5].

---

(١) صحيح مسلم ٧: ١٣٠، وانظر مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٥٠١، وقد نص كل من الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٧، والذهبي في تلخيصه ٣: ١٤٧ على أنه صحيح على شرط الشيخين.

(٢) مسند أحمد ٦: ٣٠٤.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٣٦١.

(٤) مستدرك الحاكم ٢: ٤١٦، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك ٢: ٤١٦.

(٥) مستدرك الحاكم ٣: ١٠٨، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك ٣: ١٠٨ على أنه على شرط مسلم.

كما وقد روي عن الصحابي واثلة بن الأسقع بسند صحيح على شرط الشيخين كما هو صريح الحاكم[١].

أقول: وبملاحظة من روى من الصحابة الحديث أعلاه وبملاحظة ما روي في مضمونه العام عن صحابة كثيرين، لا ريب في كونه متوتراً؛ على أنّ أقل ما يقال أنّ احداً من أهل القبلة لم يطعن في سنده بأدنى طعن، وقد تلقته الأمة بالقبول ليس في ذلك أدنى شك.

وعلى نحو ما تقدم روى الحاكم بسند صحيح (كما يقول هو) عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ حينما رأى الرحمة هابطة:« ادعوا إليّ ادعو إليّ» فقالت صفية: من يا رسول الله؟

فقال ﷺ : «أهل بيتي، علياً وفاطمة والحسن والحسين» فجيء بهم، فألقى عليهم النبي ﷺ كساءه ثم رفع يديه ثم قال: «اللهم هؤلاء آلي فصل على محمد وعلى آل محمد» وأنزل الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢] وفيما عدا ذلك روي هذا الحديث بسند معتبر عن أبي سعيد الخدري حسبما أخرجه البزار في صحيحه[٣].

والطبراني حيث أخرجه بسند صحيح كما هو صريح الهيثمي في

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٧، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك ٣: ١٤٧ على أنه على شرط مسلم، وقد خرّجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٧، مصححاً بعض طرقه.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٧ ـ ١٤٨، وقد خرج الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٩ نحوه مصرحاً بصحته.

(٣) عنه في مجمع الزوائد ٩: ١٦٨.

مجمع الزوائد في المعجم الكبير ولكن عن الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة[1].

وروي بسند معتبر كما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير عن ربيب النبي عمرو بن أبي سلمة المدني[2].

والشيء نفسه صنع الطبراني حينما روى ذلك عن ابن عباس في حديث طويل[3].

أقول: لم استقص طرق هذا الحديث كما ينبغي أن يكون الاستقصاء؛ يدعوني لذلك أنّ ما أوردته إلى الآن لا ريب في كونه يحقق التواتر؛ فهو من رواية:

١- أم سلمة

٢- عائشة

٣- واثلة بن الأسقع

٤- سعد بن أبي وقاص

٥- علي بن أبي طالب عليه السلام

٦- أبي سعيد الخدري

٧- الحسن بن علي سيد شباب أهل الجنة

٨- عمرو بن أبي سلمة (ربيب النبي)

٩- ابن عباس

---

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٧٢، معجم الطبراني ٣: ٩٣.

(٢) المعجم الكبير ٩: ٢٥.

(٣) المعجم الكبير ١٢: ٧٧.

ولا يخفى عليك أنّ رواية تسعة من الصحابة الكبار من مثل هؤلاء نفس المضمون، فضلاً عمّن لم نذكرهم من باقي الصحابة؛ بأسانيد صحاح وجياد هو من أجلى مصاديق التواتر في عالم الإسلام، وإذا كان الأمر كذلك فلنعطف عنان القلم إلى حديث آخر يحدد هوية آل البيت عليهم السلام.

حديث آخر يحدد هوية آل البيت:

قال القرطبي: أمر الله تعالى في قوله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1] الرسول ﷺ أن يأمر أهله بالصلاة ويمتثلها معهم[2].

ولكن من هم المقصودون في هذه الآية؟

أجابنا عن ذلك عدة من الأعلام؛ منهم السيوطي بقوله: أخرج ابن مردويه وابن عساكر وابن النجار عن أبي سعيد الخدري قال لما نزلت: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ...﴾ يجيء إلى باب فاطمة عليها السلام صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول ﷺ: «الصلاة رحمكم الله، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ »[3].

قال الشوكاني في فتح القدير شارحاً الآية: أمره الله سبحانه وتعالى أن يأمر أهله بالصلاة، والمراد بهم أهل بيته، وقيل جميع أمته، ولم يذكر هاهنا الأمر من الله بالصلاة، بل قصر الأمر على أهله[4].

---

(١) طه: ١٣٢.

(٢) تفسير القرطبي ١١: ٢٦٣.

(٣) الدر المنثور ٤: ٣٩٤١.

(٤) فتح القدير ٣: ٣٩٤.

وقد بيّن الشوكاني في موضع آخر من تفسيره من هم أهل البيت قائلاً: وروى عن أبي سعيد الخدري[١]....، وساق عين ما ساقه السيوطي في الدر المنثور، مرسلاً إيّاه إرسال المسلمات، مورداً معه ما رواه صحابة آخرين في خصوص هذا المضمون، وسنوردها قريباً إذا تسنّى لنا ذلك.

وقد روى الإمام الترمذي ذلك عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: « الصلاة يا أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ »[٢].

ثم إن حديث أنس أخرجه الحاكم معلقاً عليه بقوله: صحيح على شرط مسلم[٣] ولم يخالف الذهبي ذلك[٤].

وفيما عدا ذلك رواه الصحابي أبو الحمراء[٥].

وعلى ذلك وبملاحظة رواية ثلاثة من الصحابة فهذا الحديث مستفيض، ودلالته واضحة في أنّ أهل البيت هم من كان يعيش خلف باب فاطمة عليهم السلام، وليسوا هم غير علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بالإجماع.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فهذا الحديث يصب في القناة التي يصب فيها الحديث الأنف الذي رواه تسعة من الصحابة، ومع ذلك يتحقق التواتر

---

(١) فتح القدير ٣: ٣٩٦.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٣١، وقد علق عليه بقوله: حديث حسن، ومسند أحمد ٣: ٢٥٩.

(٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٨.

(٤) تلخيص المستدرك ٣: ١٥٨.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ١٦٩، سنن الترمذي ٥: ٣١.

المعنوي والقطع بأنّ أهل البيت في حياة الرسول ﷺ هم هؤلاء الأربعة دون سواهم من بني البشر.

حديث ثالث يحدد آل البيت:

أخرج مسلم في صحيحه قائلاً: حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد (وتقاربا في اللفظ) قال: حدثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل) عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن وقاص عن أبيه سعد قال:...، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «**اللهم هؤلاء أهلي**»[٢].

وقد رواه الترمذي معلقاً عليه بقوله: حديث حسن صحيح[٣].

ورواه الواحدي في أسباب النزول بسند معتبر عن جابر عن عبد الله الأنصاري[٤].

ورواه الحسكاني في شواهد التنزيل عن ابن عباس مسنداً[٥].

وقال الحسكاني معلقاً على الروايات الواردة في سبب نزول قوله: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾:

وقد تواترت الأخبار في التفاسير وفي غيرها عن عبد الله بن عباس وغيره أنّ رسول الله ﷺ أخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين وجعلوا

---

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٢٠، سنن البيهقي ٧: ١٦٣.

(٣) سنن الترمذي ٤: ٢٩٣.

(٤) أسباب النزول: ٦٨.

(٥) شواهد التنزيل ١: ١٦٠، ١٨٢.

فاطمة ورائهم ثم قال ﷺ: «هؤلاء هم أبناؤنا وأنفسنا ونسائنا»[١]....

وقد أرسل ابن الجوزي في زاد المسير الحديثَ إرسال المسلمات[٢]، ومثله فعل القرطبي؛ بل احتج الثاني بالحديث على صحة إطلاق لفظ الابن على ابن البنت؛ لأنّ الرسول ﷺ تبعاً للقرآن سمّى الحسنين أبناءً مع أنهما ابني بنته ﷺ[٣]، والسيوطي في الدر المنثور أخرج أو خرّج طرق الحديث مرسلاً إيّاها إرسال المسلمات أيضاً حيث قال: فغدا النبي ﷺ ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين فأبوا أن يلاعنوه[٤].

وقد رواه ابن شبة في تاريخ المدينة عن الشعبي وساق نحوه[٥].

على أن كتب التاريخ لم تتناس الحديث؛ فهذا اليعقوبي يرسل الحديث إرسال المسلمات أيضاً[٦]، وكذلك ابن قتيبة في الإمامة والسياسة[٧]، ومثله ابن كثير في تاريخه[٨] لكنّه أراد أن يتلاعب في مضمونه في المجلد الخامس من كتابه المشار إليه فخشي الفضيحة العلمية فماشى النّاس في المجلد السابع[٩]، وكثير غيرهم.

---

(١) شواهد التنزيل ١: ١٦٠.

(٢) زاد المسير ١: ٢٣٩.

(٣) تفسير القرطبي ٤: ١٠٤.

(٤) الدر المنثور ٢: ٣٩.

(٥) تاريخ المدينة ٢: ٥٨١.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢: ٨٢.

(٧) الإمامة والسياسة ١: ٢٠٩.

(٨) البداية والنهاية ٥: ٦٥.

(٩) البداية والنهاية ٧: ٣٧٦.

حديث رابع يحدد هوية آل البيت:

قال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا حرب بن الحسن الطحان، حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[١] قالوا: يا رسول الله! من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟

فقال ﷺ: «علي وفاطمة وابناهما»[٢].

وقد علق الهيثمي في مجمع الزوائد بقوله: رواه الطبراني من رواية حرب بن الحسن الطحان عن حسين الأشقر عن قيس بن الربيع وقد ضعفهم جماعة ولكن وثقوا كلهم[٣].

ورواه أبو نعيم بسند معتبر عن جابر[٤]، كما وقد روي عن الصحابي ابن مسعود[٥].

أقول: وعلى ذلك فالحديث صحيح مستفيض؛ فإنّ أقل ما يقال في ذلك أنّ بعض طرقه حسنة ومعتبرة؛ خصوصاً لو ضممناه إلى الأحاديث الآنفة؛ لوحدوية المضمون.

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) المعجم الكبير ١١: ٣٥١.

(٣) مجمع الزوائد ٧: ١٠٣، أقول: ولا تنحصر الطرق بهذا الطريق فهناك طرق مستفيضة أو متواترة عن ابن عباس في هذا المضمون أوردها كلها الحسكاني في شواهد التنزيل، فراجعها كلها.

(٤) حلية الأولياء ٣: ٢٠١.

(٥) انظر هامش شواهد التنزيل ٢: ١٩٢.

ومما يناسب المقام أنّ الرازي قال معلقاً على هذه الآية وأنّها مختصة بآل البيت:

وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد من التعظيم ويدل عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق، وهو ما ذكرناه من قبل من أنّ آل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه، فكل من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بهم وبين رسول الله ﷺ أشد التعلقات؛ وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

الثاني: لا شك أن النبي ﷺ كان يحب فاطمة قال ﷺ: «**فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها**»، وثبت بالنقل المتواتر عن محمد ﷺ أنّه كان يحب علياً والحسن والحسين عليهم السلام، وإذا ثبت ذلك وجب على كل الأمة مثله؛ لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ولقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ ولقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم؛ ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمداً وآل محمد**» واجب[١]...

ودلالة هذا الحديث بعد تقرير الرازي واضحة، بل هو نص على أنّ الواجبات الإسلامية لا تقف عند المتعارف من صوم وصلاة وحج وزكاة و...، بل تتعدى ذلك إلى أنّ مودة القربى (= آل البيت) واجبة وجوباً

---

(١) تفسير الرازي٢٧: ١٦٦، ذيل آية المودة.

أقل ما يقال فيه أنّه من قبيل الواجبات الإسلامية المتعارفة المهمة والتي تسمى بفروع الدين بل أكبر..

وآية ذلك أنّ المودة قد نص عليها القرآن بهذا الشكل المثير، والقرآن لا يفعل ذلك إلاّ حينما يعرض اللبنات الأساسية وعناصر بناء الدين الحنيف الذاتية من أصول وفروع ومن دروع وقائية للمحافظة عليه، ألا ترى أنّ الواجبات بل والمحرمات التي سكت عنها القرآن والتي ألقى عبء تبليغها على كاهل الرسول ﷺ ليست توازي تلك التي عرضت قيمة آل البيت عليهم السلام المنصوص عليها في القرآن؟!!!

ثم قد تكون عائشة وحفصة وباقي نساء النبي ﷺ من القربى كما تفترض ذلك بعض القواميس اللغوية، ولكن هذا لا يصار إليه إلاّ بعد الفحص كما يقول فقهاء الإسلام سنّة وشيعة، يدعوهم لهذا الأمر احتمال كون القربى مقولة وحيوية لا يتحدد معناها إلاّ على ضوء قاموس الوحي، وقد أصدقنا الوحي النبأ بقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...﴾ (١)، فقد اجمع أهل القبلة على أنّ ذا القربى في هذه الآية من له حصة من الغنيمة (=الخمس)؛ أي ذاك الذي حرمت الصدقة عليه، هذا من هذه الجهة..

ومن الجهة الأخرى أجمع أهل القبلة على أنّ أزواج النبي لم تحرم الصدقة عليهن، ومن ثم لا حصة لهن في الغنيمة، وعلى ذلك فهنّ غير داخلات في مقولة ذي القربى التي نصت عليها هذه الآية.

وإذا كان الأمر كذلك لا تجب علينا مودة أزواج النبي من خلال الأدلة أعلاه؛ لأنّها ـ وكما اتضح من تقرير الرسول ﷺ ـ مختصة بغيرهنّ، نعم قد يجب احترامهنّ ومحبتهنّ كلّهنّ أو بعضهنّ على ضوء

---

(١) الأنفال: ٤١.

أدلة أخرى، لا على ضوء الرواية أعلاه أو على ضوء الروايات والآيات الآنفة التي أوجبت المودة لأربعة فقط دون باقي البشر.

حديث خامس يحدد هوية آل البيت:

قال ابن أبي شيبة: حدثنا عمر بن سعد: أبو داود الحفري، عن شريك عن الركين عن القاسم بن حسان عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: **«إني تارك فيكم الخليفتين من بعدي؛ كتاب الله وعترتي؛ أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»**[(١)].

ورواه مسلم النيشابوري عن زيد بن أرقم بعدة طرق وساق نحو ما تقدم؛ وفيه نفى زيد بن أرقم أن تكون نساء الرسول ﷺ من أهل بيته[(٢)] وقد نص الترمذي بالحسن على بعض طرقه[(٣)].

وقد رواه الحاكم بعدة طرق عن زيد بن أرقم كلها صحيحة إمّا على شرط الشيخين وإمّا على شرط مسلم (كما نص هو)، ولكن فيها زيادة، وهي أنّ الرسول ﷺ بعد أنْ ذيّل حديث الثقلين بقوله: **«لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»** قال ﷺ: **«إنّ الله عزوجل مولاي، وأنا مولى كل مؤمن»** ثم أخذ بيد علي فقال ﷺ: **«من كنت مولاه فهذا علي مولاه؛ اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه»**[(٤)].

---

(١) مصنف بن أبي شيبة ٧: ٤١٨، وقد نص الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٦٢، إن اسناد الحديث جيد.

(٢) صحيح مسلم ٧: ١٢٣.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٣٢٩، وانظر سنن النسائي الكبرى ٥: ٥١، خصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي: ٩٣.

(٤) مستدرك الحاكم ٣: ١١٠، ٥٣٣.

ورواه فيما عدا ذلك أبو سعيد الخدري[١] وأمير المؤمنين علي عليه السلام[٢] وحذيفة بن أسيد الغفاري[٣] وفيه: «**لن ينقضيا حتى يردا عليّ الحوض**».

عزيزي القارئ: وما رواه حذيفة بن أسيد الغفاري نص على أنّ أهل البيت عليهم السلام: لن ينقضوا حتى يردوا مع الكتاب الحوض على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا يعني أنّ علياً وفاطمة والحسن والحسين (= أهل البيت) لن ينقضوا..

ولكن كلام الرسول صلى الله عليه وآله هذا امّا أن يكون لغو، وإمّا أن يقال: إنّ آل البيت عليهم السلام لن ينقضوا بملاحظة استمرار وجودهم القدسي وحياة مبادئهم الوحيوية خلال أبنائهم المعصومين (= الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا)، وحاشا الرسول صلى الله عليه وآله من اللغو.

والكلام هو الكلام في تفسير: «**لن يفترقا**» فبعد أن تحقق العلم القطعي خلال طوائف الروايات المارة المحددة لهوية أهل البيت أنّهم عليهم السلام الأربعة: عليّ وفاطمة والحسن والحسين؛ جاء الرسول صلى الله عليه وآله وقال: «**لن يفترقا** (= لن ينقضيا) **حتى يردا عليّ الحوض**» ومعنى ذلك استمرار وجودهم السماوي عليهم السلام مقترنين بالكتاب حتى ساعة الحوض.

ولا يلائم استمرار وجود علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام حتى ساعة الحوض إلاّ افتراض أنّ الآتين ممّن قام مقامهم في الاقتران بالكتاب هم من ذريتهم في الجملة؛ وليسوا هم سوى المعصومين

---

(١) السند لعمرو بن أبي عاصم؛ ٦٣٠، ومسند علي بن الجعد: ٣٩٧، مسند أبي يعلي ٢: ٢٩٧، المعجم الصغير ١: ١٣١.

(٢) السنة لعمرو بن أبي عاصم: ٦٣١.

(٣) المعجم الكبير ٣: ٦٧، ومجمع الزوائد ١٠: ٣٦٣، وقد أشار الهيثمي إلى أنّ سنده صحيح أو حسن فراجع.

التسعة من ذرية الحسين عليه السلام..

نقول هذا حذراً من لزوم لغوية القرآن في قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فلو كان أهل البيت من غير ذرية علي وفاطمة والحسن والحسين؛ لزم استعمال أهل البيت في أكثر من معنى وهو باطل في جميع الصور والفروض.

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ جمع الروايات المارة كلها مع رواية الثقلين أعلاه حددت مقولة أهل البيت (آل البيت) بالأربعة: علي وفاطمة والحسن والحسين دون سواهم من بني آدم، وفوق ذلك وبملاحظة آية التطهير والآيات الأخرى وبملاحظة حديث الثقلين نقطع أنّ أهل البيت (= الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهير) هم موجودون في كل زمان، وهم امتداد حقيقي لأولئك الأربعة المقدسين، الذين اجتباهم الله واصطفاهم على العالمين.

وقد لا نحتاج إلى أن نخوض فيما تقدم؛ إذ بعد ثبوت أنّ أهل البيت هم أولئك الأربعة المقدسين عليهم السلام؛ فإن من وظيفتهم التي لا محيد لهم عنها بحكم كونهم قرناء الكتاب أن يبينوا لنا من هم أهل البيت الذين يتلونهم والذين يحققون مصداقاً كاملاً لقول الرسول ﷺ في حديث الثقلين في الأزمان التالية لهم حتى ساعة الحوض.

وإذن؛ فليس من المنهج العلمي الصحيح أن نتحدث عن من هم أهل البيت فيما بعد أولئك الأربعة المقدسين؛ ضرورة أنّ أولئك الأربعة هم قرناء الكتاب، ولما كانوا كذلك لا ينبغي تناسيهم في تعيين أهل البيت في الأزمان التي تتلوهم عليهم السلام؛ إذ هم من ألقى الله والرسول ﷺ على عاتقهم أن يبينوا وأن يؤدوا هذه الوظيفة، والمجاميع الحديثية للمدرسة الوحيوية شاهدة وناطقة بأنّ الرسول ﷺ عين أهل البيت

بهؤلاء الأربعة، ومن ثم عين هؤلاء الأربعة من يتلوهم مباشرة على التوالي حتى ساعة الحوض، ابتداءً من سيد الساجدين علي بن الحسين...، حتى محمد بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا الله من أتباعه.

وعلى الرأيويين أن يعلموا أنّ تعيين أهل البيت من خلال أولئك الأربعة حجة عليهم؛ لأنّ الرسول ﷺ حكم أنهم من أهل البيت وأنهم قرناء الكتاب، وأنهم الهداية ما إن أخذ بهم، والاهتداء إلى أهل البيت الذين هم موجودون في كل زمان حتى ساعة الحوض ينحصر ببيان أولئك الأربعة دون غيرهم..

لأنّ أهم وظيفة مقدسة تتصور في حق الأربعة عليهم السلام من قوله ﷺ: **«كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن أخذتم بهما لن تضلوا ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض»** هو تعيين من يتلوهم؛ بداهة أنّ ذلك من أوضح مصاديق رفع الضلال، أو قل من أوضح مصاديق الأخذ عنهم لرفع الضلال؛ لليقين كما هو نص حديث حديث الثقلين أن الضلال لا يرتفع بالكتاب وحده ولا بالسنة النبوية منضمة إليه بل بهما في إطار الاقتران بأهل البيت؛ وما ذلك إلاّ لأنّ أهل البيت أوعى البشر لكتاب الله وأحفظ بني آدم لسنة رسول الله ﷺ، والأخذ عن غير أولئك الأربعة عليهم السلام في تعيين من يتلوهم ضرب صريح لحديث الثقلين المتواتر عرض الجدار، ورد على الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، الذي حصر الأخذ عنهم والاهتداء بهم دون سواهم من العالمين.

وإذا قال الرأيوي: لا نجد في مجاميعنا الحديثية التي تروى عن سلفنا أنّ فاطمة وعلياً والحسن والحسين قد عينوا من يتلوهم...؟

قلنا: عن أيّ مجاميع تتحدث؟ وقد قتل أسلافكم الزهراء عليهم السلام خلف الباب وقتلوا علياً في محراب العبادة ثمّ الحسن مسموماً

غدراً وخيانة ثم الحسين في كربلاء هو وأهل بيته عليهم السلام، سابّين لهم على المنابر، قاتلين لكل من كان أسمه حسناً أو حسيناً أو علياً من شيعتهم؟

فهل يأتي أسلافكم ليرووا أنّ أهل البيت الذين يتلونهم هم السجّاد والباقر و... ﷺ؟.

وشر البلية ما يضحك!!!.

ولولا أنّ الله تعالى والرسول ﷺ ضمنا لنا بقاء الدين وضمنا لنا إبقاء شعلة الحق ولو كره القرشيون، لما سمعنا اليوم بعلي ولا بالحسن ولا بالحسين ولا بالزهراء إلا على أنّهم خوارج أو كفرة!!! وحاشاهم والله فلولاهم لما بقي دين ولا أيّ شيء.

ولا تعجب من ذلك فهذا هو ما صوّره الأمويون على مدى ثمانين عاماً للناس حينما كانوا يسبونهم على المنابر؟

وهذا هو ما ألصقه الأمويون وأهل الشام تبعاً لهم بالإمام السجاد عليه السلام وبآل بيت الرسالة بعد واقعة كربلاء حينما جيء بهم أسرى؟

ولكن يأبى الله إلاّ أن تصل إلينا حقائق السماء المتجسدة بآل البيت ناصعة ولو كره الأمويون وغيرهم، ولا رادّ لحكم الله.

ذاتيات مقولة أهل البيت في قاموس الوحي:

ذكرنا أنّ «أهل البيت» في نظرية الإسلام ليست هي مفردة لغوية؛ بمعنى أنّ قواميس اللغة لا تنهض لتحديد مقولة إسلامية حدد الله تعالى معناها من فوق سبع سماوات، بلى حدد الرسول ﷺ أهل البيت بعلي وفاطمة والحسن والحسين، وقد أمر الرسول ﷺ بالأخذ عنهم للاهتداء إلى أهل البيت من ذراريهم، ولكن هذا لا يمنعنا من أن نتحدث عن

المقومات الذاتية لمقولة أهل البيت الإسلامية..

والذي نريده من خلال ذلك الوقوف على المقومات الذاتية العامة والهيكل العام في رسم حدود هذه المقولة الوحيوية، فما هي إذن هذه مقومات هذه المقولة السماوية الوحيوية؟

نقول: هي كالآتي:

١ ـ إذهاب الرجس عنهم؛ لقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ...﴾ وهو يعني مفارقة الذنوب والآثام بالكامل.

٢ ـ التطهير المطلق لهم؛ لقوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وهو يعني الطهارة التكوينية من كل ما من شأنه تدنيس الذات.

٣ ـ التلاحم الذاتي مع الكتاب؛ لقوله ﷺ: **«لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»** وهو يعني أنّ أهل البيت والكتاب مظهران لحقيقة واحدة وجوهر واحد.

٤ ـ وجوب الصلاة عليهم حين الصلاة على الرسول؛ لما تواتر عن الرسول ﷺ في ذلك؛ ولمضامين الروايات الدالة على حرمة بتر الصلاة؛ ولقوله ﷺ في رواية علي عليه السلام: **«اللهم هؤلاء (علي وفاطمة والحسن والحسين) آلي؛ فصل على محمد وآل محمد»**[1]، ولغير ذلك من أقوال الرسول ﷺ.

٥ ـ إنّ أعمال المسلم من صوم وصلاة وحج وزكاة وكل عباداته وسائر أفعاله وتروكاته، ليست نافعة له ويدخل النار لا محالة لو كان مبغضاً لآل البيت؛ لقوله ﷺ: **«فلو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام**

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٧ ـ ١٤٨، وقد خرج الهيثمي نحوه في مجمع الزوائد ٩: ١٦٩ مصرحاً بصحته.

فصلى وصام ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد دخل النار» ولعشرات من أقواله ﷺ في هذا المضمون.

وقد أكثرنا القول بأنّ هذا الحديث صحيح على شرط مسلم كما نص عليه الإمامان الحاكم والذهبي، وهو من رواية ابن عباس[١]، وقد أورد الحاكم في مستدركه شاهد له من رواية أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله النار»** وقد نص الحاكم على أنّه صحيح على شرط مسلم أيضاً[٢].

وبالجملة هذه بعض المقومات الذاتية سردناها بعجالة لتحديد أركان هذه المقولة المقدسة، ودعوى أنّ هذا الشخص أو ذاك هو من أهل البيت من دون المرور بهذه المقومات تلاعب واضح بمبادئ الدين وبمقررات الرسالة.

الاستدلال بالإجماع على وجوب ضم الآل:

في المرحلة النظرية لا خلاف بين المسلمين في محبوبية ومسنونية الصلاة على الآل حينَ الصلاة على الرسول ﷺ..

قال ابن القيم: آل النبي يصلّى عليهم بلا خلاف بين الأمة[٣].

ولكن هل يجب ضم الآل للرسول ﷺ في الصلاة على النبي ﷺ في مطلقاً في التشهد أو في غيره؟

أما الشيعة الإمامية فقد أجمعوا على ذلك وممّن نقل الإجماع الشيخ الطوسي والعلامة..

---

(١) مستدرك الحاكم ٣: ١٤٩، تلخيص المستدرك ٣: ١٤٩.

(٢) مستدرك الحاكم ٣: ١٥٠.

(٣) جلاء الأفهام: ٣٥٠.

قال الطوسي: الصلاة على آل النبي ﷺ في التشهد واجبة، وقال أكثر أصحاب الشافعي: إنّه سنة، وقال التريجي من أصحابه هي واجبة [١].

دليلنا: إجماع الفرقة [٢].

وقال العلامة الحلي: وتجب الصلاة على آله عليهم السلام عند علمائنا أجمع وأحمد في احدى الروايتين عنه، وبعض الشافعية [٣].

وقال ابن القيم: واختلف موجبو الصلاة على النبي في وجوبها على آله على قولين مشهورين لهم؛ وهي طريقتان: أحدهما: أنّ الصلاة واجبة على النبي وفي وجوبها على الآل قولان للشافعي، والطريقة الثانية: أنّ في وجوبها على الآل وجهين وهي الطريقة المشهورة عندهم، والذي صححوه أنها غير واجبة عليهم.

واختلف أصحاب أحمد في وجوب الصلاة على آله، وفي ذلك وجهان عندهم، وحيث أوجبوها؛ فلو أبدل لفظ الآل بالأهل فقال: «اللهم صل على محمد وأهل محمد» ففي الإجزاء وجهان.

وحكى بعض أصحاب الشافعي الإجماع على أنّ الصلاة على الآل مستحبة لا واجبة [٤].

كما قلت لا خلاف بين المسلمين في محبوبية الصلاة على الآل حين الصلاة على الرسول ﷺ..

أمّا الشيعة وطبقاً للأدلة المارّة فيحرّمون الصلاة البتراء في كل حال،

---

(١) المجموع ٣: ٦٥.

(٢) الخلاف للشيخ الطوسي ١: ٣٧٣ / م ١٣٢.

(٣) التذكرة ٣: ٢٣٣.

(٤) جلاء الأفهام: ٣٥١.

سواء أوَجَبَت الصلاة على الرسول ﷺ كما في صورة التشهد أم لم تجب كما في باقي الأحوال على خلاف في وجوبها سنتعرض له فيما بعد..

وأمّا أهل السنة فمشهورهم (وهذا من الناحية النظرية فقط) قد انعقد على محبوبية الصلاة عليهم تبعاً للصلاة على الرسول ﷺ في كل حال، ولكن من دون القول بالوجوب أو بحرمة الصلاة البتراء، سواء أوَجَبَت الصلاة على الرسول ﷺ أم لم تجب..

وبعبارة أخرى: سواء أقالوا بوجوب الصلاة على الرسول ﷺ أم لم يقولوا ففي كلا الفرضين لا تجب عندهم الصلاة على الآل تبعاً للرسول ﷺ ولا يحرّمون الصلاة البتراء.

هذا هو مشهورهم، وقد شذّ بعضهم وقال بوجوب الصلاة على الآل حين الصلاة على الرسول ﷺ، وكأنّه قائل بحرمة الصلاة البتراء، وسنوضح ذلك لا حقاً.

أهل السنة وغريزة التراث الرأيوي:

برهنا في كل بحوثنا أنّ تراث أهل السنة عموماً قد تأسس على ضوء آيديولوجية الازورار عن الآل، والصلاة على الآل تبعاً للصلاة على الرسول من أوضح الأمثلة على ذلك؛ فأهل السنة قاطبةً لا يصلون على الآل في طول صلاتهم على الرسول ﷺ اللهمّ إلاّ من شذ كما ستعرف، وهذا هو ما نراه جلياً في سلوكهم في مسلسل التاريخ، فخطباؤهم وعلماؤهم ومحدثوهم وفقهاؤهم كأنهم قد أطبقوا في المرحلة العملية على عدم ذكر الآل في الصلاة على الرسول ﷺ.

إنّ أحسن ما يقال في تفسير هذه الظاهرة هو أنّ غريزة التراث الرأيوي يمنعهم منعاً باتاً من متابعة الوحي الذي أمر بالصلاة عليهم، على أنّ الخطير في الأمر أنّ الكلام لا يقف عند الغريزة وحسب؛ فهناك محاذير

عقائدية جمّة أرتكبها علماء أهل السنة بترك الصلاة على الآل؛ فأنت قد رأيت بأمّ عينيك أنّ كل روايات أهل السنة الواردة في كيفية الصلاة على النبي آمرة بالصلاة على الآل كما هي آمرة بالصلاة على النبي ﷺ سواء بسواء حذو القذة بالقذة.

وتتجلى خطورة المسألة في أنّ هذه الروايات متواترة سنداً فضلاً عن كونها صحيحة على شرط هذا أو ذاك، وهي أيضاً متواترةٌ لفظاً أو معنىً، ولا ريب في أنّ إهمال العمل بالمتواتر من أوضح الردود الصريحة على الله تعالى وعلى الرسول ﷺ، وهذا عزيزي القارئ بعد آخر من الأبعاد التي تبلور لنا ما أطلقنا عليه بالسيئة النوعية؛ فإنّ مجرد مجاراة قرارات المدرسة اللاعلوية (= الرأيوية) كما فيما نحن فيه هو رد على الله وعلى الرسول ﷺ بإهمال المتواترات السماوية عن عمد، وكل ذلك في ضوء فلسفة الازورار عن الآل.

وقد يحق لنا أن نقول إنّ المدرسة الرأيوية تتعبد لله بما جاء في القرآن وسنة الرسول ﷺ ولكن إلى الحد الذي لا وجود للآل فيه، وهذا بحد ذاته طامّة؛ لأنّه مصداق واضح جداً لقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ولأنّه أوضح من أوضح أمثلة الرد على الله وعلى الرسول ﷺ القائل: «**إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»...

ومهما خرّج (= برر) علماء أهل السنة من تخريجات فقهية لإهمال الآل في عملية الصلاة المحمدية بقسميها الواجب والمستحب؛ فهم على الدوام أمام محذور لغوية الرسول ﷺ أو محذور ضرب سنّته المتواترة عن عمد؛ لأنّ كل روايات الإسلام الواردة في كيفية الصلاة ذكرت الآل على أنّه جزء من أجزاء صيغة الصلاة المقدسة، ويلزم من عدم الإقرار بذلك عملياً اتهام الرسول ﷺ باللغوية فضلاً عن كونه ردٌّ صريح ومباشر

على ساحة قدسه ﷺ؛ وآية ذلك أنّ الرسول ﷺ بعد أن سئل كيف نصلي قال: «قولوا» وهو ظاهر في الوجوب باتفاق أهل القبلة، بل باتفاق عقلاء بني الإنسان..

وإذا كان الأمر كذلك فما هو المسوغ أو الدافع لصنيع اللاعلويين من علماء أهل السنة المتقاطع مع أهداف السماء المصبوبة في قالب المتواترات الإسلامية الواضحة والجلية؟

لا جواب سوى أن نقول: إنّه التراث الرأيوي اللاعلوي، وإنّها الغريزة التراثية التي لجج القرشيون بعيد وفاة الرسول ﷺ أو في حياته في جعلها ديناً عبر عمليات الأسطرة والأدلجة، وقد مرّ عليك في الفصول السابقة أنّهم صوّروا آل بيت رسول الله ﷺ زبالة والعياذ بالله..

هذا هو أساس التراث الذي ورثه الأمويون عن قريش، وقد جسّموا ذلك شرّ تجسيم في كربلاء وفي الحرة وفي دفن الناس أحياء وفي قتل كل من كان اسمه علياً أو حسناً أو حسيناً، وهو ما جسّموه أيضاً بسب علي وآل البيت ثمانين سنة على منابر الجحود ومساجد الطغيان ومحا ريب البروز لله بالعداوة..

وحينما تصل نوبة الحديث عن العباسيين لا نتحدث عن شيء جديد؛ فكل ما اجترحه الأمويون تبعاً لقريش تحت تأثير تلك الغريزة اللاسماوية اجترحه العباسيون ولكن بلباس عباسي هذه المرة، والأمر هو الأمر مع الأيوبيين في مصر والعثمانيين والسلاجقة وغيرهم..

وآية كل ذلك أنّ النظرية الإسلامية المطروحة من قبل أهل السنة على أنّها الإسلام ولا شيء سواه قد اغترفت من مشرعة أولئك الذين لا ينسجمون مع الآل قليلاً أو كثيراً؛ إذ هي قد اغترفت من مشرعة أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وزيد بن ثابت وأبي هريرة وعبد الله بن عمر وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص وابنه

عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأخبار ثمّ من مشرعة الطلقاء عموماً...، هذا في الصحابة..

وفي التابعين وأتباع التابعين اغترفت عن أمثال الإمام الزهري قاضي قضاة الأمويين واغترفت عن أمثال مالك بن أنس الذي يعتقد كما توحي بعض كلماته بأنّ علياً سفاك للدماء؛ والذي يصرح كما تقدم عليك بأنّه لا يأخذ الدين والرواية عن آل بيت رسول الله ﷺ.

وإذا كان الأمر كذلك فهل يقنعنا أهل السنة اليوم بتخريجاتهم العلمية اللامتوازنة فيما يتعلق بالعقيدة الإسلامية وفيما يتعلق بنظرية الحلال والحرام المطروحة من خلالهم، بعد اليقين بأنّها بنيت تاريخياً على ضوء ما صاغه ابن عبّاس بقوله: لعنهم الله فقد تركوا السنّة بغضاً لعلي، وعلى ضوء غريزة التراث الرأيوي اللاعلوي، وعلى ضوء فلسفة الازورار عن الآل؟

إن مشروعية هذا التراث الرأيوي اللاعلوي؛ إذا تحدثنا عن مشروعية كل ما هو ملصق بالإسلام، هو موقف قريش الطليقة الذي صاغه عمر بعيد وفاة الرسول ﷺ بقوله: اختارت قريش لنفسها فوفقت وأصابت؛ وذلك حينما نصبت أبا بكر للخلافة، وبقوله لابن عباس: كرهت قريش أن تجتمع في بني هاشم النبوة والخلافة فتبجحوا بجحاً، وذلك حينما ضربوا بعلي عليه السلام عرض الجدار في ضوء فلسفة الازورار تلك.

كل هذه الأمور تنبئ عن أنّ كل موقف سلبي متخذ من الآل يدور في دائرة الصراع التاريخي بين الوحي الذي يدور مع الآل حينما داروا وبين الرأي الذي يدور مع أولئك المنصاعين لفلسفة المصلحة على حساب كل شيء ولغريزة التراث الرأيوي القرشي حيثما داروا.

وإذن فجوهر المسألة صراع قريش المفروض على مسيرة الوحي المتجسّدة بآل البيت عليهم السلام على ضوء سياسة القَرْيَشَة، وليست هي تخريجات

فقهية لمسائل الحلال والحرام الإسلامية.

ومن الخطأ الفضيع (وهو الذي ارتكبته المناهج الكلاسيكية) أن ندخل في حوار علمي مع الرأيويين حول صحة تلك التخريجات وخطأها فقهياً وأصولياً وحسب؛ إذ لابد من الدخول في حوار جدي حول التراث المبني على تلك الفلسفة اللاإنسانية واللاإسلامية، والتي تعزف سمفونية الازورار عن الآل الصاحبة عبر أربعة عشر قرناً بلا انقطاع!!.

وفي مقدمة هذ الكتاب أوردنا لك طرفاً مما صرح به بعض علماء الرأيويين ممّا هو آية على كل ما قلنا؛ فهم يتركون ما هو ثابت عن الرسول ﷺ بيقين لمجرد أنّ الشيعة يتعبدون به؛ وغاية ما عندهم من تخريج فقهي لذلك هو مزعمة مخالفة شعار الرافضة؛ ضاربين بالوحي وبما جاء به عرض الجدار..

ولكن إذا كان الأمر كذلك لم ينس أهل البيت العصمة دواء هذا الداء؛ وذلك حينما قالوا: (ودعوا ما وافق القوم فإنّ الرشد في خلافهم)[1].

فإنّ أقل ما يقال في تفسير هذا القول الصادر عن خضم الصراع الرأيوي ـ الوحيوي أنّ الإمام عليه السلام أمر بترك كل ما وافق العامة إذا كان في إطار شعار رغماً لأنوف الشيعة؛ أو إذا كان في إطار: (لعنهم الله تركوا السنة من بغض علي) كما قال ابن عبّاس..

(١) الكافي ١: ٧.

الفصل السادس

بحوث لغوية وفقهية في الصلاة

بحوث لغوية وفقهية في الصلاة

الفصل بين الرسول والآل بـ «على»:

تقطع المدرسة الوحيوية بأنّ الفصل بين الرسول ﷺ وبين آله بحرف الجر «على» في عملية الصلاة (على خصوص النبي ﷺ)[1] ليس له أصل عن الوحي.

وترجع سبب ذلك الى أنّ النصوص الإسلامية المعتبرة والتي هي متواترة باعتبار مجموعها والسالمة من تأثير غريزة التراث لم تتعرض لحرف الجر بالذكر..

أمّا نصوص المدرسة الوحيوية فواضحة تماماً في هذا الأمر حسبما مر تفصيل البحث فيه..

وأمّا نصوص المدرسة الرأيوية؛ فهي وإن كانت متفقة على ضرورة ذكر الآل في عملية الصلاة؛ إلاّ أنّها من جهة أخرى مرتبكة أيّما ارتباك فيما يتعلق بحرف الجر على.

فبعضها نصٌ صريحٌ على أنّ حرف الجر «على» لا وجود له في تشريع كيفية الصلاة..

---

(١) وضعت هذه الجملة بين قوسين لعناية علمية مهمّة ستقف عليها قريباً.

روايات أهل السنة التي لا تفصل بـ «على»

في ذلك مجموعة من الروايات نوردها لك كالآتي:

الطريق الأول: (رواية الصحابي كعب بن عجرة)

قل أبو داود: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى لقيني كعب بن عجرة فقل:....، قال رسول الله ﷺ: **«قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد...»**[1].

الطريق الثاني: (رواية الصحابي كعب بن عجرة أيضاً)

قال النسائي: أخبرنا سويد بن نصر، قال حدثنا عبد الله عن شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى به[2] وفيه عين ما ساقه أبو داود في الطريق السابق؛ أي من دون «على».

الطريق الثالث: (رواية أبي مسعود؛ عقبة بن عمرو)

قال الإمام أحمد: حدثنا عثمان بن عمرو، أخبرنا مالك عن نعيم أنّ

---

(١) سنن أبي داود ١: ٢٢١ / ٩٧٦.

(٢) سنن النسائي ٣: ٤٨، ورواه الطبراني في الأوسط كذلك بقوله: حدثنا أبو مسلم قال حدثنا الربيع، قال حدثنا مالك بن مغول عن الحكم عن ابن أبي ليلى به.

كما ورواه في المعجم الكبير ١٩: ١١٦ من طريق آخر بقوله: حدثنا معاذ بن المثنى عن مسدد، حدثنا عبد الوارث عن ليث عن مجاهد عن ابن أبي ليلى عن كعب بن عجرة...، وخرجه ابن الملقن في كتابه خلاصة البدر المنير ١: ١٤٠.

محمد بن عبد الله بن زيد الأنصاري (الذي أري النداء) أخبره عن أبي مسعود الأنصاري قال:... فقال رسول الله ﷺ: «**قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد**»(١).

الطريق الرابع: (رواية أبي هريرة)

قال الإمام الشافعي: أخبرنا إبراهيم بن محمد صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «**قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد...**»(٢).

الطريق الخامس: (رواية لأبي هريرة)

قال الإمام النسائي: أخبرني سعيد بن يحيى بن سعيد في حديثه عن أبيه عن عثمان بن حكيم عن خالد بن سلمة عن موسى بن طلحة قال سألت زيد بن خارجة... قال: فقال رسول الله ﷺ: «**صلّوا علي واجتهدوا في الدعاء وقولوا: ‹ اللهم صل على محمد وآل محمد**»(٣).

ورواه أيضاً في عمل اليوم والليلة كما رواه آنفاً في سننه الكبرى(٤).

الطريق السادس: (رواية ابن مسعود)

قال الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا محمد بن يحيى القطيعي، حدثنا محمد بن بكر البرجاني، حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد حدثني مجاهد قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو معمر؛ قال:

---

(١) مسند أحمد ٤: ١١٨.

(٢) مسند الشافعي: ٤٢.

(٣) سنن النسائي الكبرى ٦: ١٩.

(٤) عمل اليوم والليلة ١: ١٦٢.

علمني ابن مسعود، وقال علمني رسول الله ﷺ: «... **اللهمّ صل على محمد وآل بيته كما صليت على إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وأهل بيته كما...**»[1].

الأصل زيادة حرف الجر «على»:

عزيزي القارىء هذه الطرق الصحيحة المروية عن خمسة من الصحابة كلّها خالية عن حرف الجر «على» الأمر الذي إن دل فهو يدل على أنّ الأصل في «على» هو الزيادة؛ وآية ذلك أن علماء النحو يحكمون بهذا الأصل في صورة بقاء الكلام على الاستقامة والسلاسة بعد حذف حرف الجر؛ لوضوح أنّ ألفاظ الصلاة على ضوء صيغة «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» أكثر استقامة ثم هي أسلس ممّا لو كانت على ضوء صيغة «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**»..

مضافاً إلى أنّ النص الثاني فيه مؤونة زائدة والأول ليست فيه تلك المؤونة، والذي نقصده بالمؤونة الحشو في الكلام؛ ولا ريب في أنّ كلام الله تعالى ومثله كلام الرسول ﷺ منزه عن مثل هذا الحشو؛ لأنّ الرسول ﷺ أفصح من نطق بالضاد، ومعلوم أنّ الفصاحة والحشو أمران لا يجتمعان.

وننبه على أنّنا نذهب إلى أنّ حرف الجر «على» زائد إنّما هو في صورة تبعية الصلاة على الآل للصلاة على الرسول ﷺ، لا الصلاة على الآل على نحو الاستقلال في الصيغة التي تقول: «**اللهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد**» فإنّ حرف الجر في الفرض الثاني ليس زائداً..، وسنوضح ذلك قريباً!

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ١٠: ٥٤.

أهل السنة يعترفون بالزيادة!

وليس هذا الذي قلناه بدعاً من القول؛ فأهل السنة يعترفون بهذه الزيادة؛ فهذا المناوي يقول (معلقاً على خطبة السيوطي التي قال فيها: صلى الله على محمد وعلى آل محمد):

فإن قلت: هل لإتيان السيوطي بلفظ «على» هنا من فائدة؟

قلت: نعم، وهي الإشارة إلى مخالفة الرافضة والشيعة؛ فإنّهم مطبقون على كراهة الفصل بين النبي وآله بلفظ «على» وينقلون في ذلك حديثاً[1].

وفي نص المناوي هذا عدة حقائق:

الحقيقة الأولى: إنّ لفظ «**على**» لا فائدة فيه حسب مقررات علم النحو، ولو كانت لبانت أو لذكرها المناوي الذي نفى أن تكون فيه فائدة سوى مخالفة الرافضة أو الشيعة كما زعم.

الحقيقة الثانية: إنّ من أهداف أهل السنة مخالفة الشيعة أو قل مخالفة رسول الله لمجرد التشيع، حتى لو كان مورد المخالفة ثابت عن رسول الله ﷺ ومن صميم نظرية الإسلام دونما شبهة، وقد صرّحوا بذلك في الجهر بالبسملة الذي عدلوا عنه إلى الإخفات لمجرد أنّ أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يجهر، وفي تسطيح القبور ـ الذي هو من سنة النبي ﷺ ـ الذي عدلوا عنه إلى التسنيم لمجرد أنّه صار شعاراً للروافض، وفي ترك القنوت في صلاة الصبح الثابت عن الرسول ﷺ بيقين لمجرد أنّ الشيعة تتعبد به، وغير ذلك الكثير، قد أوردنا بعضه في مقدمة هذا الكتاب.

وعلى هذا وعلى ما ضوء ما قرره المناوي فإنّ إضافة «على» في عملية

---

(١) فيض القدير ١: ٢ ـ ٢٣.

الصلاة شيء مقصود، وهو ضمن مشروع ضخم يهدف إلى إرباك مسيرة التشيع التي هي في طول مسيرة الوحي؛ ولست مغالياً أو مجازفاً إذا قلت: إنّ صنيع أهل السنة هذا هو ضمن مشروع إماتة الحس الديني ومحو الهوية الوحيوية المتجسدة بوضوح في مدرسة الرسول ﷺ.

وآية كل ذلك أنّ كل الموارد التي ذكرها أهل السنة في إطار شعار: رغماً لأنوف الرافضة أو في إطار: لأنه صار شعاراً للرافضة أو الشيعة؛ هي موارد ثابتة عن الرسول ﷺ وعن الإسلام كما اعترفوا هم بذلك قبل غيرهم..

وقد تسأل عزيز القارىء وتقول: ليس من المعقول أن يجازف أهل السنة بمبادىء الإسلام الثابتة وبمقررات الوحي والرسول ﷺ ويخالفوها بهذه البساطة من دون أن يستندوا إلى وجه شرعي يسوّغ لهم ذلك؛ فما هو؟

أقول: هذا السؤال موضوعي للغاية؛ والوجه الشرعي الوحيد هو مبادىء قريش التي صاغها عمر بقوله: «كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم» وأنت تعلم أنّ المورد لا يخصص الوارد؛ بمعنى أنّ قريشاً ومن لف لفها متحفظون من كل ما من شأنه تقوية جانب علي ومدرسته (= الشيعة)، والمناوي في نصه الأنف أومأ إلى أنّ مسألة الخلاف مع الشيعة ليست هي بحثاً فقهياً لا غير، بل هي صراع على الشعار وعلى التراث وعلى الهوية؛ فافهم.

الحقيقة الثالثة: ذكر المناوي أنّ الشيعة يروون في عدم الفصل بحرف الجر «على» حديثاً، وهو إمّا جهل محض من عالم مثله وإمّا تجاهل عن عمد!

بلى، يروي الشيعة ما خرّجه النوري في مستدرك الوسائل بقوله: وجدت بخط فخر المحققين في أجوبته لمسائل السيد حيدر الآملي ما لفظه:

نقل عن النبي ﷺ: **«لا تفرقوا بيني وبين آلي بعلى»**[١]..

ولكن هل هذا الحديث هو كل ما عند الشيعة في ذهابهم إلى عدم الفصل بـ«على»؟

إنّ المناوي يريد أن يوهم بأنّ ما ذهب إليه الشيعة يدور مع هذا الحديث إثباتاً ونفياً، وهو تلاعب بل سفسطة؛ فكما عرفنا فإنّ أدلة الشيعة إلى ما ذهبت إليه من عدم الفصل هو مجموع الروايات المتواترة السنية والشيعية الواردة في بيان كيفية الصلاة التي أمعنّا البحث فيها في الفصول السابقة؛ والتي أثبتت بضرس قاطع أنّ «على» زائدة ومن حشو الكلام؛ إذ ليس في الروايات التي سقناها لك من وجود لحرف الجر «على» وإن وجد في بعض الروايات السنية فلحاجة في نفس الرأيويين قضوها، وهي التي صرح بها المناوي آنفاً بقوله: رغماً لأنوف الشيعة..

على أنّ أقل ما يقال في روايات أهل السنة أنّها مضطربة من هذه الجهة؛ لأنّ بعضها ذكر حرف الجر والآخر لم يذكره، ولكننا لا نستسلم للاضطراب مع وجود المرجح، وهو في المقام في صف الروايات التي لم تتعرض بالذكر للحرف«على»..

أمّا أولاً: فلأنّ حرف «على» لا فائدة فيه وزائد وهو من حشو الكلام كما هي مقررات علم النحو، وكما هو صريح المناوي الآنف.

وأمّا ثانياً: فلأنّنا لا يسعنا أن نتناسى غريزة التراث التي ساقت كل الرواة الراوين في كيفية الصلاة إلى أن يرووا الروايات بإضافة الحرف «على» عن عمد وعن غير عمد؛ تلك الغريزة التي أعلن التاريخ بوضوح أنّها لا تلتقي مع الآل لا من قريب ولا من بعيد.

هذا وقد فات المناوي أنّ هناك رواية رواها أهل السنة أنفسهم

---

(١) مستدرك الوسائل للنوري ٥: ٣٥٦.

خرّجها العجلوني في كشف الخفاء[1] بلفظ «علي» بالياء المثناة لا بالألف المقصورة، ولكن لا أرى ضرورةً لخوض البحث فيها؛ لأنّها لم تثبت عندي؛ علاوة على أنّ كثيراً من العلماء جزموا بكونها موضوعة، ومنهم العجلوني في كتابه المشار إليه.

ومهما يكن من أمر فلم يقف أمر الشيعة فيما ذهبوا إليه جازمين به على ما خرّجه النوري في المستدرك، بل لعلهم في حدود تتبعي لم يلتفتوا إلى ذلك؛ لأنّ حجتهم في عدم الفصل وكما فصلنا القول فيه في الفصول السابقة، هي مجموع كل روايات الشيعة الواردة في بيان كيفية الصلاة والتي ليس فيها «على» مضافاً إلى ذلك كل روايات أهل السنة الصحيحة التي لم تذكر «على» والواردة في بيان كيفية الصلاة أيضاً.

ومن النتائج المهمة التي نخلص إليها من مجموع ذلك هو أنّ الفصل بـ «على» عملية مدروسة من قبل أهل السنة بل هي عملية ضمن مشروع محو الهوية الشيعية تمخضت عن عملية الصراع التاريخي بين المدرستَين الوحيوية والرأيوية؛ الأمر الذي يبلور أهمية البحث في الصلاة بموضوعية، لا كما طرحته المناهج الكلاسيكية بشكل ساذج غير مقنع.

الحرف «على» بين الزيادة والنقصان:

وينبغي أن ننبه على أنّ موقفنا السلبي من الفصل بحرف الجر «على» بين محمد ﷺ وبين آل محمد على ضوء الروايات المارّة إنّما هو في خصوص الصلاة على الرسول ﷺ؛ ففي الروايات الشيعية والسنيّة المارة ينحصر مقصود الرسول ﷺ والمعصوم ﷺ ببيان كيفية الصلاة على خصوص الرسول ﷺ، غاية ما في الأمر أنّ الرسول ﷺ بيّن في

---

(١) كشف الخفاء ٢: ٢٦٨.

هذه الروايات أنّ الصلاة عليه لا تصح من دون تبعية الصلاة على الآل، ومع افتراض التبعية يكون حرف الجر «على» زائداً كما أشار إليه المناوي؛ لأنّه على هذا التقدير من حشو الكلام دونما أدنى شك..

وفي الجملة ففي المسألة فرضان:

الفرض الأول: الصلاة على خصوص الرسول ﷺ وصيغتها: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» وإنّما قلنا: على خصوص الرسول ﷺ؛ لأنّ في الروايات الآنفة أنّ الصحابة قالوا: قد علمنا السلام فكيف نصلي عليك؟

فقال الرسول ﷺ: «**قولوا اللهمّ صل على محمد وآل محمد**»..

وواضح أنّ موضوع حكم الصلاة في جواب الرسول ﷺ هو المجموع المؤلف من «**محمد**» ومن «**آل محمد**»، وعلى هذا الفرض يكون حرف الجر «على» زائداً لا محالة؛ وذلك حسبما يقرّره اللسان العربي من أنّ وحدوية متعلق الحكم (الصلاة في المثال) لا يؤثر فيها تعدد أجزاء موضوع الحكم («**محمد**» و«**آل محمد**»)؛ بداهة أنّ الموضوع واحد والحكم (وجوب الصلاة) واحد، غاية ما الأمر أنّ الموضوع كما في ما نحن فيه يتألف من جزئين هما: «**محمد**» و«**آل محمد**»..

فمن ألقى وردةً واحدةً على زيد وعمرو وخالد ويريد بتلك الوردة (بها فقط) ترجمة حبّه الحيّ لهم فماذا يقول؟

أيقول: ألقيت وردةً على زيد وعمرو وخالد...؟!

أم يقول: ألقيت وردةً على زيد وعلى عمرو وعلى خالد؟!

لا ريب في أنّ الجواب الأول هو الصحيح؛ لأنّ المستفاد من الجملة الأولى ـ كما يقرر اللسان العربي ـ هو أنّ هناك وردةً واحدةً يريد صاحبها ومن خلالها فقط تفعيل عواطف زيد وعمر وخالد في آن واحد؛ ولذلك لم

يتكرر الحرف «على»..

كما ولا ريب في أنّ الجملة الثانية توحي إلى أنّ هناك ثلاث وردات، ولذلك تكرر الحرف «على»..

وعلى هذا الأساس فكل رواية وردت في بيان كيفية الصلاة على خصوص الرسول ﷺ والتي فيها: كيف نصلي عليك يارسول الله؟ نحكم بأنّ «على» زائد من دون أدنى ترديد.

الفرض الثاني: المطلوب هو الصلاة على «محمد» ﷺ على نحو الاستقلال، وعلى «آل محمد» على نحو الاستقلال أيضاً، ولكن من خلال صيغة واحدة وهي: **«اللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد»**..

وفي هذا الفرض ليس للصلاة حكم واحدٌ بل هما في حقيقة الأمر حكمان؛ وذلك لتكرر حرف الجر «على» الذي يومىء بأنّ في البين موضوعين مستقلين؛ الأول هو «محمد» ﷺ والثاني هو «آل محمد» ﷺ؛ وآية ذلك لُغَوِيّاً أنه لا ريب في أنّ مرجع صيغة:**«اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»** على هذا الفرض هي إلى: اللهم صل على محمد، وإلى: اللهمّ صل على آل محمد؛ غاية ما في الأمر أنّ كلاً من الحكمين والموضوعين قد جمعا في صيغة واحدة.

كما يقول القائل: ألقيت وردةً على زيد وعلى عمر وعلى خالد، فإنّ المستفاد من ذلك أنّه ألقى ثلاث وردات.

وعلى هذا الأساس فليس غريباً أن نجد في بعض النصوص صيغة: **«اللهمّ صل على محمد وآل محمد»** وفي بعض آخر: **«اللهمّ صل على محمد وعلى آل محمد»**..

لكن وعلى أيّ تقدير من التقادير نحكم وبلا أدنى ترديد بأنّ الحرف «على» زائدٌ في أيّ صيغة من صيغ الصلاة إذا جاءت في جواب كيفية

الصلاة على الرسول ﷺ بالخصوص؛ أي نحكم بزيادة «على» على الفرض الأول ليس غير..

معنى الصلاة على محمد وآل محمد ﷺ:

من غير الموضوعي أن نتحدث عن معنى الصلاة على محمد وآل محمد من دون الوقوف على تفسير الآية التي تقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١) والأصح تفسير الآية بملاحظة الروايات الواردة في بيان ذلك.

فقد روى الصدوق في ذلك قال: حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور قال: حدثني الحسين بن محمد بن عامر، قال: حدثنا المعلى بن محمد البصري عن محمد بن جمهور العمي عن أحمد بن حفص البزاز الكوفي عن أبيه عن ابن أبي حمزة عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؟

فقال عليه السلام: (الصلاة من الله عزوجل رحمة ومن الملائكة تزكية ومن الناس دعاء) (٢).

وروى الصدوق مثل ذلك بقوله: قال أبي رضي الله عنه، قال حدثني سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد قال حدثنا أبي عن أبي المغيرة قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: (...صلاة الله رحمة من الله وصلاة ملائكته تزكية منهم له وصلاة المؤمنين دعاء منهم له...) (٣).

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) معاني الأخبار: ٣٦٧.

(٣) ثواب الأعمال: ١٥٦.

ويتأيد ذلك بما رواه أبو بصير قال: سألت أبا عبد الله عن هذه الآية، فقلت كيف صلاة الله على رسوله؟

فقال: «يا أبا محمد تزكيته له في السماوات العلى».

فقال: قد عرفت صلاتنا عليه فكيف التسليم؟

فقال عليه السلام: «هو التسليم له في الأمور»[1].

سنتعرض فيما بعد لمعنى التسليم، أما معنى الصلاة من خلال هاتين الروايتين أو الثلاث، فلا أرى منافاة فيما بينهما على ضوء رؤيتنا في تقسيم النصوص بملاحظة تعدد وظائف النص الواحد..

ولا ريب في أنّ الرحمة مساوقة للتزكية إذا كان متعلقهما نفس شخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؛ بمعنى أنّ من أظهر لوازم صلاة الله على خصوص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذا النحو الاعتنائي هو تزكيته في السماوات العلى؛ وقرينة ذلك أنّ مثل هذه الصلاة مختصة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم دون باقي البشر؛ اللهم باستثناء آل البيت الذين أمرنا الله بالصلاة عليهم تبعاً للصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ضوء ما قررت روايات كيفية الصلاة السابقة.

ولا بأس أن نشير إلى أنّ العلماء وقعوا في حيص بيص في تخريج معنى الصلاة على الرسول من قبل الله تعالى تارة ومن الملائكة أخرى ومن البشر ثالثة؛ وإجمال ما قالوا: إنّ الأخذ بظاهر الآية من دون دليل ليس بصحيح؛ ضرورة أنّ صلاة الله ليست هي صلاة الملائكة والأخيرة ليست هي صلاة البشر قطعاً.

وممّا عرض بعضهم من دليل على صحة تخريج ذلك هو أنّ الصلاة لغة بمعنى الدعاء، وعلى ذلك فالصلاة (=الدعاء) من الله تعالى باعتباره

---

(١) بحار الأنوار ١٧: ١٩.

من العالي إلى الداني هو الرحمة، والصلاة من الملائكة هي التزكية الملازمة للرحمة الخاصّة المفاضة على الرسول ﷺ من قبل الله تعالى، ومن الناس (من الداني إلى العالي) هو الدعاء بطلب تلك الرحمة.

وهذا كما في صيغة إفعل في مراتبها الثلاث؛ فهي من العالي أمر، ومن المساوي التماس ورجاء، ومن الداني دعاء مع أنّها صيغة واحدة، وهذا معنى جيد، وأجود منه ما ذكره صاحب الجواهر عن ابن هشام ملتزماً به حيث قال:

ولقد عثرت بعد ذلك على كلام للفاضل المعتبر ابن هشام في المغني يقرب ما قلناه، بل هو هو، حيث إنّه بعد أن حكى عن بعضهم أنّ الصلاة المقدرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾ بمعنى الرحمة والموجودة بمعنى الاستغفار قال: قلت الصواب عندي أنّ الصلاة لغة بمعنى واحد؛ وهو العطف؛ ثم العطف بالنسبة إلى الله تعالى الرحمة، وإلى الملائكة الاستغفار، وإلى الآدميين دعاء بعضهم لبعض[1].

أقول: ومهما يكن من أمر؛ فمن تضييع الوقت البحث في ذلك بعد أن فسر الإمام عليه السلام معنى الصلاة في النصوص الآنفة، والتي هي من الله الرحمة ومن الملائكة تزكية ومن الناس دعاء، والمعصوم عليه السلام أدرى من غيره بأسرار الكتاب.

معنى التسليم:

والأمر هو الأمر حينما نتعرض لمعنى التسليم الوارد في ذيل آية الصلاة على النبي؛ فليس من الدين مباشرة النقض والإبرام في معناها من

---

(١) جواهر الكلام ٧: ٧، وإلى هذا ذهب الطباطبائي في الميزان ١٦: ٣٣٨، والسيد السيستاني في الرافد: ١٨٧.

دون اللجوء إلى ما قرره المعصوم في هذه المسألة؛ فقد ورد في الرواية أعلاه أنّ معنى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هو: «التسليم له في الأمور» وقد يتأيد ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1].

وقد نسب الشهيد الثاني في روض الجنان هذا التفسير إلى أصحابنا لا على نحو الحصر بل على نحو التجويز فقد قال:

لكن أصحابنا جوزوا أن يراد بقوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ انقادوا لأوامره انقياداً كما في قوله: ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[2].

هذا وقد علق الإمام الطبرسي (قدس سره) على رواية أبي بصير الآنفة بقوله: فعلى هذا يكون معنى قوله: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ انقادوا لأوامره وابذلوا الجهد في طاعته وفي جميع ما يأمركم به[3].

والذي أذهب إليه ـ بناء على ذلك ـ هو هذا المعنى، ويؤيده ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اي سلّموا لمن وصاه واستخلفه عليكم[4].

أقول: ولا يخفى أنّ قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ مطلق شامل لكل انقياد للرسول ﷺ، وما ورد عن علي عليه السلام إنّما هو من باب أكمل الأفراد، وهو أقل ما يقال في مقام الجمع من الآية والرواية.

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) روض الجنان: ٧.

(٣) مجمع البيان ٨: ١٨٠.

(٤) الاحتجاج ١: ٣٧٧.

وإذا كان الأمر كذلك فليس خطأً أنّ تفسر الآية: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ بمعنى التحية أيضاً؛ لوضوح أنّ التحية وصيغة: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» من أوضح مصاديق الانقياد للرسول ﷺ من خلال هذه الآية ومن خلال روايات الباب الواردة في بيان محبوبية السلام على الرسول ﷺ، ولكن هذا فيه ما فيه؛ لبعد المناسبة بين الكلي (=الإنقياد) وبين مصداقه (=التحية)..

ولابد من الإشارة إلى أنني لم أعثر على رواية فسرت: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ بمعنى التحية، وهذا يعني أنّ ما هو متيقن من تفسيرها هو الانقياد، ويؤيد كل ذلك أنّ قواميس اللغة العربية ذكرت معنى الانقياد للتسليم..

قال أبو هلال العسكري: التسليم: هو الانقياد لأوامر الله تعالى[1].

وقال الزبيدي في التاج: والتسليم الرضا بما قدر الله وقضاه والانقياد لأوامره وترك الاعتراض فيما لا يلائم[2].

وقال الفيروز آبادي: التسليم: الرضا[3].

أقول: وهذا وإن كان صحيحاً، إلاّ أنّ كتب اللغة ذكرت أيضاً أنّ التحية من معاني التسليم، فراجع المصادر أعلاه.

على أنّه يمكن أن يقال مع ذلك بإمكانية تفكيك قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ بحمل ﴿وَسَلِّمُوا﴾ على معنى التحية وحمل: ﴿تَسْلِيمًا﴾ على معنى الانقياد، ولا محذور في ذلك، بل هو أنسب؛ لأنّه أجمع لشتات أقوال العلماء أولاً ولأنّه يتلائم تماماً مع سياق الآية الوارد في الصلاة والتحية

---

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٢٥٦.

(٢) تاج العروس ٨: ٣٤٠.

(٣) القاموس ٤: ١٣٠.

للرسول ﷺ ومع تفسير الإمام عليه السلام بالإنقياد ثانياً..

ومقصودنا من ذلك أنّ القائلين بأنّ معنى ﴿وَسَلِّمُوا﴾ هو التحية استندوا إلى ظهور ﴿وَسَلِّمُوا﴾ في التحية، والظهور حجة كما لا يخفى، ولكن هذا الظهور غير مشفوع بالروايات كما عرفت، أمّا الفريق الثاني القائلون بأنّ معنى ﴿وَسَلِّمُوا﴾ هو الإنقياد فمستندهم في ذلك هو ما روي عن المعصوم عليه السلام كما تقدم عليك..

وإذا كان كل من القولين حجة؛ هذا لظهوره وذاك لتفسير الإمام عليه السلام؛ فإنّه لا مناص من الجمع بينهما على ضوء ذلك التفكيك؛ ولكن هذا الرأي ومع كونه ظريفاً جداً فإنّ التكلف فيه ظاهر؛ فتدبر كثيراً!!!.

معنى ﴿وسلّموا تسليماً﴾ على ضوء نظرية التقسيم:

مرّ عليك في الفصول السابقة إلى أنّ المعصوم عليه السلام في بعض الأحيان قد يتحدث عن جهتين ووظيفتين للنص الواحد الذي يفيض عن ساحته السماوية المقدّسة، بل قد يتحدث عن أكثر من وظيفة وجهة إذا دعت الضرورة الشرعية لذلك..

خذ مثلاً ما رواه الصدوق بسند حسن بل صحيح بقوله: حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس النيسابوري رضي الله عنه قال حدثنا علي بن قتيبة عن الفضل بن شاذان قال: حدثني محمد بن أبي عمير أنه سأل أبا الحسن عليه السلام عن **«حي على خير العمل»** لم تركت من الأذان؟

فقال عليه السلام: (تريد العلة الظاهرة أو الباطنة؟)

قلت: أريدهما جميعا.

فقال عليه السلام: (أما العلة الظاهرة فلئلا يدع الناس الجهاد إتكالاً على

الصلاة، وأمّا الباطنة فإن خير العمل الولاية؛ فأراد من أمر بترك «حي على خير العمل» من الأذان ألاّ يقع حثٌ عليها ودعاءٌ إليها)[١].

كما ويؤيد ذلك ما أخرجه الصدوق أيضاً بقوله:

حدثنا علي بن عبد الله الوراق وعلي بن محمد بن الحسن المعروف بابن مقبرة القزويني قالا: حدثنا سعد بن عبد الله قال حدثنا العباس بن سعيد الأزرق قال: حدثنا أبو بصير عيسى بن مهران، عن الحسن بن عبد الوهاب، عن محمد بن مروان عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتدري ما تفسير حي على خير العمل؟

قلت: لا.

قال: (دعاك إلى البر...، أتدرى بر من؟)

قلت: لا.

قال: (دعاك إلى بر فاطمة وولدها)[٢].

وأوضح من كل ذلك فيما يخص موضوعنا ما أخرجه الصدوق ثالثاً بقوله:

حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقري، قال: حدثنا أبو عمرو محمد بن جعفر المقري الجرجاني، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن الموصلي ببغداد، قال: حدثنا محمد بن عاصم الطريفي، قال: حدثنا أبو زيد عياش بن يزيد بن الحسن بن علي الكحال مولى زيد بن علي، قال: حدثنا أبي ـ يزيد بن الحسن ـ قال: حدثني موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: (من صلى على النبي صلى الله

---

(١) علل الشرائع ٢: ٣٦٨.

(٢) علل الشرائع ٢: ٣٦٨، التوحيد: ٢٤١.

عليه وآله فمعناه أني على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[1].

فبعد الإجماع على أنّ معنى الصلاة الرحمة أو العطف، الأمر الذي قرّره أبو الحسن (=الكاظم) ﵇ بقوله: (... صلاة الله رحمة من الله وصلاة ملائكة تزكية منهم له وصلاة المؤمنين دعاء منهم له...)[2] يجزم الإمام موسى بن جعفر (=الكاظم) ﵇ في النص الآنف بأنّ معناها: (الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾).

وقد عرّفناك سابقاً أنّ المعصوم في هذا الضرب من النصوص وعلى ضوء رؤيتنا في التقسيم يتحدث عن جهتين ووظيفتين ودروين للنص؛ فالجهة الأولى بيان ما يتعلق بنظرية الحلال والحرام، والجهة الثانية بيان ما يتعلق بآليات الوحي في إبقاء الدين؛ وفيما نحسب توضح كثيراً أنّ إسلام محمد ﷺ ليس هو الحلال والحرام فحسب، بل هو الحلال والحرام الموصوف بالبقاء والمتسلّح بآليات البقاء..

وعلى ذلك فليس بعيداً أن يكون معنى قوله ﴿وَسَلِّمُوا﴾ هو التحية الظاهر في هذا المعنى؛ لأنّها الجهة الأولى لهذا النص المقدس، على أنّ ذلك لا يتنافى مع معنى الإنقياد الذي هو الجهة الثانية له.

وعلى ذلك أيضاً يتوجه استدلال فقهاء المسلمين وكثير من أصحابنا بنحو خاص بإطلاق ﴿وَسَلِّمُوا﴾ للخروج من الصلاة اليومية في التشهد الأخير؛ حيث قالوا:

١ ـ شيء من التسليم واجب؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا﴾ والأمر للوجوب.

---

(١) معاني الأخبار: ١١٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١٥٦.

٢ ـ ولا شيء من التسليم في غير الصلاة بواجب؛ للإجماع.

٣ ـ يجب السلام في الصلاة وفي التشهد الأخير؛ لقوله ﷺ: (افتتاح الصلاة الوضوء وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم) [١].

وأشير إلى أنّ هذا البناء البرهاني لم يلتزمه كل علمائنا، ولكني كنت أريد الإشارة إلى عدم منافاة ما ذكرته مع طريقة الاستدلال هذه التي لم يقبلها أكثر متأخري الأصحاب أو كلهم.

منهم السيد محمد بن علي العاملي في المدارك بقوله: إذ المتبادر من الآية أنّ المراد من التسليم، الانقياد للنبي ﷺ في الأمور كما ورد في بعض الأخبار [٢].

أقول: وواضح من صاحب المدارك قدس سره أنّه يرى تنافٍ كاملاً بين معنيي التحية والإنقياد لقوله: ﴿وَسَلِّمُوا﴾ مرجّحاً الأخير بإلغاء دور الأول تماماً، وقد عرفت أنّ هذا على ضوء رؤيتنا في تقسيم النصوص ليس بصحيح، وأنّه لا منافاة بين معنيي التحية والانقياد، ثمّ إنّه يقصد بقوله: بعض الأخبار، ما ورد عن أبي بصير آنفاً.

ومنهم النراقي في المستند بقوله:... لجواز أن يكون المراد التسليم لأمره والإطاعة له [٣].

ويرد عليه ما أوردناه على صاحب المدارك قدس الله سرهما.

نخلص من ذلك إلى أنّ الاستدلال بـ: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ لوجوب أو

---

(١) الفقيه ١: ٢٣ / ٦٨، الكافي ٣: ٦٩ / ٢، وسائل الشيعة ٦: ٤١٧ أبواب التسليم ب ١.

(٢) المدارك ٣: ٤٣٢.

(٣) مستند النراقي ٥: ٣٤١.

لاستحباب السلام مطلقاً أو على خصوص الرسول ﷺ في الصلاة أو في غير الصلاة، ليس هو من المشكلات على ضوء رؤيتنا في تقسيم النصوص؛ لأنّ ذلك لا يتنافى بأدنى تناف مع معنى الإنقياد، والعكس بالعكس تماماً؛ ومدار كل ذلك هو أنّ لبعض النصوص الإسلامية جهتين ودورين ووظيفتين.

هل يجب السلام على الرسول ﷺ ؟

في جواب ذلك نقول: إنّ السلام على الرسول ﷺ على قسمين:

الأول: هو السلام عليه ﷺ على نحو الاستقلال مطلقاً، ولا ريب في محبوبية ذلك بإجماع أهل القبلة؛ وفيما أحسب وعلى ضوء تتبعي القاصر لم يذهب إلى وجوبه أحد فيما سوى الصلاة اليومية بعد التشهد الأخير، على خلاف بينهم لا حاجة لعرضه هنا.

الثاني: السلام عليه ﷺ تبعاً للصلاة عليه، كما في هذه الصيغة: **«اللهمّ صل على محمد وآل محمد وسلّم»**

قد يقال: إنّ كل روايات بيان كيفية الصلاة على تفاوت الصيغ لم يرد فيها سوى: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»** وليس فيها للسلام من ذكر، والرسول ﷺ في مقام البيان ولم يبين شيئاً زائداً على: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»** الأمر الذي يدل على أنّ السلام حتى لو كان محبوباً في نفسه إلاّ أنّه خارج عن ماهية الصلاة التي بينها الرسول ﷺ بقوله: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»**.

أقول: وهذا الكلام وإن كان سليماً جدّاً ومتماسكٌ أيضاً، ولكن قد يقال أيضاً: إنّه لا مانع من أن يُتَعَبَّد بالصيغة هكذا: **«اللهم صل على محمد وآل محمد وسلم»** بإضافة «وسلم»، ولا بأس به؛ فإنّ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ والذي هو نص واحد

أمرين: الأول: ﴿صَلُّوا﴾ والثاني: ﴿وَسَلِّمُوا﴾..

وإطلاق ﴿وَسَلِّمُوا﴾ غير مقيّد بشيء أو بظرف دون آخر، وعلى ضوء ذلك الإطلاق لا محالة للقول بشموله لمورد الصلاة، وإذن فلا مانع من دخول لفظ «وسلم» في صيغة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» لتكون في آخر الأمر: «اللهمّ صل على محمد وآل محمد وسلّم»

وبكلمة واحدة: أنّنا حتى لو قلنا بأنّ الروايات المبينة لكيفية الصلاة لم تذكر لفظ: «وسلم» لكن إطلاق قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمُوا﴾ كفيل بدفع هذا المحذور، ولا نزيد على ذلك.

ولنا أن نقول أيضاً: إنّ السلام على الرسول ـ ابتداءً ـ لمّا كان محبوباً على الدوام وفي كل حال كما هو مجمع عليه عند أهل القبلة ـ فضلاً عن الإطلاق القرآني ـ فإنّ السلام عليه ﷺ في خصوص الصلاة عليه ﷺ أولى، فتأمّل في ذلك.

السلام على الآل على نحو الاستقلال:

قال الصدوق: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضي الله عنه، قال: حدثنا أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى بن أحمد الجلودي، قال: حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثنا النضر بن أبي فاطمة البلخي، قال: حدثنا وهيب بن نافع، قال: حدثني كادح عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾[1][2].

---

(١) الصافات: ١٣٠، وأنبه على أنّ: ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ كتبتها بالمد طبقاً لقراءتي نافع المدني وابن عامر، وهما من القرّاء السبعة كما هو مجمع عليه بين المسلمين، ولم أكتبها بهمزة القطع على قراءة عاصم وغيره: ﴿إل ياسين﴾!!!.

(٢) الأمالي للصدوق: ٥٥٨ / ٧٤٣، معاني الأخبار: ١٢٢.

وقال الصدوق أيضاً: حدثنا محمد بن إبراهيم، قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى، قال: حدثني الحسين بن معاذ، قال حدثنا سليمان بن داود قال: حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك في قول الله عزوجل: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾؟

قال: ياسين: محمد ﷺ[1].

وروى ذلك ثالثة عن ابن عباس بقوله: حدثنا أبي قال: حدثنا عبد الله بن الحسن المؤدب عن أحمد بن علي الأصفهاني قال: أخبرني محمد بن أبي عمر النهدي، قال حدثني أبي عن محمد بن مروان عن محمد السائب عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله عزوجل: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾؟

فقال: على آل محمد ﷺ[2].

وقد روى قدس سره رواية رابعة في هذا المضمون بقوله: حدثنا علي بن الحسين بن شاذويه المؤدب وجعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنهما، قالا: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر الحميري عن أبيه عن الريان بن الصلت قال: حضر الرضا مجلس المأمون بمرو وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان... إلى أن قال من حديث طويل جداً: فقال الرضا عليه السلام:

أخبروني عن قول الله عزوجل: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[3] فمن عنى بقوله: ﴿يَاسِينَ﴾؟

فقال العلماء: ﴿يَاسِينَ﴾ هو محمد ﷺ لم يشك فيه أحد!

فقال أبو الحسن (=الرضا عليه السلام): فإنّ الله أعطى محمداً وآل محمد من

(١) الأمالي: ٥٥٨ / ٧٤٤، معاني الأخبار: ١٢٢.

(٢) الأمالي: ٥٥٩ / ٧٤٥، ومعاني الأخبار للصدوق: ١٢٢.

(٣) يس: ١ ـ ٣.

ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلاّ من عقله؛ وذلك أنّ الله تعالى لم يسلم على أحد إلاّ على الأنبياء فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾[١] وقال: ﴿سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٢] وقال: ﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾[٣] ولم يقل: سلامٌ على آل نوح، ولم يقل سلام على آل موسى ولا على آل إبراهيم وقال: ﴿سَلامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾[٤]، يعني آل محمد[٥]...

أقول: وهذه الروايات صحيحة حسب الصناعة؛ وخاصة رواية الريان بن الصلت عن الرضا عليه السلام؛ فرواتها ممن أجمع علماء الشيعة على وثاقتهم وجلالة قدرهم وعلو شأنهم؛ نعم في الرواية ابن شاذويه المؤدب الذي ترضى عنه الصدوق والذي لم ينص العلماء على وثاقته، ولكن لا يضر ذلك بحال من الأحوال؛ لأنّه لم ينفرد في الرواية كما هو واضح، بل تابعه جعفر بن محمد بن مسرور الذي ترضى عنه الصدوق في كتبه مرات عديدة، وقد عرفناك سابقاً أنّنا بنينا تبعاً لطائفة من الأصحاب على أنّ مجرد الترضي يدل على الوثاقة ما لم يدل دليل على العكس؛ بل الدليل مع متابعة مثل ابن مسرور الثقة يؤيد ما ذهبنا إليه لا محالة.

وروى الصدوق أيضاً قال: حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى الجلودي، قال حدثنا محمد بن سهل، قال: حدثنا إبراهيم بن معمر، قال: حدثنا عبد الله بن داهر الأحمري، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا الأعمش عن يحيى بن وثاب عن أبي

---

(١) صافات: ٧٩.

(٢) الصافات: ١٠٩.

(٣) الصافات: ١٢٠.

(٤) الصافات: ١٣٠.

(٥) أمالي الصدوق: ٦٢٣.

عبد الرحمن السلمي أنّ عمر بن الخطاب كان يقرأ: سلام على آل ياسين، قال أبو عبد الرحمن السلمي: آل يا سين هم آل محمد عليهم السلام[١].

وقال شرف الدين الحسيني: قال محمد بن العباس ﷺ : حدثنا محمد بن القاسم عن الحسين بن حكم عن الحسين بن نصر بن مزاحم عن أبيه عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس عن علي عليه السلام قال: إنّ رسول الله ﷺ اسمه: ياسين، ونحن الذين قال الله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾[٢].

وروى عن ابن عباس بقوله: حدثنا محمد بن الحسين الخثعمي عن عباد بن يعقوب عن موسى بن عثمان عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ قال: آل محمد[٣].

ولم استقص طرق هذه الروايات في كتب الشيعة الإمامية؛ ففيما أوردناه كفاية بل فوق الكفاية، ومن أراد المزيد فعليه بالباب الذي جمع فيه المجلسي (قدس سره) طرق هذه الروايات من كتابه بحار الأنوار[٤]، وعلى كل حال فهذا بعض ما رواه الشيعة الإمامية..

ما رواه أهل السنة في السلام على الآل:

قال الحاكم في شواهد التنزيل: أخبرني أبو بكر المعمري، حدثنا أبو جعفر القمي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن الحسن المؤدب بنفس إسناد الصدوق عن ابن عباس المار آنفاً[٥].

---

(١) معاني الأخبار: ١٢٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٩.

(٤) بحار الأنوار ٢٣: ١٦٦ ـ ١٧٠.

(٥) شواهد التنزيل ٢: ١٦٥.

أقول: ويقصد من أبي جعفر القمي، الصدوق نفسه.

وقال الحاكم أيضاً: حدثني أبو حازم الحافظ، أخبرنا بشر بن أحمد، أخبرنا الهيثم بن خلف الدوري، حدثنا عباد بن يعقوب..

وأخبرني أبو القاسم الفارسي، أخبرنا أبي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي، حدثنا عباد بن يعقوب..

وأخبرنا أبو بكر الحارثي، أخبرنا أبو شيخ، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا عباد بن يعقوب..

وحدثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن أبي دارم، حدثنا أبو جعفر الخثعمي، حدثنا عباد بن يعقوب..

حدث كل أولئك عن عباد بن يعقوب عن موسى بن عثمان الحضرمي عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ قال: هم آل محمد[1].

وقد علق الحسكاني على ذلك بقوله: ورواه جماعة سواهم عن عباد بن يعقوب.

وقال أيضاً: أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، أخبرنا أبو بكر الجرجاني، حدثنا أبو أحمد البصري، قال: حدثنا الحسين بن معاذ، حدثني سليمان بن داود، حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ قال: هو محمد وآله أهل بيته[2].

أقول وهذا الذي روي عن ابن عباس رواه الزرندي الحنفي في نظم

---

(١) شواهد التنزيل ٢: ١٦٥ ـ ١٦٧.

(٢) شواهد التنزيل ٢: ١٦٨.

درر السمطين مرسلاً له إرسال المسلمات قال: وقال ابن عباس في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ على آل محمد[١].

وقد علق الإمام الرازي على ذلك بقوله:

جعل الله تعالى أهل بيت النبي مساوين له في خمسة أشياء:...، والرابعة في السلام؛ قال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وقال لأهل بيته: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾، والخامسة في الصلاة على النبي وعلى الآل في التشهد[٢].

وقد وقع عند أهل السنة ارتباك واضح في تفسير الـ ﴿آلِ﴾ أو «إل ياسين» بل عرضوا أوجه في تفسير ذلك كلها فيما أحسب محرمة؛ لأنّها من التفسير بالرأي الذي قال عند الرسول ﷺ: «من قال في القرآن فليتبوأ مقعده من النّار»[٣]، وآية ذلك مجموعة هذه الأمور.

الأول: إن ﴿يَاسِينَ﴾ هو محمد ﷺ؛ للإجماع ولا أقل من الشهرة الإسلامية العظيمة في أنّ هذه اللفظة لم ترد في القرآن الكريم إلاّ بمعنى محمد ﷺ فقد وردت في مبتدأ سورة «يس» ويقصد منها الرسول ﷺ..

---

(١) نظم درر السلمطين: ٩٤.

(٢) حكاه عن تفسير الرازي الزرندي الحنفي في نظم درر السمطين:٢٣٩.

(٣) تفسير الطبري ١: ٥٤، وهذا الحديث الصحيح رواه الطبري بقوله: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا الحكم بن بشير، قال: حدثنا عمرو بن قيس الملائي، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»، وقد نص على صحة بعض طرقه الترمذي في سننه ٤: ٢٦٨ والأحوذي حيث تابعه على ذلك في تحفة الأحوذي ٨: ٢٢٤.

قال القرطبي: قال سعيد بن جبير (في تفسير لفظة «ياسين» من سورة «يس») هو اسم من أسماء محمد ﷺ، ودليله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1].

ومن المعلوم أنّ هذا دليل مستقل عمّا هو المراد من قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ فإنّه من تفسير القرآن بالقرآن موضوعياً.

ومن هذا المنطلق قال السهيلي: قال بعض المتكلمين في معاني القرآن آل ياسين هم آل محمد؛ ذاهباً إلى أنّ معنى: ﴿يَاسِينَ﴾ يا محمد[2].

ويؤيد ذلك أن السيوطي قال: وأخرج ابن أبي حاتم عن أشهب قال سألت أنس بن مالك: أينبغي لأحد أن يتسمّى بـ ﴿يس﴾؟.

فقال ما أراه ينبغي لقوله: ﴿يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ يقول ﷺ: «هذا اسمي تسميت به»[3].

ويؤيده أيضاً ما روي عن كعب الأحبار في قوله ﴿يَاسِينَ﴾: يا محمد إنك لمن المرسلين[4].

ويؤيده كذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن الحسن البصري في قوله: ﴿يَاسِينَ﴾: قال القسم الله بما شاء ثمّ نزع (أي ذهب) بهذه الآية: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ كأنه يرى أنّه سلم على رسوله[5].

---

(١) تفسير القرطبي ١٥: ٣.

(٢) حكاه عنه القرطبي في تفسيره ١٥: ١٢٠.

(٣) الدر المنثور ٥: ٢٥٨.

(٤) الدر المنثور للسيوطي ٥: ٢٥٨.

(٥) الدر المنثور ٥: ٢٥٨.

الثاني: إجماع أهل البيت في قراءة الآية هكذا: ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ وتأويلها فيما ذكرنا؛ وآية وجود مثل هذا الإجماع من طرق الشيعة الأمامية واضح، وأمّا من طرق أهل السنة فلقولهم ـ كما نقل الطبري ـ : قرأ عامة أهل المدينة: سلام على آل ياسين بقطع آل من ياسين فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى سلام على آل محمد[1]، وإجماع أهل البيت يثبت من خلال هذه الأمور..

الأول: إنّ بعض أهل البيت من أهل المدينة قطعاً كما هو صريح كل من ترجم لهم من رجاليي الشيعة والسنة.

الثاني: وحدوية الموقف عند كل الأئمة فما قاله الصادق مثلاً قال به كل الأئمة.

وفيما أحسب لم يخدش أحد من أهل الإسلام في أنّ موقف أهل البيت من تفسير الآية هو هذا.

الثالث: وجود رواية أو روايات فسرت لنا آل ياسين بآل محمد، الأمر الذي يؤيد ما ذهبنا إليه.

الرابع: أن كل تفسير مطروح لهذه الآية غير ما ذكرنا هو بعيد بعد السماء عن الأرض، بل هو تصرف قبيح جداً في القرآن؛ ففي الوقت الذي كتبت الآية في المصحف: ﴿آلِ يَاسِينَ﴾ أو: «إل ياسين» يفسره البعض بالنبي إلياس من دون دليل.

ويؤيد كل ما تقدم أنّ بعض القراء السبعة أثبتوها في مصاحفهم وقرأوها هكذا: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ﴾ كنافع بروايتي ورش وقالون عنه، وابن عامر بروايتي ابن ذكوان وهشام عنه[2].

---

(١) تفسير الطبري ٢٣: ١١٥.

(٢) التيسير في القراءات السبعة للداني: ١٨٧، كتاب السبعة في القراءات ١: ٥٤٩، وقد قرأها يعقوب هكذا، ولكن يعقوب من القرّاء العشرة لا السبعة.

ننتهي من ذلك إلى أنّ السلام على آل الرسول ﷺ مطلقاً؛ استقلالاً وبالتبع محبوب عند الشارع للنص عليه في محكم الكتاب الكريم، وهو في ذلك كالصلاة على محمد وآل محمد؛ فكما أنّ الصلاة عليهم تبعاً للرسول ﷺ واجبٌ؛ فالسلام عليهم تبعاً للسلام على الرسول ﷺ مستحب (لأنّ السلام لم يقل بوجوبه أحد)، وكما أنّ السلام عليهم من خلال هذه الآية مستحب على نحو الاستقلال فالصلاة عليهم كذلك على نحو الاستقلال، وسنبرهن ذلك لاحقاً، ولكن..

قال الزمخشري: للعلماء تفصيلٌ في الصلاة؛ فإن كانت على سبيل التبع كقولك: صلى الله على النبي وآله، فلا كلام فيها، وأمّا إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة فمكروه؛ لأنّه يؤدي إلى الاتهام بالرفض[1].

وقال ابن حجر في فتح الباري: وتكره الصلاة في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً كما يفعله الرافضة، فلو اتفق وقوع ذلك مفرداً في بعض الأحايين من غير أن يكون شعاراً فلا بأس[2].

وكما ترى عزيزي القارىء؛ فالمدرسة الرأيوية تنص على جواز الصلاة على آل البيت استقلالاً، ولكنه مكروه لأنّه صار شعاراً للروافض، ولكن لا أدري ما هي حجتهم يوم الحساب الأكبر حين يُوقفون ويُسألون: لماذا قبحتم ما هو محبوب وحسن؟!!!

هل الصلاة على النبي ﷺ واجبة أو مستحبة؟

هذه المسألة من المسائل التي كثر حولها القيل والقال والنقض والإبرام، وقبل بيان رؤيتنا العلمية في هذه المسألة ننبه على أنّ الحديث في

---

(١) تفسير الزمخشري ٣: ٥٥٨.

(٢) فتح الباري ١١: ١٤٦.

هذه المسألة في مقامين عند علماء الإسلام..

المقام الأول: البحث في وجوبها أو استحبابها في خصوص التشهد من الصلاة اليومية.

المقام الثاني: البحث في أنّ الصلاة على النبي وآله مطلقاً واجبة أم مستحبة؟

المقام الأول:

وجوب الصلاة في التشهد

قال الشيخ الطوسي: أدنى التشهد الشهادتان والصلاة على النبي ﷺ ...، دليلنا إجماع الفرقة، ثمّ قال رضي الله عنه: الصلاة على آل النبي ﷺ واجبة؛ دليلنا: إجماع الفرقة[1].

وقال العلامة الحلي: وتجب الصلاة على النبي في التشهدين عند علمائنا أجمع؛ لقوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾[2]...، وتجب الصلاة على آله عليهم السلام، عند علمائنا أجمع[3].

وممّن حكى الإجماع فيما سواهما ابن زهرة في الغنية[4] والمحقق الحلي في المعتبر[5] والشهيد في الذكرى[6] والنجفي في الجواهر بقوله: بلا خلاف

(١) الخلاف للطوسي ١: ٣٧٢ ـ ٣٧٣ / مسألة ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) الأحزاب: ٥٦.

(٣) تذكرة الفقهاء ٣: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٤) الغنية (الجوامع الفقهية): ٥٥٨.

(٥) المعتبر ٢: ٢٦٦.

(٦) الذكرى: ٢٠٤.

محقق فيه[1] وغيرهم قدس الله أسرارهم.

وللسيد الشيرازي قدس سره كلمة جامعة في هذا الشأن يقول فيها: عن الناصريات والمبسوط والخلاف والغنية والمعتبر والمنتهى والتذكرة والذكرى وكنز العرفان وجمل القاضي والحبل المتين وغيرها دعوى عدم الخلاف أو الإجماع عليه كما حكي عنهم...[2].

أقول: وإذا تناسينا الإجماع، فهناك مجموعة من الروايات المستفيضة دالة على وجوب الصلاة على الرسول ﷺ في تشهدي الصلاة..

منها: صحيحة أبي بصير وزرارة قالا: قال أبو عبد الله الصادق: (إنّ الصلاة على النبي من تمام الصلاة إذا تركها متعمداً فلا صلاة له)[3].

ومنها: رواية محمد بن هارون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا صلّى أحدكم ولم يذكر النبي ﷺ في صلاته يسلك بصلاته غير طريق الجنة»[4].

ومنها: قوله ﷺ: «من ذكرت عنده فنسي الصلاة علي خُطّئ به طريق الجنة» وفي بعض الطرق هكذا: «من ذكرت عنده ولم يصل علي فدخل النار فأبعده الله»[5].

أقول: والاستدلال بالأول مبني على أنّ «من نسي» بمعنى من ترك كما سيأتي تحقيقه، مضافاً إلى أنّ الاستدلال بكليهما ـ فيما نرى ـ باعتبار أنّ المتيقن من وجوب الصلاة على الرسول ﷺ هو عندما يذكر في تشهد

---

(١) جواهر الكلام ١٠: ٢٥٣.

(٢) الفقه للسيد محمد الشيرازي ٢٢:٤٠.

(٣) الفقيه ٢: ١١٩ / ٥١٥، وسائل الشيعة ٦: ٤٠٧ أبواب التشهد ب ١٠.

(٤) الكافي ٢: ٣٥٩ / ١٩.

(٥) الوسائل ٦: ٤٠٨ أبواب التشهد ب ١٠.

الصلاة؛ فبعد أن يقول المصلي:... وأشهد أنّ محمداً رسول الله أو وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله يتحقق ذكر الرسول ﷺ والذي هو موضوع الوجوب كما لا يخفى، ولكن هذا مبني على وجوب الصلاة على النبي كلّما ذُكِر كما هو مذهب الصدوق قدس سره، وسيأتي تحقيقه أيضاً.

ومنها صحيحة ابن أذينة التي فيها أنّ الله تعالى قال للرسول ﷺ: **«يا محمد إذا ما أنعمت عليك فسمّ بإسمي، فألهم أن قال بسم الله وبالله ولا إله إلاّ الله والأسماء الحسنى كلّها لله، ثم أوحى الله إليه: يا محمد صل على نفسك وعلى أهل بيتك»**[١].

ومنها: رواية منجبرة (كما هو صريح النراقي في المستند)[٢] يقول فيها الرسول ﷺ: **«من صلّى ولم يصل فيها عليّ وعلى آلي لم تقبل منه تلك الصلاة»**[٣].

ومنها موثقة الأحول التي رواها الطوسي بإسناده عن الحسين بن سعيد عن صفوان عن عبد الله بن بكير عن عبد الملك بن عمرو الأحول عن أبي عبد الله قال: (التشهد في الركعتين الأوليتين: الحمد لله، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله؛ اللهم صل على محمد وآل محمد وتقبل شفاعته وارفع درجته)[٤].

---

(١) الكافي ٣: ٤٨٢، علل الشرائع: ٣١٢ /١، وسائل الشيعة ٥: ٤٦٥ أبواب أفعال الصلاة ب ١ ح ١٠.

(٢) مستند النراقي ٥: ٣٣٠.

(٣) متشابه القرآن ٢: ١٧٠، مستدرك الوسائل ٥: ١٥ أبواب التشهد ب ٧ ح ٤.

(٤) التهذيب ٢: ٩٢ / ٣٤٤، وسائل الشيعة ٦: ٣٩٣ أبواب التشهد ب ٣ / ١، وقد نص السيد محمد الشيرازي قدس سره في كتاب الفقه ٢٢: ٦٧ كما هو شأن أكثر الأصحاب إن لم أقل كلّهم كصاحب الجواهر ١٠: ٢٥٠، والحدائق ٨:

أقول: لم ينص أحد على وثاقة الأحول لكنّه ممدوح مدحاً يعتد به، ومهما يكن من أمر فدلالتها على وجوب الصلاة على محمد وآل محمد في التشهد الأول ظاهرة، أمّا في التشهد الأخير؛ فلعدم القول بالفصل في التشهدين عند أصحابنا برمّتهم..

هذا، واستدل صاحب الجواهر[1] بموثقة الأحول على وجوب الصلاة في التشهد الأخير بضميمة ما رواه الطوسي بسند معتبر أو صحيح في كتابيه التهذيب والاستبصار عن أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن نصر البزنطي قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: جعلت فداك! التشهد الذي في الثانية يجزئ أن أقول[2] في الرابعة؟

قال عليه السلام: نعم[3].

وقد علق السيد الخوئي قدس سره على رواية الأحول (كما يسميها هو) بقوله: ويتأكد الوجوب ويتأيد برواية الأحول[4].

ومنها صحيحة أو موثقة أبي بصير قال: قال الصادق عليه السلام: (إذا فرغت من الركعة الثانية فقل: «...اللهم صل على محمد وآل محمد وتقبل شفاعته في أمته وارفع درجته...» إلى أن قال: «فإذا جلست في الرابعة قلت:... اللهم صل على محمد وآل محمد»)[5].

٤٥٧، والسيد الحكيم في المستمسك ٦: ٤٣٦، على كونها موثقة، وهو سديد غاية السداد؛ فإنّ الأحول وإن لم ينص على توثيقه أحد غير أنّه ممدوح مدحاً يعتد به كما ذكرنا.

(١) جواهر الكلام ١٠: ٢٥٠.

(٢) كذا في المصدر، ولعلّه من النساخ، والأنسب أن يقال: أقوله.

(٣) التهذيب ٣: ١٠١ / ٣٧٧، والاستبصار ١: ٣٤٢ / ١٢٨٧.

(٤) كتاب الصلاة للخوئي ٤: ٢٧٥.

(٥) التهذيب ٢: ٩٩ / ٣٧٣، وسائل الشيعة ٦: ٣٧٣ أبواب التشهد ب ٣ ح ٢.

اقول: ولكن قد يشكل الاستدلال بها باعتبار أنّها اشتملت على جملة من المستحبات..

غير أنّ صاحب الحدائق نور الله مرقده الشريف أجاب عن ذلك جواباً جامعاً بقوله:

نحن بمعونة الرويات الدالة على جزئيتها من الصلاة نقول: يجب الحكم بوجوبها وجزئيتها في هذا الموضع؛ لأنّ الشارع كما عرفت قد أخبرنا بجزئيتها وحينئذ فلا يجوز أن تخلو الصلاة منها، ونحن لم نجد ذكره لها إلاّ في هذا الموضع، فيتعين الحمل عليه البتة، ولا يبقى لاحتمال الاستحباب هنا مجال، ونحن لم نستدل على وجوبها بمجرد هذه الروايات التي وردت مشتملة على التشهد لجميع المستحباب فيه، حتى يتطرّق إليه ما ذكروه من الاحتمال، وهذا بحمد الله سبحانه ظاهر لا سترة عليه ولا يأتيه النقض من خلفه ولا من بين يديه[١].

ومثله فعل السيد الخوئي قدس سره بقوله: والمناقشة فيها باشتمالها على المستحب ساقطة لما مر غير مرة؛ من عدم دلالة اللفظ على الوجوب والاستحباب وإنما هما مستفادان من حكم العقل المنتزع من الاقتران بالترخيص في الترك وعدمه، وحيث اقترن الحديث بالترخيص في بعض فقراته الثابت من الخارج ولم يقترن في غيرها، فيستقل العقل فيما عدا الثابت بالوجوب؛ الذي هو اعتبار نفسي متعلق بجعل المادة على ذمة العبد وعاتقه من دون أن يكون ذلك مدلولاً للفظ نفسه...، وبهذا البيان تظهر صحة الاستدلال بموثقة أبي بصير[٢].

وبما أنّ هذه الصحيحة أو الموثقة حاوية لكثير من المندوبات جامعة

---

(١) الحدائق ٨: ٤٥٨.

(٢) كتاب الصلاة للخوئي ٤: ٢٧٦.

لما لا يصبر عنه أهل الأذكار من مستحبات الصلوات، مضافاً إلى حث فقهاء الإمامية على التعبد بها في تشهديّ الصلاة كصاحب المستند[1] وغيره، سنوردها لك بتمامها عسى أن تنتفع بها وننتفع بها معك..

روى الشيخ الطوسي قدس سره الشريف هذه الموثقة بسنده الصحيح إلى الحسين بن سعيد عن النضر عن زرعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (إذا جلست في الركعة الثانية فقل بسم الله وبالله، وخير الأسماء لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، أشهد أنّك نعم الرب، وأنّ محمداً نعم الرسول، اللهم صل على محمد وآل محمد وتقبل شفاعته في أمته وارفع درجته...، فإذا جلست في الرابعة قلت: بسم الله وبالله، والحمد لله، وخير الأسماء لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، أشهد أنّك نعم الرب، وأنّ محمداً نعم الرسول، التحيات لله، والصلوات الطاهرات الطيبات الزاكيات الغاديات الرائحات السابغات الناعمات لله، ما طاب وزكا وطهر وخلص وصفا فلله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، أشهد أنّ ربي نعم الرب، وأنّ محمداً نعم الرسول، وأشهد أنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، وسلم على محمد وعلى آل محمد، وترحم على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، واغفر لنا

---

(١) مستند الشيعة للنراقي ٥: ٣٢٤.

ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنّا إنّك رؤف رحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد وامنن عليّ بالجنة وعافني من النار، اللهم صلى على محمد وآل محمد واغفر للمؤمنين والمؤمنات ولمن دخل بيتي مؤمناً ولا تزد الظالمين إلاّ تبارا، ثمّ قل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام على أنبياء الله ورسله، السلام على جبرئيل وميكائيل والملائكة المقربين، السلام على محمد بن عبد الله خاتم النبيين لا نبي بعده، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ثم تسلم)[١].

دعوى أنّ الصدوق لا يرى وجوب الصلاة في التشهد:

نقلنا لك آنفاً، أنّ أصحابنا رضي الله عنهم حكوا الإجماع على وجوب الصلاة على النبي ﷺ وعلى وجوب الصلاة على آله تبعاً له ﷺ في تشهدي الصلاة، وممّن حكاه أيضاً سوى أولئك البهائي في حبل المتين والعاملي في مفتاح الكرامة وفي كنز العرفان كما نقلنا لك، وقد علق النجفي قدس سره في الجواهر بقوله: وكيف كان فيمكن تحصيل اتفاق الأصحاب على ذلك[٢].

غير أنّه حكي عن الصدوق أنّه غير قائل بوجوب الصلاةعلى محمد وآل محمد ﷺ في تشهّدي الصلاة اليومية، وقد كثر حول ذلك القيل والقال أيضاً..، وهو لأمرٌ عجيب أن يكثر القيل والقال وإضاعة الوقت في شيء يمكن تجاوزه بسهولة؛ فإنّ أقل ما يقال في ذلك هو أنّ مخالفة الصدوق لا تخدش بالإجماع بعد الاتفاق على أنّ معلوم النسب ـ كالصدوق طاب ثراه ـ لا يضر[٣] بانعقاده أو بحجيته بأيّ حال من الأحوال..

---

(١) تهذيب الطوسي ٢: ٩٩؛ وسائل الشيعة ٦: ٣٩٣ ب٣ من أبواب التشهد ح٢.

(٢) جواهر الكلام ١٠: ٢٥٤.

(٣) ومعنى ذلك أنّ مجهول النسب يضر بانعقاد الإجماع لاحتمال أن يكون هو المعصوم ﷺ.

هذا طبعاً على أسوأ التقادير؛ فإنّه يغلب على الظن عندي بل الراجح جداً أنّ الصدوق كان يعتقد بالوجوب كما استقرب ذلك النجفي في الجواهر ـ وغيره ـ بقوله: عن أمالي الأول (أي الصدوق): إن من دين الإمامية الإقرار بأنه يجزي في التشهد الشهادتان والصلاة على النبي وآله ﷺ، فيقوى في الظن أنّ تركها في مثل الفقيه لمعروفية فعل الصلاة عقيب اسم الرسول ﷺ ولا ينافيه قوله بعد ذلك فيه: ويجزيك في التشهد الشهادتان[1]، على أن المحكي عنه وجوبها عند الذكر ولو في غير التشهد، فلعل الترك حينئذ لذلك، مع أن فيما حضرني من نسخة الفقيه ملحق فيها الصلاة في التشهد الاول، ويؤيده القطع باشارته فيما ذكره من التشهد الاول والثاني إلى ما في النصوص المشتملة على ذلك، وهي مشتملة على الصلاة...[2].

أقول: والراجح عندي بل الذي أعتقده أنّ الصدوق ﷺ قائل بالوجوب من دون أدنى شك؛ وآية ذلك أنّه قدس سره قائل بوجوب الصلاة على النبي وآله كلّما ذُكِرَ النبي ﷺ؛ نطقاً أو سماعاً، ومعلوم أنّ المتشهد في تشهّدي الصلاة يصدق عليه أنّه ذاكرٌ للنبي ﷺ؛ لأنّ آخر ما يقوله المتشهد هو: «أشهد أنّ محمداً رسول الله» وهو بناء على ما ذهب إليه الصدوق علّة تامّة للوجوب؛ لصدق الذكر حينئذ.

وإذا كان الأمر كذلك فمن غير المعقول أن لا يذهب الصدوق إلى وجوب الصلاة على النبي وآله ﷺ في تشهّد الصلاة مع أنّ مجرد ذكر النبي عند الصدوق؛ نطقاً أو سماعاً ـ كما في التشهّد ـ على ما عرفت وعلى ما ستعرف، هو موضوع كامل للحكم بوجوب الصلاة على النبي وآله؛ باعتباره من أوضح مصاديق ذكر النبي ﷺ.

---

(١) أمالي الصدوق: ٧٤١.

(٢) جواهر الكلام ١٠: ٢٥٤.

وجوب الصلاة في التشهد عند أهل السنة:

وليس وجوب الصلاة على النبي في تشهد الصلاة من منفردات الإمامية الاثني عشرية فقد تابعنا على ذلك بعض فقهاء أهل السنة..

قال النووي (المتصدي عن المذهب الشافعي في وقته):

فرع: في مذاهب العلماء في الصلاة على النبي في التشهد الأخير؛ قد ذكرنا أنّ مذهبنا أنّها فرض فيه؛ ونقله أصحابنا عن عمر بن الخطاب وابنه، ونقله الشيخ أبو حامد عن ابن مسعود وأبي مسعود البدري، ورواه البيهقي وغيره عن الشعبي وهو أحدى الروايتين عن أحمد، وقال مالك وأبو حنيفة هي مستحبة لا واجبة، حكاه ابن المنذر عن مالك وأهل المدينة...، وقال إسحاق: إن تركها عمداً لم تصح صلاته وإن تركها سهواً رجوت أن تجزئه؛ واحتج أصحابنا (- الشافعية) بقوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قال الشافعي: أوجب الله تعالى بهذه الآية الصلاة، وأولَى الأحوال بها حال الصلاة؛ قال أصحابنا الآية تقتضي وجوب الصلاة عليه، وقد أجمع العلماء أنّها لا تجب في غير الصلاة[1].

وقال أيضاً في كتابه روضة الطالبين: التشهد واجب (يقصد التشهد الأخير) وتجب فيه الصلاة على النبي ﷺ؛ والصلاة على آل النبي ﷺ قولان؛ وقيل وجهان: الصحيح المشهور أنّها سنة والثاني واجبة[2]..

وقال ابن زكريا الأنصاري في فتح الوهاب: ووجوب الصلاة على النبي ﷺ ثابت بقوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ والأمر بها في خبر الصحيحين، وأولى الأحوال في وجوبها، الصلاة[3].

---

(١) المجموع للنووي ٣: ٤٦٧.

(٢) روضة الطالبين للنووي ١: ٣٦٨.

(٣) فتح الوهاب ١: ٨٠.

وقال البكري الدمياطي في إعانة الطالبين: وقيل يجب الإتيان بالصلاة على الآل في التشهد؛ وهو على القول القديم لإمامنا الشافعي؛ واستدل له بقوله ﷺ: «قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد» والأمر يقتضي الوجوب؛ وللإمام الشافعي:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فقوله: لا صلاة له؛ يحتمل أنّ المراد صحيحة (في مقابل الفاسدة) فيكون موافقاً للقول القديم في وجوب الصلاة على الآل[1]....

وقال السرخسي في المبسوط: ثم الصلاة على النبي في الصلاة ليست من جملة الأركان عندنا (أي عند الأحناف) وقال الشافعي: هي من جملة الأركان لا تجوز الصلاة إلاّ بها، وفي الصلاة على آله وجهان[2].

وقال عبد الله بن قدامة في المغني (وهو المتصدي عن الفقه الحنبلي في وقته): إنّ الشافعي أوجب الصلاة على النبي ﷺ وضمّه إلى الأركان وعن أحمد رواية أخرى كذلك[3].

وقال ابن قدامة الحنبلي الآخر (عبد الرحمن) في الشرح الكبير: وفي وجوب الصلاة على النبي ﷺ روايتان؛ أصحّهما وجوبها وهو قول الشافعي وإسحاق[4]...، وقال في موضع آخر: وهو رواية عن أحمد[5].

---

(١) إعانة الطالبين ١: ٢٠٠.

(٢) المبسوط للسرخسي الحنفي ١: ٢٩.

(٣) المغني ١: ٦٥٩.

(٤) الشرح الكبير ١: ٥٧٩.

(٥) الشرح الكبير ١: ٦٤٣.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: إذا تقرر لك الكلام في وجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة، فاعلم أنّه اختلف في وجوبها على الآل بعد التشهد؛ فذهب الهادي والقاسم والمؤيد بالله وأحمد بن حنبل وبعض أصحاب الشافعي إلى الوجوب؛ واستدلوا بالأوامر المذكورة في الأحاديث المشتملة على الآل[1].

تخريج أهل السنّة التاركين لذكر الآل في التشهد:

أقول: وأمّا الذين أوجبوا الصلاة على الرسول ﷺ في التشهد الأخير ولم يقولوا بوجوب الصلاة على الآل تبعاً للرسول ﷺ فحجتهم في ذلك ما قرره الشربيني في مغني المحتاج بقوله:

والصحيح أنّ الصلاة على الآل لا تجب في الصلاة لبنائها (أي الصلاة اليومية) على التخفيف؛ بل تسن كالدعاء للمؤمنين والمؤمنات[2].

كبرت كلمة تخرج من أفواههم!!!!

أهل السنّة لا يقولون بالفصل:

وممّا ينبغي التنبيه عليه أيضاً أنّ أغلب أهل السنّة لا يقولون بالفصل؛ فكما أنّ الشيعة لا يقولون بالفصل في وجوب الصلاة على الآل تبعاً للصلاة على الرسول ﷺ في كل الأحوال في التشهد وفي غيره، فكذلك أهل السنّة؛ فحيث ذهب جمهورهم الأعظم إلى ترك الصلاة على الآل تبعاً للصلاة على الرسول ﷺ في تشهد الصلاة اليومية، فالأمر هو الأمر في كل الأحوال الأخرى؛ في التشهّد وفي غيره.

---

(١) نيل الأوطار ٢: ٣٢٤.

(٢) مغني المحتاج ١: ٣٤٢.

مناقشة تخريج أهل السنة في الإعراض عن الآل:

ولكن هذا التخريج الفقهي للحكم بعدم وجوب الصلاة على الآل مع القول بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير؛ بدعوى أنّ الصلاة اليومية مبنية على التخفيف اتهام صريح أو مبطن للرسول ﷺ بأنّه يلغو ويهجر ولا يدري ما يقول (وحاشاه ثمّ حاشاه)؛ إذ أليست الروايات الواردة في بيان كيفية الصلاة قد أطبقت على أنّ الرسول قال: **«قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد»** أو **«وعلى آل محمد»**؟

ثمّ أليست الأحكام الشرعية توقيفية تتبع بيان الشارع؟

ومع وجود مثل قوله ﷺ: **«قولوا»** الظاهر في الوجوب كما صرّحوا هم، والذي ورد بطرق متواترة من الفريقين، هل يبقى مجال لمزعمة البناء على التخفيف؟.

فكما هو أوضح من أن يخفى سواء أقلنا بوجوب الصلاة أم باستحبابها في خصوص تشهّد الصلاة، فهل هناك من دليل شرعي يسوغ الاكتفاء بالصلاة على خصوص الرسول ﷺ من دون اتباع ذلك بالصلاة على الآل؟

أو ليس هذا ضرب لسنّة رسول الله ﷺ المتواترة الموصية بالصلاة على الآل تبعاً للصلاة على الرسول عرض الجدار؟

وهل جهل الرسول ﷺ ـ وحاشاه ـ أنّ الصلاة اليومية مبنية على التخفيف وعلم به أهل السنّة؟

وإذا كانت الصلاة اليومية من ركوع وسجود وتشهد مبنية على التخفيف، فهل ناقض الرسول ﷺ نفسه ليقول: **«قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد»** الظاهر في الوجوب؟

ألا يعني ذلك الرد على الله القائل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ ؟

وهل أنّ ضرب السنة المتواترة الموصية بالصلاة على الآل يشرع من مشرعة: حسبنا كتاب الله؛ شعار عمر في فهم الإسلام والتعامل معه؟

أم أنّ تجزئة العمل بالحديث المتواتر بأنْ يصلى على النبي بترك الصلاة على الآل هو في ضوء فلسفة عمر القائل: أقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ إلا فيما يعمل به؟

وبالجملة: فهل أخطأ النبي حينما ذكر الآل في جواب من سأل عن كيفية الصلاة أم لم يخطأ؟

وهل أخطأ الوحي الذي أمره بذلك..؟!!!

بل هل أخطأ الـ....؟!!!!! اللهمّ إنّا نعوذ بنور وجهك الذي قامت به السموات والأرض أن يضلّنا المضلّون المعاندون بهذه السخافات!!!

قال النجفي في الجواهر: وبالجملة: الصلاة على الآل كالضروري من مذهب الشيعة؛ ولذا حكي عن بعض العامة أنّه نهي عن الصلاة على الآل لما فيه من الإشعار بالرفض، ونعوذ بالله من هذه العصبية للباطل، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون[1].

عزيزي القارىء: يبدو لي أنّ أهل السنّة...، والله لا أدري ماذا أقول!!!

ولكن لا يسعني أن لا أقول إنّ ما يتجلّى أمامي فيما يبدو لي بوضوح هو ما أسميته آنفاً بـ«غريزة التراث الرأيوي اللاعلوي» الذي لا يلتقي مع الآل بأي نحو من أنحاء الالتقاء؛ أي ذاك التراث الذي صاغه من صاغه من التاركين لدين محمد وما ثبت عنه ﷺ بالدليل أو بالضرورة تحت مزعمة: يترك لأنّه صار شعاراً للشيعة أو للرافضة حتى لو كان من صميم الدين، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

---

(١) جواهر الكلام ١٠: ٢٦٢.

ثمّ أقول: إنّ الحديث عن وجوب الصلاة على النبي وآله في تشهدي الصلاة طويل فيه دقائق علمية وظرائف استدلالية لا يسعها مختصر هذا المقام، ولا أرى ضرورة في تطويل الكلام فيه بأكثر ممّا عرضناه؛ فإنّ موضوع دراستنا لا يسمح بأكثر من ذلك؛ وإلا فتفصيل المسألة وما يتفرع عنها من مسائل موضوع لا تنهض بأعبائه عجالة ما نحن فيه، ولهذا سنعطف عنان القلم للحديث في المقام الثاني.

المقام الثاني:

هل الصلاة واجبة على الرسول كلما ذكره ذاكر؟!

والبحث فيه في مرحلتين؛ عند الشيعة وعند السنة.

وجوب الصلاة عند الشيعة أو استحبابها

ذهب مشهور الشيعة إلى أنّ الصلاة على محمد وآل محمد مستحبة وليست بواجبه في غير تشهدي الصلاة، وذهب بعض منهم إلى وجوبها في غير تشهدي الصلاة؛ وحجة المشهور أنّ الروايات لا دلالة فيها على الوجوب، بل قال بعض من يقول بالاستحباب بأنّ الرويات بمجموعها دالة على الوجوب، ولكن تقف الشهرة الفتوائية عائق للقول بالوجوب، على حين أنّ القائل بالوجوب استفاد ذلك من الأوامر التي تفيد بظاهرها الوجوب؛ فإن كل ظاهر حجة.

قال النراقي في المستند: هل تجب الصلاة على النبي ﷺ حيثما ذكر أم تستحب؟

المشهور الثاني، وعن كنز العرفان القول بالوجوب واختاره من مشايخنا المحدثين صاحب الحدائق، ونقله عن الصدوق، وشيخنا البهائي في مفتاح الفلاح، والمحدث الكاشاني في الوافي، والصالح المازندراني في شرح

أصول الكافي وبعض مشايخه البحرانيين.

وقال المقدس الأردبيلي في آيات الأحكام: ويحتمل وجوب الصلاة عليه كلما ذكر كما دلت عليه بعض الأخبار...، ويمكن اختيار الوجوب في كل مجلس مرة إن صلى آخراً.

وقال السيد الخوئي: وهو الظاهر من عنوان الوسائل[1].

أقول: مقصود الخوئي أنّ الحر العاملي عنون في كتابه المسمّى بوسائل الشيعة باباً قال فيه: باب وجوب الصلاة على النبي وآله كلما ذكر، وكما ترى يظهر منه أنّه قائل بالوجوب.

وقال المجلسي في مرآة العقول: (استدل القائلون بعدم الوجوب عند مطلق الذكر بالأصل وبالشهرة العظيمة وبعدم تعليمه ﷺ للمؤذنين وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير لهم كما يفعلون الآن، ولو كان لنقل؛ وفي جميع ذلك نظر لأن عدم التعليم ممنوع.

وكذا عدم النكير وعدم النقل وتكفي الأخبار والتهديدات الواردة فيها مطلقاً، مع أنّه سيجيء في باب بدو الأذان والإقامة ما رواه زرارة في الصحيح عن أبي جعفر: (وصل على النبي كلما...) على أنّ عدم النقل لا يدل على العدم، وأصالة البراءة لا يصح التمسك بها بعد ورود الآية والأخبار الكثيرة به)[2].

---

(١) مستند الشيعة ٥: ٣٣٦ ـ ٣٣٧، كتاب الصلاة للخوئي ٤: ٤٢٥، كنز العرفان للفاضل المقداد ١: ١٣٣، الحدائق ٨: ٤٦٠، وسائل الشيعة ٧: ٢٠١ أبواب الذكر ب ٤٢، زبدة البيان للأردبيلي: ٨٥، مفتاح الفلاح للبهائي: ٢٨.

(٢) مرآة العقول ٢: ١٠٩ ـ ١١٠.

أدلة الوجوب:

وهي كالآتي:

الدليل الأول: الآية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

وتقريب الاستدلال: أنّ قوله تعالى: ﴿صَلُّوا﴾ أمرٌ، والأمر ظاهر في الوجوب كما هو واضح.

ورُدَّ: بأنّ غاية ما تفيده الآية، هو وجوب الصلاة في العمر مرة؛ وذلك لدلالة الأوامر على المرة لا على التكرار.

أقول: وهذا الرد لا يستقيم حتى على ضوء مقررات علم الأصول؛ لأنّ دلالة الأوامر على المرة لا على التكرار فيما لو كان الشارع في مقام البيان ولم يبين، وفيما نحن فيه بينت الروايات أنّ الأمر بالصلاة ليس مهملاً من هذه الجهة كما سيأتي؛ هذا أولاً..

وثانياً: فلأنّ المستدل بالآية على الوجوب إنّما استدل بها على أصل الوجوب لا على إفادة الأمر ﴿صَلُّوا﴾ المرة أو التكرار فهذا له مقام ثان، وآية ذلك أنّ كل القائلين بالوجوب لم يتحدثوا في إطار الاستدلال بالآية إلاّ على أصل الوجوب.

الإجماع المنقول على عدم الوجوب:

وقد عورض الاستدلال بالآية بالإجماع المنقول في الخلاف والمعتبر والمنتهى والتذكرة المنعقد على عدم الوجوب(٢).

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

(٢) الخلاف ١: ٣٧٠، المعتبر ٢: ٢٢٦، المنتهى ١: ٢٩٣، التذكرة ١: ١٢٥.

ولكن يخدش فيه ذهاب مثل الصدوق وصاحب الحدائق وصاحب الوسائل وغيرهم إلى الوجوب، بل ويخدش فيه عدم استبعاد صاحب المدارك الوجوب بقوله: لا يبعد وجوبها إذا ذكر(١)، وعلى هذا فالإجماع ليس تعبدياً ناهضاً للكشف عن حكم الله الواقعي، بل هو اجتهادي يحتمل فيه وبقوة خطأ الكشف؛ وذلك لأنه والحال هذه حدسيٌ وليس حسياً؛ أي أنّ أحسن ما يفيده هو الظن المعتبر لا الاطمئنان، وآية ذلك أنّ مثل الصدوق وصاحب الحدائق وصاحب الوسائل وغيرهم لم يعبؤا بالإجماع كثيراً أو قليلاً.

وزبدة القول: أنّ الاستدلال بالآية على أصل الوجوب المستفاد منها تام بلا إشكال يعتد به، نعم يتوجه الإشكال على الاستدلال بالآية بملاحظة الإجماع المنقول أو الشهرة الفتوائية، ولكنك عرفت جواب الأول، وأمّا الشهرة الفتوائية فلما تقرر في محلّه أنّها ليست بحجة؛ خاصّة إذا عارضها ظهور قوي كظهور الآية وكظهور الروايات الصحيحة.

الدليل الثاني: الروايات الصحيحة

قال الكليني محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (وصل على النبي كلّما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان أو في غيره)(٢).

وقد رواها بسند صحيح الصدوق في الفقيه أيضاً عن زرارة مثله(٣).

أقول: وهاتان الروايتان الصريحتان المرويتان عن زرارة قد اتفق الشيعة

---

(١) المدارك ٣: ٤٢٨.

(٢) الكافي ٣: ٣٠٣ / ٧.

(٣) الفقيه ١: ١٨٤ / ٨٧٥.

عن بكرة أبيهم على أنّهما صحيحتان سنداً؛ نعم قيل عن الأولى حسنة بإبراهيم بن هاشم؛ ولكن مع ملاحظة طريق الصدوق الصحيح لا يبقى كلام.

أضف إلى ذلك أنّ جلّ علماء الإمامية إن لم أقل كلهم اعترفوا بمقتضى الصناعة الاستدلالية بإفادة هاتين الصحيحتين الوجوب، ولكنّ أكثرهم عدلوا عن القول بالوجوب إلى الاستحباب بسبب دعوى الإجماع أو إعراض المشهور عن مفاد الصحيحتين..

قال النراقي في المستند: لا شك أنّ مقتضى الصحيحتين الوجوب مطلقاً إلاّ أنّ مخالفتهما لإجماع القدماء ولا أقل من الشهرة العظيمة بينهم تدخل عمومهما في حيّز الشذوذ، فالحكم بمقتضى عمومهما والإفتاء به في غاية الإشكال، والاحتياط لا يترك في شيء من الأحوال(١).

وقال السيد الخوئي أيضاً: إنّ ظاهر الأمر الوجوب، وحيث لا معارض له فينبغي الفتوى به كما أفتى به صاحب الوسائل حيث أخذه في عنوان بابه في المقام، لكن الذي يمنعنا عنه أنّ المسألة كثيرة الدوران جداً، بل من أعظم ما تعم به البلوى، فلو كان الوجوب ثابتاً والحالة هذه لاشتهر وبان وشاع(٢)....

وقال اليزدي في العروة الوثقى: يستحب الصلاة على محمد وآل محمد حيث ما ذكر أو ذكر عنده، ولو كان في الصلاة في أثناء القراءة، بل الأحوط عدم تركها؛ لفتوى جماعة من العلماء بوجوبها؛ وفي الخبر الصحيح: «وصل على النبي كلما...»(٣).

---

(١) مستند الشيعة للنراقي ٥: ٣٣٨.

(٢) كتاب الصلاة للخوئي ٢: ٢٨٦.

(٣) العروة الوثقى ١: ٧٠٥ فصل ٣٧ مسألة: ١.

وقال الميرزا القمي وبعد اعترافه بدلالة الصحيحتين وغيرهما على الوجوب: وقد يضعف الوجوب بعدم ذكرها في الأخبار الكثيرة والأدعية الكثيرة مع ذكره ﷺ ...، والأحوط عدم الترك بحال[(١)]، وقال بعد هذا بقليل: والأحوط عدم الترك مهما أمكن لغاية التأكيد المستفاد من الأخبار[(٢)].

وزبدة القول: أنّ هؤلاء الأعلام قدس الله أسرارهم مُقِرُّون بأنّ الصحيحتين دالتان على الوجوب، وهذا عزيزي القارىء يضاف إلى دلالة الآية على الوجوب، فاحفظ ذلك.

رواية: «من نسي الصلاة علي» عند الشيعة

أقول: ولا يقف أمر الاستدلال بالروايات على الصحيحتين المتقدمتين فضلاً عن الآية؛ إذ هما يتأيدان بمجموعة أخرى من الروايات لها دلالة على الوجوب لكنّها ليست بمعتبرة السند؛ هكذا قيل، ولكنّه لا يخلو من غرابة؛ لأنّ تلكم الروايات بملاحظة الاستدلال التام بالآية وبالصحيحتين الآنفتين، ومع فرض عدم وجود المعارض من الأخبار لا يسوغ تركها بمقتضى الصناعة، بل بعضها معتبر سنداً..

فمنها: ما رواه الكليني بسند معتبر (كما نص عليه السيد الخوئي في بعض الكتب)[(٣)] عن أبي عبد الله ؑ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ذكرت عنده فنسي أن يصلّي عليّ خطأ الله به طريق الجنة**»[(٤)].

---

(١) غنائم الأيام ٣: ٥٩.

(٢) غنائم الأيام ٣: ٥٩.

(٣) كتاب الصلاة ٤: ٤٢٨.

(٤) الكافي ٢: ٣٥٩ / ٢٠.

ولكن قد يقال هذا عجيب من السيد الخوئي؛ إذ كيف تكون هذه الرواية معتبرة وفي طريقها عبيس بن هشام المهمل أو المجهول.

ولكن نجيب عن ذلك بأنّ هذه الرواية وردت بأكثر من طريق يتأيد بعضها بالبعض الآخر، وعليه فهي فيما نرى معتبرة لا محالة؛ إذ قد رواها الكليني بسند آخر عن محمد بن هارون عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله[1]، كما ورواها الصدوق بسنده عن حماد بن عمرو وأنس بن محمد جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي من نسي...»[2].

أقول: ولعل السيد الخوئي قدس سره حكم باعتبار السند لأنّ عبيس بن هشام ممّن لم يُستثن من كتاب نوادر الحكمة، شأنه في ذلك شأن الذين لم يُستثنوا؛ والذين حكم بعض العلماء بحجية مروياتهم، فلعل هذا من هذا القبيل، أو لسبب آخر لا يهمنا التعرض له، فدقق كثيراً.

ومهما كان من أمر فقد علق السيد الخوئي على هذه الرواية بقوله:

وهذه الرواية وإن كانت معتبرة لكن الأخذ بظاهرها متعذر؛ لاستقلال العقل بقبح مجازاة الناسي بإبعاده عن الجنّة مضافاً إلى حديث رفع النسيان[3] الدال على سقوط التكليف الإلزامية بأسرها.

ولكن يرد على قوله هذا أنّ النسيان في هذا الحديث يحتمل فيه معنيان لا ثالث لهما؛ الأول: الذهول والثاني: الترك..

والأول غير مراد باتفاق العلماء شيعة وسنة؛ للإطباق على قبح معاقبة الناسي (=الذاهل) الذي لا يتذكر، هذا عقلاً، وشرعاً فلحديث الرفع ولغيره.

(١) الكافي ٢: ٤٩٥.

(٢) الفقيه ٤: ٢٧٠.

(٣) وهو الحديث الذي تلقته الأمة بالقبول والذي قال فيه صلى الله عليه وآله: «رفع عن أمتي...».

وإذا سقط هذا الاحتمال تعين الأخذ بالاحتمال الثاني الذي يدل عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] للاتفاق على أنّ معنى النسيان هنا هو ترك العمل بما أمر الله به، بل لا أسرف إذا قلت أنني لم أجد في القرآن غير معنى الترك لفعل النسيان، وعلى أقل التقادير فإنّ الغالب في الاستعمال القرآني للنسيان هو هذا المعنى في حدود تتبعي القاصر.

وإذا كان الأمر كذلك يكون حاصل معنى الحديث (من ذكرت عنده فترك الصلاة علي...) وهو تام الدلالة على حرمة ترك الصلاة على محمد وآل محمد على من يُذكر عنده الرسول ﷺ، فضلاً عن كون سنده معتبراً على ما عرفت.

وهذا عزيزي القارىء يضاف إلى رصيد القائلين بالوجوب؛ أي يضاف إلى دلالة الآية وصحيحتي زرارة الآنفتين، فالتفت!

رواية: «من نسي...» عند أهل السنة

هذه الرواية رواها الطبراني (وغيره) بقوله: حدثنا عبدان بن أحمد، حدثنا جبارة بن مغلس، حدثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من نسي الصلاة علي خُطِّيءَ به طريق الجنة»**[2].

وقد علق المباركفوري على ذلك بقوله: جبارة ضعيف، ولكن رواه

---

(١) الأنعام: ٤٤، وكذلك قوله عز أسماؤه: ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ طه: ١٢٦.

(٢) معجم الطبراني الكبير ١٢: ١٣٩.

إسماعيل القاضي من غير وجه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي الصلاة عليّ...» وهذا مرسل يتقوى بالذي قبله[1].

وقال ابن حجر في الفتح: ومنها حديث: «من نسي الصلاة علي...» أخرجه ابن ماجة عن ابن عباس والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة وابن أبي حاتم من حديث جابر والطبراني من حديث حسين بن علي، وهذه الطرق يشد بعضها بعضاً[2].

وعلق النووي على ذلك بقوله: وهو حديث حسن بطرقه[3].

ثم إنّ حديث الباقر عليه السلام رواه أهل السنة بسند صحيح على ما أخرجه ابن أبي شيبة الكوفي بقوله: حدثنا حفص بن غياث عن جعفر عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذكرت عنده فنسي الصلاة علي...»[4].

وقد وسمه المباركفوري بالمرسل؛ لأنّ الإمام جعفر الصادق عليه السلام لم يذكر الواسطة بينه أو بين أبيه الباقر عليه السلام وبين رسول الله، ولكن هذا حسب رؤاهم السنّية لا غير، وهو على مبانينا صحيح وليس بمرسل؛ بداهة أنّ الصادق عندنا معصوم والمعصوم لا يحتاج إلى واسطة لكي يذكر عليه السلام أنّه ينقل عن رسول الله ﷺ؛ لأنّه تحصيل للحاصل، على أنّ هذا الحديث هو عين الحديث الذي رواه الكليني في الكافي عن الباقر عليه السلام

---

(١) تحفة الأحوذي ٩: ٣٧٣.

(٢) فتح الباري ١١: ٤٤، وانظر رواية الحسين عليه السلام في المعجم الكبير ٣: ١٢٨، والأذكار النووية: ١١٦ وغيرها.

(٣) الأذكار النووية: ١١٦.

(٤) المصنف ٧: ٤٤٣.

والذي وسمه السيد الخوئي بالمعتبر.

وأياً كان فهذه الرواية تلقتها الأمة بالقبول ولم يترك العمل بها أحد؛ غاية ما في الأمر تأجج النزاع حول دلالتها على الوجوب أو الاستحباب لا أكثر ولا أقل.

رواية: فليصل عليّ (أنس بن مالك)

روى الطبراني في معجمه الأوسط قال: حدثنا الفضل بن الحباب قال: حدثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحي، قال: حدثنا إبراهيم بن طهمان عن أبي إسحاق عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «من ذكرت عنده **فليصل عليّ**»(١) وقد علق عليها الهيثمي في مجمع الزوائد بقوله: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح(٢)، وقال أيضاً في موضع آخر: رواه أبو يعلي(٣) ورجاله رجال الصحيح(٤).

وهي ظاهرة في المطلوب تماماً، على أنّ مضمونها مورد قبول أهل القبلة غاية ما في الأمر تنازعوا في دلالتها على الوجوب أو على الاستحباب كما هو حالهم في الروايات السابقة.

عود على بدء:

أقول: وعلى أيّ حال فمما يتأيد به قول من قال بالوجوب من أصحابنا قدس الله أسرارهم ما روي بعدة طرق عن المعصوم عليه السلام بل عن

---

(١) المعجم الأوسط ٥: ١٦٢.

(٢) مجمع الزوائد ١٠: ١٦٣.

(٣) مسند أبي يعلي ٧: ٧٥.

(٤) مجمع الزوائد ١: ١٣٧.

رسول الله ﷺ كما في بعضها قال: **«من ذكرت عنده فلم يصل علي فلم يغفر الله له فأبعده الله»**.

فهذا قد رواه الكليني بسند ضعيف عن عبد الله بن عبد الله عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **«من ذكرت عنده فلم يصل عليّ...»** (١) ورواه أيضاً الكليني بسند ضعيف آخر عن محمد بن هارون عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ...(٢).

ثمّ أقول: وهذان الطريقان ممّا يتأيد أحدهما بالآخر، وعلى هذا فهذه الرواية لا تخلو من اعتبار، بل هي معتبرة إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أنّ الصدوق رحمه الله أخرجها في الفقيه بقوله: قال رسول الله ﷺ: **«ومن ذكرت عنده فلم يصل علي...»** (٣).

وقد بنى كثير من العلماء على أنّ الصدوق إذا قال: قال الصادق أو قال رسول الله ﷺ أو غيرهما من المعصومين عليهم السلام، فهو يدل على أنّ الصدوق جازم أو مطمئن بصدور الرواية عن المعصوم بخلاف قوله: عن الصادق عليه السلام مثلاً أو روي أنّ الصادق قال؛ فهو في هذه الصورة محتملة الصدور..

وإذا كان الأمر كذلك، فلا ريب في كون الرواية أعلاه معتبرة، ومن العجب أنّ السبزواري قدس سره في ذخيرة المعاد وبعد أن اعترف بدلالة هذه الرواية ورواية: **«من نسي»** السابقة على الوجوب كما هو حاصل كلامه قال بضرس قاطع: لكن الروايتين ضعيفتا السند فلا يصح التعويل عليهما(٤).

وهذه غفلة من قلمه الشريف؛ إذ هما معتبرتان على ما عرفت، ولا أقل من احتمال اعتبارهما المعقول.

---

(١) الكافي ٤: ٦٧.

(٢) الكافي ٢: ٤٩٥.

(٣) الفقيه ٢: ٩٦.

(٤) ذخيرة المعاد ٢: ٢٨٩.

نتيجة الاستدلال بالروايات:

لا ريب في أنّ دلالة الروايات منفردة ومجموعة على الوجوب هو من الأمر الواضح، وكذلك الاستدلال بالآية؛ إذ لم يشك أحد من أهل القبلة في أنّ دلالة الآية ظاهرة في الوجوب؛ فالعلماء بين مستدل بها على وجوب الصلاة على النبي في تشهد الصلاة وبين الذي اعترف بدلالتها على الوجوب ولو في العمر مرة، أو أنّ المتيقن منها وجوب الصلاة في العمر مرة كما هو صريح السيد محسن الحكيم في المستمسك[1] والسيد الخوئي على ما مر عليك، وبين من قال أنّها دالة على الوجوب إجمالاً ومن شأن الروايات أن تبين لنا موارد الوجوب تفصيلاً، وعلى ما اتضح بيّنت الروايات أنّه كلما ذكر الرسول ﷺ ذاكر تجب الصلاة عليه ﷺ..

وفيما أحسب لم ينكر أحد من الأساطين دلالة هذه الروايات وبخاصة صحيحتي زرارة على الوجوب، ولكن على ما هو الظاهر من كلماتهم الشريفة أنّهم لم يلتزموا بمفاد الروايات الدالة على الوجوب لوجود الإجماع المنقول على الاستحباب الذي نقله العلامة والشيخ الطوسي والمحقق الحلي والذي هو عمدة أدلة القائلين بالاستحباب.

مناقشة الإجماع:

هذا الإجماع يتردد بين كونه إجماعاً محصّلاً وبين كونه إجماعاً منقولاً؛ والذي يلوي العنق هو الأول دون الثاني، وذلك لأنّ الأول يدل لبّياً على دخول المعصوم في المجمعين على نحو الجزم أو الاطمئنان، بخلاف الثاني الذي يدل على ذلك ولكن لا على نحو الجزم أو الاطمئنان بل على نحو الاحتمال المعتبر، ولأجل ذلك يعامله العلماء معاملة الرواية المعتبرة، ومن آثار الأول هو كشفه القوي جداً عن حكم الله الواقعي، أما الثاني فليست

---

(١) مستمسك العروة للحكيم ٦: ٥٢١.

له هذه القابلية لأنّه كالرواية المعتبرة التي هي ظنية الصدور، وعلى ذلك فأحسن ما في الإجماع المنقول أنّه يكشف عن حكم الله الواقعي كشفاً حدسياً ظنّياً، لا كشفاً حسّياً قطعياً أو اطمئنانياً كما يكشف الإجماع المحصل الذي هو نادر الوقوع كما لعّلك تعرف .

وإذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الإجماع الذي نحن في صدده ليس محصلاً بل منقولاً لم يشك في ذلك أحد، ولا أقل من الشك في كونه محصّلاً؛ وآية ذلك أنّ كثيراً من الأساطين عبّروا عنه بالشهرة العظيمة بل بالشهرة وحسب وهم الأكثر.

قال السيد محسن الحكيم قدس سره: تستحب الصلاة على النبي كلما ذكره ذاكر، على المشهور شهرة عظيمة، بل في المعتبر والمنتهى والخلاف الإجماع على عدم الوجوب[1].

وقال السيد الخوئي قدس سره: على المشهور بل عن غير واحد كالمحقق...، دعوى الإجماع عليه[2].

وقال السيد محمد الشيرازي قدس سره: المشهور بين العلماء عدم وجوب الصلاة على محمد وآل محمد عند ذكره ﷺ، وإنّما يستحبّ استحباباً مؤكداً ...[3].

وقال الميزا القمي في الغنائم: وأمّا في غير الصلاة (اليومية) كلما ذكر اسمه ﷺ فموضع تأمل بالنظر إلى الاجماعات المنقولة[4].

وقال النراقي في المستند: وهل تجب الصلاة على النبي ﷺ حيث

---

(١) مستمسك العروة للحكيم ٦: ٥٢٠.

(٢) كتاب الصلاة ٤: ٤٢٥.

(٣) الفقه له طاب ثراه ٢٢: ٥٢.

(٤) غنائم الأيام ٣: ٥٩.

ما ذكر أم تستحب؟ المشهور الثاني، بل في الناصريات و... الإجماع على عدم الوجوب[١].

وقال الهمداني قدس سره في مصباح الفقيه: مع أنّ المشهور بين العامة والخاصة لو لم يكن مجمعاً عليه عدم الوجوب[٢].

وقال السيد الروحاني قدس سره: المشهور استحباب الصلاة على النبي وآله عنه ذكر اسمه الشريف للمتكلم وللسامع وعن جماعة الوجوب[٣].

أقول: لم استقص كل كلماتهم في ذلك، وأنت ترى أنّهم يعبرون عمّا نحن فيه بالشهرة، بل صرح القمي بأنّ الإجماعات في ذلك هي منقولة وعلى ذلك وبمقتضى الصناعة ليس مثل هذا الإجماع بالذي يلوي العنق؛ لأنّه والحال هذه ليس إجماعاً تعبدياً يورث الجزم والاطمئنان، بل هو اجتهادي يورث الظن المعتبر وعلى تعبير العلماء اليوم ليس حسّياً بل حدسياً.

ومن طريف ما يخطر على البال أنّ الإجماع على نجاسة الكتابي أقوى بكثير من دعوى الإجماع على عدم وجوب الصلاة؛ إذ هو على التحقيق كاد أن يكون محصلاً، بل قال صاحب الجواهر: لعلّه من الضروريات[٤]؛ إذ قد حكى الإجماع على ذلك كثير من الأساطين من القدماء ومن المتأخرين، وليس هناك مخالف في المسألة على التحقيق، وما نسب إلى بعض القدماء من القول بطهارة الكتابي لا يثبت عنه..، ومع كل ذلك ذهب بعض الأفذاذ كالسيد الحكيم وغيره اليوم إلى طهارته بدعوى عدم دلالة الروايات

---

(١) مستند الشيعة ٥: ٣٣٦.

(٢) مصباح الفقيه ٢: ٣٦٩ القسم الأول.

(٣) فقه الصادق ٥: ٧٦.

(٤) جواهر الكلام ٦: ٤٢.

على النجاسة غير ملتفتين إلى ذلك الإجماع أدنى التفاتة وقد قرر السيد السبزواري قدس سره في مهذب الأحكام علّة ذلك بقوله:

قد ارتكز في أذهان الفقهاء القدماء الاهتمام بالاحتياط مهما أمكنهم ذلك، فمثل هذه الاجماعات (على نجاسة الكتابي) حصل من ذلك الارتكاز، فالإجماع احتياطي لا أنّه تعبدي[١].

وكيف كان فالذي نريد قوله: إنّ الإجماع ما لم يكن تعبدياً مورثاً للجزم أو للاطمئنان لا يكون دليلاً قاطعاً في الاستدلال وفيما نحن فيه من هذا القبيل؛ خاصة مع ذهاب مثل الصدوق وغيره إلى القول بالوجوب كلما ذكر النبي ﷺ، يزيدنا قناعة في ذلك أنّ القول بالوجوب فضلاً عن كونه مستنداً إلى الروايات المعتبرة والصحيحة والآية وفضلاً عن كونه ليس معارضاً بشيء من الأخبار النافية للوجوب هو الذي يناسب طريقة الاحتياط، وهو الذي حدا بالسيد اليزدي في العروة وبغيره إلى القول بالاحتياط الوجوبي في المسألة.

ما نذهب إليه:

إذ فهمت كل ذلك فاعلم أنّ القول بالوجوب مع تلك الاجماعات المنقولة وعلى أقل التقادير الشهرة، بل الشهرة العظيمة كما يصفها السيد محسن الحكيم وغيره مُشْكِلٌ..

ولكن القول بالاستحباب مع دلالة الآية التامة مضافاً إلى دلالة الروايات المعتبرة والصحيحة على الوجوب، أشكل بل هو في غاية الإشكال..

وسبب ذلك أنّ القول بالاستحباب خلاف طريقة الاحتياط التي تبانى عليها أصحابنا من علماء الفرقة الناجية رضي الله عنهم فيما يحتمل

---

(١) مهذب الأحكام ١: ٣٦٠.

فيه الإلزام كما في ما نحن فيه..

وبناءً على ذلك فالأحوط لزوم الصلاة على النبي ﷺ كلّما ذكره ذاكر؛ للمتكلم وللسامع، والصيغة المجزئة في كيفية الصلاة هي: «اللهم صل على محمد وآل محمد» لإجماع العلماء على كفايتها.

وجوب الصلاة عند السنة أو استحبابها!

وكما اختلفت أنظار فقهاء الشيعة في وجوب الصلاة أو استحبابها، فالأمر هو الأمر عند فقهاء أهل السنة.

قال السمرقندي في تحفة الفقهاء: قال الكرخي: إنّ الصلاة على النبي ﷺ فرض على كل مسلم بالغ عاقل في العمر مرة واحدة، وقال الطحاوي: تجب عند سماع اسمه في كل مرة.

ثم عقب السمرقندي على ذلك بقوله: وهو الصحيح[١].

وقال الزمخشري: والذي يقتضيه الاحتياط، الصلاة عليه عند كل ذكر لما ورد في الأخبار[٢].

أقول: والذي توصلنا إليه بعد الاستقصاء هو أنّ مشهور أهل السنة كمشهور الشيعة؛ أي القول بالاستحباب..، والأخبار التي عناها الزمخشري كثيرة منها روايتا: «من نسي» و«فليصل علي الآنفي الذكر».

ومنها ما رواه الترمذي مصرحاً بحسنه عن أبي هريرة قل: قال رسول الله ﷺ : «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ»[٣] وغيرها من

---

(١) تحفة الفقهاء ١: ١٣٧.

(٢) تفسير الزمخشري ٣: ٥٥٨.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٢١٠، تحفة الأحوذي ٩: ٣٧١، صحيح ابن حبان ٣: ١٨٩.

الروايات الواضحة الدلالة على المطلوب طبقاً لمباني أهل السنّة الأصولية، هذا فضلاً عن دلالة نفس الآية على ما عرفت.

صيغة الصلاة المجزئة عند الشيعة:

قال العلامة في منتهى المطلب: المجزيء من الصلاة على النبي ﷺ أن يقال: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» وما زاد فهو مستحب بلا خلاف[1].

وقال في التذكرة: أقل التشهد أن يقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمداً رسول الله ﷺ، اللهم صل على محمد وآل محمد[2].

أقول: وهو يعني أنّ المجزيء من الصلاة في التشهد هو هذا، ولا قائل بالفصل.

وقال في تحرير الأحكام: وصورة الصلاة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» وما زاد فهو مستحب[3].

وقال الشهيد الأول: وعبارة الصلاة في الأشهر: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**»[4].

أقول: قوله: في الأشهر ناظر إلى الصلاة الإبراهيمية المشتملة على ما ليس بواجب كقوله ﷺ: «**وبارك على محمد وآل محمد...**».

وقال الشهيد الثاني: وهي مجزية بالإجماع[5].

---

(١) منتهى المطلب ١: ٢٩٣.

(٢) تذكرة الفقهاء ٣: ٢٩٣.

(٣) تحرير الأحكام ١: ٢٥٦.

(٤) الذكرى: ٢٠٤.

(٥) شرح اللمعة ١: ٦٢٣.

وقال الأردبيلي في مجمع الفائدة: المجزئ من الصلاة: «**اللهم صلى على محمد وآل محمد**»(١).

وقال الفاضل الهندي في كشف اللثام: وصورة الصلاة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**»(٢).

وقال صاحب الحدائق: والأحوط هو الإتيان بلفظ: «**اللهمّ صل على محمد وآل محمد**» لوروده في أكثر الأخبار(٣).

ولا أرى داع لاستقصاء كل كلمات العلماء في هذا الشأن؛ وذلك للإطباق على إجزاء الصيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» ولا خلاف في ذلك بينهم قديماً وحديثاً، نعم ربما اختلفوا في أكمل الصيغ وأفضلها.

ولكن وعلى أيّ حال فقد اتفقوا أيضاً على أنّ الصلاة الإبراهيمية من أفضل الصيغ، وصورتها: «**اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم أنّك حميد مجيد**».

صيغة الصلاة المجزئة عند السنة:

قال زكريا الأنصاري في فتح الوهاب: وأقل الصلاة على النبي: «**اللهم صل على محمد وآله**»(٤).

وقال موسى الحجاوي في الإقناع: وأقل الصلاة على النبي: «**اللهم**

---

(١) مجمع الفائدة ٢: ٢٧٧.

(٢) كشف اللثام ١٤: ٢٣٢.

(٣) الحدائق ٨: ٤٥٦.

(٤) فتح الوهاب ١: ٨٢.

صل على محمد وآله»[١].

وقال الشربيني في مغني المحتاج وأقل الصلاة على النبي حيث أوجبنا الصلاة على الآل أو سنناها على الراجح في الأخير: «**اللهم صل على محمد وآله**»[٢].

أقول: هذه طائفة من العلماء ذكرت أقل ما يمكن الاجتزاء به، ولكن الشيرواني يقول: أقل الصلاة: «اللهم صل على محمد»[٣] من دون ذكر الآل، وحجتهم أنّ الصلاة اليومية من ركوع وسجود وقراءة مبنية على التخفيف وإضافة الآل وإن ورد في الروايات إلاّ أنّه على القول بوجوب الصلاة على النبي في التشهد مسنون؛ لعلة التخفيف تلك.

وأنت ترى أنّ الرد على مثل هذه السخافة تضييع للعمر؛ إذ أليست قد وردت الصلاة على النبي في الروايات الإسلامية الشيعية والسنية مع ذكر الآل، ثم أليست هذه الأمور توقيفية؟

ثم هل الصلاة على الآل تبعاً للصلاة على الرسول ﷺ ثقيلة إلى هذا الحد وبحذف الآل تكون خفيفة؟

ومن هؤلاء ابن نجيم البصري بقوله: واختلفوا في قدر الصلاة والأصح به: «اللهم صل على محمد» وإن لم يقل وآله[٤].

وقال الحصفكي في الدر المختار: ويكتفى بـ «اللهم صل على محمد»[٥].

---

(١) الإقناع ١: ١٢٧.

(٢) مغني المحتاج ١: ١٧٥

(٣) حواشي الشيرواني ٢: ١٣٦.

(٤) البحر الرائق ٢: ١٧٢.

(٥) الدر المختار ٢: ٤٩.

بلى هناك تخريج فقهي لهذه المسألة، وهو ما أشرنا إليه كثيراً سابقاً، يعتمد على مصدر آخر من مصادر التشريع الإسلامي غير القرآن وغير السنة وغير الإجماع أسمه: «رغماً لأنوف الشيعة».

هل تجب الصلاة بعد الصلاة؟

بمعنى أنّ الصلاة على النبي ﷺ والتي تجزئ فيها صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» هل تكون موضوعاً لوجوب ثان؟ لأنّ المصلي حينما يصلّي تكون لفظة «محمد» آخر ما يتلفظ به، وهنا قد يقال بدخولها تحت عموم «كلما ذكره ذاكر».

ولكن يقول العلماء هذا ليس بصحيح وليس هناك غير الوجوب الأول؛ ودليلهم في ذلك لزوم التسلسل، والذي هو باطل باتفاق أهل القبلة فضلاً عن العقلاء؛ مضافاً إليه عمومات أدلة العسر والحرج، بل هو تكليف بغير المقدور؛ لأنّ الذي يصلي مرة واحدة فقط، يجب عليه بناء على ذلك أن يبقى مصلياً حتى يموت؛ بداهة دخوله تحت عموم «كلما ذكره ذاكر» في كل صلاة.

انطلاقاً من ذلك لنا أن نقرر هذه المسألة قائلين: بأنّ محمولات مواضيع الأحكام إنّما هي محمولة على مواضيعها بالحمل الأولي لا بالحمل الثانوي؛ أي أنّ حكم الوجوب أو الاستحباب ـ على اختلاف الأنظار ـ محمول على الموضوع الذي يقول: «كلما ذكره ذاكر»، وليس عندنا موضوع يقول «إنّ امتثال كلما ذكره ذاكر يحقق ذكراً ثانياً» ليحمل عليه حكم الوجوب أو الإستحباب مرة أخرى، فهذا وإن كان صحيحاً بالدقة العقلية إلاّ أنّه لا يصار إليه من دون دليل شرعي، وقد أجمع الناس على أنه لا وجود لمثل هذا الدليل، فيبقى حكم الوجوب أو الإستحباب يدور مع الموضوع الذي يقول: «كلما ذكره ذاكر» ليس غير.

هل تجب الصلاة على محمد وآله في صلاة الميت؟

اجمع أو اتفق أصحابنا على أنَ صلاة الميت والتي تسمّى صلاة الجنازة أيضاً خمس تكبيرات تتخللها أربعة أدعية، غير أنّهم اختلفوا في وجوب الأدعية الأربعة وإن حكى العلامة في المنتهى الإجماع عليه[(١)]؛ فقد ذهب المحقق في المعتبر إلى استحباب الدعاء وإلى عدم وجوب شيء من الأدعية التي تتخلل التكبيرات الخمس الواجبة.

لكن المشهور بين المتأخرين وجوب توزيع الأذكار الأربعة على التكبيرات؛ يذكر الشهادتين بعد الأولى والصلاة على النبي وآله بعد الثانية والدعاء للمؤمنين والمؤمنات بعد الثالثة والدعاء للميت بعد الرابعة، وقد عقب القمي على هذا القول بقوله: وهو ظاهر إجماع المنتهى والإجماع المنقول عن الشيخ في الذكرى[(٢)] وروض الجنان[(٣)][(٤)].

ومهما يكن من أمر فمشهور المذهب هو انّ صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» تذكر بعد التكبيرة الثانية في صلاة الجنازة، وعلى ذلك مجموعة من الروايات ذكرها الحر قدس سره في الوسائل مدرجاً إيّاها في باب كيفية صلاة الجنازة، فراجعه[(٥)]، ولا داعي لأن نتعب القارئ الكريم بعرضها عليه هنا؛ إذ لا ضرورةفي ذلك فيما أظن.

---

(١) المنتهى ١ : ٤٥١.

(٢) الذكرى : ٥٩.

(٣) روض الجنان ٣ : ٤٧٣.

(٤) غنائم الأيام ٣ : ٤٧٣.

(٥) وسائل الشيعة ٣ : ٦٠ أبواب صلاة الجنازة ب ٢.

الفصل السابع

فضائل الصلاة
خصائصها وثوابها

فضائل الصلاة
خصائصها وثوابها

قبل الشروع فيما عقدنا هذا الفصل لأجله نرى ضرورةً في تلخيص هدفنا من كل البحوث التي عرضناها عليك في الفصول السابقة..، نريد أن نعرض باختصار ما توصلنا إليه من نتائج خلال هذا المختصر لكي نستطيع جميعاً أن نستوعب بموضوعية خصائص الصلاة على محمد وآل محمد السماوية وثوابها العظيم، وأن نواكب البحث في ملابساتها العلمية والروائية بقناعة وبموضوعية..

ونحن فيما أكثرنا من عرضه ممّا سبق، أوضحنا أنّ قيمة الصلاة على محمد وآل محمد تنطوي على الحقيقة في فلسفة تشريعها أو في الحكمة التي على أساسها برز مقدار اهتمام الشارع بها بحيث أصرّ إصراراً سماوياً على أن تصل إلينا بالتواتر بل بما فوقه على ما عرفت.

ففيما نحسب توضح لديك على ضوء رؤيتنا في تقسيم النصوص الإسلامية، أنّ الصلاة على محمد وآل محمد بما تحمل من سمات الشعارية الوحيوية وبما تحمل من خصائص ذاتية على أساسها تتحدد هوية الإنتماء الصحيح للإسلام، هي آلة سماوية من آلات مشروع الإسلام في عملية الإبقاء على الدين في خضم الصراع بين الحق والباطل في معناه الشامل لكل البشر بعامّة، وفي خضمّ الصراع بين المدرستين الوحيوية والرأيوية بخاصّة..

وآية ذلك أنّ أساطين المدرسة الرأيوية بين مصرح وبين ملوح

بضرورة إزواء ذكر الآل في عملية الصلاة المحمدية، وشعار قريش في الازورار عن الآل الذي صاغته قديماً بـ: «رغماً لأنوف بني هاشم» والذي صاغته فيما بعد بـ «رغماً لأنوف الشيعة» جار عندهم ما جرى الليل والنهار حتى يومك هذا.

وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب في أنّ ما يقابل التعبد بصيغة: « **اللهم صلّ على محمد وآل محمد**» على وجهها الشرعي الصحيح ثواب لا يقف أمره على عبادة صوفية ساذجة في إطار ما أسميناه بـ «الحسنة الشخصية» لأنّ التعبد بها قد أُخرج عن الدائرة الصوفية ليدخل عنوة في عملية الصراع من أجل إبقاء الدين..

وهذا هو ما يحدو بنا لأن نقول: ليس ما بإزائها من ثواب ممّا يقف عند الحسنة والحسنتين بل يرتقي إلى ذلك إلى الثواب الذي عينه الله تعالى لأولئك الذين ساهموا مساهمة فعالة في مجالدة الفساد الذي يريد أن يطرأ على نظرية الدين؛ أي لأولئك ساهموا مساهمة فعّالة في تحقيق المصداقية لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ولنا أن نعرّف الحسنة التي هي بإزاء تحقيق تلك المصداقية والتي أسميناها بـ «الحسنة النوعية»: بأنّها الثواب الذي يعطيه الله تعالى لمن يعبده في إطار تحقيق تلك المصداقية.

وكما ذكرنا لك سابقاً فليس هذا من جنس الثواب الذي يعطيه الله تعالى لمن يعبده في إطار نظرية الحلال والحرام (العبادات والمعاملات) مع الاقرار بأنّ كثيراً من مفردات نظرية الحلال والحرام قد تكون مورداً من موارد الحسنة النوعية إذا ما أدخلت هي الأخرى في عملية الصراع لأجل الإبقاء على الدين أو من أجل تحقيق المصداقية السماوية لمقررات القرآن الكريم!.

هذا هو ألفباء هذه المسألة التي يراها البعض عويصة للغاية، وعلى سبيل المثال ـ والذي هو أروع مثال في تاريخ الإنسانية ـ نقول: إنّه لا ريب في أنّ الثواب العظيم الذي حصل عليه أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء ليس هو لأجل طاعة الله في إطار العبادات والمعاملات (=الجهاد) وحسب، بل لمساهمتهم الخالدة في إبقاء شريان الدين حيّاً نابضاً، نعم وظيفة إبقاء الدين هي وظيفة المعصوم عليه السلام، ولكننا مهما شككنا فلا نشك في أنّ الحسين عليه السلام في كربلاء قد استند إليهم بوضوح في تجسيد هذه الوظيفة على أرض الواقع الإنساني، هذا بنحو خاص..

وبنحو عام فالقول هو القول فيمن جسّد إمامة الأئمة عليهم السلام على أرض الواقع البشري بشتى الوسائل ولو من خلال صيغة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» ...

خصائص الصلاة
وثوابها (فضائلها) عند الفريقين

هناك طائفة كثيرة من الروايات وردت عن المعصوم أماطت اللثام عن مقدار الثواب النازل على المتعبد بصيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» من الضروري أن نتعرض لأهمّها بعد كل ما قدمناه .

وتنبغي الإشارة قبل ذلك إلى أنني لا أفهم من الثواب الوارد في روايات فضائل الصلاة هو خصوص ما ينص عليه المعصوم من حسنات، بل ما أفهمه هو أنّ كل ما يفيض عن ساحة القدس الإلهية مطلقاً؛ في الدنيا وفي الآخرة، مادياً كان أم معنوياً، هو ثواب؛ولأجل ذلك فلن نكتفي بسرد الروايات التي تنص على الثواب في معناه البسيط وحسب، بل علاوة على ذلك سنتعرض للروايات المبينة لخصائص الصلاة على محمد وآل محمد ولآثارها العامّة السلبية والإيجابية في الدارين، وما يدرينا فلعل هذا بنحو وبآخر مطوي في مقصود القدماء من قولهم فضائل..!!!

وأشير إلى ما هو أهم من الاكتفاء بسرد الروايات بالنحو الذي يسرده الآخرون، وآية ذلك أنّنا لن نتعرض للروايات الضعيفة التي لا تقوم بها حجة ولن نذكرها؛ وكل ما سنفعله أنّنا إذا وجدنا رواية صحيحة أو معتبرة فيما نريد إثباته فهو وإلاّ فلا، فإنّ النظرية الإسلامية أعلى شأناً من أن تعتمد على الأخبار الضعيفة في بلورة نظرية الحلال والحرام وفي بلورة آليات بقاء الدين وبناء الحياة..

ونحن في الوقت الذي نقول ذلك لا نضرب بباقي المرويات عرض

الجدار؛ مقتفين في ذلك أثر العلماء؛ بأن نردّها إلى عالمها؛ فإننا على ضوء مقررات آية النبأ وسيرة العقلاء مأمورون بالتوقف عند الروايات التي لا نعلم علماً شرعياً بصدورها عن المعصوم، وأقصد بالعلم الشرعي، الحقيقي الذي يساوق اليقين، والتنزيلي الذي يساوق الظن المعتبر أوالاطمئنان.

بلى، قد نذكرها للتبرك، ولاحتمال صدورها فافهم ذلك.

بناء على هذا التقرير ففضائل الصلاة وخصائصها نعرضها كالآتي:

١ـ تكفي مؤونة الدنيا والآخرة

قال الكليني: أبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن أبي أسامة زيد الشحام عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنّ رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله! إنّي أجعل لك ثلث صلواتي، بل أجعل لك نصف صلواتي، لا بل أجعلها كلها لك).

فقال الرسول صلى الله عليه وآله : **«إذن تُكْفَى مؤونة الدنيا والآخرة»**[١].

أقول: وهذه الرواية صحيحة باتفاق أهل القبلة؛ أمّا عند الشيعة فظاهر؛ لاتفاقهم على صحتها، وأمّا عند أهل السنة فلما رواه أحمد في مسنده بقوله: حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: قال رجل يا رسول الله صلى الله عليه وآله أرأيت ان جعلت صلاتي كلها عليك؟

فقال صلى الله عليه وآله : **«إذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك»**[٢].

أقول: وقد علق عليه الهيثمي في مجمع الزوائد بقوله: رواه أحمد

---

(١) الكافي٢: ٤٩١.

(٢) مسند أحمد ٥: ١٣٦.

وإسناده جيد[١] ومثله الصالحي الشامي في سبل الهدى والرشاد حيث نص على ذلك[٢].

ولا يخفى أنّ معنى «عليك» الواردة في رواية الإمام أحمد هو «لك» كما هو نص رواية الكليني طاب ثراه.

ويدل على ذلك أيضاً ما أخرجه الترمذي بقوله: حدثنا هنّاد، أخبرنا قبيصة، عن سفيان عبد الله بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: **«يا أيّها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة: جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه»**.

فقال أبي: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي...؟

ثمّ أردف أبي سؤاله ذاك بقوله: أجعل لك صلاتي كلها!.

فقال ﷺ: **«إذن تُكْفَى همّك ويُغْفَر ذنبك»**.

وقد علق عليه الترمذي بقوله: هذا حديث حسن[٣].

ثم قد اختلف الناس في تفسير هذا الحديث؛ إذ ما معنى أن تجعل الصلاة على محمد وآل محمد كلها للرسول ﷺ؟

ذهب البعض إلى أنّ من أراد أن يدعو الله لحاجة من الحاجات واجتزء عن دعائه ذاك بـ«اللهم صل على محمد وآل محمد» كُفي همّه الدنيوي والأخروي، واستجيب دعائه وإنّ لم يدع به..

---

(١) مجمع الزوائد ١٠: ١٦٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ١٢: ٤٢٦.

(٣) سنن الترمذي ٤: ٥٣.

وذهب آخرون إلى أنّ معناه أنّ صاحب الحاجة يُقدم الصلاة على محمد وآل محمد بين يدي حاجته ثم يدعو بها، ويدل عل هذا المعنى ما رواه الكليني بسند صحيح عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: ما معنى اجعل صلواتي كلها لك؟

فقال عليه السلام: (يقدمه بين يدي كل حاجاته فلا يسأل الله عزوجل شيئاً حتى يبدأ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصلي عليه ثمّ يبدأ حاجته)[1].

ولكن يدل على الأول ما أخرجه الكليني بسند صحيح قال الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّوجل يقول: **من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي من سألني**[2].

وما أخرجه الكليني أيضاً بسنده الموثق قال أبو عبد الله عليه السلام: (إنّ العبد ليكون له الحاجة إلى الله عزوجل فيبدأ بالثناء على الله والصلاة على محمد وآل محمد حتى ينسى حاجته فيقضيها الله له من غير أن يسأله إيّاها)[3].

ويؤيده أيضاً ما أخرجه الترمذي في سننه بسند حسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى: **من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي من سألني**[4].

وتقريب الاستدلال بحديث: «من شغل بذكري» هو ما برهنا عليه سابقاً من أنّ ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذكر آله بالصلاة عليه وعليهم عليهم السلام هو عين ذكر الله في كثير من الاعتبارات.

---

(١) الكافي٢: ٥٠١.

(٢) الكافي ٢: ٥٠١.

(٣) الكافي ٢: ٥٠٢.

(٤) شرح سنن الترمذي للأحوذي ١٠: ٣٣.

مهما يكن الأمر، فليس ببعيد أن تقوم الصلاة على محمد وآل محمد مقام كل دعاء بل كل ذكر؛ لليقين باشتمالها على ذكر الله في مبتدأ صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» أولاً وعلى ذكر الرسول ﷺ ثانياً، وعلى ذكر آل البيت ﷺ ثالثاً، وقد جزمنا سابقاً بأنّها من أقدس الصيغ الإسلامية على الإطلاق؛ وذلك لأنّها تمثل معجماً جامعاً لأهم أصول الدين.

وعلى أي تقدير من هذين التقديرين يمكننا وبكل ارتياح أن نقول تبعاً للفقهاء: يستحب شرعاً استحباباً مؤكداً أن يُصلّى على الرسول ﷺ وآله حين الدعاء لطلب الحاجة الدنيوية أو الأخروية، سواء أكانت الصلاة على محمد وآل محمد مجزئة عن الدعاء أم لم تكن كذلك..، وأنا إلى الاحتمال الأول؛ أي القول بالإجزاء أميل..

وذلك لما أخرجه الكليني بسند قوي بقوله: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن محسن بن أحمد عن أبان الأحمر عن عبد السلام بن نعيم قال: وقلت لأبي عبد الله: إني دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدعاء إلاّ الصلاة على محمد وآل محمد؟.

فقال عليه السلام: (أما أنّه لم يخرج أحد بأفضل مما خرجت به)[1].

٢ ـ الدعاء من دونها محجوب

قال الكليني: محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم وعبد الرحمن بن أبي نجران جميعاً عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كل دعاء يدعى الله عزوجل به محجوب عن السماء حتى يصلّى على محمد وآل محمد)[2].

---

(١) الكافي٢: ٤٩٤؛ وسيأتيك البحث في هذه الرواية لاحقاً.

(٢) الكافي ٢: ٤٩١، كما وقد رويت هكذا، علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

أقول: والحديث صحيح بلا خلاف، ثمّ إنّ أقل ما يقال في هذا الحديث هو أنّ الصلاة على محمد وآل محمد لابُدّ منها بحكم العقل؛ لتوقف الدعاء عليها تماماً، فهو كما تنص الرواية يبقى محجوباً عن السماء من دون الصلاة على محمد وآل محمد.

وإذا ما قيل: الدعاء مستحب بالإجماع، فكيف تكون الصلاة مما لابد منها ولو بحكم العقل؟

قلنا: بنى العلماء على أنّ المستحب وإن كان مستحباً، ولكنه حين الامتثال إذا توقف على شيء يجب ـ عقلاً ـ تحصيل ذاك الشيء، وهذا هو الذي يصطلح عليه العلماء بشرط الوجود؛ فمثلاً صلاة الليل مع أنّها مستحبة ولكن تجب القراءة فيها ويجب السجود ويشترط الوضوء؛ وكل هذا بمعنى توقف إيجاد صلاة الليل وتحققه على تلك الوجوبات وعلى تلك الشروط؛ وهذا طبعاً في صورة إذا أراد أحد أن يصلي صلاة الليل، وإلاّ ففي غير هذه الصورة لا يجب ولا يشترط أيّ شيء من الأشياء.

وفي ما نحن فيه من هذا القبيل لا تجب الصلاة على النبي ﷺ وآله ابتداءً، ولكن من أراد أن لا يكون دعاؤه محجوباً ـ كما يقرر الحديث ـ يجب عليه عقلاً تحصيل كل مقدمات ذلك، وهي كما في هذا النص الصلاة على محمد وآل محمد.

هذا، وقد روى الكليني قدس سره الحديث أعلاه بسند معتبر عن السكوني عن الصادق عليه السلام قال: (من دعا ولم يذكر النبي ﷺ رفرف الدعاء على رأسه فإذا ذكر النبي ﷺ رفع الدعاء)[1].

وفي هذا المضمون رويت من طرق أهل السنة عن علي عليه السلام ما أخرجه ابن الجوزي في جلاء الأفهام أنّ النبي قال: «ما من دعاء إلاّ بينه وبين السماء

(١) الكافي ٢: ٤٩١.

حجاب حتى يصلي على محمد فإذا صُلِّيَ عليه انخرق الحجاب واستجيب الدعاء وإذا لم يصل على النبي لم يستجب الدعاء»[1].

فانظر عزيزي المسلم إلى أهمية الصلاة على محمد وآل محمد تحت هذا العنوان؛ إذ الروايات المستفيضة أعلاه جزمت وبضرس قاطع أنّ الدعاء من دونها لا يعدو لقلقة اللسان التي لا حاصل منها..

ومن ذلك ما أخرجه الكليني بسند صحيح بقوله: عن أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن العيص بن القاسم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (... إن رجلاً دخل المسجد وصلى على النبي فقال رسول الله ﷺ: **«عجل العبد ربه»** وجاء آخر فصلى ركعتين ثم أثنى على الله عزوجل وصلى على النبي فقال رسول الله ﷺ: **«سل تعط»**)[2].

ويؤيده أيضاً ما أخرجه الكليني بسند معتبر عن أبي كهمس قال: قال الصادق وساق نحو ما تقدم[3]، والروايات في هذا المضمون كثيرة الطرق لا حاجة لاستقصائها جميعاً.

ومما رواه أهل السنّة في ذلك أيضاً مما يدل في الجملة على ما نحن فيه ما رواه الترمذي بقوله: حدثنا محمود بن غيلان، أخبرنا المقرئ، أخبرنا حيوة قال: حدثني أبو هانئ أن عمرو بن مالك الجنبي أخبره أنّه سمع فضالة بن عبيد يقول: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«عجّل هذا»** ثم دعاه فقال له أو لغيره: **«إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد ما**

---

(١) جلاء الأفهام: ٣٩.

(٢) الكافي ٢: ٣٥٣.

(٣) الكافي ٢: ٣٥٢.

شاء» هذا حديث حسن صحيح[١].

وري الحاكم في ذلك بقوله: أخبرنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي، حدثنا عبد الصمد بن الفضل، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى، حدثنا حيوة عن أبى هاني، عن أبي علي عمرو بن مالك، عن فضالة بن عبيد الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى رجلا صلى لم يحمد الله ولم يمجده ولم يصل على النبي صلى الله عليه وآله وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«عجل هذا»** فدعاه فقال له ولغيره: **«إذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يدعو بما شاء»**.

أقول: وقد علق عليه بقوله: هذا حديث صحيح ولا تُعرف له علة ولم يخرجاه، وقد تابعه الذهبي على هذا التصحيح في التلخيص[٢].

وقال الصالحي الشامي في كتابه سبل الهدى والرشاد: وروى الديلمي في مسند الفردوس، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **«كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم»**[٣].

وفي الجملة فطرق هذه الأحاديث كثيرة، وفيما قدّمناه كفاية فيما نظن، على أنّ نخلص إليه من مجموع ذلك أنّ الدعاء من دون الصلاة على النبي ﷺ لا قيمة له، كما وأنّ الصلاة على النبي ﷺ من دون الصلاة على آله لا قيمة فيها؛ لأنّها بتراء كما برهنت البحوث السابقة.

---

(١) سنن الترمذي ٥: ١٨٠.

(٢) مستدرك الحاكم ١: ٢٦٨، وتلخيص المستدرك ١: ٢٦٨.

(٣) سبل الهدى ولارشاد ١٢: ٤٤٩.

آداب استثمار الصلاة في الدعاء المنتج:

أخرج الكليني قال: عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الاشعري، عن ابن القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لا تجعلوني كقدح الراكب فإن الراكب يملأ قدحه فيشربه إذا شاء، إجعلوني في أول الدعاء وفي آخره وفي وسطه**»[1].

وما ترمي إليه الرواية واضح، ولكن نشير فقط إلى أنّ الرسول ﷺ أعلى شأناً من أن يُتخذ وسيلة عند الحاجة وعند الطلب كما كان يفعل اليهود مع أنبيائهم عليهم السلام حينما تهدد مصالحهم الدنيوية الدنيّة..

بلى، إنّ الأنبياء عموماً والرسول المصطفى وآله عليهم السلام بنحو خاص نِعْمَ الوسيلة، ولكن لأي شيء؟ للمصالح الدنيوية فقط أم للمصالح الأخروية أم لكليهما معاً أم هم فضلاً عن ذلك واسطة ربّانية لإبقاء الدين؟

علينا أن نكون حذرين في هذا الجانب!!

ونبنه على أنّ رواية ابن القدّاح الآنفة قد روى مثلها أهل السنّة أيضاً؛ فقد رواها محمد بن سلامة القضاعي في مسنده المسمّى بمسند الشهاب بقوله: أخبرنا عبد الرحمن بن عمر التجيبي، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن جامع، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا محمد بن كثير العبدي، حدثنا سفيان بن سعيد الثوري، عن موسى بن عبيدة، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**لا تجعلوني كقدح الراكب**».

قالوا وما قدح الراكب؟

قال ﷺ: «**إن الرجل ليرفع متاعه على راحلته فيبقى في قدحه ماء**

---

(١) الكافي ٢: ٤٩٢.

فيعيده في إداوته قال اجعلوني في أول الحديث وأوسطه وآخره»[1]

٣ ـ ترفع النسيان

قال الصدوق: عن أبي ومحمد بن الحسن عن سعد والحميري ومحمد بن يحيى وأحمد بن إدريس كلهم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام في حديث طويل أنّ الحسن المجتبى عليه السلام، أجاب السائل الذي سأله عن الذكر والنسيان؟

فقال سيد شباب أهل الجنة عليه السلام: (إنّ قلب الرجل في حُقّ، وعلى الحُق طبق، فإن صلّى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحُق، فأضاء القلب، وذكر الرجل ما كان نسي، وإن هو لم يصل على محمد وآل محمد أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحُق فأظلم القلب ونسي الرجل ما كان ذكره)[2].

أقول: وسند هذا الحديث صحيح بلا كلام.

وممّا رواه أهل السنة في ذلك ما خرّجه ابن القيم الجوزية عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا نسيتم شيئاً فصلّوا عليّ تذكروه إن شاء الله»**[3].

٤ ـ أنها كذكر الله (عشر حسنات)

روى الصدوق في العلل بسند معتبر بل صحيح قال: عن أبي عن سعد عن محمد بن عيسى عن يونس عن محمد بن عبد الحميد عن أبي

---

(١) مسند الشهاب ٢: ٨٩.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٧.

(٣) جلاء الأفهام: ٣٢٦.

عبد الله ﵇: (من ذكر الله كتبت له عشر حسنات ومن ذكر رسول الله ﷺ كتبت له عشر حسنات؛ لأنّ الله قرن رسوله بنفسه) [١].

وفي مقدار هذا الثواب روى مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثمّ صلوا علي؛ فإنّه من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه بها عشراً»**[٢]، وروى الترمذي عن ابن مسعود قال: قال قال رسول الله ﷺ: **«من صلى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشراً وكتب له عشر حسنات»**[٣].

وروى أحمد بإسناده الحسن كما هو صريح الهيثمي[٤] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلّى عليّ مرة واحدة كتب الله عزوجل له بها عشر حسنات»**[٥].

٥ ـ علة لصلاة الله على العبد

قال الكليني: عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد الأشعري عن ابن القداح عن أبي عبد الله ﵇: قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلّى علي صلّى الله عليه وملائكته؛ من شاء فليقلل ومن شاء فليكثر»**[٦].

---

(١) علل الشرائع ٢: ٢٠٦٦.

(٢) صحيح مسلم ٢: ٤، وقد علق عليه الترمذي ٥: ٢٤٧.بأنّه حديث حسن صحيح.

(٣) سنن الترمذي ١: ٣٠٢.

(٤) مجمع الزوائد ١٠: ١٦٠.

(٥) مسند أحمد ٢: ٢٦٢.

(٦) الكافي ٢: ٤٩٢.

أقول: وهذه الرواية على ما بنينا سابقاً صحيحة من جهة سهل بن زياد؛ لأنّنا وكما علمت نذهب إلى وثاقته تبعاً لطائفة من الأصحاب، ولكن في جعفر بن محمد الأشعري والذي هو جعفر بن محمد بن عبيد الله على الأقوى كلام، لأنّه لم ينص على توثيقه أحد من القدماء، ولكن هذا وإن كان صحيحاً إلاّ أنّه لا ينبغي التغافل عن أنّه ممدوح مدحاً يعتدّ به، بل ذهب البعض إلى أنّ ذلك المدح يشعر بالتوثيق[1]، وهو ليس ببعيد، وعلى أيّ حال فالرواية معتبرة فيما نرى، ولا تترك لمجرد عدم النص على الوثاقة.

وقد أخرج أهل السنة في هذا المضمون طرقاً معتبرةً كثيرةً في مجاميعهم الحديثية؛ منها: ما رواه أحمد عن عامر بن ربيعة قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب ويقول: «**من صلّى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلّي عليه ما صلّى فليقل عبد من ذلك أو ليكثر**»[2].

ومنها: ما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد ذكرناه آنفاً تواً.

ومنها: ما أخرجه الدارمي عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشراً**»[3] إلى غير ذلك من الطرق المتكثرة..

ومن طرق الشيعة الأخرى في هذا المضمون ما رواه الكليني بسنده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه وحسين بن العلاء عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا ذكر النبي ﷺ فأكثروا الصلاة

---

(١) منتهى المقال ٢: ٢٦٥.

(٢) مسند أحمد ٣: ٤٤٥.

(٣) سنن الدارمي ٢: ٣١٧.

عليه فإنّه من صلّى على النبي ﷺ صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء ممّا خلقه الله إلاّ صلّى على العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور، قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته)[1].

اقول: إنّ ما نطمئن به من هذه الرواية هو أنّ الله تعالى وملائكته يصلّون على من يصلي على النبي ﷺ كما تشهد به الروايات الأخرى، أمّا إثبات كونه جاهلاً أو مغروراً أو أنّ الله ورسوله وأهل بيته منه بريئون، فليس هناك سبيل إلى إثباته، وذلك لأنّ في طريقها الحسن بن علي بن أبي حمزة، وهو وإن أمكن الاحتجاج به مع موافقة الثقات، إلا أن ذلك مع تفرده فيما ينقل كما فيما نحن فيه فمن أشكل المشكلات لذلك فنحن نرد التفصيلات الواردة في هذه الرواية إلى عالمها كما أمرنا أهل البيت عليهم السلام.

ولكن هذا فيما لو تفرد الحسن في الرواية؛ فإنّ الحسين بن أبي العلاء الممدوح ـ مدحاً لا يمكن تناسيه ـ تابع رواية الحسن عن أبيه في الرواية عن أبي بصير، وعلى هذا فالرواية قوية السند.

وفيما أحسب فإنّ هذه النقطة هي التي دعت صاحب الحدائق قدس سره لأن يحتج بهذه الرواية فضلاً عن غيرها على وجوب الصلاة على محمد وآل محمد كلما ذكره ذاكر أو ذُكر عنده (=المتكلم والسامع) بحمل الإكثار على الاستحباب والباقي على الوجوب، ولكن هذا الاستدلال فيه ما فيه؛ إذ لا دليل على ذلك الحمل، فأمعن النظر!!.

وأيّاً ما كان الأمر، وبملاحظة قوة سند الرواية فإنّ معنى قوله عليه السلام: (فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور، قد برئ الله منه ورسوله وأهل

(١) الكافي٢: ٤٩٢.

بيته) هو فيما لو كان يدور مع الجحود والعناد مع الله تعالى.

وأمّا قوله ﷺ: (ولم يبق شيء ممّا خلقه الله إلاّ صلّى على العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته) فلا ينبغي الوقوف عنده طويلاً؛ إذ بعد أن ثبت في كتب الفريقين أنّ الله سبحانه وتعالى بجلاله العظيم يصلّي على من صلّى على محمد وآل محمد، فليس غريباً بعد ذلك أن يصلّي ما سواه من مخلوقاته تقدّست أسماؤه، ولو كانت السماوات السبع والأرضين السبع وما فوقهن وما تحتهن.

ثمّ أنّ صلاة الله سبحانه وتعالى على العبد هو توفيقه لكل ما يمكن أن يوفق له؛ لأنّ الصلاة من الله عناية، والتوفيق يلازم تلك العناية الربّانية من دون انفكاك، وقد قيل في تفسير ذلك أنّ معنى صلاة الله على العباد هو رحمته وتضعيف أجره بمشهد من الملائكة، وهو لا ينافي ما قلناه؛ إذ الرحمة وتضعيف الأجر عناية وتوفيق لا محالة..

والأول هو ما ذكره المجلسي في مرآة العقول[1]، والثاني ما ذكره النووي في شرح صحيح مسلم بقوله: معناه رحمته وتضعيف أجره كقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2] وظاهرها ـ الصلاة ـ تشريفاً له بين الملائكة[3]، ولكن قد أخبرناك بأنّه لا منافاة بين القولين.

وممّا رواه الشيعة في هذا المضمون أيضاً ما أخرجه الكليني عن إسحاق بن فروخ قال: قال أبو عبد الله: (من صلى على محمد وآل محمد عشراً صلى الله عليه وملائكته مائة ومن صلى على محمد وآل محمد مائة صلى الله عليه وملائكته آلفا؛ أما تسمع قول الله عزوجل: ﴿هُوَ الَّذِي

---

(١) المجلسي في مرآة العقول ١٢: ٩٥.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٤: ١٢٨.

يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[1] [2].

٦ ـ أثقل ما في الميزان

قال الكليني: عن علي بن إبراهيم عن ابيه عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام : (ما من شيء في الميزان أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد، وانّ الرجل لتوضع أعماله في الميزان فتميل به فيخرج الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به) [3].

اقول: وهذه الرواية صحيحة بلا كلام على ما عرفت سابقاً، نعم قيل بحسنها لمكان إبراهيم بن هاشم، لكنّها على ضوء رؤيتنا الرجالية صحيحة من دون شك..

هذا، وقد رواها عبد الله بن جعفر الحميري القمي في قرب الإسناد بسند صحيح أيضاً ولكن هكذا: محمد بن عيسى قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة الصلاة على محمد وآل محمد) [4].

وفي هذه الروايات دلالة على انّ الصلاة أثقل شيء في الميزان، بل هي نص في ذلك، ولكن..!

هل هي في معايير نظرية الثواب الإسلامية أفضل من قولنا: «لا إله

---

(١) الأحزاب: ٤٣.

(٢) الكافي ٢: ٤٩٣.

(٣) الكافي ٢: ٤٩٤.

(٤) قرب الإسناد: ١٤.

إلاّ الله» مثلاً؟

ثم لماذا لا نجد ولا نصاً واحداً ينص على أنّ: «لا إله إلا الله» أثقل ما في الميزان؟

ألسنا متيقنون بأنّ الهدف السماوي من بعث كل الأنبياء والمرسلين إنما هو من أجل «لا إلا إله إلا الله»؟

فلماذا أضحت الصلاة على محمد وآل محمد ـ على ما هو الظاهر ـ أثقل منها، وبأي اعتبار؟

فقد وردت الروايات من الفريقين أنّ ذكر الله ثقيل في الميزان، ولكنّه ليس أثقل ما فيه قياساً بالصلاة؛ ومن هذه الروايات ما أخرجه الصدوق بسنده عن رسول الله ﷺ قال: «**خمس ما أثقلهن في الميزان؛ سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر..**»[1].

ومنها ما أخرجه البخاري مسنداً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان...، سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده**»[2] وغير ذلك.

وبالجملة: ما هو المخرج العلمي من هذه العويصة؟

ذكرنا لك سابقاً أنّ المناهج الكلاسيكية غير ناهضة لحل مثل هذه الألغاز بشكل مقنع، ولكن بإمعان بسيط في رؤيتنا في تقسيم النصوص الإسلامية على قسمين وفيما فصّلنا البحث فيه في الفصول السابقة يتوضح الأمر بجلاء، ولا ضير في تكراره ها هنا لتتسنى الإجابة عن السؤال السابق.

فقد ذكرنا سابقاً أنّ نفس الدين الإسلامي على قسمين بملاحظة فهم

---

(١) الخصال للصدوق: ٢٦٧.

(٢) صحيح البخاري ٧: ١٦٨، وصحيح مسلم ٨: ٧٠، سنن ابن ماجة ٢: ١٢٥١.

الناس له، وإلاّ فهو واحد في حقيقته لا شك في ذلك، والفهم الأول هو الفهم الساذج الذي يفترض أنّ الدين الإسلامي هو المجموع المؤلف من أصول الدين الأساسية (التوحيد النبوة والمعاد) ومن الحلال والحرام، غير أنّ هذا الفهم ليس بصحيح لأنّه لم يلتفت لأهم خاصية من الخواص الذاتية لوجود الإسلام الكامل؛ تلك التي تجعله باقياً ما بقي الليل والنهار.

وعلى ضوء ما برهنّا عليه فالفهم الدقيق للإسلام من الناحية النظرية هو دين محمد ﷺ الباقي لا من دون وصف البقاء، ولا يخفى عليك أو لا ينبغي أن يخفى عليك أنّ عقيدة كل مسلم ـ إجمالاً ـ سواء أكان شيعياً أم سنّياً تدور مع هذه النتيجة حيثما دارت.

والذي ينبغي أن نتذكره ممّا سبق هو أنّ للنصوص الإسلامية دوران ووظيفتان، يُهدف من الأول أو من الأولى بناء هوية الدين الذي جاء به محمد ﷺ ويُهدف من الثانية إبقاء الدين الذي جاء به محمد ﷺ حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين..

وعلى هذا الأساس فالثواب الذي يستتبع عبادة الله من خلال الوظيفة الأولى ليس هو الثواب الذي يستتبع عبادة الله من خلال الوظيفة الثانية؛ فالحسنة هناك شخصية وهنا نوعية.

ومن ثَمّ فمهمة الإبقاء على الدين (على تفاوت الدرجات) هي عملية أكبر وأعظم ومن ثمّ هي أخطر بكثير من ممارسة نفس الدين؛ لأنّ الذي يرافق هذه المهمّة القتل والتشريد والتطريد وكل شيء يمكن أن يرزح تحت عبئه الإنسان، في حين لا يرافق الأولى شيء من ذلك؛ نعم قد تتداخل الوظيفتان كما في شهداء بدر وشهداء كربلاء ومن دافع عن الرسول ﷺ يوم أحد بعد أن فر المسلمون، والأمر هو الأمر مع الصحابة الذين قتلهم معاوية لمجرد عدم انصياعهم لمقررات سب علي والبراءة منه..

وليس في هذا عزيزي القارئ ـ من الناحية العلمية ـ إسراف في التفكير؛ فهو من قبيل إفشاء السلام؛ الذي لا خلاف في كونه مستحباً ليس بواجب، ولكن في الوقت الذي أخبرنا الشرع بأنّ إفشاء السلام مستحبٌ وليس بواجب أخبرنا أيضاً أنّ ردّه واجبٌ وليس هو بمستحب..

وفي الوقت الذي أخبرنا بأنّ لرد السلام ـ الذي هو واجب ـ ثواباً، أخبرنا أيضاً أنّ لإفشاء السلام ـ الذي هو مستحب ـ عشرة أضعاف ذلك الثواب أو أكثر؛ وفلسفة ذلك مساهمة الأول الفعّالة في إحياء شعائر الدين دون الثاني، أو لا أقل لا يتساويان.

وهكذا فيما نحن فيه؛ لأنّ ما يهدف منه الصادق عليه السلام حينما قال: «ما من شيء في الميزان أثقل...» ليس هو المقارنة بـ« لا إله إلا الله »..، إنّ كل ما يهدف إليه عليه السلام هو الإبقاء على الدين ولو من خلال الإبقاء على: «لا إله إلاّ الله» المهددة بالموت من قبل أعداء الدين بشتى أصنافهم، ولكن كيف يبقي عليها المعصوم عموماً؟!

قد عرفت أنّ هناك آليات لإبقاء: «لا إله إلا الله» حية نابضة، وقد عرفت أيضاً أنّ الصلاة على محمد وآل محمد من أهم هذه الآليات، وآية ذلك على سبيل المثال أنّنا نقطع أنّ الحجاج ويزيد وأضرابهما من أشباه البشر نطقوا بـ «لا إله إلاّ الله» ولكن هل نهضوا بأعباء تجسيدها كما ينبغي؟ طبعاً لا؛ إذ كيف لهم أن ينهضوا بأعباء هذا الأمر وقد أورد الحجاجَ طغيانُه الهلاكَ والنارَ حينما رمى الكعبة (بيت الله الحرام) بالمنجنيق..

وحينما قتل يزيد المجرم آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء..؟

هناك عزيزي: مئات من مثل هذه الأسئلة تقف عائقاً كاملاً لمجرد أن نفكر أنّ أشباه البشر هؤلاء قد جسّدوا قيمة هذه الكلمة السماوية؛ أعني:

«لا إله إلاّ الله»..، ولا ريب عندي أن الصبغة الإسلامية والشرعية المضفاة على سلوك هؤلاء بالقوة المسلّحة وبسفك الدماء لا يجسد « لا إلاه إلا الله » كما ينبغي أن يكون التجسيد.

وبكلمة واحدة: فنحن تارة نعبد الله بـ «لا إله إلا الله» وهي أعظم عبادة ولكنها محكومة بالموت من قبل الكافرين في خضم الصراع التاريخي بين الكفر والتوحيد المطوي في قوله تعالى: ﴿ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ حتى من قبل من نطق بها كالحجاج ويزيد..

وتارة وبعد أن أدخلت في الصراع المفروض عليها عنوة؛ أيّ بالقوة المسلّحة وبسفك الدماء تشوشت معالمها أيّما تشويش على يد الأمويين وعموم المدرسة القرشية اللاعلوية؟!!

ومع هذا التشويش لا ريب في أنّها قد تحجّم دورها في بناء المجتمع الإسلامي والنفس الإسلامية اللذين أُريد لهما أن يكونا سماويين، وعلى هذا الفرض لا نصدق أنّ الله سبحانه وتعالى ترك هذه الكلمة الكونية من دون وقاية..

نخلص من ذلك إلى أنّه لا خلافَ في أنّ معالم هذه الكلمة السماوية المقدسة قد تشوشت للغاية، وأنّها مهدّدة بالضياع على كثير من المسلمين، كما ولا خلاف في أنّها بحكم القرآن باقية، ولكن المهم أن نعرف كيف بقت؟

هنا يتجلّى الدور الفعّال لآليات الكفاح عن منظومة العقائد التي على أساسها يقف الدين صامداً؛ والذي برهنّا عليه فيما مضى أنّ من خلال الصلاة على محمد وآل محمد وما يجري مجراها من بقية آليات الكفاح؛ عرفنا أنّ: «لا إله إلاّ الله» لم ينهض الأمويون بتجسيد معنى التوحيد المطوي فيها في سلوكهم اللاعلوي وبالتالي اللاإسلامي، وإن نطقوا بها آلاف المرات؛ فهم إلى أن ماتوا لم يصلّوا على محمد وآل محمد؛ ضاربين بدين محمد الذي

موضوعه آل محمد ﷺ عرض الجدار؛ بغضاً لآل محمد..

على حين أخبرتنا نصوص القسم الثاني أنّ علياً عليه السلام ومن اغترف من معينه المقدس من آل محمد ومن شيعتهم ما انفكوا ماضين يصلّون على محمد وآل محمد؛ متعبدين بكل دين محمد (في خطّه العام) الذي موضوعه آل محمد غاية التعبّد في كل لحظة من لحظات التاريخ وفي كل آن من الآنات.

إنّ هذا يعني أنّ «لا إله إلا الله» لم ينهض بأعباء تجسيدها بشكل صحيح كل من نطق بها، بل هؤلاء دون أولئك؛ ولولا آليات إبقاء الدين التي من أهمها الصلاة على محمد وآل محمد وغيرها لما استطاع تجسيدها هؤلاء، وإذن فبهذه الصيغة وبغيرها من آليات الوحي يرتفع التشويش عن المعاني التوحيدية بل كل معاني السماء المقدسة..

وهكذا تعمل آليات الدين المبقية له على رفع التشويش والإرباك في مفاهيم الإسلام من توحيد ونبوة ومعاد وحلال وحرام..، وليس يخفى أنّ التشويش في مفاهيم الإسلام إنّما وجد بسبب الصراع غير المحمود بين أهل لا إله إلا الله، وهذا التشويش والإرباك يعني الضلال والحيرة والتشتت والتفرق والانقسام وكل ما يخطر على البال مما لا يحمد عقباه.

ومع كل ذلك فما قيمة النطق: بـ «لا إله إلا الله» مع أنّها آلت لتكون مشوشة مشوهة لا تمت بصلة وثيقة بـ «لا إله إلا الله» السماوية المحمدية.

وإذا كان الأمر كذلك مع «لا إلاه إلا الله» فالأمر هو الأمر مع «محمد رسول الله ﷺ» والأمر هو الأمر مع كل عقيدة ارتكن عليها الإسلام في صموده وبالتالي فالأمر هو الأمر مع الحلال ومع الحرام وكل شيء...

وآية كل ما قلناه هو أنّ هناك اختلافاً جذرياً غير محمود فيما بين

المسلمين في معنى التوحيد والنبوة والمعاد والحلال والحرام، وهو الذي يتجلّى بين المدرستين الوحيوية والرأيوية كما نطقت به كتب الكلام وكتب الفقه القديمة والحديثة.

ولكن مرة أخرى لنا أن نتساءل: أيٌّ من معاني التوحيد والنبوة ومقررات الحلال والحرام التي تدّعيها كل من المدرستين هو الصحيح؟

لا جواب سوى أن نقول إننا بحكم هذه الضرورة التاريخية العقائدية مجبورون لأن نقف عند قوله ﷺ: **«كتاب الله وعترتي آل بيتي ما إن أخذتم بهما لن تضلوا أبداً»** وعند عشرات النصوص التي تصب في هذه القناة ومجبورون أن نلتزم شعار الصلاة التامة: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»** الدالة على أنّ أهل الصلاة البتراء وإن كانوا مسلمين وينطقون بـ «**لا إله إلا الله**» إلاّ أنّها مشوهة عندهم غاية ما تتصور من التشويه.

فإنّ كلمة «**لا إله إلاّ الله**» مع ضرب حديث الثقلين وعشرات مثله عرض الجدار، ومع الاصرار على الصلاة البتراء وغير ذلك..، لا يبقى لها معنى بل تفقد معناها المقدس بالكامل، وهذا هو حالها عند الأمويين بل هو حالها عند كل المسلمين لولا آليات بقاء الدين المتجسّدة بآل محمد ﷺ وبشعارهم المتجسد بـ: **«اللهمّ صل على محمد وآل محمد»**.

اختم هذا الكلام بهذا السؤال:

أيهما أفضل: النطق بـ «لا إله إلاّ الله» المشوهة أو التي سيؤول أمرها لأن تكون مشوهة عند كل المسلمين والتي هي مهدّدة بالموت والضياع؟

أم الأفضل في هذه المرحلة الحرجة التي تعترض طريق الوحي في البناء السماوي التزام شعار: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»** وما يجري مجراه ممّا هو قادر على أن يرفع عن تلك الكلمة المقدسة التشويش

ولو لبعض المسلمين؟

طبعاً هذا كلّه مع اليقين الكامل بأنّ: «لا إله إلاّ الله» هي أساس الإسلام!!!.

٧ـ تذهب بالنفاق

روى الكليني قال: علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»**[1].

أقول: وسند هذا الحديث صحيح على ما عرفت، ودلالة الحديث واضحة في المقصود وهو أنّ الصلاة تذهب بالنفاق، ولكن قد يقال: إننا نرى كثيراً من المصلين على النبي وآله لا يسلمون من داء النفاق فكيف يتلائم هذا مع نص الحديث؟

فإذا ما قيل هكذا قلنا: إنّ النصوص السماوية التي هي من هذا القبيل ناظرة إلى الحدين الأدنى والأعلى من الثواب والآثار، وما بين هذين الحدين لا يتعرض له المعصوم غالباً؛ لأنّ المراتب فيما بين هذين الحدين لا نهاية لها على عدد البشر، وليس من المعقول أن تصدر آلاف النصوص تبين مقدار ثواب كل مصلٍّ على محمد وآل محمد على حدة..

نظرية الثواب الأعلى والأدنى:

هذه الرؤية في قراءة نصوص الترغيب والثواب بل حتى الترهيب والعقاب لم أجد لها أثراً حتى على نحو الإشارة في كلمات السابقين وهم يتحدثون في هذا الموضوع.

---

(١) الكافي ٢: ٤٩٢.

وفي الحقيقة! فمن جهة، قلادني إليها محذور تكذيب النصوص الصحيحة الواردة عن المعصوم في بيان ثواب أو عقاب عمل من الأعمال..

ومن جهة أخرى قلادني إليها محذور تكذيب الوجدان الذي يجزم بوجود النفاق في بعض المصلين على محمد وآل محمد مثلاً، والمحذور في الأول حرمة تكذيب النص الصحيح الحجة، وفي الثاني فلعدم منطقية تكذيب الوجدان..

الذي فعله العلماء خلاصاً من ذلك بلوره العلامة المجلسي قدس سره في مرآة العقول بقوله: إذهاب النفاق مشروط بالإقرار بفضل آل البيت عليهم السلام والاعتراف بإمامتهم؛ فتخلف ذلك في المخالفين لعدم تحقق شرط ذلك[1].

هذا غاية ما يمكن أن يقال على ضوء المناهج الكلاسيكية، وأنت ترى ما فيه؛ إذ ليس هو بمقنع كثيراً حتى لو كان صحيحاً في نفسه؛ وآية ذلك أنَّ الإشكالية باقية على حالها غير مدفوعة بما بلوره العلاّمة المجلسي؛ لليقين بأنَّ كثيراً ممّن يعتقد بإمامتهم وهم كثيرون يصلّون على محمد وآل محمد، ولكنهم مع ذلك لم يسلموا جميعاً من جميع مراتب النفاق بلا أدنى شك.

وفي الحقيقة ففائدة هذه النظرية تنحصر في معالجة هذه الإشكالية الواردة في مئات النصوص الذاكرة لمقادير الثواب المادي والمعنوي..، وخلاصة القول فيها أنَّ الخطابات السماوية في الترغيب والترهيب بل في غيرهما ناظرة إلى الحدين الأعلى والأدنى غالباً وغير ناظرة إلى ما بينهما، وإن وقع فهو نادر لحكمة دعت إلى ذلك.

وفيما نحن فيه فإنَّ أعلى ثواب أو أعلى أثر لمجرد الصلاة على محمد وآل محمد هو إذهابها بالنفاق بالكامل في الوقت الذي لا ينفي ذلك أنَّ

---

(١) مرآة العقول ١٢: ٩٨.

أدنى أثر أو ثواب لها هو إذهابها ولو بمرتبة واحدة من مراتب النفاق؛ والذي هو النفاق في أصل الدين.

وآية ذلك أنّ كثيراً من المعتقدين بإمامة الأئمة عليهم السلام وإن لم يسلموا من بعض مراتب النفاق كما يشهد عليه الوجدان إلا أننّا نقطع أنهم لا ينافقون في دينهم وفي انتمائهم لمدرسة الوحي المتجسدة بأولئك الأئمة عليهم السلام؛ وإذا شككنا في كل شيء فنحن لا نشك أنّ الشيعة تغمرهم فرحة عظيمة وهم يمارسون الصلاة على محمد وآل محمد في مجالسهم التي يذكر فيها اسم الله والرسول صلى الله عليه وآله وسلم وآل البيت عليهم السلام.

ولكي تتوضح معالم هذه النظرية أكثر نستعرض ما ينبغي استعراضه بعجالة كيما تكون في متناول الأذهان..

فمثلاً في الوقت الذي يقول الإمام الصادق عليه السلام في الحديث الصحيح: (لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلى على محمد وآل محمد) يقول عليه السلام في حديث صحيح آخر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أخبرني جبرائيل أنّ الرجل من أمتي إذا صلّى علي وأتبع بالصلاة عليّ أهل بيتي فتحت له أبواب السماء وصلت عليه الملائكة سبعين صلاة وأنا أصلّي عليه سبعمائة صلاة...»** [1]..

والحديث الصحيح الأول لا يريد سوى أن يبين أن الدعاء من دون الصلاة محجوب وهو أدنى أثر أو ثواب للصلاة من هذه الجهة، ولكن في الحديث الصحيح الثاني يبين غاية ما يمكن أن يفيض عن ساحة القدس الإلهية من ثواب..

وفي الوقت الذي يصلي الله عشراً على من يصلي على محمد وآل

---

(١) أمالي الصدوق ٤٦٤ / ١٨، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٥ ب ٤٢ من أبواب الذكر ح ١٠.

محمد كما أخبرتنا الروايات المعتبرة المذكورة سابقاً تخبرنا هذه الصحيحة أنّ الله سبحانه وتعالى يصلي عليه سبعمائة صلاة..

وإذا وسعنا نطاق هذه النظرية إلى غير نطاق الثواب والعقاب وإلى عموم ما يجدد بحدين نقول مثلاً:

في الوقت الذي أجمع العلماء على إجزاء الصيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» في تشهد الصلاة وفي غيره أجمع العلماء في طول ذلك على أنّ من أكمل الصيغ أن يقول المصلي: «**اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم**».

ففي الوقت الذي نصت الرواية أو الروايات الصحيحة على إجزاء الصيغة الأولى، نصت الروايات الصحيحة على أنّ الصيغة الثانية من أكمل الصيغ المجزئة.

والأمثلة على ذلك في الفقه لا تحصى، ففي الوقت الذي حددت بعض الروايات الكر أنّه ثلاثة أشبار في ثلاثة أشبار في ثلاثة أشبار، طولاً وعرضاً وارتفاعاً كما في صحيحة إسماعيل بن جابر[1] نجد أن مرسلة بن أبي عمير الصحيحة تقول: إنّه ١٢٠٠ رطل[2]، مع أنّ وزن أحدهما أكثر من وزن الآخر بشكل ملحوظ؛ الأمر الذي حدا بابن طاووس مثلاً إلى أن يبني على أنّ الزائد محمول على الأفضلية[3].

ولا يسعنا مع ما نحن فيه من عجالة أن نستعرض الأدلة الكثيرة بل التي لا تحصى على هذه الرؤية عموماً؛ في خصوص الثواب والعقاب، وفي

---

(١) الكافي ٣: ٣ / ٧، التهذيب ١: ٤٢ / ١١٥، الاستبصار ١: ١٠ / ١٣.

(٢) وسائل الشيعة ١: ١٦٧.

(٣) حكاه عنه الشهيد في الذكرى: ٨.

عموم ما يجد بحدين كالكر مثلاً.

وبكلمة واحدة كل الخطابات السماوية الناظرة إلى ذلك، تحدد الثواب أو مواضيع الأحكام الشرعية التي لها القابلية على أن يكون لها حدّان بحدين أعلى وأدنى، أمّا ما بين هذين الحدين فغالباً لا يعبأ به الخطاب؛ إذ لا ضرورة لذلك، هذا بشكل عام.

وفي الثواب بشكل خاص؛ فلعدم معقولية صدور خطابات على عدد المراتب فيما بين ذينك الحدين؛ إذ لكل إنسان مصلٍ وحسب استعداده مرتبة خاصة به وثواب خاص يوازي استعداداته الملكوتية وصدق نواياه.

عزيزي القارئ: هذه النظرية تحتاج إلى بلورة أكثر لا تسمح بها عجالتنا هذه، بيد أنّي أحسب أنّ معالمها قد اتضحت ولو بإجمال.

فإذا فهمت ذلك فاعلم أنّ قول الصادق عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة عليّ وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق» فيه حدّان:

١- الحد الأعلى: وهو الإذهاب بكل النفاق، كما هو نص الرواية؛ وهذا إذا كان هناك استعداداً كاملاً من المصلي لذلك.

٢- الحد الأدنى: وهو الإذهاب بالقدر المتيقن من النفاق، وليس هو إلاّ النفاق في أصل الدين لا في كل شيء.

ودليل الأول هو نص الرواية وإطلاقها، ودليل الثاني الوجدان والتاريخ.

وكما أخبرتك فإنّ الوجدان ومثله التاريخ قد أخبرانا أنّنا مهما شككنا في شيء فلا نشك في أنّ المصلين على محمد وآل محمد من شيعتهم صادقون في صلاتهم هذه، صادقون في حبهم لمحمد ولآل محمد حتى لو كانوا غير ملتزمين كثيراً في بقية العناوين.

ثم إنّ هذا الأمر يحدو بفضل الله تعالى إلى أن يجدد تلك القوة الملكوتية

في نفوس المصلين على محمد وآل محمد عند كل صلاة بشكل طردي بأن يتقوى فيهم الانقياد لآل البيت ولحبهم وعدم النفاق في موالاتهم مع كل صلاة، وكلما أكثر المصلي من صلاته كلما أكثر الله من إفاضاته، وهنا تنطوي حكمة قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا﴾ يقتضي وجود مرحلة عليى في هذا السباق السماوي إلى الله ومرحلة دنيى ويقتضي فضلاً عن ذلك مراحل لا تحصى على عدد البشر أنفسهم، يتوضح ذلك أكثر إذا ضممنا إلى هذه الآية النصوص النبوية ونصوص المعصوم الناطقة بأنّ في الجنة منازل لا يحصيها إلاّ الله سبحانه وتعالى ودرجات كذلك، ومن منّا ينكر أنّ الرصيد الذي ندخل بواسطته الجنة في مرتبتين دنيا وعليا؟

أو ليست العليا للرسول ولآل بيته ﷺ؟

ثم أليست الدنيا لمن علت حسناته الموجبة لدخول الجنة على سيئاته الموجبة لدخول النار ولو بواحدة مع أنّ الجميع من أهل الجنة؟.

وإذن لا تفسير لهذه المراتب اللامتناهية إلاّ ما نطقت به نظرية الثواب الأعلى والأدنى.

وممّا يخطر على البال أنّ عيسى المسيح عليه السلام كان يمشي على الماء لمجرد أنّه كان يدعو الله بـ: «بسم الله الرحمن الرحيم» مثلاً، ولكن هذا لا يعني أنّ كل من قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» يكون له ما لعيسى عليه السلام؛ إذ الأثر الذي يحصل عليه عيسى هو الأعلى أو ما هو قريب منه لا شك في ذلك..

---

(١) الحديد: ٢١.

وممّا يخطر على البال أيضاً أنّ الله سبحانه وتعالى اتّخذ إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمد وآل محمد، ولكن هذا لا يستلزم أن كل من صلّى على محمد وآل محمد يتخذه الله خليلاً، وتخريج ذلك هو الثواب الأعلى والأدنى ودرجات بينهما على عدد البشر.

إذا فهمت ذلك فاعلم أنّ الكليني أخرج بسند صحيح عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ارفعوا أصواتكم بالصلاة عليّ فإنها تذهب بالنفاق»**[1] وهو يدل على استحباب رفع الصوت.

وفيما يبدو لي فإنّ ما يهدف إليه الرسول صلى الله عليه وآله من هذا النص هو وإن كان ذو وحدة مع الهدف من النص السابق، إلاّ أنّ الأخير يرمي إلى شيء آخر وليس هو ـ فيما أحسب ـ غير الشعارية..

إنّ النص الذي يقول: **«الصلاة علي وعلى أهل بيتي تذهب بالنفاق»** يهدف بنحو وبآخر إلى إذهاب النفاق في المرحلة الأولى ليس غير، حتى لو كان ينطوي على أهداف جمة في مراحل أخرى؛ فعلينا إذن أن نلحظ أهداف المرحلة الأولى من نصوص المعصوم قبل أن نتحدث عن أهداف المراحل التي تعقبها، ولا يلائم رفع الصوت بالصلاة على محمد وعلى أهل بيته صلى الله عليه وآله إذا ما تحدثنا عن أهداف المرحلة الأولى إلاّ الشعارية.

وعلى ذلك فإنّ الصلاة بقيد رفع الصوت خرجت عن كونها عبادة ساذجة مهمتها شخصية تنحصر بإذهاب نفاق من يتعبد بها، إلى عبادة نوعية تساهم في إحياء تراث الوحي في إطار مدرسة وآية ذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال: «ارفعوا...» ولم يقل: من رفع صوته وصلّى..

وبناء على ذلك فالثواب فيما اعتقد مع رفع الصوت هو ثواب نوعي والحسنة المستنزلة به نوعية؛ لأنّ لرفع الصوت دلالة واضحة على الانتماء

---

(١) الكافي ٢: ٤٩٣.

الوحيوي الصحيح لدين الإسلام، وهذا بحد ذاته شرط ذاتي وموضوعي لإبقاء الحقيقة السماوية حية في خضم الصراع.

النفاق بين الصلاة والتاريخ:

هذا ومن الضروري بمكان أن نزاوج في دراستنا هذه بين بعدي التاريخ والأخلاق لنقف على حقيقة خطيرة أشرنا إليها سابقاً، فعلماء الأخلاق يعرّفون النفاق بأنّه إظهار الصلاح وإسرار الفساد، ولكن هذا معنى النفاق العام وإلاّ فمعناه الخاص عند علماء الكلام هو إعلان الإيمان وإسرار الكفر، وعلى العكس منه التقية التي هي إعلان ما يوافق أهل الأهواء وإسرار الإيمان؛ حفظاً للنفوس والفروج وحفظاً لبيضة الدين.

مهما يكن من أمر نحن لا نشك في وجود ملازمة تاريخية بين النفاق في الدين الإسلامي وبين عدم الصلاة على محمد وآل محمد؛ فمثلاً نحن لا نشك في أنّ الحجاج لم يقل: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**».

ونحن بغض النظر عن عدم وجود نص صحيح أو ضعيف يمكن اعتباره، ينص على أنّ عدوّ الكعبة هذا قد تعبد لله بتلك الصيغة، لا يسعنا إلاّ أن نكون محكومين بقرارات التاريخ حتى لو كانت قاسية..

فقل لي بربك: إذا كان الحجاج يقتل من يقتل لمجرد أنّ أسمه علي أو حسن أو حسين، فهل تصدق أنّه يصلّي على آل محمد تبعاً لمحمد ﷺ؟

وإذا كان يزيد قد فعل بآل الرسول ﷺ في كربلاء بما يخجل منه حتى الكفار؛ فهل تعجب بعد ذلك إذا عرفت أنّه لم يصل على محمد وآل محمد حتى مات موتته البشعة المعروفة؟

وإذا كان معاوية وعمرو بن العاص يدفعان الجزية لكفار الروم كيما يتفرغا لقتال آل الرسول ﷺ في صفين وفي غيرها فهل تنتابك الحيرة إذا

علمت أنهما وكل أهل الشام من أتباعهما لم يصلّوا على محمد وآل محمد إلى أن هلكوا؟

أو ليس معاوية قتل صحابة رسول الله ﷺ لمجرد أنّهم رفضوا سياسية الأمويين في سب علي وآل بيت رسول الله ﷺ ؟

أو ليس قد دفن بعضهم أحياء؟

أو ليس قد منع الأنصار حقوقهم لمجرد نزعتهم العلوية اللاأموية؟

وإذا كان الأمويون قد شرّعوا سب آل بيت رسول الله ﷺ سبعين أو ثمانين سنة على المنابر، فهل لنا أن نحتمل ولو واحد بالمليون أنّهم صلّوا على آل محمد تبعاً لمحمد ﷺ طيلة حياتهم؟

وإذا كانت مواقف قريش المتمسلمة مع آل بيت الرسول ﷺ مخجلة لجبين الضمير وسلبية للغاية؛ بحيث كانت تأنف من انتساب بني هاشم إلى رسول الله ﷺ وإلى الحدّ الذي صورتهم في بعض النصوص أنهم الكبا (= الزبالة) فهل يعقل أنّ قريشاً تصلي على آل محمد تبعاً لمحمد ﷺ ؟

أوليس الزبير منع من الصلاة على خصوص محمد ﷺ تحت شعار رغماً لأنوف بني هاشم أو ما في معناه؟

وحينما نتحدث عن خلافة أو خلفاء بني العباس لا نتحدث عن شيء جديد..

أو ليس يُزعم أنّ بني العباس من آل رسول الله ﷺ ؛ لأنّهم من بني هاشم؟

ثمّ أليس يقال: إنّهم حرموا الصدقة: لأنّهم من آله ﷺ ؟

وبالتالي أليس إفشاء صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» في

صالح العباسيين بناء على ذلك؟

إذن لماذا لم يخبرنا التاريخ أنّ بني العباس قد صلّوا على محمد وآل محمد بحيث تكون شعاراً لهم؛ لأنّهم من الآل؟

عزيزي القارئ: التساؤلات التي تخص بني العباس هذه لدليل لا يقبل الريب على أنّ مقولة الآل لا تنهض قواميس اللغة العربية بتحديد معناها، ولا أنّ بني العبّاس داخلون فيها، وقد بيّنا لك سابقاً أنّها مقولة وحيوية لم ينهض بأعباء تحديد معناها غير قاموس الوحي، ومن ثم فهو دليل لا يقبل الريب على أنّ بني العباس يعلمون بيقين أنّهم ليسوا آلاً لرسول الله ﷺ على ضوء مقررات الوحي، حتى إذا كانوا كذلك على ضوء قواميس اللغة العربية..

ولو كان بنو العباس يحتملون ولو واحد بالمليون أنّهم آلٌ لرسول الله ﷺ حسبما قرره الوحي لتبجحوا بها بجحاً، ولصارت لهم شعاراً في كل المناسبات ذات الطابع الإعلامي..، ونرجع ونقول: آية ذلك أنّهم لم يصلّوا على محمد وآل محمد حتى انقرضت الدولة العباسية؛ وآية ذلك أيضاً أنّ الدين الرسمي لهذه الدولة ولفترة طويلة شكلاً أو مضموناً هو دين مالك بن أنس إمام المذهب المالكي الذي يعتقد أنّ أمير المؤمنين علياً ﷺ سفاك للدماء، وأنّه لا يستأهل أن يدرج في قائمة الخلفاء الراشدين.

وإذا نسينا فلا ننسى مواقف الأيوبيين مع الفاطميين في مصر ومع الشيعة في غير مصر؛ إذا انتهكوا من محبي محمد وآل محمد كل حرمة؛ وإذ كان الأمر كذلك فلا تعجب عزيزي القارئ من مواقف الأيوبيين المستقاة من مواقف الذين قبلهم من القرشيين والأمويين والعباسيين؛ إذ الجميع لم يصل على محمد وآل محمد.

والأمر هو الأمر حين الحديث عن السلاجقة؛ إذ أنّ موقفهم من التشيع عموماً موقف غير محمود، وكانوا لا يرون بأساً بسفك دم الموالي

لمحمد وآل محمد؛ ومن ذلك أنّ الدولة في بغداد لمّا آلت إليهم منعوا من كل شعارات الشيعة المستقاة من النصوص النبوية الصحيحة والتي رواها نفس أهل السنة، ومن ذلك «**حيّ على خير العمل**» مثلاً [1]..

ولكن إذا كان الأمر كذلك فليس غريباً أيضاً أن لا نجد ولا نصاً واحداً يخبرنا أنّ السلاجقة قد صلّوا على محمد وآل محمد في أي مناسبة من المناسبات الدينية.

هذه هي مسيرة الصلاة على محمد وآل محمد عبر التاريخ الإسلاموي لتصل في آخر المطاف إلى الدولة العثمانية، وهذه الدولة لما دخلت الصراع السني الشيعي مع الصفويين في إيران أخذت على عاتقها محو معالم التشيع عبر مشاريع فكرية عقائدية لا مجال لعرضها الآن، ولكن فيما يخص موضوعنا يكفي أن تعلم أنّهم كمن سبقهم حذو القذة بالقذة لم يصلّوا على محمد وآل محمد حتى انتهت دولتهم.

هذا فيما مضى، أما اليوم عزيزي القارئ فلا حاجة لأنّ أتحدث عمّا تعلمه وأعلمه مثلك، فهؤلاء أخواننا من أهل السنة هداهم الله لما فيه الخير تركوا عن عمد وعن غير عمد الصلاة على محمد وآل محمد طاعة لسلفهم، ولا يسعني إلاّ أن أنبّه قائلاً: فليحذر الجميع أن يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.

بلى، نجد بعض إخواننا من أهل السنّة نادراً يصلّون صلاة ليست ببتراء، وهم في حسابات الصراع من أجل الكلمة ليسوا بشيء؛ فهذه كتبهم الحديثية ابتداء من صحيح البخاري وانتهاء بكل مصنّفاتهم حتى اليوم ليس فيها سوى: (اللهم صل على محمد وسلم) من دون ذكر الآل..

وهؤلاء مشايخهم وأساتذتهم في الجامعات الإسلامية وفي غيرها حينما

---

(١) انظر السيرة الحلبية ٢: ٣٠٥ مثلاً.

يتعرضون لحديث رسول الله ﷺ بالشرح والتعليق لا يقولون سوى: قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس غير..

وإذا كلّف بعضهم نفسه في بعض الأحيان وذكر الآل، خلط الحابل بالنابل، ذاكراً إيّاهم في قالب الصيغ البدعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، فتراه يقول: (اللهمّ صل على محمد وآله وصحبه أجمعين وزوجاته أمّهات المؤمنين،...)..

ولا ندري من سوّغ لهم أن يُحْدِثُوا في دين الله هذه البدعة التي لم يدل دليل عليها من القرآن أو من السنّة، فقد اتضح لك في الفصول السابقة أنّ كل صيغ الصلاة الواردة في روايات بيان كيفية الصلاة ليس فيها للصحابة من ذكر، فضلاً عن الصلاة عليهم أجمعين، وكذلك أزواجه ﷺ، اللهمّ إلاّ رواية واحدة ذكرت الأزواج فقط يمكن أن يقف عندها المحقق، ولكن يكفي في ردّها أنّ راويها مالك الذي لا يحب علياً ولا آل بيت رسول الله ﷺ لأنّه واقع تحت غريزة التراث اللاعلوي كما عرّفناك.

آلية الصلاة في فضح النفاق:

فكما أنّ النصوص الصحيحة أعلنت أنّ الصلاة تذهب بالنفاق من هذه الجهة، فقد أعلن التاريخ من الجهة الأخرى أنّ الذي لا يصل على محمد وآل محمد عناداً مع الرسول ﷺ الموصي بالصلاة عليهم كما أخبرتنا الروايات المتواترة التي رواها أهل السنة والشيعة سواء بسواء، لا يسلم من النفاق..

ولا أقصد من هذا النفاق معناه الخاص، وهو إسرار الكفر وإظهار الإيمان، بل أقصد معناه العام الذي يتناول كل شيء؛ فالنفاق الإجتماعي والإنساني والثقافي والتشريعي الذي هو تحت مظلة الإسلام في خصوص مجتمعنا الإسلامي لا يعني الكفر؛ ومن أمثلة ذلك ما عرضناه في تمهيد هذا

الكتاب؛ وهو أنّ فقهاء الرأيويين يخالفون السنة الصحيحة الثابتة عن الرسول ﷺ عن عمد لمجرد أنّ الشيعة يتعبدون بها؛ فبعد أنْ ثبت أنّ سنّة رسول الله ﷺ هي التختم باليمين مثلاً خالفوا هم إلى التختم بالشمال لا لشيء إلاّ لأنّ سنة الرسول ﷺ في التختم باليمين صار شعاراً للشيعة، وكما يقولون: رغماً لأنوف الشيعة أو الرافضة.

وكيفما قلبنا صنيعهم هذا فهو صفحة سوداء من صفحات النفاق في الدين الإسلامي بنحو عام..؛ وبنحو خاص فلا شك أو ترديد في أنّ هناك ملازمة وثيقة غير منفكة بين حملة شعار رغماً لأنوف الشيعة الذي يعلنون أنهم ألصق بالناس بسنة رسول الله ﷺ والذين ضربوا بها عرض الجدار في ضوء ذلك الشعار وبين الصلاة البتراء..

وكما بينا ففي طول التاريخ الإسلامي لم يصلّ أهل السنة على محمد وآل محمد كما أمر بها الرسول ﷺ؛ وذلك تطبيقاً حرفياً لشعار رغماً لأنوف الرافضة، ولكنّنا لا نقول إنّ جميعهم تعمد ذلك، ولكن مهما كان الحال فجميعهم لا يصلّون على النبي ﷺ كما أمر النبي ﷺ، وإنّ صلّوا فهي البتراء أو البدعيّة دون سواها..

وإذا كان الأمر كذلك فالصلاة على محمد وآل محمد أو رفع الصوت بها أو كثرة اهتمام الوحي بالإيصاء بها ليست هي عبادة ساذجة وحسب، بل هي فيما عدا ذلك مشروع نبوي قبال مشروع: رغماً لأنوف الشيعة أو قل هي مشروع له القابلية على فضح عوار كل من انتسب إلى الإسلام ممّن يريد المنع من سنة الرسول ﷺ الصحيحة لمجرد أنّها تهدد مصالحه اللاإسلامية المطوية في ذلك الشعار..

هذا يورثنا قناعة بأنّ صيغة: **«اللهم صل على محمد وآل محمد»** دليل تاريخي قادر وبكل جدارة على إثبات نفاق الآخرين في الدين؛ صغر حجم هذا النفاق أم كبر؛ جرّ للكفر الكامل المطلق بالله أو جرّ لجحود

بعض الثوابت الإسلامية.

وليُفهم أنني لا أريد أنّ أكفر من لا يصلي على محمد وآل محمد؛ كل ما أريد قوله من ذلك هو إنّ الذين يجحدون ما ثبت عن الرسول ﷺ من الملازمة غير المنفكة بينه ﷺ وبين آله عليهم السلام في عملية الصلاة وفي غير الصلاة، عصاة مذنبون على أنّ عصيانهم هذا مركب من العصيان الذي يتكفل بتحديد مفهومه ما أسميناه بالسيئة الشخصية أولاً، ومن العصيان الذي تكفلت بتحديد مفهومه السيئة النوعية؛ أمّا الأول فواضح؛ لأنّه عصيان للرسول ﷺ الآمر بالصلاة على الآل، وأمّا الثاني فلأنّه مشروع يحاول قتل الدين ولو من خلال الصلاة؛ بداهة أنّ الصلاة في هذا الفرض ليست مفردة من مفردات الفقه وحسب، بل هي شعار له الصلاحية الكاملة للحكم على صحة تمثيل من يزعم تمثيله للإسلام وعدم صحة ذلك..

وهذا يعني أنّ الصلاة آلت لتكون معياراً ومحكاً تاريخياً وعقائدياً وشرعياً لنقاوة النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية عبر تاريخ طوله ألف وأربعمائة سنه حتى يومك هذا..

ولا نريد أن نهوّل من الأمر كثيراً، ولكن كيف نفسر انقسام المسلمين عبر هذا التاريخ الطويل إلى مدرستين فيما يتعلق بالصلاة؟ ولماذا تصر الأولى على الصلاة البتراء مع أنّه حرام؟

ولماذا أُخرجت عن كونها مفردة من مفردات الفقه إلى حلبة الصراع بين المدارس الإسلامية؟

فإمّا أن يكون كل هذا لغو، وإمّا أن نلتزم بكل ما ذكرنا وهو أنّ هذه المفردة لها القابلية لأن تساهم مساهمة فعّالة وحيوية في فضح نفاق الحجاج ويزيد والأمويين والعباسيين وكل أعداء آل محمد ﷺ..

إذ ليس غلواً أن نحكم من خلال الصلاة وبملاحظة عامل التاريخ بنفاق أمثال الحجاج الكامل في الدين؛ فهو في الوقت الذي ضرب الكعبة بالمنجنيق وقتل صحابة رسول الله ﷺ وسفك الدماء بغير حق لا يصلي على محمد وآل محمد، فهل سيقنعنا الحجاج بعد ذلك حينما يردد: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله أنّه ممّن لا يسرّ شراً للدين؟.

هذا محال، وهذا هو حال يزيد بن معاوية؛ فالذي يقتل سيد شباب أهل الجنة بتلك الوحشية الحقيرة، والذي لا يصلي على محمد وآل محمد لا نصدق بشهادتيه كثيراً ولا نصدق بأنّه بريئ من النفاق.

وبكلمة واحدة ألخص كل ما أريد قوله بهذا التساؤل:

لماذا نجد أن أبرز رجالات المدرسة التي لا تصل على محمد وآل محمد هم سفّاكون للدماء وطغاة وجبابرة من أمثال معاوية، وعمرو بن العاص، ويزيد، مروان، الحجاج، السفاح...؟!!!.

ولا نتناسى أنّ آلية الصلاة في ما ذكرنا بملاحظة نفس الصلاة ليس غير، وإلاّ فآليات إبقاء الدين والصراع من أجله بالعشرات بل بالمئات وكل تلك الآليات تعمل صفاً بصف لتحقيق غاية السماء في بقاء الدين حياً، وإذا نسيناها كلها فلا تنس آلية زيارة الحسين في ذلك وأنّها من أهم مفردات الوحي في هذا المضمار.

٨ ـ تغفر الذنوب بشكل عجيب

روى الصدوق قال: قال أبي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن علي بن معبد عن واصل بن عبد الله عن عبد الله بن سنان قال قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لعلي عليه السلام: **«يا علي! ألا أبشرك؟»**.

فقال علي عليه السلام: بلى، يا رسول الله.

فقال ﷺ: **«أخبرني جبرائيل أنّ الرجل من أمتي إذا صلّى علي وأتبع بالصلاة عليّ أهل بيتي فتحت له أبواب السماء، وصلت عليه الملائكة سبعين صلاة وإنّه لمذنب، ثمّ تحات عنده عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر ويقول الله تبارك وتعالى: لبيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي أنتم تصلون عليه سبعين صلاة وأنا أصلي عليه سبعمائة صلاة، وإذا صلّى عليّ ولم يتبع بالصلاة أهل بيتي كان بينها وبين السماوات سبعون حجاباً ويقول الله سبحانه وتعالى: لا لبيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تصعدوا دعائه فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي»**، هكذا رواها الصدوق في ثواب الأعمال[1].

ولكنّه رواها في أماليه بقوله: حدثنا جعفر بن محمد بن مسرور عن الحسين بن محمد عن عمه عبد الله بن عامر عن محمد بن أبي عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ ذات يوم لأمير المؤمنين...وساق الرواية أعلاه[2].

ولا ريب في صحة سند الأمالي، وإنّي إنما أوردت سند الرواية الذي أخرجه الصدوق في كتاب ثواب الأعمال لتكثير الطرق فالتفت، وكيفما كان فالرواية صحيحة وحجة، وقد استدل بها وبغيرها جل الأصحاب إن لم نقل كلّهم قديماً وحديثاً على وجوب ضم الآل في الصلاة..

وهناك فيما عدا ذلك نقطة ينبغي أن نذكر بها أشرنا إليها قريباً آنفاً تتعلق بالحدين الأعلى والأدنى؛ فقد أشرنا هناك إلى حدّي الثواب، ولكن

---

(١) ثواب الأعمال: ١٨٨.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٦٤ / ١٨، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٥ ب ٤٢ من أبواب الذكر ح ١.

هنا نريد أن نوضح شمولها لحدّي العقاب أيضاً..

فالملاحظ أنّ هذه الصحيحة نصت على أنّ هناك سبعين حجاباً لمن لا يصلي الصلاة الكاملة، في حين أنّه ثبت في الصحيح المتقدم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد) ومهما تعددت أغراض كل نص من هذين النصين فلا ريب في أنّهما يؤيدان ما قلنا..

فلا ريب في أنّ المتيقن من قول الصادق عليه السلام: (لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد) هو عدم استجابة الدعاء إذا لم يُصَلِّ على المجموع المؤلف من محمد ومن آل محمد (الحد الأدنى)..

أمّا مثل قوله صلى الله عليه وآله الذي يحكيه عن الله: «**لا لبيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه**» فيبين ما هو أشد وأسوأ عاقبة من مجرد عدم استجابة الدعاء ففيها إيحاء بدخول جهنّم بسبب ذلك.

أضف إلى ذلك هناك نصوصٌ مستفيضة لها دلالة أصرح وأوضح في أنّ من يترك الصلاة على الآل لا يشم ريح الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام (= الحد الأعلى) أي لها دلالة على أن من يترك ذلك هو من أهل النار؛ إذا كان تركه يدور مع الجحود والعناد..

وكيفما كان فنص هذه الرواية يلوي الأعناق؛ فهي تحكم بأنّ الملائكة تصلي سبعين صلاة على المصلي وإنّه لمذنب، بل تحات عنه الذنوب كما يتحات الورق من الشجر، فما هي فلسفة ذلك، وهل هناك علاقة بنظرية الحدين؟

فيما أحسب أوضحت بحوثنا السابقة أنّ التعبد بالصلاة تارة يكون في إطار العبادة الشخصية وأخرى يكون في إطار مشروع إبقاء الدين في عملية الصراع، ولا ريب في أنّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**وأتبع أهل بيتي**»

وقوله في ذلك الحديث: «ولم يتبع بالصلاة أهل بيتي» يعلن بوجود مثل هذا الصراع، وكما علمت فإن المصلي على آل محمد على ضوء هذا الصراع سيدفع ضريبة عالية جداً قد تكلفه حياته كما حصل زمن الحجاج وفي زمن غيره من الجبابرة..

إنّ الثواب العظيم بناه على ذلك يدور مدار المساهمة الفعالة في عملية إبقاء الدين في إطار ذلك المشروع النبوي، وقد حكم الرسول ﷺ بأنّ المساهمة في ذلك لها أعلى حد من الثواب أو لها أعلى حد من العقاب إذا كانت المساهمة في إطار المشروع المقابل للمشروع النبوي، ومقولتا الحسنة النوعية والسيئة النوعية بلورتا ذلك بوضوح؛ خاصة إذا كان عامل التاريخ نصب أعيننا ونحن نتحدث عن صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» وعن صراع المدارس من خلالها.

ثم إنّ الرواية تقول: «**تصلي عليه الملائكة سبعين صلاة إنه لمذنب**» بل الله تعالى يقول: «**وأنا أصلي عليه أي على ذلك المذنب سبعمائة صلاة**» وتفسير ذلك أنّ المذنب وإن كان مذنباً إلاّ أنّ ﴿الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾[1]، والمتيقن على ضوء رؤيتنا في نظرية الثواب والعقاب أنّ الحسنةَ النوعية لها قابلية عجيبة على محو السيئات؛ لليقين بأنّ أفضل ما يتقرب به إلى الله هو المساهمة الفعالة في إبقاء الدين كما أوضحنا ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب، وآية ذلك أنّ المساهم في هذا المشروع ولو بصيغة الصلاة في خضم الصراع يتوقع كما قلنا أن يدفع ضريبة غالية أو عالية قد تكون حياته.

ولا نبعد كثيراً فهذا المتوكل كان يقطع الأيدي على مجرد زيارة الحسين فضلاً عن غصب الأموال والإرهاب الذي لا تطيقه الجبال الرواسي، وهؤلاء

---

(١) هود: ١١٤.

هم شيعة الكرخ في بغداد فقد سفكت دماؤهم في مقاطع كثيرة من مقاطع التاريخ لمجرد أنّهم كانوا يؤذنون بـ:«حي على خير العمل» الثابتة عن رسول الله ﷺ، وإذا تركنا هذا وذاك فهذا الإمام النسائي قتله أصحاب مشروع قتل الدين لمجرد أن قال: (والله لا أعلم له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنه) يقصد معاوية.

وبكلمة واحدة فإنّ صيغة: «اللهم صل على محمد وآل محمد» ليست هي ذكراً ساذجاً بل هي في واقع أمرها ككلمة النسائي الآنفة في المضمون ولكنها صبت في قالب ثان، وهي ككلمة: « حي على خير العمل » وكزيارة الحسين وكالجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» و...، كل تلك الأشياء حقيقة واحدة بأشكال مختلفة، هذا إذا نظرنا إليها على أنّها آليات مشروع النبي ﷺ.

٩ ـ اهتمام الملائكة بها وخصوصاً الجمعة

اجمع أهل القبلة على أنّ الصلاة على محمد وآل محمد مستحبة دائماً وفي كل حال، وإن خالف أبو حنيفة في ذبح الذبيحة و...، حيث ذهب إلى كراهة الصلاة على النبي ﷺ عند ذبح الذبيحة..

ولكن مهما كان الأمر فإنّ الروايات المتواترة صرّحت بمحبوبية الصلاة على النبي ﷺ في كل حال، ولا كلام في ذلك سوى ما استثناه أبو حنيفة في موردين أو ثلاثة كالذبح وغيره، هذا أولاً..

وثانياً فقد أجمع الأصحاب بل غيرهم بلا خلاف أجده أنّ الاستحباب يتأكد كثيراً في ليلة الجمعة ويوم الجمعة وإلى درجة أنّ الملائكة في هذين الوقتين لا يكتبون إلاّ ثواب قائلها..

أخرج الصدوق في الخصال قال: حدثنا أبي رضي الله عنه، قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن أيوب بن نوح عن محمد بن عمير عن عبد الله ابن

سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال في آخر سجدة من النافلة بعد المغرب ليلة الجمعة ـ وإن قاله كل ليلة فهو أفضل ـ : اللهم إني أسألك بوجهك الكريم وإسمك العظيم أن تصلّي على محمد وآل محمد، وإن تغفر لي ذنبي العظيم سبع مرات انصرف وقد غفر له..

وقال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا كانت عشية الخميس وليلة الجمعة نزلت ملائكة من السماء معها أقلام الذهب وصحف الفضة لا يكتبون عشية الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة إلى أن تغيب الشمس إلاّ الصلاة على النبي ﷺ)[1].

أقول: وسند هذا الحديث صحيح بلا كلام؛ إذ قد أطبق الأصحاب وبخاصة الرجاليون منهم على وثاقة رواته، على أنّ الصدوق قدس سره قد رواها في الفقيه أيضاً[2].

أضف إلى ذلك فالرواية واضحة الدلالة غنية عن التعليق والشرح ولكن..

لماذا يتأكد الاستحباب يوم الجمعة؟

هذا ما لم تعبأ به المناهج الكلاسيكية كثيراً، وغاية ما عندها في ذلك ما صاغه الشهيد الثاني بقوله: إنّ الجمعة أفضل الأيام مطلقاً كما ورد في صحاح الأخبار[3][4] من دون أن يبين سبب ذلك بشكل موضوعي؛ فقد

---

(١) الخصال للصدوق: ٣٩٣، وسائل الشيعة ٧: ٣٨٦ أبواب صلاة الجمعة ب ٤٣ ح ١، ٢.

(٢) الفقيه ١: ٢٧٣.

(٣) رسائل الشهيد الثاني: ٩٥.

(٤) عقد الحر قدس سره في وسائل الشيعة ٧: ٣٧٥ باباً كاملاً في ذلك وهو الباب: ٤٠ من أبواب صلاة الجمعة.

اكتفى قدس سره بسرد الروايات ليس غير، وأكثر من ذلك وهو أنّه سرد ما سرد تاركاً الروايات الصحيحة والمعتبرة الجامعة بين ثناياها علة كون الجمعة سيد الأيام مكتفياً بتلك التي لا إشارة فيها إلى العلّة، وهو لم ينفرد في ذلك بل هذا هو ديدن الأصحاب قدس الله أسرارهم قديماً وحديثاً.

أخرج الصدوق قال: حدثني أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد، عن محمد بن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (السبت لنا والأحد لشيعتنا والاثنين لأعدائنا والثلاثاء لبني أمية والأربعاء يوم شرب الدواء والخميس تقضى فيه الحوائج، والجمعة للتنظف والتطيب؛ وهو عيد المسلمين، وهو أفضل من الفطر والأضحى، ويوم الغدير أفضل الأعياد وهو: ثامن عشر من ذي الحجة وكان يوم الجمعة، ويخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة وتقوم القيامة يوم الجمعة، وما من عمل يوم الجمعة أفضل من الصلاة على محمد وآل محمد)[1].

أقول: وهذه الرواية صحيحة السند بلا كلام، ولا يضرها الإرسال أو جهالة الواسطة بين ابن أبي عمير والصادق عليه السلام للاتفاق على حجية مرسلات ابن أبي عمير دون سواه، وذلك لأنّه لا يروي إلاّ عن ثقة كما هو مقرر في محله في كتب الرجال.

ثمّ إنّ أقل ما يقال في هذه الرواية أنّها توحي وتلوح بوجود الصراع بين مدرسة آل البيت عليهم السلام والمدارس الأخرى؛ والذي لا نشك فيه على ضوء هذه الرواية هو أنّ يوم الجمعة ظرف الزمان الذي ضم بين ثناياه كل مواضيع الصراع الأم بين مدرسة آل البيت (= مدرسة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) وبين المدارس الأخرى؛ تلك المواضيع التي جسدها الخلاف والصراع في

---

(١) الخصال: ٣٩٤، وسائل الشيعة ٧: ٣٨٠، أبواب صلاة الجمعة ب ٤٠ ح ١٨.

الإمامة ونيابة الرسول ﷺ، والتي لا صراع في الإسلام بين المسلمين، صغر أم كبر حجمه إلاّ وهو مترشح عن ذلك؛ وإذن فعلى هذا الأساس آل يوم الجمعة ليكون سيد الأيام.

وقد أضاف الصادق عليه السلام إلى كل ذلك قوله: (وما من عمل يوم الجمعة أفضل من الصلاة على محمد وآل محمد) خاتماً بها الكلام؛ وفلسفة ذلك أنّ التعبد بهذه الصيغة عموماً هو شعار المدرسة الوحيوية كما برهنا عليه سابقاً؛ ولكن لهذا الشعار فعّالية أكبر يوم الجمعة؛ لأنّ هذا اليوم هو ظرف الزمان بين صراع الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه وبين الرأي القائم على حقيقة الازورار عن الآل عليهم السلام..

كل هذه الأمور تؤكد على حقيقة واحدة لا سبيل إلى التشكيك فيها، وهي أنّ المعصوم يهدف من كل ذلك إلى تفعيل آليات الإبقاء على الدين بتنمية الحس الديني لأفراد المدرسة الوحيوية ضماناً لبقائهم إحياء في عملية الصراع التي تهدف إلى توطيد أركان الدين، وعلى أقل التقادير من خلال الصلاة..

ويزيد الأمر وضوحاً أن لنا أن نتساءل:

هل من الصدفة في شيء أن ترد روايات متواترة تؤكد على ضرورة زيارة الحسين عليه السلام ليلة الجمعة في الوقت الذي نصت صحيحة عبد الله بن سنان السابقة بأنّ الملائكة ليلة الجمعة وعشية الخميس ويوم الجمعة بيدها أقلام من ذهب وصحف من فضة لا تكتب شيئاً إلاّ الصلاة على النبي ﷺ ؟

وهل من الصدفة أيضاً أن تكون كل من الصلاة على محمد وآل محمد وزيارة الحسين شعاراً لمدرسة الوحي؟

وهل من الصدفة ثالثاً أن يكون ثواب كل منها عظيماً كما ورد في الروايات الصحيحة؟

وهل من الصدفة رابعاً أن تحارَب المدرسة الوحيوية من خلال هذين الشعارين حرباً منكرة وحشية لا إنسانية حتى يومنا هذا؟

وهل من الصدفة خامساً أنّ ضريبة الارتباط بالله من خلال هذين الشعارين هي القتل والتشريد والتطريد و...؟

إنّ جواب هذه التساؤلات مطوية في نفس هذه التساؤلات، وهي كما قلنا تشير وتوحي بل تنص على وجود صراع دائم وجذري بين اتجاهين..

وممّا يؤيد كل ذلك من النصوص ما رواه الكليني في الكافي عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو جعفر عليه السلام لرجل سأله: كيف سميت الجمعة؟

فقال عليه السلام: (إن الله عزوجل جمع فيها خلقه لولاية محمد ووصيه في الميثاق؛ فسمّاه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه)[1].

وعن جابر عن الباقر عليه السلام أنّه سئل عن يوم الجمعة فقال: (ليلتها غراء ويومها يوم زاهر، وليس على وجه الأرض يوم تغرب فيه الشمس أكثر معافى من النار..؛ من مات يوم الجمعة عارفاً بحق أهل هذا البيت كتب له براءة من النار وبراءة من النفاق، ومن مات ليلة الجمعة اعتق من النار)[2].

وروى الصدوق بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الله عزوجل اختار من الأيام الجمعة، ومن الشهور شهر رمضان ومن الليالي ليلة القدر واختارني على جميع الأنبياء، واختار مني علياً وفضله على جميع الأوصياء...»[3] والحديث طويل وفيه نص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

---

(١) الكافي ٣: ٤١٥، التهذيب ٢: ٣.

(٢) الكافي ٣: ٤١٥، التهذيب ٣: ٤.

(٣) إكمال الدين للصدوق: ٢٨١.

ويبلور كل ذلك ما أخرجه الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام قال: (من صلى على النبي ﷺ فمعناه أني على الميثاق والوفاء الذي قبلت حين قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾)(١).

ثم إن كل ذلك ليدل بوضوح على أنّ للصلاة وفي خصوص يوم الجمعة مساهمة فعالة في الصراع من أجل الدين، ولا غرو فالصلاة معجمٌ لأصول الدين (التوحيد النبوة الإمامة)؛ تلكم الأصول التي إنما شرف يوم الجمعة على باقي الأيام بسببها؛ لأنّه صار ظرفاً للحفاظ عليها.

وممّا يناسب المقام أنّ نذكر أنّ الصلاة على محمد وعلى آل محمد جزء من أجزاء صلاة الجمعة، ومما ورد في ذلك ما أخرجه الكليني بسند صحيح عن الباقر عليه السلام قال (في حديث طويل يبين فيه كيفية صلاة الجمعة):

(ولقد اتخذ الله الحجة، فلا يهلك من هلك إلا عن بينة، ولا يحيى من حي إلا عن بينة، وقد بلّغ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أرسل به، فالزموا وصيته وما ترك فيكم من بعده من الثقلين: كتاب الله وأهل بيته الذين لا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من تركهما..؛ اللهم صل على محمد عبدك ورسولك سيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين ثم تقول: اللهم صل على أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين، ثم تسمّي الأئمة حتى تنتهي إلى صاحبك، ثم تقول: إفتح له فتحاً يسيراً وانصره نصراً عزيزاً، اللهم أظهر به دينك وسنة نبيك حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق..؛ اللهم إنا نرغب إليك في دولة كريمة تعز بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة في سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة،

(١) معاني الأخبار: ١١٥.

اللهمّ ما حملتنا من الحق فعرفناه وما قصرنا عنه فعلّمناه)[١].

وقد روى أهل السنّة هذا المعنى أيضاً، ولكن من دون ذكر الآل طبعاً!!!

ومن ذلك ما أخرجه الدارمي بسنده عن أوس بن أبي أوس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ أفضل أيّامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا من الصلاة علي فإنّ صلاتكم معروضة علي»**[٢].

وقد ذكر السيوطي بعض الأحاديث في فضل الصلاة يوم الجمعة، فراجعها[٣].

١٠ ـ علة لنيل الشفاعة

قال الصدوق في المجالس: حدثني جعفر بن محمد بن مسرور، عن الحسين بن محمد بن عامر، عن عمه عبد الله بن عامر عن محمد بن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أراد التوسل إليّ وأن تكون له عندي يد أشفع بها يوم القيامة فليصل على أهل بيتي ويدخل السرور عليهم»**[٤].

أقول: وهذه الرواية صحيحة، على ما تقدم في الفصول السابقة.

---

(١) الكافي ٣: ٤٢٤.

(٢) سنن الدارمي١: ٣٦٩، وقد رواه أبو داود في سننه ١: ٢٣٦ أيضاً، على أنّ الحاكم أخرجه في مستدركه ٤: ٥٦٠، معلقاً عليه بقوله صحيح على شرط الشيخين.

(٣) فيض القدير في شرح الجامع الصغير للسيوطي ٢: ١١١.

(٤) أمالي الصدوق: ٥٣٠ / ٥، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٣ ب ٤٢ أبواب الذكر ح ٥.

وقوله ﷺ: «ويدخل السرور عليهم» يحتمل فيه شيئان:

الأول: أنّ الحديث كما هو واضح من قبيل الجمل الشرطية ومن قبيل تعدد الشرط، وهو هنا يتألف من الصلاة عليهم أولاً ومن إدخال السرور عليهم ثانياً، وهذا يعني أنّ الشفاعة لا تنال بالصلاة عليهم فقط، بل بإدخال السرور عليهم فضلاً عن ذلك.

الثاني: أنّ نفس الصلاة عليهم مع الاعتقاد بأنّهم أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ، إدخالٌ للسرور عليهم، وعلى هذا الاحتمال يكون قوله ﷺ **«ويدخل السرور عليهم»** من قبيل عطف البيان، وليس هو شرطاً ثانياً؛ أي أنّ الرسول ﷺ لايريد أكثر من أن يبين لنا أنّ نفس الصلاة على آل البيت ﷺ إدخال للسرور عليهم.

والإنصاف فإنّ كلاً من الاحتمالين محتمل، ولكن قد يقال: إنّ إدخال السرور عليهم بالكامل ومن جميع الجهات تكليف بغير المقدور، أو هو تكليف مع العسر والحرج؛ ولو افترضنا إمكانية ذلك لنوادر من محبي آل بيت رسول الله ﷺ والذين هم على عدد أصابع اليد فإنّ ذلك لا يرفع محذور التكليف بغير المقدور أو محذور العسر والحرج عن الباقين..

والذي يُتراءى لي من ذلك هو عدم التنافي فيما بين الاحتمالين، وبيان ذلك مطوي في نظرية الثواب الأعلى والأدنى؛ فالذي يدخل السرور على آل البيت من خلال الصلاة عليهم فقط له مرتبة دنيى من الثواب، وبالتالي فله مرتبة من الشفاعة توازي تلك المرتبة من الثواب ليس غير..

أمّا الذي يدخل السرور عليهم بالصلاة وبغير الصلاة فمرتبة ثوابه هي الأعلى، وهو أولى بالشفاعة ومقدم على غيره يوم لا يشفع مال ولا بنون، على أنّ المراتب فيما بين ذينك الحدين كما عرّفناك فيما سبق كثيرة بعدد كل البشر المصلين..

هذا وقد روى أهل السنة في هذا المعنى بنحو عام بطرق صحيحة وحسنة بعض الروايات.

فمن ذلك ما أخرجه الطبراني بسند صحيح أو حسن عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«من صلّى علي حين يصبح عشراً وحين يمسي عشراً أدركته شفاعتي يوم القيامة»**[1].

وقد علق عليه الهيثمي بقوله: رواه الطبراني باسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا[2].

أقول: وفي الجملة فهذا النص الذي رويناه (=خرّجناه) من طرق أهل السنة وذاك الذي رويناه من طرقنا الشيعية يثبتان ولو بإجمال أنّ الصلاة علي للشفاعة، ولكن كون الصلاة كذلك مشروطٌ بالصلاة على الآل، ومع عدم هذا الشرط سيؤول أمر الصلاة على محمد ﷺ إلى أن تكون علة للعقاب لا للثواب؛ لأنّ الصلاة على محمد ﷺ خلال الصيغة البِدْعِيُة؛ أعني التي لا ذكر للآل فيها مخالفة واضحة للرسول ﷺ، هذا شيء.

دلالة الحديث على محبوبية الصلاة على الآل استقلالاً:

والشيء الآخر هو أنّ الرسول ﷺ قال: **«فليصل على أهل بيتي»** فهل أنّ مقصود الرسول ﷺ هو: **فليصل على أهل بيتي تبعاً لي؟**

أم أنّ مقصوده ﷺ الصلاة على أهل بيته ولو على نحو الاستقلال؟ احتمالان:

أمّا الأول فلاجماع أهل القبلة ـ نظرياً ـ على تبعية الآل للرسول ﷺ

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٢: ١٧٨.

(٢) مجمع الزوائد ١٠: ١٢٠.

في الصلاة على خصوص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما بيّنت الروايات المتواترة السنّية والشيعية، والتي رواها كعب بن عجرة وغيره، بلى عملياً وفي مرحلة الامتثال تركوا ذلك تحت شعار رغماً لأنوف الرافضة!!.

وأما الثاني فللإجماع أهل القبلة كذلك، وإنْ تركه من أهل السنة كذلك تحت شعار: رغماً لأنوف الرافضة....

ومهما يكن من شيء فالنص أعلاه ينفع أن يكون دليلاً واضح الدلالة على محبوبية الصلاة على أهل البيت عليهم السلام على نحو الاستقلال بعد الفراغ عن وجوب إلحاقهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم حين الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

هذا مضافاً إلى أنه بمقتضى قواعد الاستدلال الفقهي عند عموم أهل الإسلام هو جواز ذلك، وقد عرفت أن ابن حجر العسقلاني والزمخشري وغيرهما نصوا باستحباب ذلك.

ويكفي في الاستدلال على هذا الأمر أنهم عليهم السلام قد اصطفاهم الله واختارهم دون العالمين بأن جعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليست بذات قيمة من دونهم، بل هي على الظاهر محرمة كما أفادته النصوص المتضافرة السابقة، ومجموع ذلك يدل على أنّ الأحوط في الدين أن يُصلى عليهم كلما ذكروا؛ تبعاً أو استقلالاً، ولكن هذا بمقتضى قواعد الاستنباط ليس إلاّ؛ وإذا ما أردنا أن نستدل على الاستحباب بواسطة النصوص فلدينا منها الكثير؛ منها ما صدّرنا به هذا البحث..

ومنها: ما رواه ابن قولويه بقوله: حدثني أبي ومحمد بن الحسن عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن فاضلة بن أيوب عن نعيم بن الوليد عن يوسف الكناسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام...، اللهم صلّ على الحسن بن علي عبدك وابن رسولك...، ثم تسلم على الحسين عليه السلام وسائر الأئمة كما صليت

وسلمت على الحسن بن علي عليه السلام)[١].

ومنها: رواية صفوان التامّة من الناحيتين الدلالية والسندية، وهي فيما اعتقد أصرح وأصح ما في الباب؛ رواها الكليني قدس سره بقوله:

محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى قال: كنت عند الرضا عليه السلام فعطس؛ فقلت له: صلى الله عليك، ثم عطس فقلت صلى الله عليك ثم عطس فقلت له: صلى الله عليك وقلت له: جعلت فداك إذا عطس مثلك نقول له كما يقول بعضنا لبعض: يرحمك الله؟ أو كما نقول؟

قال عليه السلام: (نعم، أليس تقول: صلى الله على محمد وآل محمد؟)

قلت: بلى.

قال عليه السلام: (إرحم محمداً وآل محمد؟)

قلت: بلى.

قال عليه السلام: (وقد صلى الله عليه ورحمه، وإنّما صلواتنا عليه رحمة لنا وقربة) [٢].

وغير ذلك من النصوص المعتبرة الكثيرة المستفيضة الدالّة بوضوح على محبوبية الصلاة على آل بيت رسول الله على نحو الاستقلال، وقد نستعرض بعضها لا حقاً إذا أسعفنا منهج الدراسة.

ويمكن أن يقال: إنّ الصلاة على آل البيت عليهم السلام استقلالاً لا تنفي الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا محذور شرعياً فيها، ولكن العكس ليس مشروعاً؛ لأنّ الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من دون الصلاة على آل البيت

---

(١) كامل الزيارات: ٣٦٩.

(٢) الكافي ٢: ٦٥٤، ولنا مع هذه الرواية بحث مهم سنتعرض له فيما بعد.

حيال نهي نبوي مصبوب بحرمة الصلاة البتراء، فافهم.

١١ ـ تبلغ الرسول وهو في قبره ﷺ

روى الطوسي قال: حدثنا أحمد بن عبدون عن علي بن محمد بن الزبير، عن علي بن الحسن بن فضال، عن العباس بن عامر، عن بشر بن بكار، عن عمر بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إنّ ملكاً من الملائكة سأل الله أن يعطيه سمع العباد فأعطاه الله فليس أحد من المؤمنين قال: **صلى الله على محمد وآله**، وسَلَّمَ إلاّ قال الملك: وعليك السلام، ثم قال الملك: يا رسول الله إنّ فلاناً يقرؤك السلام، فيقول رسول الله ﷺ: **«وعليه السلام»**)[1].

أقول: لقد وضعت إشارة الفارزة بين كلمتي **«وآله»** و **«وسلم»** في الحديث أعلاه إشارة إلى ما أفهمه شخصياً من خصوص هذا الحديث وهو أنّ «وسَلَّمَ» ليست هي من صيغة الصلاة أولاً، وللإشارة ثانياً إلى أنّ فاعل «وسلَّمَ» هو العبد وليس هو الله تعالى؛ وآية ذلك أنّ في ذيل الرواية أنّ رسول الله ﷺ يردّ على العبد المسلّم بقوله ﷺ: **«وعليه السلام»** وواضح أنّ قول الرسول ﷺ هذا لا يلائم أن يكون فاعل: «وسلّمَ» هو الله تعالى، وسياق الرواية قرينة واضحة على ذلك؛ وخاصّة قول الملك: **«يا رسول الله إنّ فلاناً يقرؤك السلام»**، فلاحظ.

ولكن هذا لا يمنع المسلم من أن يتعبد بالصيغة التي تقول: **«اللهمّ صل على محمد وآل محمد وسلّم»** إذ وكما قلنا لك لا يوجد مانع شرعي من أن يجمع المسلم في آن واحد كلاً من الصلاة على الرسول ومن السلام عليه ﷺ وفي صيغة واحدة..

---

(١) أمالي الطوسي ٢: ٢٩٠.

ثم إذا كان السلام يبلغ رسول الله ﷺ فالصلاة عليه أولى، ولا أقل من المساواة، وهذا واضح أيضاً، وهو فيما لو تحدثنا عن هذا الموضوع من خلال هذه الرواية فقط؛ وإلاّ فمن بديهيات عقائدنا نحن معاشر الشيعة أنّ الرسول ﷺ يسمع الكلام ويرد السلام وتبلغه الصلاة، بل قد ثبت أنّه ﷺ يفرح بذلك كثيراً روحي فداه؛ لأنّه أكمل مصداق لقوله تعالى: ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ والأمر هو الأمر مع آل بيته ﷺ حذو القذة بالقذة؛ أي أنّ من بديهيات عقائدنا أنّهم كرسول الله ﷺ يسمعون الكلام ويردّون السلام، بل ويفرحون بذلك كرسول الله ﷺ؛ فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وممّا رواه أهل السنة في أصل ذلك روايات كثيرة متضافرة..

منها ما أخرجه الدارمي بسنده عن أوس بن أبي أوس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ أفضل أيّامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا من الصلاة علي فإنّ صلاتكم معروضة علي»**.

فقال له رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرِمْتَ (يعني بليت وصرت رميماً)؟

فقال رسول الله ﷺ: **«إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**[1].

أقول: ومعلوم من طريقة الحوار بين هذا الصحابي وبين الرسول ﷺ أنّ المقصود هو الجسد الشريف مع الروح!.

---

(١) سنن الدارمي١: ٣٦٩، وقد رواه أبو داود في سننه ١: ٢٣٦ أيضاً، على أنّ الحاكم أخرجه في مستدركه ٤: ٥٦٠، معلقاً عليه بقوله صحيح على شرط الشيخين.

وقد قال السيوطي في هذا الصدد: قال النبي ﷺ: «**من صلّى عليّ عند قبري سمعته ومن صلّى عليّ نائياً بُلّغْتُه**» وقال ﷺ: «**إنّ الله وكل بقبري ملكاً أعطاه أسماء الخلائق، فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلاّ أبلغني باسمه واسم أبيه**» هذا مع القطع بأنّ روحه في أعلى عليين مع أرواح الأنبياء والمرسلين، بل هو فيما هو أعلى من ذلك في الرفيق الأعلى.

فثبت بهذا أنّه لا منافاة بين كون الروح في عليين أو في الجنّة أو السماء وأنّ لها اتصالاً بحيث تدرك وتسمع وتصلي وتقرأ، وإنّما يستغرب هذا لكون الشاهد الدنيوي ليس فيه ما يشاهد به هذا، وأمور البرزخ والآخرة على نمط غير المألوف في الدنيا[1].

عزيزي القارئ وفي هذا الصدد روايات كثيرة متعددة الطرق، ولا داعي لاستعراضها بعد اعتراف الفريقين بمضمونها، وإذا ما تحدثنا عن الثواب من خلال مضمون هذه النصوص، فلليقين بعظم فضيلة المصلي على النبي ﷺ وآله؛ إذ ليس قليلاً أن يوكّل الله تعالى لأجلها ملكاً، وليس قليلاً أيضاً أن يسمعها الرسول ﷺ وتبلغه وهو في قبره الشريف؛ فإنّ في ذلك إيماء بأنّ الصلاة ذات مكانة مقدسة في حسابات الملكوت، وعلى ضوء ذلك يدخل المصلي في حريم تلك المكانة التي لم يخصها الله تعالى إلاّ لمحمد ولآل محمد ومن اهتدى بهديهم السماوي.

ومن الروايات الصريحة والتي هي نص في أنّ الصلاة والسلام على الرسول ﷺ تبلغه من بعيد ما أخرجه الكليني بسند صحيح عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي قال سألت أبا الحسن (= الرضا) عليه السلام، قلت: كيف السلام على رسول الله ﷺ؟

فقال عليه السلام: (قل: السلام على رسول الله، السلام عليك يا حبيب

---

(١) شرح سنن النسائي للسيوطي ٤: ١١٠.

الله السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا أمين الله؛ أشهد أنك قد نصحت لأمتك وجاهدت في سبيل الله وعبدته حتى أتاك اليقين؛ فجزاك الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته **اللهم صل على محمد وآل محمد أفضل ما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد)** [(١)].

ومنها: ما رواه أيضاً في الموثق عن إسحاق بن عمار: إنّ أبا عبد الله الصادق قال لأصحابه: (مرّوا بالمدينة فسلموا على رسول الله ﷺ من قريب وإن كانت الصلاة تبلغه من بعيد) [(٢)].

ومنها: ما رواه ثالثاً بسند صحيح قال: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب عن معاوية بن وهب قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام: (صلّوا إلى جانب قبر النبي ﷺ وإن كانت صلاة المؤمنين تبلغه أينما كانوا) [(٣)].

وأنت ترى أنّ هذه النصوص الصحيحة بالإتفاق الصريحة في مضمونها الإجمالي بلا خلاف لا تحتاج إلى أن يعلّق عليها بشيء! فليتسابق المتسابقون.

ظهليل، ملك موكل بقبر الرسول ﷺ للصلاة:

قال ابن طاووس: حدثني جماعة بإسنادهم إلى محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن أبي داود المسترق عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (وكل الله بقبر النبي ﷺ ملكاً يقال له: ظهليل إذا صلى عليه أحدكم قال له: يا رسول الله فلان

---

(١) الكافي ٤: ٥٥٢.

(٢) الكافي ٤: ٥٥٢.

(٣) الكافي ٤: ٥٥٣.

سلم عليك قال: فيرد النبي ﷺ بالسلام)[١].

اقول: ابتداءً لم أقف على ما يوجب كون الرواية معتبرة سنداً؛ إذ لم أقف على حال هؤلاء الجماعة الذين روى عنهم ابن طاووس، بلى لابن طاووس طرق صحيحة لجده الشيخ الطوسي، ومن ثمّ للطوسي طريق أو طرق صحيحة للصفار، ولكن هل أن طريق ابن طاووس في هذه الرواية هو من تلك الطرق الصحيحة؟ ذلك ما لم نمعن البحث فيه كثيراً لعدم الضرورة.

ولكن مع ذلك فاحتمال اعتبار هذه الرواية قوي؛ لاستبعاد أن لا يكون لابن طاووس وهو يروي عن أمثال الصفّار طريق لجده الشيخ الطوسي، وخصوصاً مع اهتمام ابن طاووس الشديد بطرق جده قدس الله أسرارهما إذا كانت عن جهابذة من أمثال الصفار، كما يعرف المتتبع.

وعلى أسوأ التقادير؛ فقد مرت عليك آنفاً روايات مستفيضة صريحة في أنّ الرسول ﷺ تبلغه صلاة من يصلي عليه وهو في قبره الشريف؛ بل يمكن أن يقال: إنّ ما عند الرسول ﷺ من خصائص ملكوتية أهلته دون باقي البشر لأن يكون: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٢] آية على أنّه ليس بحاجة لواسطة الملك كيما يتعرف على المصلين عليه، وربما هناك حكمة دفعت برحمة الله لأن يوكل ملكاً يحصي أسماء المصلين على محمد وآل محمد، ليست هي لحاجة الرسول ﷺ في توسيط الآخرين كيما تبلغه الصلاة عليه، بل للإشهاد والشهادة مثلاً، وهي أن تكتب الملائكة أسماء المصلين على النبي ﷺ في صحف لتُدَّخَرَ ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون؛ أي ليباهي ﷺ بنا أو بأعمالنا الأمم يوم القيامة، فالتفت!!!

---

(١) جمال الإسبوع: ١٦٠.

(٢) النجم: ٩.

١٢ ـ علة للرزق

قال الحميري في قرب الإسناد: حدثنا محمد بن عيسى قال: حدثني حمّاد بن عيسى قال: دخلت على أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام بالبصرة فقلت له: جعلت فداك أدع الله أن يرزقني داراً وزوجة وخادماً والحج كل سنة.

قال: فرفع عليه السلام يده ثم قال: (**اللهم صل على محمد وآل محمد**، وارزق حمّاد بن عيسى داراً وزوجة وولداً وخادماً والحج خمسين سنة).

قال حمّاد: فلما اشترط خمسين سنة علمت اني لا أحج أكثر من خمسين سنة، وقد حججت ثمانية وأربعين سنة، وهذه داري قد رزقتها، وهذه زوجتي وراء الستر تسمع كلامي، وهذا ابني وهذا خادمي، وقد رزقت كل ذلك، فحج بعد هذا الكلام تمام الخمسين، ثم خرج بعد الخمسين حاجاً، فزامل أبا العباس النوفلي، فلما صار في موضع الإحرام دخل يغتسل فجاء الوادي فحمله فمات، فرحمنا الله وإيّاه[1].

أقول: وسند الرواية صحيح.

ولكن قد تقول: إن تأثير الصلاة في الرزق بهذا النحو قد يكون من مختصات المعصوم عليه السلام.

وفيه: إنّ هذا وإن كان صحيحاً إلاّ أنّه لا يمنع أن تكون الصلاة علة لاستنزال الرزق من جميع المصلين على اختلاف درجاتهم، غاية ما في الأمر أنّ التأثير الأعلى لا يتصور في غير المعصوم، وهو يجامع عِلّيّة الصلاة وتأثيرها في استنزال الرزق بالنسبة لبقية المراتب والمستويات البشرية؛ وهذا المعنى مطوي في نظرية الحدين الأعلى والأدنى التي تعرضنا لها سابقاً.

---

(١) قرب الإسناد: ٣١٠.

والذي يلفت النظر أنّ الكاظم عليه السلام لم يستنزل الرزق من الله سبحانه وتعالى لحمّاد بغير صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» الأمر الذي إن دل فإنّما يدل على عظمة هذه الصيغة المقدسة، وعلى قدرتها العجيبة في استدرار خير الله جلت أسماؤه واستنزال ما تفيض به ساحة قدسه اللامتناهية من رزق.

كما ويلفت النظر أيضاً أنّ الإمام عليه السلام اجتزأ بها عن أي صيغة من صيغ الدعاء، وهو يؤيد النصوص التي روت عن الرسول صلى الله عليه وآله قوله: «**تُكفى هم الدنيا والآخرة**» لمن قال له: اجعل صلاتي كلها لك، والتي روت أنّ الدعاء من دونها محجوب وغير ذلك ممّا سقناه في هذا المضمون سابقاً.

ويلفت النظر ثالثاً أنني لم أعثر ولا على أيّ رواية تعرضت لبيان كيفية الدعاء المنتج لرحمة الله تعالى إلاّ وكانت فيها صيغة: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**» باباً ومفتاحاً.

فرحم الله عبداً سمع كلمات الرسول صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام فوعاها.

١٢ـ تقي حرّ جهنم

قال الصدوق: حدثني أبي، قال: حدثني سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله عن محمد بن أبي عمير عن أبي أيوب عن الصباح بن سيابة عن أبي عبد الله قال: (إلاّ أعلمك شيئاً يقي الله به وجهك من حر جهنم؟)

قلت: بلى.

قال عليه السلام: (قل بعد الفجر: اللهم صل على محمد وآل محمد مائة

مرة يقي الله به وجهك من حر جهنم)[١].

أقول: سند الرواية قوي وجيد؛ فالصباح بن سيابة وإن لم ينص على توثيقه أحد من الأعلام، ولكنّهم في الوقت نفسه نصوا على أنّه إمامي ممدوح ولم يطعنوا فيه، وأمّا أبو أيوب فهو منصور بن حازم الثقة بل العالي الوثاقة، وأما الباقون فثقات وممدوحون.

وقوله ﷺ: (يقي الله به وجهك من حر جهنّم) كناية عن عدم دخول جهنم من الأساس، كما هو واضح لمن استأنس بكلام فصحاء العرب، وليس معناه أنّ الله يقي الوجه دون باقي البدن، وآية ذلك أنّ هذا النص فضل من الله ورحمة، بل هو منّة وامتنان، وليس يليق بالذي وسعت رحمته كل شيء ذلك الاحتمال، فتدبر!.

١٤ ـ تقضي الحوائج

قال الصدوق (قدس سره): حدثني أبي عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله عن الحسن بن علي عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: **(من صلّى علي يوم الجمعة مائة صلاة قضى الله له ستين حاجة ثلاثون للدنيا والباقي للآخرة)**[٢].

أقول: الحسن بن علي في هذا الطريق مردد بين ابن زياد الوشا وبين ابن فضال الفطحي وكلاهما ثقة، نعم هو مردد بين كثيرين، ولكن بملاحظة الطبقة أولاً، وقرينية الراوي والمروي عنه ثانياً يقوى في النفس ما ذكرناه..

وأما محمد بن الفضيل فالذي يقوى في النفس أيضاً كونه محمد بن

(١) ثواب الأعمال: ١٥٥.

(٢) ثواب الأعمال: ١٥٦.

القاسم بن الفضيل؛ وذلك بملاحظة الطبقة وتلك القرينية، وعلى ذلك فالرواية معتبرة..

أضف إلى ذلك فإنّ الكليني روى عن أبي علي الأشعري عن محمد بن حسان عن أبي عمران الأزدي عن عبد الله بن الحكم عن معاوية بن عمار بن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من قال: يا رب صلّ على محمد وآل محمد مائة مرة قضيت له مائة حاجة ثلاثون للدنيا والباقي للآخرة) [١].

وسند رواية الكافي وإن كان واهياً إلاّ أنّه يصلح لتقوية السند السابق؛ فإنّ الروايتين وردتا في نفس المضمون ولو في الجملة، وعلى أسوأ التقادير لا ينعدم سند رواية الكليني من الاعتبار بملاحظة كل ذلك.

وقد عرفت مما سبق خصوصية يوم الجمعة وتأكد محبوبية الصلاة فيه؛ فلا غرو بعد ذلك أن يؤثر في قضاء الحوائج بسبب الصلاة، هذا والذي يمكن أن يثبت من الرواية هو أن الله تعالى يقضي ستين حاجة ثلاثين في الدنيا وثلاثين في الآخرة وأمّا ما زاد وكما هو صريح رواية الكليني فلا يمكن إثباته بسهولة؛ لأن سندها ليس بحجة على نحو الاستقلال، ولو ثبت فلا منافاة على ضوء نظرية الثواب الأعلى والأدنى.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ في الرواية احتمالين:

الأول: هو أن مجرد الصلاة على محمد وآل محمد مائة مرة يكون سبباً لأنْ يقضي الله ستين حاجة، وإن لم يطلب العبد ذلك من الله.

الثاني: أنّ العبد بعد أن يصلي المائة يسأل الله سبحانه وتعالى ستين مسألة أو أكثر، وحينذاك يقضيها الله تعالى له.

ولا يخفى عليك أن ظاهر الرواية هو الأول؛ وآية ذلك أنّ النص من

---

(١) الكافي ٢: .

قبيل الجمل الشرطية، ومعلوم أنّ المشروط لا يتخلف بعد تحقق الشرط؛ وهذا كما في قولنا: إذا طلعت الشمس فالنهار موجود، وكما في قولنا: إذا أكلنا شبعنا، وقد ذهب المجلسي قدس سره إلى ذلك حيث قال: فظاهره أنّ قضاء الحاجات مترتب على القول المذكور وإن لم يطلبها[(١)].

وبناء على ذلك: يستحب استحباباً مؤكداً أنّ يصلّي على محمد وآل محمد يوم الجمعة مائة مرة، وأنت ترى عزيزي القارئ أنّا لا نحتاج لقاعدة التسامح في أدلة السنن للقول بالاستحباب، وذلك لأنّ حجية ما يفيده النص قد استقي من معين صافٍ؛ وهو ورود طريق معتبر، خاصة وأنّه يتايد بطرق أخرى صالحة للتقوية كالذي أخرجه الصدوق بسنده عن أحمد بن محمد عن أبيه عن أبي المغيرة عن الرضا عليه السلام[(٢)]، ومضمونها في الجملة كمضمون ما سبق؛ أي أنّها يمكن أن تكون سبباً لقضاء الحوائج.

ولا يسعني التغافل عن رواية وردت بسند حسن في استحباب الصلاة يوم الجمعة بعد العصر، ولكنّها لم تذكر قضاء الحاجة، فقد قال الصدوق: حدثني محمد بن موسى المتوكل قال: حدثني علي بن الحسين السعد آبادي عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، قال: حدثنا ابن أبي عمير عن حمّاد بن عثمان أنّه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل الأعمال يوم الجمعة؟

قال عليه السلام: (الصلاة على محمد وآل محمد مائة مرة بعد العصر ومازدت فهو أفضل)[(٣)].

فهذه الرواية الحسنة وإن لم تذكر الآثار والثواب، ولكن من مجموع روايات الباب، بل من مجموع كل روايات الصلاة يحصل لدينا يقين إجمالي

---

(١) مرآة العقول ١٢: ٩٨.

(٢) ثواب الأعمال: ١٥٦.

(٣) ثواب الأعمال: ١٥٨.

بأنّ لها آثاراً عظيمة وثواباً كبيراً، غاية ما في الأمر أنّ أمر الثواب والآثار لا نعلمه بدقة على نحو التفصيل، وهذا أقل ما يقال في هذه المسألة.

ولا ننسى أن نلفت النظر إلى أنّ هذه الرواية الحسنة كل رواتها ثقات، بل نص العلماء على تقويتهم سوى السعد آبادي الممدوح مدحاً معتداً به فيما نرى ونعتقد بل فيما يرى ويعتقد كثير من أصحابنا قدس الله أسرارهم، وهذا طبعاً على أسوأ التقادير لأنّ السعد آبادي من مشايخ ابن قولويه في كامل الزيارات، وعندي وكما هو مذهب كثير بل أكثر الأصحاب؛ منهم السيد الخوئي قدس سره[١] أنّ كل أولئك المشايخ ثقات طبقاً لصريح ابن قولويه نفسه في مقدمة كتابه الشريف كامل الزيارات، وعلى هذا فالرواية صحيحة من دون أدنى شك.

كما ويتأيد كل ذلك بما أخرجه الصدوق بسنده الذي ذكره بقوله: حدثني محمد بن موسى المتوكل قال: حدثني محمد بن جعفر، قال حدثني موسى بن عمران عن الحسين بن يزيد عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام: وقال: (من قال...)[٢].

وهذه الرواية لا يصلح الاحتجاج بها على نحو الاستقلال لأنّ سندها ليس بذاك لجهالة موسى بن عمران، وعلى الأقل فأنا لا أعرفه ولم أقف على حاله.

١٥ ـ يستأنف معها العمل

روى البرقي في المحاسن عن الحسين بن يزيد النوفلي عن السكوني عن جعفر عن أبيه عن رسول الله قال: **«من صلّى عليّ إيماناً واحتساباً**

---

(١) معجم رجال الحديث ١: ٥٠.

(٢) ثواب الأعمال: ١٥٨.

استأنف العمل»[١].

أقول: وهذه الرواية قوية السند؛ فالنوفلي لم ينص على توثيقه أحد على أنهم تكلموا فيه، ولكن بعضهم رجح الاعتماد عليه وهو الذي يقوى في النفس، أمّا السكوني (= إسماعيل بن أبي زياد) فاختلفوا فيه؛ فقد ذهب بعضهم إلى انه عامي وإلى انّه ضعيف؛ لكن الأرجح أنّه معتمد؛ فإنّ الشيخ الطوسي جزم بذلك في عدة الأصول، وبسبب ذلك ذهب بعض الأصحاب إلى توثيقه، والكلام في النوفلي والسكوني طويل لا يسعه مختصر ما نحن فيه، ولكن الاعتماد عليهما يقوى في النفس وهو الأرجح، وقد بنى على ذلك كثير من الأصحاب.

وقوله ﷺ: (استأنف العمل) يعني غفران ذنوبه السابقة جميعاً، على أنّ الصلاة هنا مشروطة بالإيمان وبالاحتساب، وعلى ضوء رؤيتنا في الثواب الأعلى والأدنى؛ فإنّ استئناف العمل هو المرتبة العليا المتصورة فيمن يصلي، وهذه المرتبة مشروطة بأعلى مراتب الإيمان والاحتساب، وكما برهنا عليه سابقاً فهذا لا يمنع فضل الله من أن يستأنف عمل المصلي بما يوازي الإيمان والاحتساب في مرتبته الدنيا، وذلك بأنّ يغفر له بعض ذنوبه لا كلها، وكل بحسبه، والله تعالى أعلم بحقائق الأمور.

١٦ ـ البخيل هو من لا يصلي على الرسول ﷺ

قال المفيد في الإرشاد: روى عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن علي بن الحسين أنّه قال قال رسول الله ﷺ «البخيل كل البخيل الذي إذا ذكرت عنده لم يصل علي»[٢].

---

(١) المحاسن ١: ٥٩، وسائل الشيعة.

(٢) الإرشاد للمفيد ٢: ١٦٩. وسائل الشيعة ٧: ٢٠٦ أبواب الذكر ب ٤٢ ح: ١٤.

وقد رواها الصدوق بسنده عن سليمان بن بلال عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن علي به[1].

وعلى ما يظهر فهذه الرواية ليس لها طريق شيعي، وما ذكرناه آنفاً طرق سنية؛ فهي مروية من رواية الدراوردي وسليمان بن بلال وكلاهما علم من أعلام الرواية السنية.

وقد أخرجها النسائي بقوله: أخبرنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا عبد العزيز الدراوردي به[2].

ومهما يكن من أمر؛ فهذه الرواية مّما تلقاها أهل الإسلام بالقبول، بل أفتى فقهاء المسلمين جميعاً على ضوئها وعلى ضوء غيرها باستحباب الصلاة في كل حال لأجل ذلك، وقوله ﷺ: «**البخيل**» قرينة على ذلك الاستحباب.

١٧ ـ أفضل من الدعاء في الكعبة

روى الكليني قال: عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن محسن بن أحمد عن أبان الأحمر عن عبد السلام بن نعيم قال: وقلت لأبي عبد الله: إني دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدعاء إلاّ الصلاة على محمد وآل محمد؟!

فقال عليه السلام: (أما أنّه لم يخرج أحد بأفضل مما خرجت به)[3].

أقول: وسند الرواية لا يخلو من جودة بل قوة، فمحمد بن محسن (= البجلي) إمامي من أصحاب الرضا عليه السلام ولم يقدح فيه أحد، أما أبان

---

(١) معاني الأخبار: ٢٤٦.

(٢) سنن النسائي الكبرى ٦: ٢٠.

(٣) الكافي ٢: .

فهو من أصحاب الإجماع، وأمّا عبد السلام فالذي يقوي في النفس حسنه؛ لقوة احتمال أن يكون هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن نعيم بقرينة الطبقة وعدم الاشتراك..

لذلك فسند الرواية جيد، وليس كما ذهب المجلسي في مرآة العقول إلى أنّها ضعيفة[1]، فلاحظ!

ثم أقول: إن تقرير الإمام: (أما أنّه لم يخرج أحد بأفضل ممّا خرجت به) فيه إيماء أو إشارة إلى أنّ الصلاة مجزئة عن الدعاء في ظرف الحج، بل هو نص ذو دلالة كاملة على أنّ ثوابها أكبر من ثواب الدعاء في ذلك الظرف، فأمعن النظر عزيزي القارئ في هذا الأمر..؛ فصلى الله على محمد المصطفى وآله ما صعد نفس ونزل.

١٨ ـ بها تنال الرحمة

أخرج الكليني قال: محمد بن علي بن معمر، عن محمد بن علي بن عكاية التميمي عن الحسين بن النظر الفهري عن أبي عمرو الأوزاعي عن عمر بن شمر عن جابر بن يزيد قال دخلت على أبي جعفر عليه السلام...، فقال عليه السلام: (بالشهادة تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة؛ فأكثروا من الصلاة على نبيكم ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ صلى الله عليه وآله وسلم تسليما)[2].

أقول: وسند الرواية أقل ما يقال فيه أنّ ابن عكاية التميمي مجهول الحال لا يعرفه أحد إلاّ بهذه الرواية، بل ليس له في مصنفات الشيعة الحديثية إلاّ هذه الرواية، ولكن لا ريب في أنّ مضمون هذه الرواية

---

(١) مرآة العقول ١٢: ١٠٣.

(٢) الكافي ٨: ١٩.

صحيح؛ إذ لا ريب في أنّ الرحمة الإلهية تُنال بالصلاة على محمد وآل محمد؛ لليقين بأنّ جوهر الصلاة على محمد وآل محمد هو الرحمة، كما ولا ريب في استحباب الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ كما دلت على مجموع ذلك النصوص الكثيرة المعتبرة السابقة.

١٩ ـ الصلاة على محمد وآله وسيلة للأنبياء

قال عليٍ بن إبراهيم رضوان الله تعالى عليه: حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن الحسن بن عمارة عن ابن سيارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لما طرح إخوة يوسف يوسف في الجبّ دخل عليه جبرئيل وهو في الجب فقال: يا غلام! من طرحك في هذا الجب؟.

فقال له يوسف: إخوتي؛ لمنزلتي من أبي وحسدوني؛ لذلك في الجب طرحوني.

قال: فتحب أن تخرج منها؟

فقال له يوسف: ذلك إلى إله إبراهيم وإسحق ويعقوب.

قال: فإنّ إله إبراهيم وإسحق ويعقوب يقول لك قل: اللهمّ إنّي أسألك فإنّ لك الحمد كله، لا إله إلا أنت الحنّان المنّان، بديعُ السمواتِ والأرض ذو الجلال والاكرام، صلّ على محمد وآل محمد واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب.

فدعا ربه فجعل الله له من الجب فرجاً ومن كيد المرأة مخرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لا يحتسب)[١].

أقول: وسند الرواية أقل ما يقال فيه أنّه حسن؛ فكل رواته وثّقوا

---

(١) تفسير القمي ١: ٣٤٥.

سوى إبراهيم بن هاشم والحسن بن عمارة..

أمّا إبراهيم فقد عرفت موقفنا العلمي من حاله ممّا سبق، وهو أنّنا لا نشك بوثاقته بل بما هو أعلى من ذلك قيد شعرة، أمّا الحسن بن عمارة ففيما أعتقد هو من الممدوحين مدحاً معتداً به، هذا أولاً، وثانياً فلأنّا نذهب إلى وثاقة كل من روى له علي بن إبراهيم في تفسيره ممّن هو غير مصرّح بتوثيقه أو مدحه في باقي كتب الرجال، ولكن حسب شروط لا يتسنى لنا عرضها الآن، ولكن يكفيك أن تعلم أنّ الشروط كلّها متوفرة في الحسن بن عمارة وفي خصوص هذه الرواية بالذات، لذلك فهذه الرواية فيما أعتقد به وأدين حسنة على أقل التقادير، هذا فيما لو لم أقل بصحّتها كما هو ليس ببعيد، فتأمّل!! وثالثاً: فلأنّها ليست بمنكرة أو شاذة أو مهجورة عند الأصحاب.

والذي ينبغي أن يكون نصب أعيننا هو أنّ الصلاة إذا كانت وسيلة ضرورية لمثل يوسف الصدّيق عليه السلام كيما يُكْفَى بواسطتها همّه الدنيوي والأخروي، فهل ترانا نحن المذنبون المخطئون المتلوثون بالخطايا والآثام في غنىً عنها؟؟؟؟.

أرجو أن يكون القرّاء الأعزاء ـ وأنا معهم ـ واعين لمثل هذه المسائل العقائدية الخطيرة!!!.

على أنّ الأمر لا يقف عند النبي يوسف عليه السلام؛ فهذا إبراهيم عليه السلام قد اتخذه الله تعالى خليلاً لمجرد أنّه كان يصلّي على محمد وآل محمد..

قال الصدوق: حدثنا أحمد بن محمد الشيباني رضي الله عنه قال: حدثنا محمد بن أحمد الأسدي الكوفي، عن سهل بن زياد الأدمي، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال سمعت على بن محمد العسكري عليه السلام يقول: (إنما اتخذ الله عزوجل إبراهيم خليلا، لكثرة صلاته على محمد

وأهل بيته صلوات الله عليهم)[(١)].

وروى الكليني قال: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عمرو بن عثمان، عن علي بن عيسى رفعه قال: إنّ موسى عليه السلام ناجاه الله تبارك وتعالى فقال له في مناجاته: «**يا موسى لا يطول في الدنيا أملك فيقسو لذلك قلبك وقاسي القلب مني بعيد**» إلى أن قال الله تعالى في مدح الرسول محمد ﷺ: «**أنا من حزبه وهو من حزبي وحزبهم الغالبون، فتمت كلماتي لاظهرن دينه على الأديان كلها ولأعبدن بكل مكان ولأنزلنّ عليه قرآناً فرقاناً شفاءً لما في الصدور من نفث الشيطان؛ فصل عليه يا ابن عمران فإني أصلي عليه وملائكتي**»[(٢)].

فأطل عزيزي القارىء التأمل في هذا الأمر الخطير؛ فأنّ موسى عليه السلام فيما يظهر من الرواية أعلاه كان مأموراً بالصلاة على محمد الرسول ﷺ؛ فصلّى الله على محمد وآل محمد.

وممّا روي في ذلك أنّ الإمام أبو محمد العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[(٣)] قال: (وكان من عذابهم الشديد، إنّه كان فرعون يكلّفهم عمل البناء على الطين، ويخاف أن يهربوا عن العمل، فأمر بتقييدهم، وكانوا ينقلون ذلك الطين، على السلاليم إلى السطوح، فربما سقط الواحد منهم فمات أو زمن[(٤)]؛ لا يحفلون بهم، إلى أن أوحى الله إلى موسى عليه السلام قل لهم: لا يبتدئون عملاً إلاّ بالصلاة على محمد وآله الطيبين؛ ليخف عليهم، فكانوا يفعلون

---

(١) علل الشرائع ١: ٣٤.

(٢) الكافي ٨: ٤٤.

(٣) البقرة: ٤٩.

(٤) زمن: أي مرض زمناً طويلاً.

ذلك فيخفف عليهم، وأمر كل من سقط فزمن ممّن نسي الصلاة على محمد وآله الطيبين، أن يقولها على نفسه إن أمكنه ـ أي الصلاة على محمد وآله ـ أو يقال عليه إن لم يمكنه، فإنّه يقوم ولا يضرّه ذلك ففعلوها فسلموا).

وقال عليه السلام: (وفي قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾[1] وذلك لما قيل لفرعون: إنّه يولد في بني اسرائيل مولود، يكون على يده هلاكك فأمر بذبح أبنائهم، فكانت الواحدة منهن تصانع القوابل عن نفسها، كي لا تنم عليها، ويتم حملها، ثم تلقي ولدها في صحراء، أو غار جبل، أو مكان غامض، وتقول عليه عشر مرات: **الصلاة على محمد وآله**، فيقيّض الله له ملكا يربيه، ويدرّ من إصبع له لبنا يمصه، ومن إصبع طعاماً ليّنا يتغذاه، إلى أن نشأ بنو إسرائيل، وكان ممّن سلم منهم ونشأ أكثر ممّن قتل).

وقال الإمام عليه السلام في قوله: ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾[2]: (يبغونهن[3] ويتخذونهنّ إماءً، فضجّوا إلى موسى عليه السلام وقالوا: يفترعون[4] بناتنا وأخواتنا، فأمر الله تلك البنات، كلّما رابهنّ من ذلك ريب، صلّين على محمد وآله الطيبين، فكان الله يرد عنهنّ أولئك الرجال، إمّا بشغل، أو مرض، أو زمانة، أو لطف من ألطافه، فلم يفترش منهنّ امرأة، بل دفع الله عزوجل ذلك عنهن، بصلاتهن على محمد وآله الطيبين، ثم قال عزوجل: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ﴾[5] في ذلك الانجاء، الذي انجاكم منهم ربكم

---

(١) البقرة: ٤٩.

(٢) إبراهيم: ٦.

(٣) أي: يفجرون بهنّ.

(٤) أي: يفتضّون بكارة الباكر.

(٥) الأعراف: ١٤١.

﴿بَلَاءٌ﴾ نعمة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ كبير، قال الله عزوجل: يا بني إسرائيل اذكروا إذا كانَ البلاء يصرَف عن أسلافكم، ويخف بالصلاة على محمد وآله الطيبين، أفما تعلمون أنّكم إذا شاهدتموه وآمنتم به كانت النعمة عليكم أفضل، وفضل الله عليكم اجزل؟!)[١].

أقول: وهذه الرواية مروية في كتاب التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ولكن كثُرَ القيل والقال حول ما ورد في هذا التفسير من مضامين تارة، وحول إمكان نسبته إلى الإمام العسكري عليه السلام أخرى؛ والأصحاب في ذلك على ثلاثة أقوال أو أربعة: القبول مطلقاً كما هو مذهب المجلسيين رضي الله عنهما والرفض مطلقاً كما هو مذهب ابن الغضائري والسيد الخوئي قدس سرّهما، والتفصيل بأن يعامل التفسير كما يعامل أي كتاب روائي؛ فيحتج بما ورد بسند معتبر دون ما لا سند معتبر فيه كما هو رأي الباقين.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ في الطريق إلى هذا التفسير في مرحلتين؛ ففي الأولى فالطريق إلى الصدوق صحيح من دون شك، ولكن تكلّموا في الطريق من الصدوق إلى الإمام العسكري عليه السلام.

وقد علق المجلسي على المرحلة الثانية بقوله: اعتمد الصدوق على تفسير الإمام العسكري عليه السلام وأخذ منه، وإنْ طعن فيه بعض المحدثين، ولكن الصدوق رحمه الله أعرف وأقرب عهداً ممّن طعن فيه، وقد روى عنه أكثر العلماء من غير غمز فيه[٢].

هذا غاية ما عند الأصحاب في هذا الموضوع، والذي ينبغي أن يقال في هذه العجالة: هو عدم طرح الروايات ذات المضامين السليمة من

---

(١) تفسير العسكري عليه السلام: ٢٤٩، البحار ٩٤: ٩٢؛ مستدرك الوسائل ٥: ٣٤٠.

(٢) بحار الأنوار ١: ٢٨.

الشذوذ والإعلال كما في الرواية أعلاه؛ فانتبه.

استحباب إكثار الصلاة في مسجد الرسول ﷺ :

قال الكليني: علي بن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير وصفوان بن يحيى عن معاوية بن عمار قال: أبو عبد الله عليه السلام: (إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي ﷺ فائت المنبر وامسحه بيدك وخذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح عينك ووجهك به فإنه يقال: إنّه شفاء العين، وقم عنده فاحمد الله واثني عليه وسل حاجتك فإنّ رسول الله ﷺ قال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة؛ ومنبري على ترعة من ترع الجنة، والترع هي باب صغير، ثم تأتي مقام النبي ﷺ فتصلي فيه ما بدا لك فإذا دخلت المسجد فصل على النبي ﷺ وإذا خرجت فاصنع مثل ذلك وأكثر من الصلاة في مسجد الرسول ﷺ)[١].

أقول: وهذه الرواية صحيحة، بل هي مستفيضة عن معاوية بن عمار، ومن ثمّ فهي نص في محبوبية الإكثار من الصلاة في مسجد الرسول ﷺ، ولا يكاد يرتاب مسلم صحيح العقيدة في أنّ الإكثار من الصلاة في المسجد النبوي الشريف هو من أفضل الأعمال هناك، فرزقنا الله زيارته والصلاة عليه بحق محمد وآل محمد، وصلى الله على محمد وآل محمد بعدد ما لا يعد.

وإذا كان الأمر كذلك فليس من شك في أنّ الصلاة على أهل البيت استقلالاً أو تبعاً للرسول ﷺ مستحبة أكيداً حين زيارتهم، وآية ذلك أنّ كل نصوص الزيارات جامعة للصلوات عليهم إمّا تبعاً وإمّا استقلالاً، على نحو المجموع أو فرداً فرداً.

---

(١) الكافي ٤ : ٥٥٤.

فرق الثواب بين الصلاة على الآل والأهل:

ورد في بعض النصوص أنّ المعصوم منع من الاقتصار في الصلاة على لفظ أهل البيت أو أهل بيت محمد؛ فقد ورد بسند قوي أنّ رجلاً بمحضر من الإمام الصادق عليه السلام قال: (اللهم صل على محمد وأهل بيت محمد).

فقال الصادق عليه السلام: (يا هذا لقد ضيقت أما علمت أنّ أهل البيت خمسة أصحاب الكساء؟)

فقال الرجل: كيف أقول؟!

فقال عليه السلام: (قل: **اللهم صل على محمد وآل محمد**، فسنكون نحن وشيعتنا قد دخلنا فيه) [1].

وهذا نص على أنّ مطلوب المعصوم عليه السلام هو الصلاة على آل محمد لا على أهل بيت محمد.

هذا، ولكن أخرج الصدوق قائلاً: حدثني أبي عن سعد عن أحمد بن أبي عبد الله عن ابن أبي عمير عمن أخبره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وجدت في بعض الكتب: (من صلّى على محمد وآل محمد كتب الله له مائة حسنة، ومن قال: صلى الله على محمد وأهل بيته، كتب الله ألف حسنة) [2].

أقول: وسند الرواية صحيح، وكما عرفت فإنّ إرسالها لا يضر إذا كان ابن أبي عمير هو المرسل؛ للاتفاق على أنّ مرسلاته حجة..

ثمّ أقول: إنّ كلاً من الصيغتين ورد في النصوص المعتبرة الصريحة، ولا بأس بالتعبد بأيّ منهما في موارد العبادة المتعددة؛ إذا لم تتغير العناوين والدلالات..

---

(١) ثواب الأعمال ١٨٩ / ٢، وسائل الشيعة ٧: ٢٠٥ ب ٤٢ من أبواب الذكر ح ١١.

(٢) ثواب الأعمال: ١٨٦، وسائل الشيعة ٧: ١٩٥ ب ٣٤ من أبواب الذكر ح ١٢.

ومقصودي من ذلك أن الفهم الإسلامي الصحيح لا يفرق بين مقولتي أهل البيت وآل البيت؛ وهذا هو الذي خلصنا إليه حينما تحدثنا عمّا يقرره قاموس الوحي في تحديد معنى المقولات الإسلامية السماوية، ولا شكَّ في أنّ مقولة «آل البيت» هي عينها مقولة «أهل البيت» وهي كما قرره قاموس الوحي تعني الأربعة عشر المعصومين دون سواهم من بني الإنسان.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا محذور من التعبد بأيّ منهما في عملية الصلاة على النبي ﷺ، خاصة مع ملاحظة ورود كل من الصيغتين في النصوص المعتبرة كما قلنا.

ولكن إذا لم يوازي الفهم الإسلاموي عند بعض المسلمين في الدلالة بين المقولتين، ففي هذا محذور واضح، وهو إخراج تسعة من المعصومين في عملية الصلاة؛ لوضوح أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ حين النزول مختص بالخمسة أصحاب الكساء: الرسول ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين ليس غير؛ أمّا باقي الأئمة التسعة المعصومين فهم عليهم السلام حين نزول الآية في صلب الحسين عليه السلام، ومن شأن هذا ولادة رؤية خاطئة بأنّ أهل البيت هم أولئك الخمسة ليس غير.

إنّ الصادق عليه السلام في الرواية الأولى نفى الرؤية التي تفترض أنّ أهل البيت عليهم السلام هم أولئك الخمسة لا غير؛ لما يستتبع ذلك من إلغاء وجود التسعة المعصومين المطويين في مقولة أهل البيت، والتي تستتبع أيضاً أنّ الصلاة عليهم ليست بواجبة كما هي واجبة على الخمسة..، هذه هي كل ملابسات الرواية لا أكثر ولا أقل، وهي ناشئة من عدم إحاطة المصلي بالحدود الدلالية للمقولات الإسلامية المقدسة.

ولكن إذا لم تكن هناك شبهة، فليس من محذور في التعبد بأيٍّ من المقولتين؛ سواء أكانت آل البيت أم أهل البيت.

على أنّ هناك شيئاً آخر أو قل محذوراً آخر، وهو أننّا لو افترضنا أنّ الفهم الإسلامي يدرج المعصومين الأربعة عشر تحت مقولة أهل البيت أو آل البيت على السواء؛ بمعنى أنّ قيمة اندراج الخمسة كقيمة اندراج باقي التسعة عليهم السلام، فإنّ هذا وإن كان صحيحاً لكنّه لا يستقيم كثيراً من كل الجهات؛ لأنّ الخمسة لا ريب في كونهم أفضل من التسعة صلى الله عليهم أجمعين، وما ورد في صحيحة ابن أبي عمير يهدف إلى بيان خصوصية الخمسة على التسعة وإن كان الجميع معصوماً..

وزبدة القول: أنّنا نخلص من ذلك إلى عدة نتائج:

الأولى: قيمة الصلاة بصيغة «آل محمد» هي كقيمة الصلاة بصيغة «أهل بيت محمد» ولكن هذا بشرطين: الأول: مع وجود الاعتقاد بأنّ كلاً من المقولتين يندرج فيهما المعصومون الأربعة عشر، والثاني: مع عدم تناسي خصوصية الخمسة على التسعة عليهم السلام.

الثانية: ومع وجود الاعتقاد بأنّ الصلاة مختصة بالخمسة دون التسعة أو قل ومع الخوف من ولادة هذا الاعتقاد الذي سيقود إلى تناسي باقي التسعة عبر الزمن فالأفضل أن تكون الصيغة «آل محمد».

الثالثة: على عكس الثانية؛ وهو وجود الإعتقاد بأنّ الخمسة أهل الكساء لا خصوصية لهم على التسعة عليهم السلام أجمعين، ولكن إذا كان الأمر كذلك فالأفضل أن يُتَعَبَّد بصيغة «أهل بيت محمد» وسبب ذلك هو التنبيه على خصوصية الخمسة على باقي الأئمة عليهم السلام.

وإذن فلدينا في خصوص هذه المسألة عناوين ثلاثة، فكلما جاء عنوان (= موضوع الحكم) تبدل الحكم تبعاً له بلا فاصلة، وهذا في

الواقع كبرى اتفق عليها علماء الإسلام مفادها: أنّ الأحكام تابعة لموضوعاتها تبعية المعلول لعلته التامة..

ولا ضير أن نورد لك مثالاً واحداً أو أمثلة توضح المقصود..، ومن ذلك انقلاب الواجب إلى حرام..

فمثلاً لك أن تتصور أنّ غداً هو آخر يوم من شهر رمضان على نحو اليقين، أي يجب صومه في هذه الصورة، ولو افطرت فعليك الكفارة الثقيلة المعروفة، ولكن ماذا لو أعلن السلطان الجائر فتواه بأنّ غداً هو يوم عيد الفطر مع أنّه في حقيقة الأمر ليس كذلك لأنّه آخر يوم من شهر رمضان، فهنا أفتى الفقهاء جميعاً بحرمة الصوم؛ حفظاً للدم؛ لأنّ حفظ الدم أهم عند الله من صوم يوم يمكن قضاؤه فيما بعد، بل قال بعض الفقهاء أنّ الذي لا يفطر عاصٍ لله.

ومن ذلك سب أمير المؤمنين علي عليه السلام، فمع أنّ حرمته أغلظ او من أغلظ ما ورد في الدين، إلاّ أنّ العلماء أفتوا بجوازه إذا تعلق الأمر بالدماء والفروج وغير ذلك..

وقل مثل ذلك فيما لو أكرهك الجائر على أن تصلي صلاة بدعيه وحجاً بدعياً وهلمّ جرّاً..

الذي أريد قوله: إنّ الأحكام وما يتبع امتثالها من ثواب وعقاب يدور مدار العناوين والموضوعات، وهذا الأمر عزيزي القارئ؛ لا نتصوره في كل مفردات نظرية الحلال والحرام..، ولكنّنا نتصوره في تلك المفردات ذات النزعة الشعارية فضلاً عن العبادية.

وليس من ريب في أنّ الصلاة على محمد وآل محمد من أهم الشعارات الإسلامية في خضم الصراع؛ ومن البديهي أن تكون لها عناوين عديدة تتراوح بين الوجوب في حال والحرمة في حال والاستحباب في حال،

وبالتالي ثواب كل واحد من هذه الأقسام يدور مدار موضوعه حيثما دار..

وإذا كان الأمر كذلك فالثواب والعقاب ملازم لامتثال تلك الأحكام ولكن على ضوء تلك العناوين والموضوعات المختلفة، فافهم ذلك.

هل تجب الصلاة على الرسول ﷺ مع مطلق ذكره؟

ورد في الصحيح قال الباقر عليه السلام: (وصلِّ على النبي كلما ذكرته أو ذكره ذاكر عندك في أذان أو غيره).

وسواء أقيل بالوجوب أم قيل بالاستحباب، فهل هي كذلك حينما يذكر النبي ﷺ بلفظ «محمد» أم بمطلق ذكره الشريف؛ كالرسول وسيد الأنبياء والمرسلين وأبي القاسم وأبي فاطمة سيدة النساء..

الظاهر من النص أعلاه شمول كل ذلك وهذا هو الذي أطبق عليه الفقهاء فيما يبدو..

قال السيد اليزدي في العروة: لا فرق أن يكون ذكره باسمه العَلَميّ كمحمد وأحمد أو بالكنية واللقب كأبي القاسم والمصطفى[١].

وقال النراقي في المستند: والحق التعدي (من اللفظ الصريح إلى غيره) إلى الكل؛ لصدق ذكره ﷺ[٢].

في هذه المسألة تفصيلات فقهية ليس مهماً التعرض لها كثيراً، وما ذكرناه هو الأوفق بقواعد الاستنباط، على أني لم أقف على مخالف في أصل المسألة وإن خالف البعض في بعض المصاديق كخير البرية؛ لعدم وضوح دلالتها الكاملة على الرسول ﷺ.

---

(١) العروة الوثقى ١: ٧٠٥.

(٢) مستند الشيعة ٥: ٣٣٩.

القاعدة الصحيحة في ذلك:

غير أنّ البحث في المصاديق ليس موضوعياً؛ إذ لابد من تقعيد قاعدة في المسألة يرتفع معها القيل والقال؛ لأنّ معركة العلماء والفقهاء حول المصاديق أمر لم ينته حتى يومك هذا وهو فيما يظهر لن ينتهي، وإذن فلا بدّ من تقعيد قاعدة في المسألة..

ولا بدع في تقعيد هذه القاعدة إذا ما كانت مستوحاة من قوله ﷺ: (كلما ذكرته) الذي يدل بنحو من أنحاء الدلالة على أنّ كل لفظ له القابلية لأن يكون مدلوله الرسول محمداً ﷺ؛ فهو حينئذ يكون موضوعاً للوجوب بناء على الوجوب أو موضوعاً للاستحباب بناء على الاستحباب، ومدار كل ذلك هو نفس تذكر النبي وبأي لفظ كان، وليس المدار هو خصوص اللفظ كما تصوّره معركة العلماء حول المصاديق، وآية ذلك أنك لو كنت ساهياً وذكر النبي أمامك بلفظ محمد ﷺ ولم تنتبه فلا وجوب ولا استحباب؛ لعدم الدخول تحت عموم (كلما ذكرته) الذي هو موضوع الحكم.

وقل مثل ذلك لو ذكر أمامك لفظ خير البرية؛ فإنّك لو فهمت من هذا اللفظ أنّ المعني به هو الرسول ﷺ فلا محالة تجب أو تستحب الصلاة على الرسول على اختلاف الأقوال؛ وعلّة ذلك هو دخول مثل هذا المورد تحت عموم: «كلّما ذكره ذاكر» أو ما في معناه..

ولو انعكس الفرض بأن ذُكر لفظ خير البرية ولم يفهم منه أنّ المقصود هو الرسول ﷺ، فلا وجوب هنا ولا استحباب؛ لوضوح أنّ هذا الفرض ليس بداخل تحت عموم: «كلمّا ذكره ذاكر».

وعلى هذا الأساس ينبغي التعامل مع كل إسم من أسماء الرسول ومع كل وصف من أوصافه والأمر هو الأمر مع ألقابه وكناه، في إطار الدخول تحت عموم: «كلمّا ذكره ذاكر» فإن دخلت تحقق موضوع الحكم بالوجوب أو بالاستحباب وإلاّ فلا!!!.

وجوب الصلاة على الرسول ﷺ وآله في كل المواطن:

أخرج الصدوق قال: حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم العجلي وأحمد بن الحسن القطان، ومحمد بن أحمد السناني والحسين بن إبراهيم بن أحمد ابن هشام المكتب وعبد الله بن محمد الصائغ، وعلي بن عبد الله الوراق رضي الله عنهم قالوا:

حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا تميم بن بهلول، قال: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن جعفر بن محمد عليه السلام قال ـ في حديث طويل ـ :(... والصلاة على النبي واجبة في كل المواطن وعند العطاس والرِيَاح وغير ذلك)[(١)].

ورواه الصدوق أيضاً ـ أي في مضمونه ـ قائلاً: حدثنا عبد الواحد بن محمد بن عبدوس رضي الله عنه بنيسابور في شعبان سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة قال: قال على بن محمد بن قتبة النيسابوري عن الفضل بن شاذان يسأل المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام أن يكتب له محض الإسلام على سبيل الإيجاز..

فكتب عليه السلام: (وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: والصلوات على النبي واجبة في كل موطن وعند العطاس والذبائح وغير ذلك...).

أقول: وطريق الأولى في حدود تتبعي ضعيف؛ أما طريق الثانية فصحيح؛ على ما بنينا من وثاقة من يترضى عنه الصدوق؛ وخاصة إذا أكثر من الترضي عنه كما فيما نحن فيه، وإذن فالسند صحيح لا محالة.

وأمّا دلالتها على القول بالوجوب فيمكن تقريب القول به (هذا طبعاً مع تناسي الإجماع وغيره) بأنّ نص الرواية طويل، وقد كان أمير

---

(١) وسائل الشيعة ٧: ٢٠٥ باب ٤٢: وجوب الصلاة على النبي من أبواب الذكر ح ١٢.

المؤمنين علي عليه السلام بصدد توضيح الواجبات الإلزامية في دين الإسلام من خلال محتوى هذا الطول، وحينما وصلت النوبة إلى الصلاة قال عليه السلام: (واجبة في كل موطن) وهذا يعني أن سياق النص يدل على الوجوب، مضافاً إلى أنّ نفس قوله عليه السلام (واجبة في كل موطن) نصٌ في الوجوب.

ولكن وجوبها في كل موطن لم يقل به أحد مطلقاً، ولابد من حمله على ما إذا ذكره ذاكر أو ذكر عنده كما هو نص صحيحة زرارة؛ إذ بمعونة الصحيحة والإجماع نفهم أنّ المقصود هو خصوص ما إذا ذكره ذاكر.

أمّا وجوبها عن العطاس وغيره، فهو ظاهر بل نص الرواية أيضاً، ولكن لما لم يقل به أحد من أهل القبلة فيما نعلم(١) نردّ هذه الفقرة من الرواية إلى عالمها من آل محمد عليهم السلام.

ولكن يمكن أن يقال إنّه قد ورد بسند صحيح ما فيه بعض الإشارات لما نحن فيه؛ فقد قال الكليني:

محمد بن يحيى عن احمد بن محمد بن عيسى عن صفوان بن يحيى قال: كنت عند الرضا عليه السلام فعطس؛ فقلت له: صلى الله عليك، ثم عطس فقلت: صلى الله عليك ثم عطس فقلت له: صلى الله عليك وقلت له: جعلت فداك: إذا عطس مثلك نقول له كما يقول بعضنا لبعض: يرحمك الله؟ أو كما نقول؟

قال عليه السلام: (نعم، أليس تقول: **صلى الله على محمد وآل محمد؟**)

قلت: بلى.

---

(١) اللهم إلاّ ما يظهر من صاحب الوسائل ٧: ٢٠١ و٢٠٥ فقد عنون باباً قال فيه باب وجوب الصلاة على النبي كلما ذكر ثم ذكر تحته مجموعة من الروايات منها الرواية أعلاه، فلاحظ.

قال ﷺ: (إرحم محمداً وآل محمد؟)

قلت: بلى.

قال ﷺ: (وقد صلى الله عليه ورحمه، وإنّما صلواتنا عليه رحمة لنا وقربة)[1].

أقول: ولا كلام في صحة سند الرواية، ومقصود الإمام ﷺ، هو أن قول القائل المسمّت للمعصوم بقوله: صلى الله عليك فائدة يعود نفعها على القائل لا لنفس المعصوم؛ إذ القاعدة كما هو نص المعصوم ﷺ هي أنّ الصلاة على النبي ﷺ فائدة ورحمة وقربة لكل مصلٍ، والأمر هو الأمر في الصلاة على المعصوم من أولاد الرسول ﷺ؛ لأنّهم نفس الرسول ﷺ لا شك في ذلك هذا أولاً.

وثانياً؛ فهذه الصحيحة نص على جواز الصلاة على آحاد المعصومين على نحو الاستقلال كما هو واضح.

وثالثاً: فصريح الرواية أنّ المرتكز عند السائل وهو صفوان ﷺ أنّ المعصوم إذا عطس يقال له:صلى الله عليك، أما غير المعصوم من ولد آدم، فكما نصّت الرواية يقال له: «يرحمك الله»..

وقد أمضى الرضا ﷺ هذا لصفوان، في حين أنّه ﷺ أشار إلى أنّ الصلاة على الإمام إذا عطس أفضل من صيغة «يرحمك الله» وهذا هو المستفاد من تعليل الرضا ﷺ الذي يقول فيه: (صلواتنا عليه رحمة لنا وقربة)..

وحاصل معنى الحديث أنّكم إذا صليتم عليّ فهو رحمة لكم وقربة، وأمّا قولكم لي أو لمثلي من بقية المعصومين ﷺ: «يرحمك الله» فهو

---

(١) الكافي ٢: ٦٥٤.

تحصيل للحاصل أو أنّي أعلى شأناً من أن يرحمني الله بسبب دعائكم؛ لأنّ العكس هو الذي نطقت به الروايات المتواترة الناصّة على أنّهم ﷺ أمان لأهل الأرض ورحمة من الله عليهم.

وعلى هذا فمن اللغو القول بأنّ الله سبحانه وتعالى بسبب دعاء البشر المتلوثين بالآثام والذنوب يرحم أهل العصمة، مع أنّ الثابت هوالعكس!!!.

بناء على ذلك فليس من البعيد بل من الوجيه جداً أن يقال بوجوب تسميت المعصوم عليه السلام بالصلاة على محمد وآل محمد فيما لو كان العاطس هو المعصوم عليه السلام؛ فعند عطاس النبي ﷺ يجب على كل مسلم يسمع عطاسه ﷺ أن يصلي عليه.

وكذلك فيما لو كان العاطس هو المعصوم من أولاده ﷺ فتجب الصلاة على محمد وآل محمد تسميتاً للمعصوم العاطس؛ والله العالم بحقائق الأمور!!

هذا غاية ما يمكن أن يقال في رواية الرضا عليه السلام التي فيها: (والصلاة على النبي واجبة ﷺ في كل موطن وعند العطاس..)..

والذي ينبغي أن نلفت النظر إليه هو أنّ فقهاء الأصحاب رضي الله عنهم بل غيرهم من فقهاء الإسلام لم يتعرّضوا لهذه المسألة فيما نعلم.

ولعلّ سبب ذلك خروج مثل هذه المسألة موضوعاً وحكماً عن محل الابتلاء في أزماننا هذه، وذلك لغياب مهدي آل محمد صلوات الله عليه عن أعين الخلق؛ وفي حقيقة الأمر نحن في سعة من ذلك حتى يظهر..؛ اللهم فعجل ظهوره بحق: «**اللهم صل على محمد وآل محمد**».

روايات أخرى في فضائل الصلاة:

تنبغي الإشارة إلى أنّ هناك راوايات أخرى تتحدث عن فضائل الصلاة وعن خصائصها السماوية لم نر حاجة لسردها ها هنا لسببين:

الأول: فلأنّ تلكم الروايات حسب الصناعة وعلى ضوء مقررات الدراية والرجال ليست بمعتبرة السند كثيراً..، بلى قد يكون فيها ما هو معتبر سنداً أو دلالة ولكنّي أتحدث في إطار تتبعي القاصر..

الثاني: فإنّ ما تهدف إليه هذه الدراسة ليس هو بيان بيان الرؤية العبادية للأذكار الإسلامية عموماً والصلاة على محمد وآل محمد بسذاجة، بل إنّ ما تهدف إليه أولاً وبالذات هو بيانُ لآليّة الصلاة على محمد وآل محمد السماوية في تثبيت أركان الدين وفي الإبقاء عليه حيّاً نابضاً قادراً على الصراع مع كل الأفكار الأرضية والأيديولوجيات اللاسماوية.

ولا يلائم مثل هذا الهدف أن نأتي بكل الروايات الواردة في الصلاة والمبينة لفضائلها وخصائصها الكثيرة والتي هي بالعشرات أو أكثر؛ علاوة على أنّ منهجنا في كل بحوثنا لا يتعاطى الاجترار والتكرار والإطالة غير المجدية.

ولكن إذا شئت الإطلاع عزيزي القارىء على هذه الروايات فإنّي أرشدك إلى مستدرك وسائل الشيعة للعلامة النوري قدس سره حيث جمع في المجلد الخامس من كتابه المذكور باباً كاملاً في ذلك؛ وهو الباب الواحد والثلاثون.

هذا من كتب الشيعة الإمامية، وأمّا من كتب أهل السنة فحسبك أن تطالع كتاب جلاء الافهام لابن القيم الجوزية وكذلك فضل الصلاة للجهضمي وغيرها الكثير.

ونرجو من الله العلي القدير أن يوفقنا جميعاً لإحياء هذه الشعيرة

الإسلامية الكبرى في إطار كونها شعاراً سماوياً وحيوياً محمدياً علوياً..، وأن يرزقنا شفاعة المصطفى محمد ﷺ؛ فصلّى الله على محمد وآل محمد صلاةً تليق بالواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين.

تمّ الفراغ من مسودته في مدينة مشهد المقدّسة لثلاثٍ بقين من شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٢٤ هـ، الموافق لشهر أكتوبر من سنة ٢٠٠٣م.

فهرس المصادر

القرآن الكريم

الآحاد والمثاني

لابن أبي عاصم الضحاك

دار الدراية / سنة ١٤١١ هـ

الإبهاج في شرح المنهاج

لعلي بن عبد الكافي السبكي، وولده عبد الوهابين علي السبكي

دار الكتب العلميّة / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤١٦هـ

الإجابة لإيراد ما استدركته السيدة عائشة على الصحابة

لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي

المكتب الإسلامي / يبروت ـ لبنان / ط:٤ سنة ١٤٠٥ هـ

الإحكام في أُصول الأحكام

لابن حزم الظاهري

تحقيق: أحمد شاكر.

الإحكام في أُصول الأحكام

لعلي بن محمّد الآمدي

مؤسّسة النور / المكتب الإسلامي ـ دمشق / ط: ٢ سنة ١٤٠٢ هـ

أحكام القرآن

لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص

دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان/

أحوال الرجال
لإبراهيم بن إسحاق الجوزجاني
مؤسسة الرسالة / بيروت ـ شارع سوريا / ط: ١ سنة ١٤٠٥هـ

أخبار أبي حنيفة
حسين بن علي الصيمري
بيروت / الطبعة الثانية سنة ١٩٧٦ م

الإخوان
لابن أبي الدنيا
دار الاعتصام / بيروت ـ لبنان/

الأدب المفرد
للبخاري
مؤسسة الكتب الثقافية / ط: لسنة ١٤٠٩ هـ / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

الإرشاد
لإمام الحرمين أبو المعالي الجويني
مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤٠٥ هـ

إرشاد الساري
أحمد بن محمد القسطلاني لسنة
دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان /

إرشاد الفحول
محمد بن علي الشوكاني
مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت ـ لبنان / ط: ٤ سنة ١٤١٤ هـ

أسباب النزول
لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان / ط: ٢ سنة ١٤٠٦ هـ

الاستيعاب في معرفة الأصحاب
لأبي عمر يوسف بن عبد الله القرطبي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٥ هـ

أسد الغابة
لابن الأثير
دار احياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان /

إسلاميات
للدكتور طه حسين
دار العلم للملايين / بيروت ـ لبنان / ط: ٤ سنة ١٩٨٤ م

الإصابة في تمييز الصحابة
لابن حجر العسقلاني
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان /

الأغاني
لأبي الفرج الأصفهاني
دار الثقافة / بيروت ـ لبنان / ط: ٨ سنة ١٤١٠ هـ

الأم
للإمام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط:١ سنة ١٤٠٠هـ وط: ٢، سنة ١٤٠٣هـ.

أمالي الصدوق

للشيخ الجليل أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
مؤسسة البعثة /طهران ـ إيران/ ط:٣ سنة ١٤٠٤ هـ.

أمالي الشيخ الطوسي
لشيخ الطائفة أبي جعفر بن محمد بن الحسن الطوسي
دار الثقافة /قم ـ إيران/ ط:١ سنة ١٤١٤ هـ.

الإمامة والسياسة
لأبن قتيبة الدنيوري
مؤسسة الوفاء / بيروت ـ لبنان / ط: ٢ سنة ١٤٠١ هـ.

أنساب الأشراف
لأحمد بن يحيى البلاذري
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٧ هـ.

بحار الأنوار
للعلامة محمد باقر المجلسي
مؤسسة الوفاء / بيروت ـ لبنان / ط:٢ سنة ١٤٠٣ هـ.

بغية الباحث
لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي
دار الطلائع / بيروت ـ لبنان/

تاريخ ابن الأثير = الكامل في التاريخ
لعلي بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٣٩٨ هـ

تاريخ ابن كثير = البداية والنهاية
الإمام ابن كثير الدمشقي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٣٩٨ هـ

تاريخ ابن يونس المصري
لأبي سعيد عبد الرحمن الصدفي المصري
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤٢١ هـ

تاريخ ابن خلدون
لعبد الرحمن بن خلدون المغربي
دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني /سنة ١٤٢٠ هـ.

تاريخ أبي الفداء
لأبي الفداء إسماعيل بن علي
مصر / سنة ١٢٨٦ هـ.

تاريخ أبي زرعة
عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله النصري
دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / سنة ١٤١٧هـ

تاريخ الاسلام
لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان / ط: ٢ سنة ١٤١٧ هـ.

تاريخ الاسلام
للدكتور حسن إبراهيم حسن
دار الاندلس / بيروت ـ لبنان /

تاريخ بغداد
للخطيب البغدادي
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان.

تاريخ جرجان

للسهمي
عالم الكتب /بيروت ـ لبنان / ط: ٤ سنة ١٤٠٧ هـ.

تاريخ الخلفاء
لأبي بكر السيوطي / بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

التاريخ الصغير
لمحمد بن اسماعيل البخاري
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤٠٦ هـ.

تاريخ الطبري
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
مؤسسة الأعلمي / بيروت ـ لبنان /

تاريخ الفسوي
يعقوب بن سفيان الفسوي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط:١ سنة ١٤١٩هـ

التاريخ الكبير
لمحمد بن اسماعيل البخاري
دار الفكر / بيروت ـ لبنان /

تاريخ المدينة
لأبن شبة النميري البصري
دار الفكر / قم ـ ايران / سنة ١٤١٠ هـ.

تاريخ مدينة دمشق
لابن عساكر
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤١٥ هـ.

تاريخ اليعقوبي

لأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي
دار صادر / بيروت ـ لبنان/

التبصرة في أصول الفقه
لأبي إسحاق الشيرازي
دار الفكر / دمشق ـ سوريا / تحقيق د. محمد حسن هيتو.

تحفة الأحوذي
للمباركفوري
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٠ هـ.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي
عبد الرحمن السيوطي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة / ط: ١: سنة ١٤١٧ هـ.

تذكرة الحفاظ
لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٩ هـ.

ترتيب المدارك
للقاضي عياض
دار مكتبة الحياة / بيروت ـ لبنان/

الترغيب والترهيب
عبد العظيم بن عبد القوي
مصر / ط: ٢ سنة ١٣٨٨ هـ.

تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

دار الكتب العلمية/ بيروت ـ لبنان / ط:٢ سنة ١٤٠٧ هـ.

تعليقة الوحيد البهبهاني

تفسير ابن جزي
لمحمد بن احمد بن جزي الكلبي
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٣ هـ.

تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم
لأبي الفراء الحافظ ابن كثير الدمشقي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ٢ سنة ١٤٠٨ هـ.

تفسير ابي السعود
أبو السعود محمد بن محمد العمادي
دار إحياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان /

تفسير البغوي = معالم التنزيل في التفسير والتأويل
لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٥ هـ.

تفسير البيضاوي
لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي
دار الجيل / بيروت ـ لبنان/

تفسير الجلالين
للأمامين جلال الدين محمد بن احمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤٠٧ هـ.

تفسير الطبري
لأبي جفر محمد بن جرير الطبري

دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٦ هـ.

تفسير عبد الرزاق الصنعاني
عبد الرزاق بن همام الصنعاني
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان تحقيق: محمود محمد عبدة / ط: ١ سنة ١٤١٩ هـ.

تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن
لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤٠٨ هـ.

تفسير القمي
لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي
مؤسسة دار الكتاب / قم ـ ايران / ط:٣ سنة ١٤٠٤ هـ.

التفسير الكبير = تفسير الرازي
للإمام محمد الرازي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ٣ سنة ١٤٠٥هـ.

تفسير الكشاف
لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري الخوارزمي
الدار العالية / بيروت ـ لبنان.

تفسير الميزان
للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ ايران / ط: ٢ سنة ١٣٩٣ هـ

تفسير النسفي
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٦ هـ.

تفسير نور الثقلين
للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي
مؤسسة اسماعيليان / قم ـ ايران / ط:٤ سنة ١٤١٢ هـ.

تفسير النيشابوري
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيشابوري
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٦ هـ.

تقريب التهذيب
لأبن حجر العسقلاني
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ٢ سنة ١٤١٥ هـ.

تلبيس ابليس
لأبي الفرج، قدامة بن جعفر
مطبعة النهضة / القاهرة / سنة ١٣٤٧ هـ.

تلخيص المستدرك
للحافظ الذهبي
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان /

التوحيد
للشيخ الصدوق أبي جعفر بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
مؤسسة النشر الاسلامي التابعة المدرسين /قم ـ ايران/ سنة ١٣٨٧ هـ.

التنبيه والرد
لأبي الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن
بيروت ـ لبنان ـ سنة ١٣٨٨ هـ.

تهذيب الأحكام

لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
دار الكتب الأسلامية / طهران - إيران / ط:٤ سنة ١٣٦٥ش.

تهذيب تاريخ دمشق لابن منظور
لابن منظور، محمد بن مكرم
دار الفكر / بيروت لبنان / ط: ١ سنة ١٤٠٤ هـ.

تهذيب تاريخ دمشق
للشيخ عبد القادر بدران.
دار احياء التراث العربي / بيروت - لبنان / ط: ٣ سنة ١٤٠٧ هـ.

تهذيب التهذيب
لابن حجر العسقلاني
دار الفكر / بيروت - لبنان / سنة ١٤٢١ هـ.

تهذيب الكمال
لأبي الحجاج يوسف المزي
مؤسسة الرسالة / بيروت - لبنان / تحقيق: د بشار عواد معروف ط: ٤ سنة ١٤٠٦ هـ.

توجيه النظر
طاهر بن صالح الجزائري
دار المعرفة / بيروت - لبنان

توضيح الأفكار
محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد، الأمير الصنعاني
دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان / ط:١ سنة ١٤١٧هـ

ثقات ابن حبان
لمحمد بن حبان بن احمد أبي حاتم التميمي البستي

دائرة المعارف العثمانية /حيدر آباد ـ الهند / ط: ١ سنة ١٤٠٢ هـ.

ثقات ابن شاهين = تاريخ اسماء الثقات
لأبي حفص عمر بن احمد بن عثمان المعروف بابن شاهين
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط ١: سنة ١٤٠٦ هـ.

ثقات العجلي = تاريخ الثقات
لأحمد بن عبد الله بن صالح أبي الحسن العجلي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤٠٥ هـ.

ثواب الأعمال
للشيخ الصدوق أبي جعفر بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
منشورات الشريف الرضي / قم ـ إيران / ط:٢ سنة ١٣٦٨ هـ.ش

الجامع الصغير
جلال الدين، عبد الرحمن السيوطي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤٠١ هـ.

جامع المدارك في شرح المختصر النافع
لآية الله السيد أحمد الخوانساري
مكتبة الصدوق / طهران ـ أيران / ط:٢ سنة ١٣٥٥ هـ.ش

جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس
لأبي عبد الله محمد بن أبي نصر الازدي الحميدي
الدار المصرية للتأليف والترجمة / سنة ١٩٦٦ م

الجرح والتعديل
لأبي محمد عبد الرحمن التميمي الحنظلي الرازي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٣٧٢ هـ.

جمال الاسبوع بكمال العمل المشروع
للسيد علي بن موسى بن طاووس
مؤسسة الافاق / أيران / ط:١ سنة ١٣٧١ هـ.ش

جواهر الكلام
للشيخ محمد حسن النجفي الجواهري
دار الكتب الاسلامية / طهران ـ أيران / ط:٣ سنة ١٣٦٧ ش.

الجوهر النقي
المارديني (ابن التركماني)
دار الفكر

حاشية السندي على النسائي
لنور الدين بن عبد الهادي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ٢ سنة ١٤٠٦ هـ.

حاشية رد المختار
لابن عابدين
دار الفكر / لسنة ١٤١٥ هـ.

حاوي الاقوال

الحد الفاصل
للرامهرزي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ٣ لسنة ١٤٠٤ هـ / تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب.

الحدائق الناضرة في احكام العترة الطاهرة
للشيخ يوسف البحراني
النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ ايران /

حلية الأولياء
لأبي نعيم الأصفهاني
دار الفكر / بيروت ـ لبنان

خصائص أمير المؤمنين
لأحمد بن شعيب النسائي
مكتبة نينوى الحديثة / تحقيق محمد هادي الأميني

خلاصة الاقوال في معرفة الرجال
للحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي
مؤسسة نشر الفقاهة /قم ـ أيران/ ط:١ سنة ١٤١٧ هـ

الخلاصة في أصول الحديث
الإمام الطيبي
علم الكتب / بيروت ـ لبنان / تحقيق: صبحي السامرائي، ط: ١ سنة ١٤٠٥ هـ.

الخوارج
للدكتور نايف معروف
دار الطليعة / بيروت ـ لبنان / ط: ٣، سنة ١٤٠٦ هـ.

الدر المنثور
لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي
منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي / قم ـ ايران / سنة ١٤٠٤ هـ.

ديوان الضعفاء
الإمام الذهبي
تحقيق وتعليق: نور الدين عتر
ذكر أخبار أصفهان لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني.
مطبعة بريل لسنة ١٩٣٤ م.

رجال بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجالية
للسيد محمد مهدي بحر العلوم
مكتبة الصادق /طهران ـ أيران/ ط:١ سنة ١٣٦٣ هـ

رجال الطوسي
لأبي جعفر بن الحسن الطوسي
النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ ايران / سنة ١٤١٥ هـ

رجال الكشي = اختيار معرفة الرجال
لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
مؤسسة آل البيت عليهم السلام /قم ـ أيران/ سنة ١٤٠٤ هـ

رجال النجاشي
للشيخ أبي العباس أحمد بن علي النجاشي الاسدي الكوفي
النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ ايران / ط:٥ سنة ١٤١٦ هـ

الرسائل العشر
لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ ايران / سنة ١٤٠٤ هـ

الرسالة
للإمام الشافعي
المكتبة العلمية / بيروت – لبنان / تحقيق أحمد محمد شاكر.

الرسالة العددية = جوابات أهل الموصل في العدد والرؤية
للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي
المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد /قم ـ إيران/ ط:١ سنة ١٤١٣ هـ

الرفع والتكميل
لأبي الحسنات محمد بن عبد الحي اللنكوي

دار البشائر الاسلامية / بيروت ـ لبنان / ط: ٣، سنة ١٤٠٧ هـ.

روح البيان
محمود الألوسي البغدادي
دار احياء التراث العربي / بيروت لبنان

روح البيان
للبرسوي

روضة المتقين

روضة الواعظين
محمد بن الفتال النيسابوري
منشورات الشريف الرضي /قم ـ أيران/

زاد المسير
لأبن الجوزي القرشي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٧ هـ.

زاد المعاد
أبي عبد الله بن القيم
دار الفكر / تحقيق حسن محمد المسعودي

السنة
لعمرو بن أبي عاصم الضحاك
المكتب الاسلامي / بيروت ـ لبنان / ط: ٣، سنة ١٤١٣ هـ.

السنة ومكانتها في التشريح الإسلامي
لمصطفى السباعي
المكتب الإسلامي / بيروت ـ دمشق / ط: ٤ سنة ١٤٠٥ هـ.

سنن ابن حاجة

للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني
المكتبة العلمية / بيروت ـ لبنان / بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

سنن البيهقي = السنن الكبرى
للامام أحمد بن الحسين بن علي البيهقي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان

سنن الترمذي
لمحمد بن عيسى الترمذي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٣ هـ.

سنن النسائي
لأحمد بن شعيب النسائي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٦ هـ.

سير أعلام النبلاء
لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
مؤسسة الرسالة / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠١ هـ.

السقيفة والخلافة
عبد الفتاح عبد المقصود
مكتبة غريب

السيرة النبوية = سيرة ابن هشام
لأبن هشام الحميري
دار الوفاق / بيروت ـ لبنان / ط: ٢ سنة ١٣٧٥ هـ.

الشذا الفيّاح من علوم ابن الصلاح
ابراهيم بن موسى النباسي الشافعي
دار الكتب العلمية / بيروت لبنان / تحقيق محمد علي سمك / ط ١: ١٤١٨ هـ.

شذرات الذهب في اخبار من ذهب
لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٣٩٩ هـ.

شرح أصول الكافي
للمولى محمد صالح المازندراني
دار احياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان / ط:١ سنة ١٤٢١ هـ

شرح صحيح مسلم
للنووي
دار الفكر العربي / بيروت ـ لبنان / ط: ٢، سنة ١٤٠٧ هـ.

شرح فتح القدير
كمال الدين محمد بن عبد الواحد
دار احياء التراث العربي ودار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان/

الشرح الكبير
لعبد الله بن قدامة
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان.

شرح نهج البلاغة
لأبن أبي الحديد
دار احياء الكتب العربية / تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

شواهد التنزيل
لعبيد الله بن احمد المعروف بالحاكم الحسكاني
مجمع احياء الثقافة الاسلامية / ايران / ط: ١ سنة ١٤١١ هـ.

صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان

لعلي بن بلبان الفارسي
مؤسسة الرسالة / تحقيق شعيب الأرنؤوط / سنة ١٤١٤ هـ.

صحيح ابن خزيمة
لأبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة
المكتب الإسلامي / ط: ٢، سنة ١٤١٢ هـ.

صحيح البخاري
لمحمد بن اسماعيل البخاري
دار الفكر / بيروت ـ لبنان/ سنة ١٤٠١ هـ.

صحيح مسلم
لمسلم بن الحجاج النيشابوري
دار الفكر / بيروت ـ لبنان/

الصمت وآداب اللسان
لابن أبي الدنيا
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان / ط: ١ لسنة ١٤١٠ هـ.

ضحى الإسلام
أحمد أمين
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان الطبعة العاشرة.

الضعفاء الصغير
لمحمد بن اسماعيل البخاري
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٦ هـ.

الضعفاء الكبير
لأبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٤ هـ.

الضعفاء والمتروكين
لأحمد بن علي بن شعيب النسائي
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٦ هـ.

طبقات خليفة
لخليفة بن الخياط
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤١٤ هـ.

طبقات الشافعية
الإمام السبكي

الطبقات الكبرى
لابن سعد
دار صادر / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٥ هـ.

طبقات المحدثين في أصبهان
لعبد الله بن حبان
مؤسسة الرسالة / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٢ هـ.

العبر في خبر من عبر
للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٨ هـ.

عدة الرجال

العقد الفريد
أحمد بن عبد ربة الأندلسي
شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم / بيروت ـ لبنان / تحقيق: بركات يوسف هبود، ط: ١ سنة ١٤٢٠ هـ.

عمدة القارىء
للعلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٢١ هـ.

عقود الجواهر المنيفة في أدلة أبي حنيفة
للمرتضى الزبيدي
الاسكندرية / مصر ـ القاهرة / سنة ١٢٩٢ هـ.

علل الشرائع
للشيخ الصدوق أبي جعفر بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
منشورات المكتبة الحيدرية /النجف الاشرف ـ العراق/ سنة ١٣٨٦ هـ

علم أصول الفقه
للشيخ عبد الوهاب خلاق
دار القلم / الكويت / ط: ١٠، ١٣٩٢ هـ.

عيون اخبار الرضا
للشيخ الصدوق أبي جعفر بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
مؤسسة الاعلمي للمطبوعات /بيروت ـ لبنان / ط:١ سنة ١٤٠٤ هـ

غنائم الايام في مسائل الحلال والحرام
للمحقق الميرزا أبو القاسم القمي
مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي / قم ـ إيران / ط:١ سنة ١٤١٧ هـ

فتح الباري شرح صحيح البخاري
لأبن حجر العسقلاني
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان/

فتح القدير = تفسير الشوكاني.
لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني
دار الفكر /بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٣ هـ.

فتح المغيث شرح ألفية الحديث
محمد بن عبد الرحمن السماوي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / تحقيق: محمد عويضة / ط: ١ سنة ١٤١٧هـ.

الفتن
لنعيم بن حماد الخزاعي المروزي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٨ هـ.

فتوح البلدان
لأحمد بن يحيى البلاذري
مؤسسة المعارف / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٧ هـ.

فجر الاسلام
لأحمد أمين
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان / ط: ١٣، ستة ١٩٧٥ م

الفرق بين الفرق
لعبد القاهر بن طاهر البغدادي
دار الآفاق الجديدة / بيروت ـ لبنان / ط: ٢، سنة ١٩٧٧ م.

الفصل بين الملل
لابن حزم الظاهري
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / طبعة سنة ١٠٤٦ هـ

الفصول في الأصول

لأحمد بن علي الرازي الجصاص
تحقيق الدكتور عجيل جاسم النمشي / ط: ١، سنة ١٤٠٥ هـ.

فضائل الصحابة
أحمد بن حنبل
دار الكتب العلمية / بيروت لبنان.

فقه السنة
للسيد سابق
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان.

فقه الصادق عليه السلام
لآية الله العظمى السيد محمد صادق الحسيني الروحاني
مؤسسة دار الكتاب / قم ـ أيران / ط:٣ سنة ١٤١٢ هـ

الفكر الإسلامي قراءة علمية
لمحمد أركون
مركز الانتماء القومي / بيروت ـ لبنان / ط: ٢ لسنة ١٩٩٦ م / ترجمة هاشم صالح.

الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي
محمد بن الحسن الحجوي الثعابي الفاسي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١ سنة ١٤١٦ هـ.

الفهرست
لأبي جعفر بن الحسن الطوسي
مؤسسة نشر الفقاهة / أيران / ط:١ سنة ١٤١٧ هـ

فيض القدير
لمحمد عبد الرؤوف المناوي

دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٥ هـ.

قرب الإسناد
للشيخ الجليل أبي العباس عبد الله بن جعفر الحميري
مؤسسة آل البيت لاحياء التراث / قم ـ إيران / ط:١ سنة ١٤١٣ هـ

قواطع الأدلة
لأبي المظفر السمعاني
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / تحقيق: محمد حسن إسماعيل، سنة ١٤١٨ هـ.

الكاشف «للذهبي»
الإمام الذهبي

الكافي «للحلبي»
لأبي الصلاح الحلبي
مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام / إصفهان ـ إيران / سنة ١٤٠٣ هـ.

الكافي
للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني
دار الكتاب الاسلامي / طهران ـ أيران / ط:٣ سنة ١٣٨٨ هـ.

الكامل في ضعفاء الرجال
لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني
دار الكتاب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٨ هـ.

الكامل في اللغة والأدب
للمبرد
مطبعة النهضة / القاهرة ـ مصر.

كتاب الصلاة

لآية الله العضمى السيد أبو القاسم الخوئي
دار الهادي / قم ـ أيران / ط: ٣ سنة ١٤١٠ هـ.

كشف الغطاء عن مبهمات شريعة الغراء
للشيخ جعفر الغطاء
انتشارات مهدوي / إصفهان ـ أيران / طبعة حجرية.

الكفاية في علم الرواية
للخطيب البغدادي
دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤٠٥ هـ.

كنز العمال
للمتقي الهندي
مؤسسة الرسالة / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٩ هـ.

لباب النقول
لأبي الفضل جلال الدين السيوطي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان/

لسان العرب
لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري.
دار صادر / بيروت ـ لبنان.

المبسوط في فقه الحنفية
شمس الدين السرخسي
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٦ هـ.

المجروحين
لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي
دار الباز للنشر والتوزيع / مكة المكرمة.

مجمع البحرين
فخر الدين الطريحي
مكتب نشر الثقافة الإسلامية / ط: ٢ سنة ١٤٠٨ هـ.

مجمع البيان
لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي
مؤسسة الاعلمي للمطبوعات / بيروت ـ لبنان / ط:١ سنة ١٤١٥ هـ.

مجمع الزوائد
لنور الدين الهيثمي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤٠٨ هـ.

مجمع الفائدة والبرهان
للمولى أحمد الاردبيلي
منشورات جماعة المدرسين / قم ـ إيران / سنة ١٤٠٣ هـ.

المجموع
لمحيي الدين بن النووي
دار الفكر

المجموعة الكاملة (العبقريات الاسلامية).
عباس محمود العقاد
دار الكتاب اللبناني / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٩٧٤ م.

المجموعة الكاملة
طه حسين
دار الكتاب اللبناني / بيروت ـ لبنان / سنة ١٩٨٢ هـ.

المحاسن

لأحمد بن محمد بن خالد البرقي
دار الكتب الاسلامية / طهران ـ إيران /

محاسن الاصلاح
الإمام البلقيني
تحقيق بنت الشاطىء

المحصول
للإمام الرازي
المكتبة العصرية / صيدا ـ بيروت / ط: ٢، سنة ١٤٢٠ هـ.

المحكم والمتشابه

المحلى
لأبن حزم الأندلسي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / بتحقيق أحمد محمد شاكر

مرآة العقول

مروج الذهب
لأبي الحسن علي بن الحسن المسعودي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٧ هـ.

المستدرك
للحافظ أبي عبد الله محمد بن محمد الحاكم النيسابوري
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / ط: ١٤٠٦ هـ.

مستدرك الوسائل
للحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي
مؤسسة آل البيت لاحياء التراث / بيروت ـ لبنان / ط:١ سنة ١٤٠٨ هـ.

المستصفى في علم الأصول

الإمام الغزالي
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤١٧هـ.

مستمسك العروة الوثقى
لآية الله العظمى السيد محسن الحكيم
مكتبة السيد المرعشي النجفي / قم ـ إيران /سنة ١٤٠٤ هـ.

مستند الشيعة
لأحمد بن محمد مهدي النراقي
مؤسسة آل البيت لاحياء التراث / مشهد ـ إيران / ط: ١ سنة ١٤١٥ هـ.

مسند ابن الجعد
لعلي بن الجعد بن عبيد الجوهري
دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان

مسند ابن راهويه.
لأسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي
مكتبة الأيمان / المدينة المنورة / ط: ١، سنة ١٤١٢هـ.

مسند ابي يعلي
لأحمد بن علي بن المثنى التميمي
دار المأمون للتراث

مسند أحمد
لأحمد بن حنبل
دار صادر / بيروت ـ لبنان /

مصباح الفقيه
لرضا الهمداني
مكتبة الصدر / قم ـ إيران / طبعة حجرية.

المصنف
لابن أبي شيبة الكوفي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / تحقيق سعيد محمد اللحام / ط: ١، سنة ١٤٠٩ هـ.

المصنف
لأبي بكر عبد الرزاق الصنعاني
المجلس العلمي / تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

معاني الأخبار
للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين /قم ـ إيران/ سنة١٣٦١ هـ.ش.

معاني القرآن
لأبي جعفر النحاس
جامعة أم القرى / المملكة العربية السعودية / ط: ١، سنة ١٤٠٩هـ.

المعجم الأوسط
للطبراني
دار الحرمين

معجم البلدان
لياقوت الحموي
احياء التراث العربي / بيروت ـ لبنان/

معجم رجال الحديث
لآية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي
منشورات مدينة العلم / قم ـ إيران / ط: ٥ سنة ١٤١٣ هـ.

المعجم الصغير

للطبراني

دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان.

المعجم الكبير

للطبراني

دار احياء التراث العربي / القاهرة ـ مصر / ط: ٢.

معراج أهل الكمال

معرفة علم الحديث

للحافظ النيسابوري

دار الافاق الجديدة / بيروت ـ لبنان / ط: ٤، سنة ١٤٠٠ هـ.

المعيار والموازنة

لأبي جعفر الاسكافي / تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي.

المغني

لعبد الله بن قدامة

دار الكتاب العربي / بيروت ـ لبنان.

المغني في الضعفاء

لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

تحقيق وتعليق الدكتور نور الدين عتر

مقدمة ابن الصلاح

لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهروزي

دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٤١٦ هـ.

مقدمة فتح الباري

لابن حجر العسقلاني
دار المعرفة / بيروت ـ لبنان.

مناقب آل أبي طالب
لابن شهر آشوب
المطبعة الحيدرية / النجف الاشرف ـ العراق / سنة ١٣٧٦ هـ.

منتخب كنز العمال
مطبوع بهامش مسند أحمد
دار صادر / بيروت ـ لبنان/

المنتظم
لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
دار الفكر / بيروت ـ لبنان / تحقيق الدكتور سهيل زكار، سنة ١٤٢٠ هـ.

منتهى المقال
للشيخ محمد بن إسماعيل المازندراني
مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث / بيروت ـ لبنان / سنة ١٤١٩ هـ.

من لا يحضره الفقيه
للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين /قم ـ إيران / ط:٢ سنة ١٤٠٤ هـ.

مواهب الرحمن

موقف الخلفاء العبّاسيين
عبد الحسين علي أحمد
دار قطري بن الفجاءة / الدوحة ـ قطر.

مهذب الاحكام

ميزان الاعتدال

للذهبي

دار المعرفة / بيروت ـ لبنان / ط: ١، سنة ١٣٨٢ هـ.

النجوم الزاهرة

جمال الدين الأتابكي

دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان / ط:١ سنة١٤١٣ هـ.

نحو انقاذ التاريخ الإسلامي

لحسن بن فرحان المالكي

مؤسسة اليمامة الصحفية / سنة ١٤١٨ هـ.

نصب الراية

لجمال الدين الزيلعي

دار الحديث / القاهرة ـ مصر / ط:١ سنة ١٤١٥ هـ.

نظم المتناثر من الحديث المتواتر

لمحمد بن جعفر الكتاني

دار الكتب السلفية / مصر تحقيق شرف حجازي

نواسخ القرآن

ابن الجوزي، أبو الفرج

دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان

نور البراهين

للعلامة السيد نعمة الله الموسوي الجزائري

مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين / قم ـ إيران / ط:٢ سنة

١٤١٧ هـ.

نيل الأوطار

لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني

دار الجليل / بيروت ـ لبنان.

الوافي بالوفيات

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي

طبع دار النشر فراتر شتانيز / تحقيق عدة من الاساتذة سنة ١٩٦٢ إلى١٩٨٢

الورع

لابن أبي الدنيا

الدار السلفية / ط: السنة ١٤٠٨ هـ / تحقيق محمد الحمود.

وسائل الشيعة

لمحمد بن الحسن الحر العاملي

مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث / قم ـ إيرن / ط:٢ سنة ١٤١٤ هـ.

ينابيع المودة لذوي القربى

للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي

دار الاسوة / إيران / ط: ١ سنة ١٤١٦ هـ.

فهرس المواضيع

الفصل الثاني
الصلاة ونظريّة الحس الديني

الفصل الثالث
أدلة حرمة الصلاة البتراء في روايات الشيعة

الفصل الرابع
أدلة حرمة الصلاة البتراء في روايات أهل السنّة

الفصل الخامس
هوية آل محمد بين الوحي وغريزة التراث الرأيوي

الفصل السادس
بحوث لغوية وفقهية في الصلاة

الفصل السابع
فضائل الصلاة خصائصها وثوابها

Mausouat Al-rasool
Al-Mostafa

(18)

Address in Lebanon:
P.O.Box 25/138
Al-Ghobairi - Beirut

Address In Iran:
P.O.Box 91375/4436
Mashhad
Fax:(0098-511) 2222483

E-mail: almawsouah@hotmail.com
almawsouah@yahoo.com
Website: www.almawsouah.org

Published in Lebanon by: Dar - Alathar

Published in Iran by: Jarf Publisher
Enqelab St. Fakhre Razi St. #111
Tehran - Iran
Tel: (0098-21) 6401727 P.O.Box: 13445-533

First print: 1424 - 2004

دار الأثر
للطباعة والنشر والتوزيع
Dar Al-Athar, Publisher

Shahrur bldg. Dakkash St. Bir Al-Abed - Beirut Lebanon
Tel: 01-270574 - 01/270573 - 03/349237

E-mail: alathar2002@hotmail.com

MAWSOUAT AL-RASOOL AL-MOSTAFA

A highly informative encyclopedia of Prophet Mohammad's life

Administered by: Mohsen Ahmad Al-Khatami

BENEDICTION UPON THE PROPHET MOHAMMAD AND HIS FAMILY

Slogan-inheritance-identity

By: Basem Al-Helli

Dar Al-Athar
Beirut - Lebanon

MAWSOUAT AL-RASOOL
AL-MOSTAFA